معاني القرآن وإعرابه

للزجاج

أبي إسحق إبراهيم بن السري
المتوفى سنة ٣١١ هـ

شرح وتحقيق

دكتور عبد الجليل عبده شلبي

الجزء الثاني

عالم الكتب

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

معاني القرآن وإعرابه

بسم الله الرحمن الرحيم

عالم الكتب

بيروت - المزرعة، بناية الإيمان - الطابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣
تلفون: ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً: نابعلبكي - تلكس: ٢٣٣٩٠

سورة النساء

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿يا أيها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾:

إبتدأ اللَّه السورة بالموعظة. أخبر بما يوجب أنه واحد وأن حقه عزّ وجلّ ـ أن يُتَّقى فقال:

﴿الَّذِي خلقكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَة﴾:

يعني من آدم عليه السلام، وإنما قيل في اللغة واحدة لأن لفظ النفس مؤنث، ومعناها مذكر في هذا الموضع(١)، ولو قيل من نفس واحد لجاز.

﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾:

حواءَ خُلِقتْ من ضِلْعٍ من أضْلاع آدَم، وبثَّ اللَّه جميع خلق الناس منها.

ومعنى «بَثَّ» نشر، يقال: بث اللَّه الخلق، وقال ـ عزّ وجلّ ـ ﴿كَالفَرَاشِ المَبْثُوثِ﴾(٢). فهذا يدل على بث. وبعض العرب يقول أبثَّ اللَّهُ الخلقَ، ويُقَال بَثَثْتُك سِرّي وأَبْثَثتك سِرّي.

وقوله ـ عزّ وجلّ: ﴿واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَّاءَلُون بِهِ﴾:

---

(١) لأن المراد بها آدم.

(٢) القارعة ١٠١ ـ ٤.

بالتشديد، فالأصل تتساءلون. وأُدْغمت التاءُ في السين لقرب مكان هـذه من هذه. ومن قرأ بـالتخفيف فالأَصـل تتساءَلُـون، إلا أَن التاءَ الثـانية حـذفت لاجتماع التَّاءَيْن، وذلك يُستثقل في اللَّفْظ فوقع الحذف استخفافاً، لأَن الكلام غيرُ مُلْبسٍ.

ومعنى ﴿تساءَلُون بِهِ﴾: تَطْلُبُونَ حُقُوقكم بِهِ.

﴿والأَرْحَامَ﴾:

القراءَة الجيّدةُ نصب الأَرحام. المعنى واتقوا الأَرحام أن تقطعوها، فأَما الجرُّ في الأَرحام فخطأ في العربية لا يجوز إلا في اضطرار شعر، وخـطأ أَيضاً في أَمْـر الدين عـظيمٌ، لأَن النبي ﷺ قال: لا تحلفـوا بآبـائكم. فكيف يكـون تساءَلون به وبالرحم على ذا؟[١].

رأيت أَبا إسـحق إسماعيـل بن إسـحق يذهب إلى أن الحلف بغيـر اللَّه أَمر عظيم، وأَن ذلك خاص للَّه ـ عزّ وجلّ ـ على ما أَتت به الرواية.

فأَما العربية فإجماع النحـويين أنه يَقْبحُ أَنْ يُنْسق باسم ظـاهر على اسم مضمر في حال الجـر إلا بإظهـار الجار، يَسْتَقْبح النحويُّون: مررت بـه وزيدٍ، وبك وزيدٍ[٢]، إلا مع إظهار الخافض حتى يقولوا بك وبـزيدٍ، فقـال بعضهـم: لأَن المخفوض حرف مُتَّصِلٌ غيرُ منفصل، فكأَنّه كالتنوين في الاسم، فقبح أَن يعطف باسم يقُومُ بنفسه على اسم لا يقوم بنفسه. وقد فسر المازي هذا تفسيراً مُقْنِعاً فقال: الثاني في العطف شريك للأَول[٣]، فإن كان الأَول يصلح شريكـاً

(١) أي كيف يعـطف الأرحام على لفظ الجـلالة فيكـون مقسماً بـه، أي انكم يسأل بعضكم بعضاً مستحلفاً إياه باللَّه، فكيف يجوز أن يستحلفه بالرحم وهو أمر منهى عنه. إذن لا يجوز أن تخرج الآية على ذلك، بل تنصب الأرحام مفعولاً لاتقوا.

(٢) هو ممنوع لا يجوز.

(٣) المعطوف شريك للمعطوف عليه في تسلط العامـل عليهما، فـإن جاز جعـل المعطوف معـطوفاً عليه صح الكلام، وإلا لم يصح.

للثاني[١] وإلا لم يصلح أن يكون الثاني شريكاً له. قال: فكما لا تقول مررت بزيد و «كَ» فكذلك لا يجوز مررت بك وزيدٍ.

وقد جاز ذلك في الشعر، أنشد سيبويه:

فـاليـوم قـرَّبْت تهجُـونـا وتشتُمنـا فاذْهب فما بك والأيَّام ِ من عجب[٢]

وقوله: ﴿وآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾:

أي أَعْطوهم أموالهم إذا آنستم منهم رشـداً، وإنما يسمَّـوْن يَتامَى - بعـد أن يُؤنس منهم الـرُّشُد، وقـد زال عنهم اسم يتامى - بـالاسم الأول الذي كـان لهُم، وقد كان يُقالُ في النبي ﷺ يتيم أَبي طالب[٣].

وقوله - عزّوجلّ -: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾:

الطيب مالكم، والخبيث مالُ اليتيم وغيرُه مما ليس لكم، فلا تأْكلوا مال اليتيم بدلاً منْ مَالِكم، وكذلك لا تأْكُلُوا (أَيضاً)[٤] أَمْوالَهُمْ إِلَى أَمْوالِكُمْ.

أي لا تُضِيفُـوا أَمْـوالهم في الأَكـل إلى أمـوالكم، أي إن احتجتم إليهـا فليس لكم أن تأكلوها مع أموالكم.

﴿إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً﴾:

---

(١) جواب الشرط محذوف لوضوحه - أي صح العطف.

(٢) البيت لـلأعشى، وينسب لعمرو بن معـد يكرب، ولخفـاف بن نُـدْبـة، ولغيـرهم. وقـربت من التقـريب في السير، وهـو الإسراع. أي أسـرعت إلى شتمنا وهجـونا في زمن سيئ فـلا عجب منكما، والشاهد فيه عطف الأيام على الكاف. والبيت من شواهد النحو الشائعة في باب الجر، وانظر ابن يعيش ٣ - ٧٩، والكامل ٢ - ٣٩ (تجارية) ومن شواهد سيبويه، وعد من الخمسين.

(٣) كان يسمى بهذا حتى بعد أن كبر وزالت عنه صفة اليتم.

(٤) ب فقط.

والحوبُ: الإثم العظيم، والحُوبُ فعلُ الـرَّجل[١]، تقـول: حاب حُـوباً كقولك قدْ خان خُوناً[٢].

وقوله عزّ وجلّ:

﴿وإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ﴾.

قال مجاهد: إن تحرَّجْتُم أن تتركوا ولاية اليتامى إيماناً وتصْديقاً فكـذلك تحرَّجوا من الزنا، وقال غيره: وإنْ خفْتم ألَّا تعدلوا في أَمْر النساءِ فـانكحوا مـا ذكر اللَّه عزّ وجلّ، وقال بعض المفسِّرين قولاً ثالثاً، قـال أَهل البصـرة من أَهل العربية: يقول ذلك المفسِّرُ ـ قال إنهم كانوا يتزوَّجُون العَشْر مِنَ اليتامَى ونحـوَ ذلك رغْبةً في مـالِهِنَّ فقال اللَّه ـ جـلّ وعزّ ـ وإن خفتم ألا تُقْسِـطُوا في اليتامَى أي في نكاح اليتامى، ودل عليه[٣]. فانكحوا. كذلك قال أَبـو العباس محمـد ابن يزيد، وهو مذهب أَهل النظر من أَهل التفسير.

﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَربَاعَ﴾:

لم يقـل من طـاب والـوجـه في الآدميين أَن يقـال مَنْ، وفي الصِّفـاتِ وأَسمـاءِ الأَجنـاس أن يقـال «مـا». تقـول: مـا عنـدك؟ فيقـول فـرسٌ وطيبٌ، فالمعنى فانكحوا الطيب الحلال[٤] على هذه العِدَّة التي وصفت[٥]، لأَن ليس كـلُّ النسـاءِ طيبـاً، قـال ـ عـزّ وجـلّ ـ: ﴿حُـرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهـاتُكُم وَبَنَـاتُكُمْ وأَخـواتُكُم وَعَمَّاتُكُمْ وَخَـالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخ وَبَنَـاتُ الأُخْتِ وأُمَّهَـاتُكُمُ الَّـلاتِي

---

(١) «حوب» يطلق على المصدر وعلى العمل.

(٢) خان خوناً أثم.

(٣) على المحذوف وهو كلمة نكاح.

(٤) أي انكحـوا الأصناف التي تطيب وتحل لكم من النساء،فما هنا معبرة عن أجنـاس وصفـات. ومـا تستعمل لأنواع من يعقل.

(٥) أي عدد أقصاه أربع نساء.

أَرْضَعْنَكُمْ وأَخَـواتُكُم مِّنَ الرَّضَـاعَـةِ وأُمَّهَـاتُ نِسَـائِكم، وَرَبَـائِبُكُمُ الـلَّاتِي في حجُورِكُم مِّن نِسَائِكُم اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فإِنْ لَمْ تَكُـونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَـلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ. . . ﴾[1] فَلَيس ممن ذكر ما يطيبُ[2].

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾:

بدل من ﴿مَا طَابَ لَكُمْ﴾ ومعناه اثنين اثنين، وثلاثاً ثَلاثاً، وأَربعاً أَرْبعاً، إِلا أَنه لا ينصرف[3] لجهتين لا أَعلم أَن أَحـداً من النحويين ذكـرهما، وهي أَنـه اجتمـع فيه علتـان أَنَّه معـدُول عن اثنين اثنين، وثلاث ثـلاثٍ، وأَنه عـدل عن تأْنيثٍ.

قـال أَصحابنـا انه اجتمـع فيه عِلتـانَ أَنه عُـدل عن تأْنيث، وأَنـه نكـرة، والنكرة أَصل للأَسماءِ، بهـذا كان ينبغي أَن نخففـه[4]. لأَن النكرة تخفف ولا تعد فرعاً.

وقـال غيرهم هـو معـرفـة وهـذا محـال لأَنـه صفـة للنكـرة، قـال اللّٰـه ـ جلَّ وعزّ ـ: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُـلاً أُولِي أَجْنِحةٍ مَّثْنَى وثُـلاَثَ وَرُبَاعَ﴾[5]. فهذا مُحال أَن يكون أُولي أَجنحة الثلاثة والأَربعة وإِنما معناه أُولي أَجنحة ثَلاثةً ثَلاَثَةً وأَرْبعةً أَربعة[6].

قال الشاعر:[7]

---

(١) سورة النساء ـ ٢٣.

(٢) ليس بينهن من توصف بالطيب أو الصلاح للزواج.

(٣) جمهور النحويين البصريين على أنه مبني على الفتح في الكلمتين.

(٤) نمنعه الصرف.

(٥) سورة فاطر الآية ١.

(٦) فهي حال أو صفة، وفي كلتيهما لا تكون معرفة.

(٧) ساعدة بن جؤية يرثى ولده أبا سفيان، وأول القصيد:

ألا بـات من حـولي نيـامـاً ورقـد   وعـاودني حـزني الـذي يتجـدد

والشـاهد في البيت ورود مثنى ومـوحد خبـراً. وتبغى أصله تبتغى حذفت منـه إحدى التـاءين، =

ولـكنـمـا أهـلي بـواد أنـيسُـه ذِئَـابٌ تَبَغَّى الناسَ مَثنى ومَوْحَدُ

فإنْ قال قائل من الـرافضة:(١) إنـه قَدْ أُحِـلَّ لَنا تِسْـعٌ، لأنَّ قوله: «مثنى وثُلاثَ ورُباع» يراد به تِسَعٌ، قيل هـذا يبطل من جهـاتٍ، أحدهـا في اللغة أن مثنى لا يصلح إلَّا لاثنين اثنين على التفريق.

ومنها أنه يصير أعْيى(٢) كلام. لو قال قـائل في مـوضع تسعـةٍ أعطيـك اثنين وثلاثة وأرْبعة يريد تسْعةً، قيل تسعة تغنيـك عن هذا، لأن تسعة وُضِعتْ لهذا العددِ كله، أعني من واحد إلى تسعة.

وبعد فيكون ـ على قولهم ـ من تزوج أقلَّ من تسع أو واحـدة فعاصٍ(٣) لأنه إذا كان الَّذِي أُبيح لـه تسعاً أو واحـدةً فليس لنا سبيـل إلى اثنين. لأنه إذا أمـرك من تجب عليك طـاعته فقـال أُدخـل هـذا المسجـدَ في اليـوم تسعـاً أو واحدة، فدخلت غير هاتين اللتين حدَّدهما لك من المرات فقد عصيْته.

هذا قول لا يُعرجُ على مِثله. ولكنَّا ذَكَرْنَاهُ ليعْلم المسلمون أن أهل هذه المقالة مُباينون لأهل الإسلام في اعتقادِهم، ويعتقدون في ذلك ما لا يشتبه(٤) على أحد من الخطأ.

= يقال تبغى الشيء إذا ابتغاه وطلبه. أي إن ابنه بواد موحش به ذئاب كـاسرة جمـاعات وأفـراداً. ولو كان إذ مات دفن مع أهله لهان خطبه بعض الهوان.

وسـاعدة من شعـراء هذيـل جاهلي مجيـد شعره مليء بـالغريب والمعـاني الغـامضـة، ويصلح للاستشهاد به في النحو واللغة.

والبيت في ديـوان الهـذليين ١ ـ ٢٧٧، والعيني ٤ ـ ٣٥٠ والقـرطبي ٥ ـ ١٦، وابن يعيش ٨ ـ ٥٧، وشواهد المغني ٣١٧.

(١) الرافضة فـرقة من الشيعـة سميت بذلـك لأنها رفضت رأي زيـد بن علي بن الحسين في صحة خلافة أبي بكر وعمر: وانشقوا عليه. أما الزيدية فيفضلون علياً ولكنهم لا ينكرون صحة خلافة من قبله لأنهم يجيزون إمامة المفضول. انظر ضحى الإسلام جـ ٣ / ١٣٦، ٢٧٥.

(٢) أضعف كلام وأوهنه تركيباً.

(٣) أي فهو عاصٍ.

(٤) لا يلتبس.

فأمَّا قوله: ﴿ذَلِكَ أَدْنى أَلَّا تَعُولُوا﴾:

(فمعناه) ذلك أَقْربُ أَلَّا تجُورُوا. وقيـل في التَّفْسير: أَلَّا تميلوا، ومعنى تميلوا تجوروا. فأما من قال: أَلَّا تعُولوا: أَلا تكثُر عيالُكُمْ، فـزعم جميع أَهـل اللغة أَنَّ هذا خطأً، لأن الواحدة تعول[١]، وإبـاحةُ كـلِّ ما ملكَتْ اليمينُ أَزْيـدُ في العيـال من أَربع، ولم يكن في العـدد في النكاح حـدٌّ حين[٢] نـزلَتْ هـذه الآية.

والدليل على أَنهم كانوا يرغبون في التـزويج من اليتـامى [لمالهنَّ] أَنهم كانوا لا يبالون أَلَّا يعْدلوا في أَمرهم[٣]، وقولُه[٤] - عزّوجلّ - ﴿ويَسْتَفْتُونَـكَ فِي النِّسَـاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتيكُم فِيهِنَّ، وَمَـا يُتْلَى عَلَيْكُمْ في الكِتَابِ في يَتـامَى النسـاءِ اللَّاتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وتَرغَبُونَ أَن تَنْكِحُوهُنَّ﴾:

فالمعنى: وإِن خفتم أَلا تقسطوا في نكاح يتامى فـأَنكحوا الـطيب الذي قد أُحلَّ لكم من غَيْرهنَّ، والمعنى إِن أَمنتُم الجور في اليتـامى فأَنكحـوا منْهُنَّ كهذه العدة، لأَن النساءَ تشتمل على اليتامى وغيرهن.

وقوله: ﴿وآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾:

يقال هو صَدَاقُ المرأَة، وصدُقةُ المرأَة، وصُدْقَةُ المرأَة. وَصَداقُ المرأة، مفتوح أُولها، والذي في القرآن جمعُ صدُقة. ومن قال صُدْقَة قال صُدُقـاتهنَّ، كما يقول غُرْفة وغُرُفات، ويجـوز صُدْقـاتهنَّ، وصُدَقَـاتهنَّ. بضـم الصاد وفتـح

---

(١) في الأصل يعولها، والمـراد يكثر عيـالها.

(٢) ط حتى نزلت هذه الآية، أي آية ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾. فهي التي حددت عدد الزوجات.

(٣) لا يعطونهن حقوقهن وتأكلون مالهن أيضاً.

(٤) أي وهذا دليل أيضاً. الأولى أن يكون التقـدير في أمـرهن، ويستقم أن طمعهم كان حيفاً على الزوجات وأخوة الزوجات اليتامى.

الدال. ويجوز صُدُقاتهنَّ، ولا تقرأَنَّ من هذا إلا ما قد قرئ به لأن القراءَة سُنة لا ينبغي أن يقرأ فيها بكل ما يجيزه النحويون، وإنْ تتبعْ فالذي روي من المشهورُ في القراءَة أَجْودُ عند النحويين، فيجتمع في القراءَة بما قد روى الأتباعُ وإثباتُ ما هو أقوى في الحجة: إن شاءَ اللَّه.

ومعنى قوله: ﴿نِحْلةً﴾:

فيه غير قولٍ، قال بعضُهم فريضةً، وقال بعضهم ديانةً، تقول: فلان ينتحل كذا وكذا، أيْ يدينُ به، وقال بعضهم هي نحلة من اللَّه لهن أنْ جعل على الرجال الصداق، ولم يجعل على المرأة شيئاً من الغُرْم، فتلك نحلة من اللَّه للنساءِ يقال - نحلتُ الرجل والمرأة - إذا وهَبْتُ له - نِحْلةً ونُحْلاً ويقال: قد نَحِلَ جسم فلان ونَحَلَ إذا دقَّ[1]. والنَّحْلُ جائز أن تكون سميت نحلاً، لأن اللَّه جلّ ثناؤه نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها.

وقوله - جلَّ وعزّ - ﴿فإنْ طِبْنَ لكمْ عَنْ شيْءٍ مِنْهُ نَفْساً﴾:

أي عن شيءٍ من الصداق.

و «لكم» خطاب للأزواج، وقال بعضهم للأولياءِ ههنا. و «نفساً» منصوب على التمييز لأنه إذا قال: طِبْنَ لكم، لم يعلم في أيِّ صنْف وقع الطيبُ، المعنى: فإن طابت أنفسهن بذلك.

وقد شرحناه قبل هذا المكان شرحاً وافياً[2].

وقوله: ﴿فَكُلُوهُ هنِيئاً مَرِيئاً﴾:

يقال: هنأَني الطعامُ ومرأَني. وقال بعضهم: يقال مع هنأني مرأني، فإذا لم تذكر هنأني قلت أَمْرَأَني بالألف. وهذا حقيقته أَن مرأَني تَبينتُ أَنه

---

(١) بوزن علم ونصر في ماضيه ومضارعه.

(٢) انظر ص ٣١٩ جـ ١

سينهضم وأحمد مغبتهُ، فإذا قلت أَمْرأني الطعام فتأْويله أنه قد انهضم وحُمدتْ مغبته.

فإن قال قائل: إنما قيل: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً﴾ فكيف يجوز أن يقبل الرجل المهر كله، وإنما قيل له منه.؟ فالجواب في ذلك أن «منه» ههنا للجنس(١) لما قال عزّ وجلّ ـ: ﴿فاجْتَنِبُوا الرجسَ من الأَوْثَانِ﴾(٢). فلم نؤمر أن نجتنب بعض الأوثان، ولكن المعنى اجتنبوا الرجس الذي هو وثنٌ. أي فكلوا الشيءَ الذي هُو مهْرٌ.

وقوله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ﴾:

قال بعضهم: السفهاءُ النساءُ والصِّبْيانُ، وقال بعضهم: السفهاءُ اليتامى، والسفهاءُ يدل على أنه لا يعني به النساءُ وحدهن، لأن النساءَ أكثر ما يستعمل فيهنَّ جمع سفيهة [وهو] سفائه، ويجوز سفهاءُ، كما يقال فقيرةٌ وفقراءُ.

وقال بعضُهُمْ: معناه لا تهبوا للسفهاء، أموالكم، وهذا عندي ـ واللَّه أعلم ـ غير جائز. كذلك قالَ أَصْحابنا البصْريُّونَ بل السفيه أَحَقُّ بالهبة لتعذُّر الكسب عليه، ولو مُنِعْنَا منَ الهبَة لهم لما جاز أَنْ نُوَرِّثُهمْ، وإنما معْنَى: ﴿ولا تؤتوا السفهاءَ أموالكم﴾، لا تُؤتوا السفهاءَ أَمْوالهم، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَارْزُقُوهم فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ وقوله: ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوالُهمْ﴾، وإنما قيل أَموالكم لأن معناه الشيءَ الذي به قوام أَمْركم، كما قال اللَّه: ﴿ثُمَّ أَنْتُم هَؤُلَاءِ تقتلُون أَنْفُسَكُمْ﴾(٣) ولم يكن الرجل منهم يقتل نفسه،

---

(١) بيانية.

(٢) سورة الحج آية ٣٠.

(٣) سورة البقرة آية: ٨٥.

ولكن كان بعضهم يقتل بعْضاً، أي تقتلون الجنس الذي هو جنسُكُمْ.

وقرئت «اللَّاتي جعل اللَّهُ لكمْ قياماً»، وقيماً. يقال: هذا قوام الأمْر وملاكه.

المعنى: التي جعلها اللَّه تقيمكم فتقومون بها قياماً، فهو راجع إلى هذا[1]، والمعنى جعلها اللَّه قيمة الأشياءِ فبها يقوم أمْرُكم.

﴿وَقُولُوا لَهُمْ قوْلاً مَعْرُوفاً﴾:

أي: علموهم - مع إطعامكم إياهم، وكسوتكم إيَّاهم - أمْر دينهمْ...

وقوله - عزّ وجلّ -: ﴿وابتلُوا الْيَتَامَى﴾:

معناه: اختبروا اليتامى.

﴿حَتَّى إذَا بَلَغُوا النِّكاح فإنْ آنَسْتُم مِنْهُمْ رُشْداً﴾:

معنى: «آنسُتْم»: عَلِمْتُمْ، ومعنى «الرُّشد»: الطريقة المستقيمة التي تَثقُونَ مَعَهَا بأنَّهم يحْفظُون أموالهُمْ، فادْفَعُوا إليْهمْ أمْوالَهُمْ.

﴿وَلاَ تَأْكُلُوهَا إسْرَافاً وَبِدَاراً أنْ يكْبُروا﴾:

أي مُبادرة كبرهمْ.

قال بعضهم لا تأْكلوها إسرافاً، لا تأثَّلُوا منْها[2]، وكلوا القوت على قدر نفعكم إيَّاهُمْ في توليكم علَيهمْ.

وقال بعضهم:

معنى: ﴿ومَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

أي يأْكل قرضاً ولا يأْخذ من مال اليتيم شيئاً، لأنَّ المعروف أن يأْكل

---

(١) فهي إذن مفعول مطلق، وواضح أنها مفعول ثان لجعل.

(٢) لا تثروا: لا تأخذوا للثراء والغنى بل للكفاية.

الإنسانُ مالَه، ولا يأكُل مال غيره قال: والدليل على ذلك قوله: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُم إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيهِمْ﴾.

وقوله: عزّ وجلّ: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الوالِدانِ والأَقْرَبُونَ ممَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾.

كانت العرب لا تُورِّثُ إلَّا مَنْ طَاعن بالرِّماحِ وزاد عن المال وحاز الغنيمة، فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن حق الميراث على ما ذكر من الفرض.

وجاءَت امرأة إلى النبي ﷺ ومعها بنات لها تُوفِّي أبوهُنَّ وهو زوجُها، وقدْ همَّ عما البنات بأخذ المال فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾ الآية.

فقال العمَّان: يا رسول اللَّه أيرثُ من لا يُطاعن بالرماحِ ولا يزُودُ عن المال ولا يحُوزُ الغنيمة؟ فقال ﷺ: أعطيا البنات الثلثين، وأعطيا الزوجة ـ وهي أُمُّهن ـ الثُمُن، وما بقي فلكما، فقالا: فمن يتولى القيام بأمرهما؟ فأمرهما النبي ﷺ أنْ يتولَّيا ذَلكَ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾:

هذا منصوب على الحال، المعنى لهؤلاءِ أَنْصِبةٌ على ما ذكرناها في حال الفرض، وهذا كلام مؤكِّدٌ[1] لأن قوله ـ جلّ ثناؤه ـ ﴿للرِّجالِ نَصيبٌ ممَّا تركَ الوالدان والأَقرَبُونَ، وللنساءِ نصيبٌ. . .﴾ معناه: إنَّ ذلك مفروض لهُنَّ.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُو القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾:

[أي]. فاعطوهم منه.

---

(١) حال مؤكدة، لأن معناها معروف من قبل.

قال الحسن رحمة اللَّه عليه، والنَّخَعِي[١]: أدركنا النـاس وهم يَقْسِمون عَلى القَرَاباتِ والمسـاكين واليَتَامَى من العَين، يَعْنيـانِ الوَرِقَ، والـذَّهَبَ، فإذا قُسِمَ الـوَرق والذهب وصـارت القسمةُ إلى الأَرَضِين والـرقيق وما أَشبَـهَ ذلك، قالوا لهم قولاً معروفاً. كانوا يقولون لهم: بورك فيكم.

وقال قوم: نَسَخَ الأَمْرَ للمَسَاكينِ ومَنْ ذُكرَ في هذه الآية الفَرضُ في القِسْمَةِ، وإباحةُ الثلث للميِّتِ يجعله حيثُ شاءَ[٢].

قـال أبو إسحق وقـد أجمعـوا أن الأمـر بـالقسمـة من الميـراث للقـرابـة والمساكين واليتامى قَد أُمِر بهمـا، ولم يجمعوا على نسخهـا، والأمر في ذلـك على ما أُجْمِعَ عَلَيْه، واللَّه أعلم.

وقوله: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾.

الكلام في ذُرِّيَّة بضم الذَّال، ويجوز ذِرِّيَـة، ـ بكسر الـذَّال، وقد قـرئ بهما، إلا أن الضمَّ أجودُ وهي منسوبة إلى الذَّرِّ، وهي فُعْلِيَّةٌ منه[٣].

ويجوز أن يكون أصلهـا ذُرُّورَة، ولكن الراءَ أُبـدلت ياءً، وأدغمت الـواو فيها[٤]، فأما الكسر في الذال فلكسر الراءِ كما قالوا في عُتِّي: عِتِّي.

وضِعَـاف جمـع ضعيف وضعيفـة، كمـا تقـول ظَـريفٌ وظِـرافٌ وخبيث

---

(١) النخعي هو إبراهيم بن يزيد، يكنى أبا عمران ـ من مـدجح، من مشهـوري التابعين والصلحـاء وحفاظ الحديث، وكان له مذهب فقهي ينسب إليه، وكان من أعداء الحجاج واختفى منه ومات في اختفـائه سنة ٩٦ هـ، وقال عنـه الشعبي إذ علم بموتـه: ما تـرك بعده مثله، ولـه ترجمـة في الحلية ٤ ـ ٢١٩، وفي طبقات القراء ١ ـ ٢٩ وأحاديثه في كثير من كتب التاريخ.

(٢) يباح للمريض الفاني أن يهب من ماله أو يوصي منه فيما لا يزيد على الثلث.

(٣) انظر ص ٣٩٩ جـ ١ تفسير ذرية بعضها من بعض.

(٤) أي بعد قلبها ياء.

وخباث. وإن قيل ضُعفاءُ جاز، تقول ضعيف وضُعفاءُ[1].

قيل: ومعنى[2] الآية أنهم كانوا يُوصون بأموالهم على قَدْر أهوائهم، ويتركون ضعفة ذراريهم وأَوْلَادِهم فأمرهم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن يُوصُوا لهم، وأن يُجرُوا ذلك من سدَادٍ. وقيل: قيلَ[3] لَهُم هَذا بسببِ اليتامى. فوُعظُوا في تَولِّيتهم اليتامى بأن يفعلُوا كما يحبونَ أَنْ يُفعل بأولَادِهم من بعدهم.

وكلا القولين جائزٌ حسن، إلا أن تسميةَ الفرائض قد نَسخَ ذلك بما جعلَ من الأَقسامِ للأولادِ وذَوِي العصبةِ[4].

ثم خوّف اللَّه عزّ وجلّ وغَلَّظَ في امر اليتامى وأُوعدَ فقال:

﴿إِنَّ الَّذِين يَـأْكُلُونَ أَمـوَالَ الْيتـامَى ظُلْمـاً إِنَّمـا يَـأْكُلُونَ فِي بُـطُونِهِمْ نـاراً وَسَيَصْلَوْنَ سعيراً﴾.

(يُقْرأُ)[5] «وَسَيُصَلَوْنَ».

في هذا ـ أعني في قوله « . . يأْكُلونُ أَمْوالَ اليَتامَى » ـ دليلُ أَنَّ مال اليتيم إنْ أُخِذَ منه على قدْرِ القيام ِ له ولم يُتجاوزْ ذلك [جاز].

بل يستظهر فيه إن أمكن أَلَّا يُقْرب البَتَّةَ لشـدة الوعيـد فيه، بـأَنْ لا يؤْكل منه إلَّا قرْضاً، وإن أُخِذَ القَصْدُ وقَدْرُ الحاجةِ على قَـدْر نَفْعِه فـلا بأْس إن شـاءَ اللَّه[6].

---

(١) في الأصل كما يقال وفي ك ـ كما تقول.

(٢) ب وقيل في معنى الآية.

(٣) ط وإنما قيل.

(٤) تقديرها بتعيين حق كل ذي فرض أو عصبة من التركة.

(٥) ب فقط.

(٦) جملة فلا بأس هي جواب الشرط في إن أخذ منه، ولطول الكلام زدنا كلمة ـ جاز.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾.

معنى «يُوصِيكم»: يفرض عليكم، لأن الوصية من اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ فرض، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقّ ذَلِكُم وَصَّاكُمْ بِه﴾(١).

وهذا من المحكم علينا.

﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾:

المعنى: يستقر(٢) للذكر مثلُ حظ الأنثيين، له الثلثان وللابنة الثلث.

﴿فَإِنْ كُنَّ نِساءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثا مَا تَرَكَ، وإِنْ كَانَتْ واحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾:

يجوز واحدةً ووَاحِدَةٌ ههنا، وقد قرئ بهمَا جميعاً إلا أن النَّصبَ عندي أجودُ بكثيرٍ، لأن قوله: ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ قد بيَّن أن المعنى فإن كان الأَولادُ نساءً، وكذلك، وإِنْ كانَتْ المَولُودَة واحدةً.

فلذلك اخترنا النصبَ، وعليه أكثر القراءَة.

فإن قال قائل إنما ذكر لنا ما فوق الثنتين وذكرت واحدةٌ فلم أُعْطِيَتِ البنتان الثلثين فَسُوِّيَ بينَ الثِّنْتَين والجماعةِ؟ فقد قال الناس في هذا غير قول:

قال بعضهم: أُعطيتِ البنَتانِ الثلثين بدليلٍ لا تُفْرَضُ لهما مُسمًّى(٣)، والدليل [هو] قوله: ﴿يَستَفْتونَك قُلِ اللَّه يُفْتِيكُمْ فِي الكَلَالَةِ، إِنِ امرُؤٌ هَلَكَ ليس له وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصفُ مَا تَرَكَ﴾(٤).

---

(١) سورة الأنعام: ١٥١.

(٢) قدر فعلاً لتأثره بالمذهب الكوفي.

(٣) بدليل استنتاجي لا يعين النص فيه نصيباً.

(٤) سورة النساء ١٧٦.

فقد صار للأخت النصفُ كما أنَّ للابنةِ النصفَ، ﴿فَإِن كَانَتَا اثْنَتين فَلَهُمَا الثُّلُثانِ﴾(١) فأُعطيت البنتان الثلثين كَمَا أُعطِيتَ الأُختان، وأُعطِيَ جملة الأخوات الثلثين قياساً على ما ذكر اللَّه - عزّ وجلّ - في جملة البنات، وأعلم اللَّه في مكان آخر أن حظ الابنتين وما فوقهُمَا حَظ واحِدٌ في قوله: ﴿وَإِن كَان رَجلٌ يُورَثُ كلالَةً أَو امرَأَةٌ، وله أَخٌ أَو أُخْتٌ فلكُلِّ وَاحِدٍ مِنهما السُّدُس، فَإِنْ كانوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾.

فدلت هذه الآية أن حظَّ الجماعة إذا كان الميراث مسمى حظ واحدة، وهذا أيضاً في العربية كذا قياسُه لأن منزلة الاثنتين(٢) من الثلاث(٣) كمنزلة الثلاث من الأربع فالاثنان جمع كما أنّ الثّلاثَ جمعُ، وَصَلَاةُ الاثْنَيْن وَصَلاةُ الاثنتين جَماعَةٌ، والاثنان يحجبان كما تحجب الجماعة.

فهذا بيِّن واضحٌ.

وهذا جعله اللَّه في كتابه يدل بعضُه على بعضٍ تفْقيهاً لِلمسْلِمينَ وتعليماً، ليعلموا فيما يحزُبُهمْ(٤) من الأُمور على هذه الأدلة.

وقال أبو العباس محمد بن يزيد، وكذا قال إسماعيل بن إسحق - «أنه قال»(٥): في الآية نفسها دليلٌ أنَّ للبنتين الثلثيْن، لأنه إذا قال: للذكر مثل حَظِّ الأُنثيَيْن، وكان أَوَّلُ العددِ(٦) ذكراً وأُنثى، فللذَّكر الثلثان وللأنثى الثلث، فقد بان من هذا أن لِلبنْتَين الثلثين(٧)، واللَّه قد أعلم أن ما فوق الثنتين لهما الثلثان.

(١) أي بالقياس.
(٢) ب الثنتين.
(٣) في الأصل من الثلاثة.
(٤) يحزبهم يهمهم، وفي ط يجزيهم وهو تحريف.
(٥) كذا في جميع الأصول.
(٦) أي أقل العدد.
(٧) لأن الواحدة لها الثلث.

وجميع هذه الأَقوال التي ذكرنـا حسن جميل بينٌ، فـأَما مـا ذُكِرَ عن ابن عباس من أَن البنتين بمنزلة البنت فهذا لا أَحسبـه صحيحاً عن ابن عبـاس وهو يَسْتَحيلُ في القِياسِ[١] لأَنَّ منزلة الاثنين منـزلة الجمـع، فالـواحد خـارج عن الاثنين.

ويقـال ثُلُثٌ وربُعٌ وسُـدُس، ويجوز تخفيف هـذه الأَشياءِ لِثقـلِ الضَّمِّ، فيقال ثِلْث وَرُبْعٌ وسُدْسٌ. ومنْ زعم أَن الأَصل فيـه التخفيف وأَنَّه ثُقِّـل فخطأٌ، لأَن الكلامَ موضوع على الإِيجاز والتخفِيفُ[٢].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولأَبَوَيْهِ لِكُـل واحِدٍ مِنْهُمـا السُّدُس مِمَّـا تَرَكَ إِنْ كَـانَ له وَلَـدٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَـه وَلدٌ وَوَرَثَـهُ أَبَوَاهُ فـلأُمِّهِ الثُّلُثُ فـإِنْ كانَ لَـه إِخوةٌ فـلأُمِّـهِ السُّدُس﴾.

فـالأُم لها في الميـراث تسميةٌ من جهتين، تسميـة السدس مـع الولـد، وتسمية السُّدُس مع الأُخوة، وتسمية الثلث إِن لم يكن له ولد[٣].

والأَب يـرث من جهة التسميـة السدسَ، ويـرث بعد التسميـة على جهة التعصيب.

والأُم يحجبها الأخوة عن الثلث فترث معهم السُّدَس.

قـال أَبو إِسحق: ونـذكر من كـل شيءٍ من هذا مسـأَلةً، إِذْ كـان أَصـل الفرائض في الأَموال والمواريث في هذه السورة.

فـإِن مات رجـل أَو امْرأَةٌ فخلفـا أَبَوَيْن، فللأُم الثلث، والثلثـان الباقيـان للأَب. بهذا جاءَ التنزيـل وعليه اجتمعت الأُمـة. فإِن خلَّف الميت وَلَـداً وكان

(١) في قواعد الميراث، والنصوص السابقة.

(٢) ط الآحاد. يريد أن الكلام لا يثقل بعد وضعه بل يخفف لكثرة الاستعمال.

(٣) فرض، أي لها فرض مع الأخوة وفرض مع أولاد الميت.

ذكرا فللأم السدس وللأب السدس، وما بقي فللابن، فإن خلَّف بنتاً وأبوين، فللبنت النصف وللأم السدس، وما بقي للأب، يأخذ الأب سدساً بحق التسمية، ويأخذ السدس الآخر بحق التعصِيب.

فإن خلَّف الميت ـ وكانت امرأة ـ زوجاً وأبوين، فللزَّوجِ النصف وللأم ثلث ما بقي وللأب ثُلثا ما بقيَ، وهو ثلث أصل المال.

وقد ذكر عن ابن عباس أنه كان يعطي الأمَّ الثلث من جميع المال، ويعطي الأب السُّدَس. فيفضل الأم على الأب في هذا الموضعِ. والإجماع على خلاف ما روي عنه.

وقال الذين احتجُّوا مع الإجماع[١]: لو أعلَمَنا اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن المال بين الأب والأم ولم يسم لكل واحد لوجب أن نقسمه بينهما نصفين، فلما أعلمنا اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أنَّ للأمِّ الثُّلثَ علمنا أن للأب الثلثين، فلما دخل على الأب والأم داخلٌ أخذَ نِصْف المال، دخل النقص عليهما جميعاً، فوجب أن يكون الميراث للأبوين إنَّما هوَ النصفُ، فصار للأم ثلث النصف، وللأب ثلثا النصف[٢].

وقيل في الاحتجاج في هذا قول آخر:

قال بعضهم: إنما قيل: ﴿فإن لَمْ يَكُن لَه ولَدُ وَوَرِثَهَ أَبواه فلأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ ولم يرثه ههنا أبواه فقط، بل ورثه أبواه وورثه مَعَ الأبويْن غير الأبويْن، فرجع ميراث الأم إلى ثلث ما بقي[٣].

---

(١) الذين على غير رأي ابن عباس.

(٢) أعطي الذكر مثل حظ الأنثيين، والأب في القياس السابق لضعفها.

(٢) حق الأم الثلث ما لم يكن هناك ولد أو إخوة. والأخوة هنا ردوها إلى السدس ولم يأخذوا شيئاً. فجعل هذا السدس لهم.

(٣) من أدلى للميت بجهة تحجبه تلك الجهة، والأخوة صلتهم الأبوان فلا يأخذون معهما.

وقـال أصحاب هـذا الاحتجـاج: كيف تفضَّلُ الأُم على الأَب[١] والأُخوة يمنعـون الأُم الثلث فيقْتصر بهـا على السُّـدس، ويـوفـر الباقي[٢] على الأَب. فيأْخذُ الأَب خمسة أَسْداسٍ، وتأْخُذُ الأُم سُدُساً.

فإن توفي رجُلٌ أَو امرأَة، وخلَّف إخوةً ثلاثة فما فـوق، وأُمًّا وأَبـاً أَخذت الأُم السدس وأَخذ الأَبُ الباقِي. هذا إجماع.

وقد روي عن ابن عباس في هذا شيءُ شاذ:

رَوَوْا أَنـه كان يُعْـطِي الإخـوة هـذا السـدس الـذي منـع الأَخـوةُ الأُمَّ أَن تأْخذهُ، فكان يعطي الأُمَّ السُّدسَ، والإخـوة السُّـدسَ. ويعطي الأَب الثلثين. وهـذا لا يقولـه أَحدُ من الفقهـاءِ. وقـد أَجمعتِ فقهـاءِ الأَمصـار أَن الأخـوة لا يأْخذون مع الأَبوين[٣].

فإنْ توَفِّي رجُلٌ وخلَّف أَخوين وأَبَـوَيْن، فقد أَجمـع الفقهاءِ أَن الأَخـوين يحجبان الأُمَّ عن الثلث، إلا ابنَ عباس فإنه كـان لا يحجب بأَخـوين. وحجته أَن اللَّه ـ عـزّ وجلّ ـ قـال: ﴿فإن كـان له إخـوةٌ [فلأُمـه السدس]. . .﴾[٤] وقال جميـع أَهل اللغـة إن الأَخوين جمـاعةٌ، كمـا أَن الإخـوة جمـاعـة، لأَنـك إذا جمعت واحداً إلى واحد فهما جماعة، ويقال لهما إخوةٌ.

وحكى سيبويه أَن العرب تقول: قد وضعا رحالهما، يُريدُون رحَليْهِمَـا، ومـا كان الشيءُ منـه واحداً فتثنيتـهُ جمع، لأَنَّ الأَصـل هو الجمـعُ، قـال اللَّه تعالى: ﴿إِن تَتُوبَا إِلى اللَّهِ فَقَدْ صَغَت قُلُوبُكُما﴾[٥].

وقال: ﴿لِأَبويه﴾ لأَن كل واحد منهما قد ولدُهُ.

---

(١) في الأصل: على أ ب. (٢) في الأصل: السدس.

(٣) أي ان الثلث للأم إن لم يكن للميت ولد. وهنا له ولد.

(٤) وهم هنا اثنان لا جماعة. (٥) سورة التحريم آية ٤.

والأَصل في «أُم» أَن يقال «أَبَةٌ»[١]، ولكن استُغْنِيَ عنها بأُم. وأَبوان تثنية أَبٍ، وأَبة، وكذلك لو ثنيت ابناً وابنة، ـ ولم تخَفِ اللبْس ـ قلت: ابنان.

﴿فلأُمه﴾:

تقرأ بضم الهمزة وهي أَكثر القراءات، وتقرأ بالكسر «فلإِمِّهِ»، فأَما إذا كان قبل الهمزة غير كسْرٍ، فالضمُّ لا غيْرُ، مثل قوله: ﴿وجَعَلْنَا ابن مَرْيَمَ وأُمَّه آية﴾[٢] لا يجوز وإِمِّه، وكذلك قوله: ﴿مَا هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ﴾[٣]، وإنما جاز «لإِمِّه»[٤]، [و] ﴿فِي إِمِّها رسُولاً﴾[٥] بالكسر، لأَن قبل الهمزة كسرة، فاستثقلوا الضمة بعد الكسْرةِ، وليس في كلام العرب مثل: «فِعُل» بكسر الفاءِ وضَمِّ العيْن، فلما اختلطت اللام بالاسم[٦] شُبِّهَ بالكلمة الواحدة، فأبدل من الضَّمَّة كسرة،. ومن قال: ﴿فلأُمه﴾ ـ بضم الهمزة. أَتى بها على أَصلها، على أَن اللام تقديرها تقدير الانفصال.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مِن بعْدِ وصِيةٍ يوصِي بها أو ديْن﴾:

أي إن هذه الأَنصبة إنما تجب بعد قضاءِ الدين، وإنفاذ وصية الميت في ثلثه.

فإن قال قائل: فلم قال أَوْ دَيْنٍ، وهلا كان «من بَعْدِ وصية يوصي بها وَدَيْن، فالجواب في هذا أَن «أو» تأْتي للإباحة[٧]، فتأْتي لواحد واحدٍ على

---

(١) مؤنث أب.

(٢) سورة المؤمنون ٥٠.

(٣) سورة المجادلة ٢.

(٤) من الآية فلأمه الثلث.

(٥) سورة القصص ٥٩: ﴿وما كانَ ربُّكَ مُهْلِكَ القرى حتى يبعث في أمها رسولاً﴾.

(٦) اتصلت لام الجر بأم.

(٧) سبق أنه يطلق الإباحة على التنويع ـ راجع الآية ﴿أو كصِّيبٍ من السماء﴾ ص ٩٤ جـ ١.

انفراد، وتضم الجماعة فيقال جالس الحسن أو الشعبي، والمعنى كل واحد من هؤلاءِ أهل أن يجالس، فإن جالست الحسن فأنت مصيب[١]، ولو قلت جالس الرجلين فجالست واحداً منهما وتركت الآخر كنت غير متبع ما أُمِرْت به.

فلو كان «مِن بعدِ وصيَّةٍ يُوصِي بهَا ودَيْن»[٢] احتمل اللفظ أن يكون هذا إذا اجتمعت الوصية والدينُ، فإذا انفردا كان حكم آخر، فإذا كانت «أو» دلَّت على أن أحدهما إن كان. فالميراث بعده، وكذلك إن كانا كلاهما[٣]

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿آباؤُكُمْ وأَبْناؤُكُمْ لا تدْرُونَ أَيُّهم أَقربُ لَكمْ نَفْعاً﴾:

في هذا غير قول:

أما التفسير فإنه يروى أن الابن إنْ كان أرفعَ دَرجةً من أبيه في الجنة سأل أنْ يرفع إليه أبوه فيرفع، وكذلك الأَبُ إن كان أرفعَ درجةً من ابنه سأل أن يُرْفع ابنه إليه فأنتم لا تدرون في الدنيا أيهم أقرب لكم نفعاً.

أي إن اللّه ـ عزّ وجلّ ـ قد فرض الفرائض على ما هي عنده حكمة، ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم لكم أنفع في الدنيا، فوضعْتُم أنتم الأموال على غير حكمة.

﴿إنَّ اللَّه كَانَ عليماً حكِيماً﴾.

أي عليم بما يصلح خلقه ـ حكيمٌ فيما فرض من هذه الأموال وغيرها.

وقوله: ﴿فريضةً مِن اللَّهِ﴾.

---

(١) أي وإن جالست الشعبي فأنت مصيب، وإن جالستهما فأنت مصيب

(٢) أي لو كان التعبير هو هذه الجملة.

(٣) إن وجدا.

منصوب على التوكيد والحال من. . ولأَبَوَيْهِ. . . [أَي] ولهؤلاءِ الورثة ما ذكرنا مفروضاً. ففريضة مؤكدة لقوله ﴿يوصيكم اللَّه﴾.

ومعنى ﴿إِنَّ اللَّه كانَ عليماً حكِيماً﴾: فيه ثلاثة أَقوال:

قال سيبويه: كَان القوم شاهدوا علماً وحكمة ومغفرة وتَفَضُّلا، فقيل لهم إِن اللَّه كان كذلك ولم يزل، أَي لم يزل على ما شاهدتم.

وقال الحسن: كان عليماً بالأَشياءِ قبل خلقها، حكيماً فيما يقدر تدبيره منها.

وقال بعضهم: الخبر عن اللَّه في هذه الأَشياءِ بالمُضِيّ، كالخبر بالاستقبال والحال، لأَن الأَشياءَ عند اللَّه في حال واحدةٍ، ما مضى وما يكونُ وما هو كائن.

والقولان الأَولان هما الصحيحان لأَن العرب خوطبت بما تعقل، ونزل القرآن بلغتها فما أَشبه من التفسير كلامها فهو أَصح، إِذ كان القرآن بلغتها نزل.

وقال بعضهم: الأَب تجب عليه النفقة للابن إِذا كان محتاجاً إِلى ذلك، وكذلك الأَب تجب نفقته على الابن[1] إِذا كان محتاجاً إِلى ذلك، فهما في النفع في هذا الباب لا يدرى أَيهما أَقرب نَفْعاً.

والقول الأَول هو الذي عليه أَهل التفسير. .

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كلاَلَةً﴾:

يقرأ يُورث ويُورِث. . بفتح الراءِ وكسرها ـ. فمن قرأ يُورِثُ ـ بالكسر ـ [فكلالة]. . مفعول، ومن قرأ «يُورَثُ» فكلالة منصوب على الحال.

زعم أَهل اللغة أَن الكلالة من قولك «تكلله النسب، أَي لم يكن الذي

---

(١) تجب له النفقة على ابنه.

يَرِثُه ابنَه ولا أَبَاهُ. والكلالة سوى الولَدِ والوَالِدِ[١]، والدليل على أن الأب ليس بكلالة قول الشاعر:

فـإن أبـا الـمـرءِ أحـمـى لـه ومـولى الكـلالـة لا يـغـضـبُ[٢]

وإنما هو كالإكليل الذي على الرأس. وإنما استُدِلَّ على أن الكلالةَ ههنا الإخوةُ للأم دون الأب بمَا ذُكر في آخر السورة أن للأُختين الثلثين[٣] وأن للإخوة كل المال، فعلم ههنا لما جُعِلَ للواحد السُّدُس، وللاثنين الثلثَ، ولم يُزادُوا على الثلث شيئاً ما كانوا، عُلِم أنه يعني بهم الإخوةُ للأم.

فإن ماتت امرأةٌ وخلَّفتْ زوجاً وأُمَّاً وإخوةً لأُمٍّ فللزوج النصف[٤] وللأُم السدس، وللإخوة من الأم الثلث.

فإن خلَّفت زوجاً وأُمَّا وإخوة لأَبٍ وأُمٍّ وإخوة لأمٍ فإن هذه المسألة يسميها بعضهم المسألة المشتركة، وبعضهم يسميها الحمارية. قال بعضهم: إن الثلث الذي بقي للإخوة للأمِّ دون الإخوة للأب والأم، لأن لهؤلاءِ الذين للأم تسمية وهي الثلث وليس للإخوة للأب والأم تسمية، فأعطيناهم الثلث.

كما أنه لو مات رجلٌ وخلَّف أخوين لِأمٍّ، وخلَّف مائة أخ لأَبِ وأُم لأعطِي الأخوان للأم الثلث وأعطي المائة الثلثين، فقد صار الإخوة للأم يفْضلُون في الأنصباءِ الإخوة للأب والأم الاشقاء.

وقال بعضهم: الأم واحِدةٌ[٥].

---

(١) كذا قال الفراء ـ الكلالة ما سوى الولد والوالد.

(٢) أي أبو المرء أغضب له إذا ظلم، ومولى الكلالة وهم الأخوة والأعمام وسائر القرابات لا يغضبون من أجله غضب الوالد. (اللسان كلل).

(٣) ط بأن ذكرت في آخر. . . بأن للأختين.

(٤) في الأصل الربع وهو خطأ.

(٥) الأشقاء والذين لأم أمهم واحدة: فلا ينبغي أن يفضل الذين لأم فقط. وقد احتكم قوم لهم مثل هذه الحالة ـ إلى عمر بن الخطاب، وقال أحد الأشقاء: هب أن أبانا كان حماراً أو حجراً. فقضى لهم بالشركة ومن هنا أخذت المسألة هذا الاسم.

وسموها الحمارية بأن قالوا: هَبْ أَبَاهم كان حماراً واشتركوا بينهم، فسمِّيتْ المشتركة.

وقوله عزّ وجلّ: غَيْرَ مُضَار وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ.

غير منصوب على الحال. المعنى يوصي بها غير مضار، فمنع اللَّه عزّ وجلّ من الضِّرارِ في الوصيَّةِ. وروي عن أبي هريرة: من ضارَّ في وَصِيَّة ألقاهُ اللَّه في واد من جَهنَم أو من نارٍ، فالضرار راجع في الوصية إلى الميراث.

﴿واللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.

أي عليم ما دبر من هذه الفرائض، حليم عمَّنْ عصاه بأن أخرَهُ وقبل توبته.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾.

أي الأمكنة التي لا يَنْبَغِي أَنْ تَتَجَاوَزَ.

﴿وَمَنْ يُطع اللَّهَ وَرَسُولَه﴾.

أي يقيم حُدودَه على ما حَدَّ.

﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجرِي مِنْ تَحتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدينَ فِيهَا﴾.

أي يدخلهم مقدَّرين الخلود فيها، والحال يستقبل بها، تقول: مَرَرْتُ به مَعَهُ بازٍ صَائِداً به غداً، أي مقدراً الصيدَ به غداً.

﴿وَمَنْ يعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ويَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾.

أي يجاوز ما حدّه اللَّه وأمر به.

﴿يُدْخِلْهُ نَاراً خَالداً فِيهَا﴾.

خالداً من نعتِ النار، ويجوز أن يكون منصوباً على الحال أي يدخله مقدَّراً له الخلود فيها.

• قوله جَلَّ وعزّ: ﴿وَاللَّاتي يَأْتِينَ الفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾.

الفاحشة الزنا، والتي يُجْمَعُ اللاتي، واللواتي، قال الشاعر:(١)

مـن اللَّواتـي والتـي والـلاتي زَعَـمْن أنِّـي كبِـرَتْ لِـدَاتِـي

ويجمع اللاتي بإثبات الياءِ ويُحذَف الياءُ، قال الشاعر:

من اللاءِ لم يحججن يبغينَ حِسْبة ولكن ليقتلن البـريء المغفَّـلا(٢)

﴿فاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أربَعَةً مِنْكُمْ﴾.

أي من المسلمين.

﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمسِكُوهُنَّ فِي البُيُـوتِ حَتَّى يَتوفَّـاهُنَّ المَوتُ أو يَجْعَـلَ اللَّهُ لَهُنَّ سُبِيلاً﴾.

هـذا كان الفـرضَ في الزنـا قبـل أن ينـزل الجَلْدُ، ويَـأْمُـرَ النبيُّ - ﷺ - بالرَّجْم، فكان يُحبَسُ الزانيان أبداً.

وقال بعضُهم: ﴿أوْ يَجعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ هو الحـد الذي نسـخ التخليد في الحبْس والأذى.

﴿وَاللَّذَانِ يأْتِيَانها مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا﴾.

---

(١) لا يعرف القائل، ولكن البيت من شواهد النحو الشائعة يريد أنه أصبح من غيـر سنهن. والبيت في اللسان (لتي)، والقرطبي ٥ ـ ٨، ومجاز أبي عبيدة ١ ـ ١١٩ ومقدمة «الشعر والشعراء» ٣٥ ط ليدن.

(٢) من شعـر العرجي كمـا في الأغاني ١٩ ـ ٢١٦، ٢١٧، وفي زهـر الآداب حـ ١ ـ ٢١٠ للحرث المخزومي، وهو مستبعد، وكلا الشـاعرين من شعـراء الغزل ـ أمـا الحرث فهـو ابن خالـد ابن هشام بن العاصي وجده كان رقاً لأبي لهب لأنه غلبـه في قمار ـ وقتـل يوم بـدر. وكان الحـرث يهوى عائشة بنت طلحة وله فيها أشعار.

وأما العرجي فهـو عبد اللَّه بن عمـرو حفيد عثمـان بن عفّان ـ رضي اللَّه عنـه كان يسكن عـرج الطائف فلقب به، كان من الفرسان الشجعان ولكنـه كان مشغـوفاً بـاللهو والصيـد، ونحا منحى عمر بن أبي ربيعة في مجونه.

قال بعضهم: كان الحبسُ لِلثَّيِّبين، والأَذَى للبِكْرَيْنِ، يوبخان، فيقال لهما زنيتما وفَجَرْتُمَا وانتهكتما حرمات اللّه، وقال بعضهم: نسخ الأذى لهما مع الحبس، وقال بعضهم: الأذى لا ينبغي أن يكون منسوخاً عنهما إلا أن يتوبا، وإن قوله عزّ وجلّ: ﴿وليشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ المؤْمِنِين﴾(١). هو من التوبيخ لهما بأن يفضحا على رُؤُوسِ الملأ.

أما ما سلف مما كان في أمر الفاجرين فقد استغنى عنه إلا أَنَّ الفائدة فيه أن الشهادة لم تزل في الزنا شهادةَ أربعة نفَر.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوبَةُ على اللَّهِ للَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قرِيبٍ﴾.

ليس معناه أنهم يعملون السوءَ وهُم جُهَّالٌ، غيرُ مُميَّزينَ فإن من لا عقل له ولا تمييز لا حدَّ عليه، وإنما معنى بجهالة أنهم في اختيارهم اللذة الفانية على اللذة الباقيةِ جُهال. فليس ذلك الجهل مسقطاً عنهم العذابَ. لو كان كذلك لم يعذب أحَدٌ ولكنه جهل في الاختيار.

ومعنى ﴿يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ يتوقفون قبل الموت، لأن ما بين الانسان وبين الموت قريب، فالتوبة مقبولة قبل اليقين بالموت.

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوتُ قَال إِنِّي تُبتُ الآن﴾: ـ إنما لم تكن له التوبة، لأنه تاب في وقت لا يمكن الإقلاع بالتصرف فيما يحقق التوبة(٢).

﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾.

أي مؤلماً مُوجِعاً، والمؤلم الذي يبلغ إيجاعُه غاية البُلوغِ.

---

(١) سورة النور آية ٢.

(٢) تتحقق التوبة بالإقلاع عن الإثم والشخص قادر على ارتكابه، وعند حضور الموت لا يستطيع الشخص ذلك.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ:

﴿يَا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا يحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً﴾.

معناه تكرهوهن على التزويج بِكم[1].

وهذه نزلت لأنهم كانوا إذا مات زوج المرأةِ وَلَه ولَدٌ من غيرها ضَرَبَ ابنه عليها حجاباً، وقال: أنا أحقّ بها، فتزوجها على العقد الذي كان عقده[2] أبوه من تزوجها ليرثها ما ورثت من أبيه[3]، فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن ذلك حرام.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾.

هؤُلاءِ غير أُولئك.

حرم اللَّه أن تُعْضَل المرأة، ومعنى تعضل تحبس عن التزوج. كان الرجل منهم إذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجَتِه حَبَسها لتفتدَى منه، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ ـ أن ذلك لا يحل.

و«تعضلوهن» يصلح أن يكون نصْباً ويصلح أن يكون جزماً. أما النصب فعلى: أن لا يحل لكم أن ترثوا النساءَ وَلَا أن تعضلوهن، ويصلح أن يكون جزماً على النَّهيْ.

﴿إلَّا أن يَأْتين بِفَاحشةٍ مُبَيَّنةٍ﴾.

والفاحشة الزنا.

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بالمَعرُوف﴾.

أي بالنصفة في المبيت والنفقة، والإجمال في القول.

---

(١) (ط) لكم عقداً لنفسه.

(٢) أي لا يعقد عليها عقداً لنفسه اكتفا بعقد أبيه.

(٣) ط عن أبيه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ استبدَال زوجٍ مَكان زوْجٍ﴾.

معنـاه إذا أردتم تخلية المـرأة، إذا أراد[١] الرجـل[٢] أن يستبدل مكـانها وَلمْ تُـرِدْ. هـذا شـدَّدَ اللَّهُ فيـه بقـوله: ﴿وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لتـذهَبُوا بِبَعْض مَـا آتيتُموهُنَّ﴾.

﴿وَآتَيْتُم إِحْدَاهُنَّ قنطاراً [فَلا تَأْخُذُوا منه شيْئاً]﴾.

القنـطار المـال العـظيم، وقـد بينـا مـا قـالـه النـاس فيـه في سـورة آل عمران[٣].

وقوله ـ عزّ وجلّ: ﴿فَلاَ تَأْخُذُوا منه شيْئاً﴾.

فحرم اللَّه الأَخذ من المهر على جهة الإضـرار بقولـه: ﴿أتأْخُذونه بُهتـاناً وَإِثماً مُبيناً﴾.

والبهتان الباطلُ الذي يُتحيَّر من بُطلانه، وبهتان حال موضوعة في موضع المصدرِ[٤]، المعنى أتأْخذونهُ مُباهتين وآثمين.

﴿وكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَد أَفْضَى بَعْضُكُم إِلَى بَعضٍ﴾.

الإفضاءُ أَصله الغشيان، وقال بعضهم إذا خَلاَ فقـد أَفضى، غشيَ أَو لم يغش.

﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ ميثاقاً غَلِيظاً﴾.

(١) (ب) أراد الرجل أن يستبدل مكانها أو لم يرد.
(٢) ط أراد أن يستبدل الرجل.
(٣) انـظر ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣ جـ١ الآية: ﴿ زين للنـاس حب الشهـوات من النسـاء والبنين والقنـاطيـر المقنطرة من الذهب والفضة ﴾.
(٤) كونها تمييزاً أوضح ولا حاجة فيه لتأويلها بمشتق ـ أي تأخذونه على جهة البهتان. أو هو مفعول لأجله.

قال بعضهم: هو عقدُ المَهر، وقال بعضهم: الميثاق الغليظ قوله: ﴿فإمسَاكٌ بِمَعرُوفٍ أو تَسْرِيحٌ بإِحْسَان﴾(١) و[قوله] ﴿وَلَا يحلُّ لكُمْ أن تَأْخُذُوا ممَّا آتيتُمُوهُنَّ شيئاً﴾(٢) والتسريح بإحسان لا يكون بأن تأخذ منها مهرها. هذا تسريح بإساءَة لا بإحسَان.

وقوله ـ جلّ وعزّ ـ ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِنَ النِّسَاءِ إلَّا ما قَدْ سَلف﴾.

المعنى: لا تنكحُوا كما كان مَن قبلكم يَنكحُ ما نَكَح أبُوه، فهذا معنى ﴿إلَّا ما قد سَلف﴾.

﴿إنَّهُ كان فاحشةً﴾.

المعنى إلا ما قد سلف فإنّه كان فاحشةً، أي زناً ﴿ومَقْتاً﴾.

والمقت أشد البُغْض.

﴿وَسَاءَ سَبِيلاً﴾.

أي وبئسَ طريقاً. «أي ذلك الطريق بئس طريقاً»(٣).

فالمعنى أنهم أُعلموا أن ذلك في الجاهلية كان يقال له مقت، وكان المولود عليه يقال له المَقْتِيُّ. فأُعْلِمُوا أن هذا الذي حرم عليهم لم يزل منكراً في قلوبهم ممقوتاً عندهم.

وقال أبو العباس محمد بن يزيد: جائز أن تكون «كان» زائدة، فالمعنى على هذا: إنَّه فاحِشَةٌ ومقتٌ، وأنشد في ذلك قول الشاعر:(٤)

---

(١) سورة البقرة ـ ٢٢٩.

(٢) ط هذا التسريح.

(٣) ليست في ط.

(٤) البيت للفرزدق يمدح هشام بن عبد الملك من قصيدة في ديوانه ـ ٢٣٧ ـ ومن شواهد النحو الشائعة، وهو في الخزانة ٤ ـ ٣٧ وشواهد المغني ٢٣٦، واللسان «كون» والقرطبي ١١ ـ ١٠٢، والعيني ١ ـ ٤٢ وتوضيح ابن هشام.

فكيف إذا حللتُ بـدار قـومٍ   وجيـرانٍ لنا كـانـوا كـرامِ

قال أبو إسحق: هذا غلط من أبي العباس، لأنَّ «كـان» لو كـانت زائدة لم تنصب خبرها. والدليل على هذا البيتُ الذي أُنشده:

وجيـران لنـا كـانـوا كـرام

ولم يقل: كانوا كراماً[1].

وقوله: ـ جلَّ وعزّ ـ: ﴿حُرِّمَت عليكُم أُمَّهاتُكُم وبَنَاتُكُم وأَخوَاتُكُم وعَمَّـاتُكُم وخَالاتُكُم وَبَناتُ الأَخِ وَبَناتُ الأُخت﴾.

هـذا يسمى التحريمَ المبهم، وكثيـرٌ من أهل العلم لا يفـرق في المبهم وغير المبهم تفريقاً مقنعاً، وإنما كان يسمى هذا المبهمَ من المحرمـات لأنه لا يحل بوجه ولا سبب، واللاَّحقُ بـه﴿وأُمهاتُكُم الـلاَّتي أَرضَعنكُم وَأَخواتُكُم من الرَّضاعَة﴾: والرضاعة قد أدخلت هذه المحرمات في الإبهام.

﴿وَأُمَّهاتُ نسَائكُم﴾.

قد اختلف الناس في هـذه فجعلها بعضهم مبهمـة وجعلها بعضهم غيـر مبهمة. فالذي جعلها مبهمة قال إنَّ الرجل إذا تـزوج المرأة حـرمت عليه أُمُّهـا دخـل بها أو لم يَـدخُل بهـا. واحتج بـأن ﴿اللاتي دخلتم بهن﴾ إنما هو متصـل بالربائب[2].

وروي عن ابن عباس أنه قال: ﴿وأُمَّهَات نسائكم﴾ من المبهمة[3].

---

(١) كان في الآية «كان فاحشة» نصبت خبرها، فهي ليست زائدة، أمـا في البيت فلم تنصب خبراً، فهي زائدة، والذي عليه النحويون هو أن في البيت تقديماً وتأخيراً فقط. ولا زيـادة، والتقديـر: وجيران كرام كانوا لنا. أي هم ليسوا جيراناً الآن..

(٢) أي هو قيد في الربائب لا غير.

(٣) من المتشابه الذي لم يعرف معناه.

﴿ورَبَائِبُكُمُ اللاَّتي في حُجُورِكُم من نسَائكُمْ اللاَّتي دَخلتُمْ بِهِنَّ﴾.

قال أبو العباس محمد بن يزيد: ﴿اللاتي دخلتم بهنّ﴾ نعت للنساءِ اللواتي هن أُمهات الربائب لا غير، قال: والدليل على ذلك إجماع الناس أن الربيبة تحل إذا لم يُدْخل بأُمها، وأن من أجاز أن يكون قوله: ﴿من نسَائكُمُ اللاَّتي دخلتم بهنَّ﴾ هو لأُمهات نسائكم، يكون المعنى [على تقديره] وأُمهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهنَّ.

فيخرج أن يكون اللاتي دخلتم بهن لأُمهات الربائب.

والدليل على أن ما قاله أبو العباس هو الصحيح أن الخبرين إذا اختلفا لم يكن نعتهما واحداً. لا يجيز النحويون: مررت بنسائك وهربت من نساءِ زيد الظريفات، على أن تكون الظريفات نعتاً لهؤلاءِ النساءِ وهؤلاءِ النساءِ. والذين قالوا بهذا القول أعني الذين جعلوا أُمهات نسائكم بمنزلة قوله: ﴿من نسائكم اللاتي دخلتم بهن﴾ إنما يجوز لهم أن يكون منصوباً على «أعني» فيكون المعنى أعني اللاتي دخلتم بِهنَّ، وأن يكون ﴿وأُمهاتُ نسائكم﴾ تمام هذه التحريمات المبهمات، ويكون الربائب هن اللاتي يحللن إذا لم يُدْخل بأُمَّهاتِهِنَّ قط دون أُمهات نسائكم هو الجيد البالغ.

فأما الربيبة فبنت امرأة الرجل من غيره، ومعناها مربوبة[1]، لأن الرجل هو يَرُبُّهَا، ويجوز أن تسمى ربيبة لأنه تولى تربيتها، كانت في حجره أو لم تكن تربت في حجره، لأن الرجل إذا تزوج بأُمها سمي ربيبها، والعرب تسمِّي الفاعلين والمفعولين بما يقع بهم ويوقعونه، فيقولون: هذا مقتول وهذا ذبيح، أي قد وقع بهم ذلك. وهذا قاتل أي قد قتل، وهذه أُضْحيَّةُ آلِ فلان لما قد

(١) مربابة ـ يربها زوج أمها.

ضحَّوْا به، وكذلك هذه قَتُوبَةُ، وهذه حلوبة، أي ما يقتب ويُحْلب[1].

وقوله: ﴿وَحَلائَلُ أَبْنَائِكُمْ﴾.

جمـع حليلة وهي امـرأة ابن الـرجـل، لا تحـل لـلأب، وهي من المبهمات[2] وحليلة بمعنى مُحلَّة. مشتق من الحلال.

﴿وإنْ تجْمعوا بَيْنَ الأُخْتيْن﴾.

«أنْ»[3] في مـوضـع رفـع، المعنى حـرمت هـذه الأشيـاءُ والجمـع بين الأختين.

﴿إلا ما قَدْ سَلَفَ﴾.

المعنى سوى ما قد سلف فإنه مغفور لكم.

وقوله: ﴿والمُحْصَناتُ من النِّسَاءِ﴾.

القراءَة بالفتـح. قد أُجْمَـعَ[4] على الفتح في هـذه، لأن معناهـا اللاتي أُحْصِنَّ بالأزواج. ولو قـرئت والمُحصِناتِ لجـاز، لأنَّهُنَّ يحْصِنَّ فروجهن بـأن يتزوجن. وقد قرئت التي سوى هذه «المحْصَنَاتِ» و «والمحْصِناتِ».

﴿إلا مـا ملكتْ أيْمـانُكمْ﴾.

أي إنْ ملك الرجلُ محصنة في بلاد الشرك فله أن يطأهـا، إلَّا أن جميع الوطءِ لا يكون في ملك اليمين إلَّا عنِ اسْتِبرَاء، وقد قـال بعضهم: إن الرجـل إذا ملك جارية وكـانت متزوجـة فبيْعُها وملكُهـا قد أُحَـلَّ فَرْجَهـا، وإن لـم تكن

---

(١) ناقة مقتوبة. وضع عليها القتب، وحلوبة تحلب ومثله: ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشاً﴾، أي محملة أو مركوبة فهي فعول بمعنى مفعول ولهذا دخلتها الثاء.

(٢) لا ينبغي أن تكون مبهمة. لأن حليلة الولد تحل له بالعقد الصحيح وتحرم على أبيه به.

(٣) من ﴿وأن تجمعوا بين الأختين﴾.

(٤) ط هذا قد أجمع. والمراد فتح الصاد.

أُحْصِنَت في بلاد الشرك، والتفسير على ما وصفنا في ذوات الأزواج في الشرك.

وقوله: ﴿كِتَابَ اللَّهِ عليْكُم﴾.

منصوب على التوكيد محمول على المعنى، لأن معنى قوله: ﴿حُرِّمتْ عليْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾: كتب اللَّه عليكم هذا كتاباً كما قال الشاعر:

ورُضْتُ فذلَّت صعبة أي إِذْلَالٍ

لأن معنى رُضْتُ أذللتُ[1].

وقد يجوز أن يكون منصوباً على جهة الأمر، ويكون ﴿عليكُم﴾ مُفَسراً له، فيكون المعنى الزموا كتاب اللَّه. ولا يجوز أن يكون منصوباً بعليكم، لأن قولك: عَلَيْك زيداً، ليس لهُ ناصِبٌ مَتَصرف فيجوز تقديمُ منصوبه[2]، وقول الشاعر:

يا أيها الماتح دلوي دونكا إني رأيت الناس يحمدونكا[3]

يجوز أن يكون «دلوي» في موضع نصب بإضمار خُذْ دَلْوي، ولا يجوز على أن يكون دونك دلوي لما شرحناه.

---

(١) من مطولة امرئ القيس التي أولها: ألا أنعم صباحاً أيها الطلل البالي وصدر البيت:

وعجنا إلى الحسنى ورق حديثنا

والبيت من الشواهد الشائعة وهو في الديوان ١٥٣ من الستة.

(٢) أي ليس ناصبة متصرفاً حتى يجوز تقدمه عليه.

(٣) ينسب لرجل من بني أسيد بن عمرو من تميم، ويروى أيها، ويا أيها، والمائح من الميح، وهو أن ينزل الرجل البئر فيملأ الدلو، ثم يرفعه شخص آخر، ويروى الماتح من المتح وهو نزح الماء.

انظر الخزانة ٣ ـ ١٧، ومعاني القرآن ١ ـ ٢٦٠، وشرح التبريزي لديوان الحماسة ٢٧٠ ط ليون.

ويجوز أن يكون «دلْـوي» في موضع رفع، والمعنى هذا دلوي دونكا.

ويجـوز أَنْ يكون ﴿كتابَ اللَّه علَيْكُمْ﴾ رفعاً على معنى هـذا فـرض اللَّه عليكم، كما قال جلّ وعزّ: ﴿لم يلْبثُـوا إلاَّ ساعـةً منْ نهارٍ بَـلاَغٌ﴾[1].

وقوله: ﴿وأُحلَّ لكُمْ ما وراءَ ذَلكُم﴾.

وأُحِلَّ أَيْضاً يُقرآن جميعاً، ومعنى مـا وراءَ ذلكُمْ، ما بعـد ذَلِكُمْ، أي ما بعـد هذه الأَشيـاءِ التي حرمت حـلال، على مـا شـرع اللَّه، إلا أَن السنـة قـد حرمت تزوُّجَ المرأة على عمتها، وكذلك تزوجها على خالتها، ولم يقـل اللَّه - عزّ وجلّ -: لا أُحـرم عليكم غير هذا، وقال عـزّ وجلّ: ﴿وَمَـا آتاكُمُ الـرَّسُولُ فخُذُوهُ﴾[2].

وأَتَوهَّمُ أَن الخالة كالوالدة، وأَن العمَّة كالـوالد، لأَن الـوالد في وجـوب الحقِّ كالوالدة، وتزوجها على عمتها وخالتها من أُعظم العقوق.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَنْ تبْتَّغوا بـأَمْـوالكُمْ﴾.

نصبٌ وإن شئت رفْعٌ[3].

المعنى أُحِلَّ لكم أَن تبتغوا مُحْصِنينَ غيرَ مُسَافِحِينَ.

أَي عاقدين التزويج غير مسافحين. أَي غير زناة، والمسَافِحُ والمسـافحةُ الزانيان غير المُمْتَنِعَيْنِ منَ الزِّنا، فإذا كانت تزني بواحد فهي ذات خدن.

فحـــرم اللَّه الـزنـــا على الجهـات كلهـــا، على السفـــاح وعلى اتخـــاذ الصديق..

والإِحصان إحصان الفرج وهو إِعْفَافُه، يقال امْرأَةٌ حَصَـانٌ بينة الحُصن،

(١) سورة الأحقاف اية ٣٥.
(٢) سورة الحشر آية ٧.
(٣) الفعل «أُحِلّ» استوفى مفعوله، وهو «ما وراء ذلكم». فالمصدر «ما» منصوب أو بدل من نائب الفاعل.

وفرس حصان بينة (التحصُّن)[1] والتحصين وبناء حصين بَيّنُ الحصَانة. ولو قيل في كله الحِصانة لكان بإجماع.

والسفاح في الزنا اشتق من قولهم سفحت الشيءَ إذا صببْتُه، وأمر الزنا سفاح لأنه جارٍ على غير عقْدٍ، كأنَّه بمنزلة السفُوحِ الذي لا يحبسه شيء.

وقوله: ﴿فما استمتعْتُم به منْهن فآتُوهُن أُجُورَهُنَّ فريضةً﴾.

هذه آية قد غلط فيها قوم غلطاً عظيماً جداً لجهلهم باللغة. وذلك أنهم ذهبوا إلى أن قوله: ﴿فما اسْتمْتعْتُم به منهُن﴾ من المتعة التي قد أجمع أهل الفقه أنها حرام.

وإنما معنى قوله ﴿فما اسْتَمْتَعْتُم به مِنْهُنَّ﴾ أي فما نكحتموه، على الشريطة التي جرت في الآية، آية الأحْصَانِ: ﴿أَنْ تَبْتَغُوا بأَموالِكُم مُحْصِنينَ﴾، أي عاقدين التزويج الذي جرى ذكره.

﴿فآتوهن أُجورَهُنَّ فَرِيضةً﴾.

أي مهورهن، فإن استمتع بالدخول بها أعطى المهر تَامَاً، وإن اسْتَمْتَع بعقد النكاح آتى نصف المهر.

والمَتاعُ في اللغة كل ما انتفع به، فهو متاع. وقوله عزّ وجلّ، في غير هذا الموضع: ﴿ومتِّعُوهُنَّ على المُوسِعِ قَدَرُه﴾[2] ليس بمعنى زوِّجُوهُنَّ المُتَعَ، إنما المعنى أعطوهُن ما يَستَمْتِعْنَ به، وكذلك قوله: ﴿للمطلقات متاع بالمعْروف﴾[3]. ومن زَعَم أن قوله: ﴿فما استَمْتَعْتُم بِهِ منهُن﴾ المتعة التي هي الشرط في التمتع الذي تعمله الرافضة فقد أخطأ خطأً عظيماً، لأن الآية واضحة بينة.

---

(١) ليست في ط.

(٢) سورة البقرة آية ٢٣٦.

(٣) سورة البقرة. آية ٢٤١.

وقوله عزّ وجل: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فيما تَرَاضَيْتُمْ به من بعْدِ الفريضَةِ﴾.

أي لَا إثم عليكم في أَنْ تهب المرأةُ للرجل مهرها، أو يهب الرجل للمرأة التي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب إلا لمن دخل بها.

﴿إنَّ اللَّهَ كانَ عَليماً حَكِيماً﴾.

أي عليماً بما يصلح أمر العباد ـ حكيماً فيما فرض لهم من عقد النكاح الذي حفظت به الأموال والأنساب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ المحْصَنَاتِ المؤْمِناتِ﴾.

المحصنات هن الحرائر، وقيل أيضاً العفائف، وقد قال بعض أصحابنا: إنهن الحرائر خاصَّةً. وزعم من قال إنهن العفائف: حُرِّم على الناس أن يتزوجوا بغير العفيفة، وليس ينبغي للإنْسان أن يتزوج بغير عفيفة، واحتج قائل هذا القول بأن قوله عزّ وجلّ: ﴿الزاني لا يَنْكِحُ إلَّا زانيةً أو مُشركةً والزَّانيةُ لا يَنْكِحُها إلَّا زانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وحُرِّم ذَلك عَلَى المُؤْمنين﴾[1] منسوخ، وأن قوله:

﴿وأَنْكِحُوا الأيامى مِنْكُمْ﴾[2]: يصلح أن يكون يتزوج الرجل من أحب من النساء.

والدليل على أن المحصنات هن العفائف قوله: ﴿ومريم ابنة عمران التي أَحصنت فرجها﴾[3] أي أَعَفَّتْ فرجْها.

---

(١) سورة النور آية ٣.

(٢) سورة النور آية ٣٢.

(٣) سورة التحريم ١٢.

والطَّوْل: القدرة على المهْـر. فقوله: ﴿ ومن لم يستطع منكم طَوْلاً ﴾، أي من لم يقدر على مهر الحرة، يقال: قد طال فلان على فلان طوْلاً، أي كان له فضل عليه في القدرة، وقد طال الشيءُ يطول طُولاً، وأَطلته إطـالةً، وقـد طال طِوَلُكَ وطِيْلُكَ، وطيَلُك أي طالت مدتك، قال الشاعر:[1]

إنـا محيـوك فـاسْلَمْ أيُّهـا الـطلَلُ وإنْ بَلَغتَ وإن طَـالتْ بـكَ الـطِّيَـلُ

والطِّوَلُ الحبل، وقال الشاعر:

(تـعــرضُ المُهْــرة بــالطِّـوَل)[2]

اللام مشددة للقافية.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمِمَّا ملَكتْ أَيْمانُكُمْ منْ فَتَياتِكُمُ المُؤْمناتِ﴾.

الفتيـات المملوكات، العـرب تقول لـلأَمة فتـاة، وللعبد فتى أي من لم يقدر أن يتزوج الحرَّة جاز له أن يتزوج المملوكة إذا خاف على نفسه الفجور.

﴿واللَّهُ أَعْلَمُ بإيمَانِكُم﴾.

أي اعملـوا على ظاهـركم في الإيمان، فـإنكم متعبـدون بمـا ظهـر من بعضكم لبعض.

وقوله - عزّ وجلّ - ﴿ بعْضُكُم مِن بعْضٍ ﴾.

---

(١) القطامي. اللسان (طول). وهو عمير بن شيم بن عمرو بن عباد بن بكر من تغلب شاعر مشهور فحـل ولكنه مقـل - كان نصـرانياً فـأسلم. (انظر اللسـان - (طول)، وروايتـه به الـطول، وانظر شواهد المغني ٢٢٣. المطبعة البهية.

(٢) لمنظور بن مرثد الأسدي، وفي (ب): في الطول. وقبله:

تـعــرضـت لـي بـمـكـان حــل تــعــرض الـمــهــرة بــالـطـول

تـعرضــا لــم تــأل عــن قـتـلــي

فشدد للضرورة، انظر الخزانة ٥٨٦/٣، معاني الفراء ٢٦٢/١ - واللسان (قتل) - وابن يعيش ٨٢/٩، ٤٦/١٠، ومعه أبيات أخرى.

قيل في الحَسَبِ أي كلكم ولد آدم، ويجوز أن يكون قوله:

﴿بعْضُكُمْ من بَعْضٍ﴾ دينكم واحد لأنه ذكر ههنا المؤمنات من العبيد، وإنما قيل لهم ذلك لأن العرب كانت تطعن في الأنساب، وتفخر بالأحساب وتعيِّرُ بالهُجْنَة، كانوا يُسمُّون ابن الأمة الهَجِينَ، فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن أمر العبيد وغيرهم مستوفى الإيمان، وإنما كُرِه[1] التزوجُ بالأمة إذا وُجِدَ إلى الحُرةِ سبيلٌ، لأن ولد الحرِّ من الأمة يصيرون رقيقاً، ولأن الأمة مستخدمة ممتهنة تكثر عِشْرَة الرجال، وذلك شاق على الزوج، فلذلك كُرِه تزوُّجُ الحرِّ بالأمةِ. فأما المفاخرة بالأحساب والتعيير بالأنساب فمن أمر الجاهلية.

يروى عن النبي ﷺ أنه قال: ثلاثٌ من أمْر الجاهلية، الطعن في الأنساب، والمفاخرة بالأحساب، والاستسقاءُ بالأنواءِ. ولَن تُتْرَك في الإسلام[2].

وقوله: ﴿فانكِحُوهُنَّ بإذْنِ أَهلِهِنَّ﴾.
أمر اللَّه أن تنكح بإذن مولاها.
وقوله: ﴿فإذا احْصنَّ﴾.
وتقرأ ﴿أُحْصِنَّ﴾ بضم الألف.

﴿فإنْ أتينَ بفَاحِشَةٍ فَعلَيْهنَّ نِصْفُ مَا عَلى المحْصَنَاتِ مِنَ العذَابِ﴾.

أي عليهن نصف الحد، والحد مائةُ جلدةٍ على الحر والحرة غير المُحَصَنَيْن، وعلى المحصنين الرجم، إلا أن الرجم قتلٌ، والقتلُ لا نِصْفَ لهُ، فإنما عليهن نصف الشيءِ الذي له نصف وهو الجلْدُ.

---

(١) (ب) كره وحرم.

(٢) من الأشياء التي تتجه النفوس إليها ولهذا فإن بعض المسلمين يتبعها رغم تحريمها أو «لن تترك» أي لن يسمح الإسلام ببقائها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾.

أي تَـزَوُّج الإمـاءِ جـائـز لمن خـاف العَنَتَ، والعنَتُ في اللُّغَـةِ المشقـة الشديدةُ. يقال من ذلك: أَكَمَةٌ عَنُوتٌ إذا كانت شاقة.

قال أَبو العبَّاس: ﴿العنَتَ﴾ ههنا الهلاك[1]، وقال غيره: معناه. ذلـك لمن خشي أَن تحمِله الشهوةُ على الزنا، فيلقى الإِثم العظيم في الآخـرة والحدَّ في الـدنيا، وقـال بعضهم معناه أَن يعشق الأَمَـة، وليس في الآيـة عشق، ولكنَّ ذا العشق يلقى عنتاً.

وقوله: ﴿ وأَنْ تَصبُروا خيْرٌ لَكُمْ ﴾.

أَي الصَّبْرُ خيرٌ لكُمْ لمَا وصفنا من أَن الولَد يصيرون عبيداً.

وقوله: ﴿ يُريدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾.

قـال الكـوفيـونَ معنى الـلام معنى أَن، وأَردْتُ، وأَمــرْتُ، تــطلبــان المستقبــل، لا يجـوز أن تقــول: أَردت أَنْ قمتُ، ولا أَمـرت أَنْ قُمْتُ، ولـم يقولوا لم لا يجـوز ذلك. وهـذا غلط أَن تكون لام الجـر تقوم مقام «أَن» وتؤدي معناها، لأَن ما كان في معنى أَن دخلتْ عليه اللام. تقول: جئتك لكي تفعـل كذا وكذا، وجئت لكي تفعل كذا وكـذا. وكذلـك اللام في قـوله: ﴿يريدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لكُمْ﴾ كاللاَّم ِ فِي كَيْ.

المعنى: أَراده اللَّه عزَّ وجلَّ للتبيين لكم، أَنشد أَهل اللغة:

أَردت لـكـيـمـا لا تــرى لي عـثْـرةً ... ومَنْ ذا الذي يعطي الكمال فيكمل[2]

(١) سبق تفسير العنت جـ ١ ص ٢٩٤ في الآية ﴿ولو شاء اللَّه لأَعْنَتَكم﴾.

(٢) قـال الفراء هـو لأَبي ثروان. يقـول: إنك تـريدني خـالياً من الخـطأ والعثرات، ولم يعط أَحد الكمال، ويروى «تراني تشيرتي»، وروي في الخزانة لكيما أن.

انـظر الخزانـة ٣ ـ ٥٨٦، ومعاني الفـراء ١ ـ ٢٦٢، وشواهـد الهمـع ٢ ـ ٥ وشـواهـد المغني ١٧٣.

وأنشدنا محمد بن يزيد المبرد:

أردت لكيمــا يعلم النــاس أنهــا　　سراويل قيس، والـوفود شهـود[1]

فـأدخل هـذه اللام على «كي»، ولـو كانت بمعنى أَنْ لم تـدخـل الـلام عليها، وكذلك أَرَدْتُ لأن تقوم، وأُمِرْتُ لأن أكُون مُطيعاً. وهذا كقولـه تعالى: ﴿إِنْ كُنتُمْ لِلرُّؤْيـا تَعْبُـرُونَ﴾[2] أي إن كنتم عبـارتكم للرؤيـا، وكـذلـك قـولـه ـ عزّ وجلّ ـ أيضـاً: ﴿للـذين هُمْ لِـرَبهمْ يرْهبُـونَ﴾[3]. أي الذين هم رهبتهم لربِّهِمْ.

وقوله: ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾.

أي يـدلكم على طـاعتِـهِ كمـا دل الأنبيـاءَ والـذين اتبعـوهم من قبلكم، ومعنى سنن [الـذين من قبلكم]، أي طرق الـذين [من قبلكم] وقد بينـا ذلـك فيما سلف من الكتاب[4].

وقوله: ﴿واللَّهُ يُريدُ أَنْ يتُوبَ عَلَيْكُم﴾.

أي يـدلكم بطاعتـه على ما يكـون سبباً لتـوبتكم التي يغفر لكم بهـا مـا سلف من ذنوبكم.

---

(١) هو قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري. كان ملك الروم قد أرسل إلى معاوية رجلاً طويـلاً مسرف الطول. يتحداه أن يكون لديه مثله، فأرسل معاوية إلى قيس، فخلع قيس سراويله وقال للرومي ألبسه، فلبسه فبلغ ثدييه، وضحك منه الناس، ولام قيساً قـومه في خلع سـراويله، فأنشـد هذا الشعر. انظر القصة والشعر كاملاً في الكامل للمبرد حـ ١ ـ ٣١٨ ط التجارية.
والمعنى أردت أن أشهد الوفود ان سراويلي لها كل هذا الطول فـلا يماري أحـد بعد ذلـك في أني طلت الرومي. ورجال الأدب يفخرون بهذه القصة... وبعض منهم يغمزها.

(٢) سورة يوسف ـ ٤٣.

(٣) سورة الأعراف ١٥٤.

(٤) راجع الآية: ﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾ ص ٤٧٠ ج ـ١.

﴿ويُريد الَّذين يَتَّبِعُونَ الشَّهَوات أن تَميلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾.

أي أن تعدلوا عن القصد.

وقوله: ﴿ وخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفاً﴾.

أي يستميله هواه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يـأَيُّهـا الَّذِينَ آمَنُوا لا تأكُلُوا أموالكُمْ بَيْنَكُمْ بالبَاطِلِ﴾.

فحرم اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ المالَ إلَّا أنْ يُوجَدَ على السُّبُل التي ذكَر من الفرائض في المواريث والمهور والتسري والبيع والصدقات التي ذكر وجوهها.

﴿إلَّا أَن تَكُونَ تِجارَةً﴾.

المعنى: إلا أن تكون الأموالُ تجارة، ومن قرأ إلا أنْ تكون تجارةٌ فمعناه إلا أن تقع تجارةٌ[1].

﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ، وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾.

فأعلم أن التجارة تصح برضا البّيعِ[2] والمشْترى.

﴿وَمَنْ يَفْعلْ ذَلِك عُدواناً وظُلْماً﴾.

أي ومن يأكلها ويقتل النفس ـ لأن قوله: ﴿ولا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾، أي لا يَقتُل بعضكم بعضاً، فمن فعل ذلك عدواناً وظلماً:

معنى العُدوان أن يعْدُوا ما أُمِرَ به، والظلم أن يضعَ الشيءَ في غير موضعه.

وقوله: ﴿فَسَوْفَ نَصْلِيهِ نَاراً﴾.

و ﴿نُصْليه ناراً﴾. وعد اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ على أَكْلِ الأَمْوالِ ظُلماً وعلى القِتالِ النارَ.

---

(١) أي «كان» تامة وتجارة فاعل.

(٢) البيع: البائع.

﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾.

أي سهلاً، يقال قـد يَسَرَ الشيءُ فهـو يسير إذا سهـل، وقد عَسَـر الشيءُ وعَسِرَ إذا لم يسهل فهو عسير.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنهَوْن عَنْه﴾.

تجتنبوا تتْركوا نِهائياً، والكبائـر حقيقتها أنهـا كل مـا وعد اللَّه عليـه النار نحو القتل والزنا والسَّرَقِ وأكلِ مالِ اليتيم.

ويروى عن ابن عباس: الكبائر إلى أن تكون سبعين أقرب منهـا إلى أن تكـون سبعـاً[١]. قـال بعضهم: الكبـائـر من أول سـورة النسـاءَ إلى رأْس الثلاثين[٢]. والكبائر ما كبُرَ وعظم من الذنوب.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿ونُدْخِلْكُمْ مُدْخَلا كَريماً﴾.

الاسم على أَدْخَلْتُ[٣]، ومن قـال: «مَـدخـلا» بفتـح الميم، فهـو مبني على دخل مدخلاً، يعني به ههنا الجنة.

وقوله ـ جلّ وعزّ ـ ﴿ولا تَتَمَنَّوْا ما فضَّل اللَّه به بَعضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾.

قيـل: لا ينْبغي أن يتمنى الرجـل مَالَ غيـره ومنْزلَ غيـره، فإن ذلـك هو الحسدُ، ولكن ليقل: اللهم إني أَسْأَلك من فَضْلِك، وقيل إنْ أُمَّ سلمةَ قالت: لَيْتَنَا كُنَّا رجالاً فجاهَدْنا وغزوْنَا وكان لنا ثوابُ الرجال.

وقال بعضهم: قال الرِّجالُ ليتنا فُضِّلْنَا في الآخرةِ علَى النِّسَاءَ كما فُضِّلنَا في الدُّنْيا.

---

(١) أي انها كثيرة غير محصورة.

(٢) أي ان أشد الكبائر ما يتعلق بأكل مال اليتامى، وما شملته هذه الايات المذكور في أوائل سورة النساء من أول ﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾ حتى نهاية الآية الثلاثين وهي هذه الاية ﴿.. إن تجتنبوا ..﴾،

(٣) كلمة مدخل مضمومة الميم لأنها من رباعي هو أدخل، وهو يناسب ويدخلكم.

وهذا كله يرجع إلى تمني الإنسان ما لِغيره.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾.

أي جعلنا الميراث لمن هو مَوْلى الميِّتِ، والمَوْلى كلُّ مَنْ يَليك، وكلُّ مَنْ والاكَ فهو مَوْلى لك في المحبَّة. والمَوْلى مولى نعمةٍ نحو مولى العبْدِ[١]. والمولى العَبْدُ إذا عَتَقَ[٢].

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾.

هؤلاءَ كانوا في الجاهلية. كان الرجلُ الذليلَ يأْتي الرَّجُلَ العزيزَ فيعاقدُه، أي يحالفه، ويقولُ له أنا ابنُك تَرِثُنِي وأَرِثُك، حرمَتِي حرْمَتُكَ، ودَمِي دَمُك، وثأْرِي ثَأْرُك، وأمرَ اللَّهُ ـ عزّ وجلّ ـ بالوَفاءِ لهم. وقيل إن ذلك أُمِرَ به قبل تسْمِيةِ المَوارِيث، وقيل أيضاً أَمَر أَنْ يُوفَّى لهم بعقْدهم الذي كان في الجاهلية، ولا يعْقِدُ المسلمون مِثْلَ ذلك، وقال بعضهم الذي يعقد على الموالاة، ويجب أَنْ يُجْعلَ له نصيبٌ في المال يَذهب إلى أَنَّ ذلك من الثلث الذي هو للميت[٣]. وإجماع الفقهاءِ أنه لا ميراث لغير من وُصِفَ من الآباءِ والأَبناءِ، وذوي العصبةَ والموالي والأَزواج.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾.

الرَّجُلُ قيِّمٌ على المرأَة فيما يجب لها عليه، فأَما غير ذلك فلا، ويقال هذا قيِّمُ المرأَةِ وقِوَامُها قال الشاعر:[٤]

---

(١) مولى العبد، سيده ومالكه. وكلمة المولى تطلق على العبد والسيد، ومولى النعمة موليها ومانحها.

(٢) عتق فعل لازم، يقال عتق العبد وأعتقه سيده، وفي الأصول عتق ـ وهو خطأ.

(٣) أى هى وصية، وللميت أن يوصي قبل موته من ماله فيما لا يزيد على الثلث. وفي (ب) يعاقد.

(٤) هو الأحوص، الأغاني حـ ٤ ـ ٢٤٧ والخصائص ٢/١٢٨، وهو محمد بن عاصم بن ثابت من شعراء الأنصار. **محمد في لغول** والفخر والمدائح وله مع الوليد قصص معروفة. إذ نفاه إلى

اللَّهُ بيني وبيْن قيِّمها يفِرُّ مِنّي بها واتَّبعُ

جعل اللَّه عزّ وجلّ ذلك للرجال لفضلهم في العلم، والتمييز، ولإنْفَاقِهم أموالهم في المهور وأقوات النساءِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فالصَّالحَاتُ قَانِتاتٌ﴾.

أي قيِّماتٌ بحقوق أزواجهن.

﴿بمَا حَفِظَ اللَّه﴾.

تأويله - واللَّه أعلم - بالشيءِ الذي يحفظ أَمْرَ اللَّه ودين اللَّه ويحتمل أن يكون على معنى بحفظ[1] اللَّه، أي بأن يحفَظْنَ اللَّه، وهو راجع إلى أمر اللَّه[2].

وقوله: ﴿واللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزهُنَّ فعِظُوهُنَّ﴾.

النشوز كراهة أحدهما صاحبه، يقال نشزت المرأة تَنْشِزُ وتنشُزُ[3] جميعاً وقد قُرئ بهما: ﴿وَإذَا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُزُوا..﴾ انشِزوا وانْشُزوا، فانشزوا[4]، واشتقاقه من النَشزِ وهو المكان المرتفع من الأرض، يقال له: نَشْزٌ ونشَزٌ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿واهْجُروهُنَّ في المَضَاجع﴾.

أي في النوم معهن، والقرب منهن فإنهن إن كُنَّ يحببن أزواجهن شق عليهن الهجران في المضاجع وإن كنَّ مُبْغِضَاتٍ وافقهن ذلك فكان دليلاً على النشوز مِنْهنَّ.

= فدك - جزيرة بالبحر الأحمر وأبى عمر بن عبد العزيز إعادته لفحش غزله.

(١) أي «ما» من «بما حفظ اللَّه» مصدرية.

(٢) يحفظن اللَّه أي يحفظن أمره.

(٣) كضرب ونصر.

(٤) وإذا قيل انشزوا فانشزوا.. بالضم والكسر في ثلاثتها.. وهي آية (١١) من سورة المجادلة.

يقـال هجرت الإنسـان والشيء أهجرُهُ هَجـراً وَهِجـرانـاً، وأَهْجَـرَ فـلانٌ منصبَـهُ يُهجِرُه إهْجَـاراً. . إذا تكلم بالقبيـح، وهجر الـرجل هجـراً إذا هَـذَى، وهَجَرْتُ البعير أَهْجُرُه هجراً إذا جعلت له هِجَاراً. والهجار حبل يُشـد في حَقْوِ البَعيـرِ وفي رُسْغِه، وهَجَّـرتُ تهجيراً إذا قمت وقْتَ الهَـاجِـرة، وهـو انتصـافُ النهار.

فأَمر اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ في النساءِ أَن يُبْدَأْن بالموعـظة أولًا، ثم بالهجـران بعْدُ، فإن لم ينجعا فيهن فالضَّربُ، ولكن لا يكون ضرباً مبرحاً فإن أَطعن فيما يُلتَمَسُ مِنهُنَّ، فلا يُبْغِي عليهنَّ سبيلًا[1]، أَي لا يُطْلُبُ عَلَيهن طريقُ عنتٍ.

﴿إنَّ اللَّه كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً﴾.

أَي هو متعال أَن يكلف إلَّا بالحق، ومقدار الطاقة.

وقوله جلّ وعزّ ـ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾.

قـال بعضهم. . خِفتُمْ ههنـا. في معنى أَيقنتُم وهـذا خـطأ، لـو علمنـا الشقـاق على الحقيقـة، لم يجنـح إلى الحكَمَيْن، وإنمـا يُخَـاف الشقـاقُ[2] والشقاق العداوة، واشتقاقه من المتشاقِّين كل صنف منهن[3] في شقٍّ، أَي في نـاحيةٍ، فـأَمر اللَّه تعـالى ـ إنْ خِفْتُم[4] وُقُوعَ العـداوة بينَ المـرْءِ وزوجـه ـ أَنْ يبْعَثُـوا[5] حَكمينْ، حكَماً من أَهـل المرأة وحكمـاً من أَهل الـرجـل، والحكمُ القَيِّم بما يسند إليه.

يروى عن علي بن أَبي طالب ـ رضـوان اللَّه عليه. أَنـه اجتمع إليـه فئامٌ

(١) ط. سبيلاً.

(٢) الشأن فيه أنه يخشى لا أنه يعلم.

(٣) ب منهما وهو أجود.

(٤) في جميع النسخ «خفتما» وآثرنا لفظ القرآن.

(٥) في الأصول يبعث.

من الناس، - أي جمع كثيرٌ مع امرأة وزوجها، قـد وقع بينهمـا اختلاف فـأمر حكمين أَنْ يتَعَرَّفا أَمْرهُمَا، وقال لهما أَتَدْرِيانِ ما عليكُمَا؟ إنَّ عليكمـا إنْ رأَيْتُما أَن تُفرِّقَا فَرِّقتَما، وإن رَأَيْتُما أن تجْمعَا جَمَعْتُمَا[١].

وقال بعضهم على الحكمين أَنْ يَعظَا ويُعرِّفا ما على كل واحدٍ من الزوج والمرأة في مجاوزةِ الحق، فإن - رأيا أن يفرقا فرَّقا، وأن رأيا أن يَجمعَا جمعاً.

وحقيقة أمر الحكمين أَنَّهما يقصِدان للإِصْلاح، وليس لهما طلاق وإنمـا عليهمَا أن يُعرِّفَا الإمامَ حقيقة ما وقفا عليه، فـإن رأى الإمام أن يفـرِّق فرَّق، أو أن يَجمـعَ جَمَعَ، وإن وكَّلَهُمـا بتفريق أو بجمـع فهما بمنـزلة، ومـا فعـلَ عليٌّ «رضي اللَّه عنه» فهو فِعْلٌ للإِمَامِ أَنْ يَفعَلَه، وحَسْبُنَا بعلي عليه السَّلامُ إمَامـاً. فلما قال لهما إن رأيتما أن تجمعا جمعتما، وإن رأيتمـا أن تُفرقـا فَرَّقْتَمَـا، كان قد ولاَّهُما ذلك ووكَّلهمَا فيه.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾.

أي عليماً بما فيه الصلاح للخلق خبيراً بذلك.

وقوله: ﴿واعْبُدوا اللَّهَ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾.

أي لا تعبدوا معه غيره، فإن ذلك يفسد عبادته[٢].

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْساناً﴾.

المعنى أوصاكم اللَّه بعبادته، وأوصاكم بالوالدين إحساناً، وكذلـك قولـه [تعالى]: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾[٣]. لأن معنى قضى ههنا أَمَرَ ووَصّى.

---

(١) في ط: فرقتما وجمعتما بالبناء للمجهول. ولعله يعني كنتما معاً أو منفردين، ولا يناسب ما يأتي بعده.

(٢) يفسد عبادة العبد لربه.

(٣) سورة الإسراء ٢٣.

وقال بعض النحويين ﴿إِحْسَاناً﴾ منصوب على وأَحسنوا بالوالدين إِحْسَاناً، كما تقول: ضرْباً زيداً، المعنى اضرب زيداً ضرباً.

﴿وَبِذي القُرْبَى . . ﴾.

أَمَرَ اللَّه بالإِحْسَانِ إلى ذوي القُرْبَى بَعْـدَ الوالدين، و﴿اليتامَى﴾ في موضع جرّ. المعنى وباليتامى والمساكين أَوْصَـاكُم أَيْضاً، وكـذلك جميـع ما ذكـر في هذه الآية، المعنى أَحسنوا بهؤُلاءِ كلهم.

﴿والجَار ذِي القُرْبَى﴾.

أَي الجار الذي يقاربك وتعرفه ويَعْرِفَك.

﴿والجَارِ الجُنُبِ﴾.

والجار القريب المتباعد، قال علقمة: (١)

فـلا تحـرِمَني نـائـلاً عَنَ جَنَـابـةٍ ... فـإِني امرؤُ وَسْطَ القِبَـابِ غَـرِيب

وقوله عزّ وجلّ - ﴿وَالصَّاحِبِ بالجَنْبِ﴾.

قيل هو الصاحب في السفر.

﴿وابْنِ السبِيلِ ﴾.

الضَّيفُ يجب قِراه، وأَنْ يَبَلَّغَ حَيْثُ يريد.

وقوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾.

أَي وأَحسنوا بِمِلْك أَيمَانكم(٢)، موضع ما عطف على ما قبلها. وكـانت وصية النبي - ﷺ - عند وفاته: «الصلاة وما ملكت أَيمانكمْ».

---

(١) الديوان ١٠٧ من الستة واللسان (جنب) والقرطبي ٥ - ١٨٣، ومجاز أبي عبيـدة في الآية نفسهـا ١ - ١٢٦ أي انني لست من الأقـربـاء ولكنني غـريب في هـذا فـلا تقـطع عني عـطاءك لهـذا السبب. والقريب المتباعد هو القريب في المسكن البعيد في النسب.

(٢) ملك وملك، بمعنى مملوك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّه لاَ يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾.

المختال: الصَّلِفُ التيَّاه الجهولُ. وإنما ذكر الاختيالُ في هذه القصة، لأن المختال يأنف من ذوي قرابَاتِه إذا كانوا فقراءَ، ومن جيرانه إذا كانوا كذلك، فلا يُحْسنُ عِشْرتَهم.

وقوله: ﴿الَّذِين يَبْخلون وَيأمرونَ النَّاسَ بالبُخْلِ﴾.

والبَخْل جَمِيعاً يُقْرَأانِ[1].

يُعْنَى به اليهودُ لأنهم يَبخلون بعِلْمِ مَا كان عِندَهُم من مَبْعث النبي ﷺ.

﴿وَيَكْتُمونَ مَا آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

أي ما أعطاهم من العلم برسالة النبي - ﷺ.

وقوله: ﴿وَأَعْتَدنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾.

أي جعلنا ذلك عَتَاداً لهم، أو مُثْبَتاً لهم. فجائز أن يكون موضع الذين نصباً على البدل، والمعنى: إنّ اللّه لا يحب من كان مختالا فخوراً، أي لا يحب الذين يبخلون.

وجائز أن يكونَ رفعُه على الابتداءِ، ويكون الخبر ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، ويكون ﴿وَالّذِينَ يُنْفِقُونَ أَموَالَهُم رِئَاءَ النَّاسِ﴾ عطفاً على ﴿الذين يبخلون﴾. في النصب والرفع.

وهؤلا يُعْنَى بهم المنافِقون، كانوا يُظهرونَ الإيمانَ ولا يؤمنون باللّه واليوم الآخر.

﴿وَمَنْ يكُنِ الشَّيطَانُ لَه قَريناً فَسَاءَ قَرِيناً﴾.

أي من يكن عمله بما يُسَوِّلُ له الشيطانُ فبئس العملُ عَمَلُه، ﴿فساءَ قريناً﴾

---

(١) ويقال أيضاً: البخول، والبخل كسكون وكنفق.

منصوب على التفسير، كما تقول: زيدٌ نعم رَجُلاً، وكما قال ﴿سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا [بِآيَاتِنَا]﴾[1].

وقوله: ﴿ومَاذَا عَلَيْهِمْ [لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾.

يصلح أن تكــون «مَـا» و «ذَا» اسْمــاً واحـداً، المعنى وأَيُّ شَيءٍ عَلَيْهِمْ. ويجوز أن يكون «ذَا» في معنى الذي، أو تكون «ما» وَحْدَهَا[2] اسْماً. المعنى: وَمَا الَّذِي عَلَيهِم ﴿لَوآمَنُوا بِاللَّه وَاليَومِ الآخِرِ وأَنْفَقُوا مِما رزَقَهُمُ اللَّه﴾.

هذا يدل على أن الذين يبخلون (يبخلون)[3] بما عَلِمُوا، ﴿وكان اللَّه بهم عليماً﴾.

وقوله جلّ ثناؤه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾.

مِثْقَال مِفْعَال من الثِقل، أي ما كان وزنه الذرة وقيل لكل ما يُعمَلُ «وزْنُ مِثْقَالٍ» تمثيلاً، لأن الصلاة والصيام والأعمال لا وَزْن لها. لكنَّ الناسَ خوطبوا فيما في قلوبهم بتمثيل ما يُدْرَكُ بـأَبصَارِهم، لأن ذلـك ـ أعني ما يُبصَـرُ ـ أَبينُ لهم.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾.

الأَصل في «يكن» «تكون» فسقطت الضَّمةُ للجزم وسقطت الواو لسكونها وسكون النون، فأما سقوط النون من «تكن» فأكثر الاستعمال جاءَ[4] [في] القرآن بإثباتها، وإسقاطِهـا قليل ـ قـال اللَّه عزّ وجـلّ ـ: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيـراً فَاللَّهُ

(١) سورة الأعراف ـ ١٧٧.

(٢) ك ويجوز أن تكون.

(٣) ليست في ط.

(٤) هكذا والخبر خال من ضمير يعود على السقوط فزدنا الجار.

أَوْلَى بِهِمَا﴾[1] فاجتمع في النون أنها تشبه حروف اللين، وأنها ساكنة، فحذفت استخفافاً لكثرة الاستعمال كما قالوا ـ لا أَدْرِ، وَلا أُبَلْ، والأجود لم أبال ولا أدري.

و﴿حَسَنَةً﴾ يكون فيها الرفع والنصب، المعنى وإن تكن فَعْلَتُه حسنةً يضاعِفْهَا، ومن قرأ وإن تكن حَسَنَةٌ [بالرفع]، رفع على اسم كان[2]، ولا خبر لها وهي ههنا. في مذهب التمام[3] والمعنى وإن تحدث حسنةٌ يضاعِفْها.

﴿وَيُؤتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾.

﴿ويؤتِ﴾ بغير ياءَ. سقطت الياءُ للجزم، معطوف على ﴿يضاعِفْهَا﴾، ووقعت «لَدُنْ» وهي في موضع جرٍّ، وفيها لُغَاتٌ.

يُقَالُ لَدُ ولَدُنْ، وَلَدُنٌ، وَلَدَى. والمعنى واحد ومعناه مِنْ قِبَلِهِ، إلّا أنها لا تتمكن تمكُّنَ عِند، لأنك تقول: «هَذَا القولُ عَندي صَوَابٌ» ولا يقال: الوقت لَدَنيَّ صواب، وتقول: عندي مال عظيم والمال غائب عنك، و«لدن» لما يليك.

قوله ـ جلّ وعزّ ـ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمةٍ بِشَهِيدٍ﴾.

أي فكيف تكون حال هؤلاءِ يومَ القيامة، وحذف «تكون حالُهُم» لأنَّ في الكلام دليلاً على ما حذف، و«كيف» لفظها لفظ الاستفهام، ومعناها معنى التوبيخ.

وقوله: ﴿ وجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً﴾.

---

(١) النساء ـ ١٣٥.

(٢) فاعل كان وهي تامة.

(٣) أي تامة لا تحتاج لخبر، وفي ط وهي ههنا مذهب التمام.

أي نأتِي بكل نبي أُمَّةٍ يشهدُ عَليها ولها.

وقوله: ﴿يَوْمِئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ﴾.

الاختيار الضَّمُ في الواوِ في عَصَوْا الرسول، لالتقاءِ الساكنين والكسر جائز، وقد فسرناه فيما مضى.

وقوله: ﴿لَو تُسَوَّى بِهِم الأَرْض﴾.

وبِهِم الأَرض بضم الميم وكسرها.

﴿وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّه حَدِيثاً﴾.

أَي يودَون أَنهم لم يبعثوا، وأَنَّهم كانوا والأَرضَ سواءَ.

وقد جاءَ في التفسيز أَن البهائم يومَ القيامة تصيرُ تراباً. فيودون[1] أَنهم يصيرون تراباً.

قوله: ﴿وَلا يَكْتُمونَ اللَّهَ حَدِيثاً﴾.

فيه غير قول، قال بعضهم: وَدوا أَن الأَرض سويت بهم وأَنهم لم يكتموا اللَّه حَدِيثاً، لأَنَّ قولهم[2]: ﴿واللَّهِ رَبِّنَا ما كُنا مشرِكين﴾[3] قد كَذَبُوا فيه، وقال بعضهم: ﴿ولا يَكتمون اللَّه حدِيثاً﴾، مستأنف لأَن ما عملوه ظاهر عند اللَّه لا يقدرون على كتمه[4].

وقوله جلّ وعزّ: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْربوا الصَّلاَةَ وأَنْتُمْ سُكَارَى﴾.

قيل في التفسير: إنَّها نزلت قبْل تحريم الخمر، لأَن جماعةً مِنْ أَصحاب النبي - ﷺ - اجتمعوا فشربوا الخمر فبل تحريمها، وتقدم رجلٌ منهم

(١) يود الكفار ذلك، وهم لا يستطيعون أن يكتموا شيئاً من أمرهم لأن اللَّه تعالى عليم بهم.

(٢) ط لأنه قولهم.

(٣) سورة الأنعام ٢٣.

(٤) ك كتمانه.

فصلى بهم فقرأ: ﴿قُلْ يا أَيُّها الكَافِرُونَ أَعْبُد ما تعْبُدُونَ، وأَنتم عابدون ما أَعْبـدُ، وأَنا عابد ما عَبَدْتُمْ﴾ فنزلت ﴿لا تقربوا الصلاة وأَنتُمْ سُكَارَى﴾.

ويـروى أَنَّ عُمَر بنَ الخـطاب قـال: اللهم ان الخمـر تضُـرُّ بـالعقـولِ، وتـذهب بالمـال، فأَنـزل فيها أَمرك فنزل في سـورة المـائـدة: ﴿إِنَّمـا الخَمْـرُ والمَيْسِـرُ والأَنْصَـابُ والأَزْلَامُ رِجْسٌ﴾[1]، وقـال: ﴿يسـأَلُـونَـكَ عَنِ الخمْـر والمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾[2]. والتحريم نصٌ بقوله ـ عزّ وجـلّ ـ ﴿قُلْ إِنَّما حرَّم رَبِّيَ الفَواحِشَ مَـا ظَهَرَ مِنهـا، وَمَا بَـطَنَ، وَالإِثمَ والْبَغْيَ بغير الحق﴾[3]. فقد حُرِّمتِ الخمر بأَنه قال: إِنَّها إِثم كبيرٌ. وقـد حرَّم اللَّه ـ عـزّ وجلّ ـ الإِثْمَ، فأَمر اللَّه ـ عـزّ وجلّ ـ في ذلـك الوقت أَلا يَقْـرَبَ الصلاةَ السكـرانُ وحرَّم بعْـدُ ذَلِك السُّكرَ، لأَن إِجماع الأُمَّةِ أَن السَّكْرَ حرامٌ.

وإِنما حُرِّمَ ذُو السُّكْرِ، لأَن حقيقة السكر أَنه لم يزل حرامـاً وقد بينـا هذا في سورة البقرة[4].

وقوله: ﴿حَتىٰ تعْلَمُوا ما تَقُولُونَ، وَلَا جُنُباً إِلا عابري سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾.

أَي لا تقـربوا الصـلاة وأَنتم جنُبٌ، إِلا عابـري سبيل، أَي إِلا مُسَـافِرين لأَن المسافر يُعْوِزُه الماءُ، وكذلك المريض الذي يضُـرُّ به الغُسْـلُ. ويروى أَن قوماً غسلوا مجـدراً فمات، فقـال النبي ـ ﷺ ـ: قتلوه قتَلَهُم اللَّهُ، كان يجـزيه التيمُّمِ.

وقال قوم: لا تقربوا مَـوْضِعَ الصَّـلاة، حقيقـتُه: لا تُصلّوا إِذا كنتم جُنبـاً

---

(١) المائدة ـ ٩٠.

(٢) البقرة ٢١٩.

(٣) الأعراف ٣٣.

(٤) انظر تفسير الآية يسألونك عن الخمر والميسر ص ٢٩١ ج ١ من هذا الكتاب.

حتى تغتسلوا، إلا أنْ لا تقدِرُوا على الماءِ، وإلا أن تخافوا أنْ يَضـرّكم الغسْلُ إضْراراً شديداً، وذلك لا يكونُ إلا في حالِ مَرضٍ.

﴿فتيمَّمُوا صَعِيداً طَيّباً﴾.

معنى تيمموا أقصِدُوا، والصَّعيد وجهُ الأرْضِ.

فعلى الإنسان في التيمُّمِ أن يضرب بيديْه ضـربةً واحِـدةً فيمسح بهما جميعاً وجهه، وكذلك يضرب ضربةً واحدةً، فيمسح بهما يـديه، والـطيبُ هو النظيف الطاهر، ولا يُبَالي أكان في الموضع ترابٌ أَمَ لا، لأَن الصعيد ليس هو التراب، إنما هـو وجه الأَرض، تـراباً كـان أو غيرَه. ولـو أن أرْضاً كـانت كلُّها صخـراً لا ترابَ عليهـا ثم ضرب المتيممُ يـده على ذلك الصخْـرِ لكـان ذلـك طهُـوراً إذا مسح بـه وجهه. قـال اللّه عزّ وَجَـلَّ ـ: ﴿فتُصْبحَ صَعِيـداً زلقاً﴾[١] فأعلمك أن الصعيد يكون زلَقـاً، والصُّعُداتُ الـطُّرُقاتُ. وإنمـا سمي صعيداً، لأَنَّها نِهايةُ ما يُصْعدُ إليه من باطن الأَرض، لا أَعلم بين أَهْلِ اللُّغَةِ اختلافاً في أَنَّ الصعيد وجهُ الأَرض.

﴿إنَّ اللَّهَ كَان عَفُوًّا غَفُوراً﴾.

أي يقبل منكم العفو ويغفرُ لكم، لأَن قبوله التيمُّم تسهيل عليكم[٢].

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِن الكِتابِ﴾.

قال بعْضُهم: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: أَلم تُخْبر. وقال أَهل اللغة أَلم تَعلَمْ، المعنى أَلم ينته علمك إلى هؤلاءِ، ومعناه أعرفْهُم. يُعنَى به علماءُ أَهلِ الكِتَاب، أَعطاهم اللّه في كِتابِهمْ عِلْمَ نبوَّةِ النبي ـ ﷺ ـ أَنَّه عندهم مكتوبٌ في التوراة والانجيل يأْمرُهم بالمعروف وينهَاهُم عن المنكر.

---

(١) الكهف آية ٤٠.

(٢) يقبل العفو أي ما سهل عليكم، والتيمم تسهيل مقبول.

وقوله: ﴿يشْترونَ الضَّلاَلَةَ﴾.

أي يؤْثرون التكذيب بأمر النبي - ﷺ - ليأْخذوا على ذلكَ الرِّشا ويَثْبُتَ لهم رياسَةٌ.

وقوله: ﴿ويُرِيدُون أن تضِلُّوا السَّبِيل﴾.

أي تُضِلُّوا طريق الهُدى، لأن السبيل في اللغة الطريق.

وقوله: ﴿واللَّهُ أعْلَمُ بأعْدائِكُمْ﴾.

أي هو أعرف بهم فهو يُعْلِمُكمْ ما هم علَيْه.

﴿وكَفَى باللَّهِ ولِيًّا وكفَى باللَّهِ نَصِيراً﴾.

أي اللَّه ناصركم عليهم. ومعنى الباء التوكيد. المعنى وكفى اللَّه ولياً وكفى اللَّه نصيراً، إلّا أن الباء دخلت في اسم الفاعل، لأن معنى الكلام الأمر، المعنى اكتفوا باللَّه.

وقوله - عزّ وجلّ - ﴿مِنَ الَّذين هَادُوا يُحرّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾.

فيها قولان: جائز أن تكون مِنْ صلةِ الذين أوتوا الكتاب، والمعنى ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً مِن الكتاب من الذين هادوا. وَيَجُوز أن يكون من الذين هادوا قومٌ يحرفون الكلم. ويكون ﴿يحرِّفون﴾ صفةً، والموصوف محذوف.

أنشد سيبويه في مثل هذا قول الشاعر:(١)

---

(١) هو تميم بن عقيل. وبعده:

وكلتاهما قد خط لي في صحيفي ... فلا العيش أهوى لي ولا الموت أروح

أي الدهر ذو حالتين إحداهما أموت بها، والأخرى أود العيش فيها مع كونه شاقاً عسيراً، وكلتاهما مسطر لي في اللوح المحفوظ. فلا الموت أهنأ ولا العيش أحب منه.

انظر شواهد الكشاف حرف الحاء، وسيبويه ٢ - ٣٤٦، والخزانة ٢ - ٣٠٨ ومعاني الفراء ٢ - ١٤٢، وكامل المبرد ٥٣٨.

ومـا الـدهـرُ إلا تـارتـان فمنهمـا أموت، وأُخرى ابتغي العَيْشَ أكدَحُ

المعنى منهما تارة أموت فيها.

وقال بعض النحويين المعنى: مَنْ الذين هادوا من يحرفونه فجعل يحرفون صلة من. وهذا لا يجوز. لأنه لا يحذف الموصول وتبقى صلته، وكذلك قول الشاعر:(١)

لـو قلت ما في قـومها لَمْ تِيثَم يفضلها في حَسَب وميسم

المعنى ما في قومها أحدٌ يفضلها. وزعم النحويون أن هذا إنما يجوز مع «من» و «في». وهو جائز إذا كان «فيما بقي دليل على ما أُلْقِى»(٢). لو قلت: ما فيهم يقول ذاك أو ما عندهم يقول ذاك جازَا جميعاً جوازاً واحداً. والمعنى ما عندهم أحد يقول ذاك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ويقُولُون سَمِعْنَا وعَصَيْنا واسْمَعْ غَيْرَ مُسَمَعٍ﴾.

كانت اليهود ـ لُعِنَتْ ـ تقول للنبي ـ ﷺ ـ: اسمَعْ، وتقول في أنفسها لا أسْمِعتَ.

وقيل غَيرَ مسمَعٍ، غير مجاب إلى ما تدعو إليه(٣).

وقوله: ﴿وَرَاعِنَا﴾.

هذه كلمة كانت تجري بينهم على حد السُّخرى(٤) والهزؤ، وقال بعضهم: كانوا يَسُبُّون النبي ـ ﷺ ـ بهذه الكلمة. وقال بعضهم: كانوا يقولونها

---

(١) لحكيم بن معية كما في الخزانة ٢ ـ ٣١١، ويروى تأثم، وتأثم وهو من شواهد الأشموني ٣ ـ ٧٠. وانظر معاني الفراء ١ ـ ٣٧١ والعيني ٤ ـ ٧١.

(٢) أي ما حذف.

(٣) وهو أيضاً دعاء، أي لا سمعك أحد ولا أجابك أحد.

(٤) السخري ـ بضم السين وكسرها. بمعنى السخرية. وبهما قرئ ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً.

كِبْراً، كأَنهم يقولون: أَرْعِنا[١] سمعَكَ أي إجعـل كلامَـك لسَمِعْنَا مَـرْعًى، وهذا ممـا لا تخاطب بـه الأَنبياءُ ـ (صلوات اللّه عليهم) ـ إنمـا يخاطبـون بالإجـلال والإعظام.

وقوله: ﴿لَيًّا بأَلْسِنَتهم﴾.

أي يفعلون ذلـك مُعَانَـدةً للحق وطغيانـاً في الدين. وأَصـل «لَيًّا» لَـوياً ولكن الواو أُدغمت في الياءَ لسبقها بالسكون[٢].

وقوله: ﴿فلا يؤْمِنُون إلَّا قليلاً﴾.

أَي فلا يؤْمنون إلَّا إيمـاناً قليـلاً، لا يجب به أَن يُسَمَّـوْا المؤْمنين. وقال بعضهم: ﴿فلا يؤْمُنُونَ إلَّا قليلاً﴾ أَي إلا قليلاً منهم، فإنهم آمنوا.

وقوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾.

فيها ثلاثة أَقوال. قال بعضهم نجعل وجـوههم كأَقفـائهم. وقال بعضهم نَجَعَلُ وجوههم مَنَابت للشَّعرُ كأَقفائهم. وقال بعضهم «الوجوه» ههنا تمثيل بأَمر الـدين. المعنى قبل أَن نُضِلَّهُمْ مجـازاةً لما هم عليـه من المعـانـدة، فنُضِلَّهُمْ ضلالاً لا يؤمنون معه أَبداً.

وقـوله ـ جـلّ وعزّ ـ ﴿إنَّ اللَّه لا يَغْفِـرُ أَنْ يُشْرَكَ بِـه، ويَغْفِرُ مَـا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

أَجمع المسلمون أَن ما دون الكَبَائِـر مغفور، واختلفـوا في الكبائـر فقال بعضهم: الكبائر التي وعد اللّه عليها النار لا تُغْفَرُ، وقال المشيخةُ[٣] من أَهـل

---

(١) من رعي الماشية ـ وذلك تهكم وسخرية منهم.

(٢) أي قلبت ياء ثم أدغمت.

(٣) الشيوخ الأجلاء.

الفقه والْعِلْم : جَائِزٌ أن يَغْفِر كلَّ ما دُونَ ذَلِكَ بالتَّوبة، وبالتَّوبةِ يُغفر الشرك وغيرُه[1].

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ باللَّهِ فقدِ افْتَرَى إثماً عَظِيماً﴾.

افترى اختلق وكذب، إِثْماً عظيماً: أي غير مغْفُور.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِين يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾.

أَلم تر: أَلم تخبر في قول بعضهم. وقال أهل اللغة أَلم تعلم وتأويله سؤال فيه معنى الإعلام. تأويله أعلم قصَّتهُم، وعلى مجرى اللغة أَلم ينته علمك إلى هؤلاءِ، ومعنى يزكون أَنفُسَهم أي تزعمون أنهم أَزكياء، وتأويل قولنا: زكاءُ الشَّيْءِ: في اللغة نماؤه في الصلاح. وهذا أيضاً يعني به اليهُودُ[2]. وكانوا جاؤوا إلى النبي - ﷺ - بأَطْفَالِهِمْ فقالوا: يا محمد أَعَلى هؤُلاءِ ذنوبٌ، فقال النبي - ﷺ - لا، فقالوا كذا نحن، ما نعمل باللَّيْلِ يُغْفَرُ باللَّيْلِ، وما نعمل بالنهار يُغْفَرُ بالنهار.

قال اللَّه - عزّ وجلّ -: ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

أي يجعل من يشاء زاكياً.

﴿ولا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾.

تأويله ولا يظلمون مِقْدارَ فَتِيلٍ.

قال بعضهم: الفتيل ما تَفْتُلُه بين إِصْبَعَيْكَ من الوسخ. قال بَعضهم: الفتيل ما كان في باطن النَّواةِ من لِحائِها، وقالوا في التفسير: ما كان في ظهرها وهو الذي تَنْبُتُ منه النخلة، والقِطْمِيرُ جملة ما انْنَفَّ عليها من لحائها.

وقوله - جلّ وعزَّ -: ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ﴾.

---

(١) رد منه لهذا القول.

(٢) أي الذين يزكون أنفسهم يعني به اليهود. كانوا يصفون أنفسهم بما ليس فيهم من الصفات الحسنة.

أي يفعلونه ويختلقونه[1].

ويقال: قد فَرَى الرَّجلُ يَفْرِي إذا عمِلَ، وإذا قَطع ومن هذا: فَرَيْتُ جِلدَه. فتأويله أن هذا القولَ أعني تزكيتَهُمْ أَنْفُسَهُم فِرْيةٌ منهم.

﴿وكَفَى بِهِ إِثماً مبيناً﴾.

أي كفى هو[2] إثماً. مَنصوبٌ عَلَى التمييز، أي كفى به في الآثام.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتَابِ﴾.

يعني به علماءُ اليهود.

أي أُعطوا علم أَمْرِ النَّبيّ - ﷺ - فكتموه.

﴿يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ والطَّاغُوتِ﴾.

قال أهل اللغة: كل مَعْبُودٍ من دون اللَّه فَهُو جِبْت وطاغوت. وقيل: الجبتُ والطاغوتُ الكهنةُ والشياطينُ. وقيل في بعض التفسير: الجبت والطاغوت ههنا. حُيَيٌّ بَنُ أَخْطَبُ، وكعب بنُ الأَشرف اليهوديان وهذا غير خارج عما قال أهل اللغة، لأنه إذَا اتَّبَعُوا أَمْرَهُمَا فقد أطاعوهما من دون اللَّه - عزّ وجلّ.

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾.

وهذا برهانٌ ودليلٌ على معاندة اليهود لأنهم زعموا أن الذين لم يُصدِّقوا بشيء من الكتب وعِبادةَ الأَصنام، أهدى طريقاً من الذين يُجَامِعُونَهم[3] على كثير مما يصَدِّقُونَ به، وهذا عِنادٌ بيّن.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿سَبِيلاً﴾:

---

(١) ب - يعتملونه. والمعنى واحد.

(٢) الباء زائدة.

(٣) يوافقونهم ويجتمعون معهم في هذا الايمان.

منصـوب على التمييز، كمـا تقول: هـذا أَحسن منك وجهـاً وهذا أَجـود منك ثَوباً. لأَنك في قولك: «هذا أَجودُ منـك» قد أَبهَمْتَ الشيءَ الـذي فَضَّلتَه بـه، إلا أَنْ تـريـد أَنَّ جُمْلتـه أَجْـوَدُ مِنْ جملتـك فتقـول: هـذا أَجــود منـك. وتمسك(١).

وقوله: ﴿أُولَئِكَ الّذين لعَنهُمُ اللَّهُ﴾.

أَي الّذِين بَاعَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ. وقد بيَّنا أَن اللعنة هي المباعدة في جميع اللغة(٢).

وقوله: ﴿وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تجِدَ لَهُ نَصِيراً﴾.

أَي من يباعِد اللَّه من رحمته فهـو مخـذول في دعواه وحجتـه ومغلوبٌ. واليهود خاصّةً أَبْيَنُ خِذْلانـاً في أنهم غُلِبُوا من بين جميـع سائـر أَهل الأَديان، لأَنهم كانوا أَكثر عناداً، وأَنهم كتموا الحق وهم يعلمونه.

وقوله: ﴿أَمْ لهُمْ نصِيبٌ مِن المُلْكِ﴾.

المعنى بل أَلهم نصيب من المُلْكِ(٣).

﴿فإِذاًلا يُؤتُون النَّاسَ نقِيراً﴾.

قـال بعضهم:(٤) إنما معنـاه أنهم لـو أُعْـطُوا الملك، مـا أَعـطوْا النـاس نقيراً، وذكر النقير ههنا تمثيل، المعنى لضنُّوا بِالقليل. وأَما رفع «يُؤْتُون» فعلى «فلا يؤتون الناس نقِيراً إذنْ» ومن نصب فقال: «فإِذا لا يؤتوا الناس» جـاز [له] ذلك في غير القراءة فأَما الْمصحف فلا يخالف.

---

(١) أي لا تزيد على ذلك.

(٢) راجع الآية: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى. . .﴾ من سورة البقرة ص ٣٣٥ جـ ١.

(٣) ب بل لهم، وهو خطأ.

(٤) في (ب) قال بعضهم: كانوا أصحاب بساتين وأموال وكانوا في غاية البخل، قال بعضهم إنما معناه. . . ألخ.

قال سيبويه: «إذاً» في عوامل الأفعال بمنزلة «أظن» في عوامل الأسماءِ، فإذا ابتدأت إذَنْ وأنت تريد الاستقبال نصبت لا غير، تقول: إذَنْ أُكْرِمَكَ، وإن جعلتها معترضة أَلغيتها فقلت: أَنا إذَنْ أكرِمُكَ، أَي أَنا أُكرِمُك إذَنْ. فإن أتيت بها مع الواو والفاء قلتَ فإذاً أُكرِمُك، وإن شئت فإذَنْ أُكرِمَكَ. فمن قال فَإِذَنْ أُكرمكَ نصَب بها وجعل الفاء ملصقة بها في اللفظ والمعنى، ومن قال: فإذن أُكرمَك جعل إذاً لغواً، وجَعَل الفاء في المعنى معلقةً بأُكرِمُكَ والمعنى فأُكرِمُكَ إذَنْ.

وتأويل «إذن»: إن كان الأمر كما ذكرتَ، أو كما جرى، يقولُ القائل: زيدٌ يصيرُ إليكَ فتجيبُ فتقولُ إذن أُكرمُه. تأويله إنْ كان الأمر على ما تصِفُ وقع اكرامه فَأَنْ مع أُكرمُه مقدرةٌ بعدَ إذَنْ[1]. المعنى إكرامك واقع إن كان الأمر كما قلت.

قال سيبويه: حكى بعض أَصحاب الخليل عن الخليل أَنَّ «أَنْ» هي العاملة في باب إذَنْ.

فأَما سيبويه فالذي يذهب إليه ونحكيه عنه أَن إذن نفسها الناصبة، وذلك أَنَّ «إذَنْ» لما يستقبل لا غير في حال النَّصْبِ، فجعَلَها بمنزلة أَنْ في العمل كما جُعِلَتْ «لكنَّ» نظيرة «إنَّ» فِي العَمَل في الأسماءَ. وكلا القولين حسن جميل إلا أَنّ العامِل ـ عندي[2] ـ النَّصْبَ في سائر الأفعال، «أَنْ»، [وذلك] أَجود، إما أَن تقع ظاهرة أَو مضمرة[3]. لأَنّ رفع المستقبل بالمضارعة فيجب أن يكون نصبه في مضارعه ما ينصب في باب الأَسماءَ[4]، تقول أَظُنُّ أَنَّكَ

---

(١) عبارة ب فإن مع أكرمك المعنى إكرامك الخ.

(٢) ب قال أبو إسحاق إلا أن العامل.

(٣) الأجود أن يكون الناصب هو «أن» إما ظاهرة أو مقدرة.

(٤) المضارع فيما يرى الزجاج يرفع بكونه مضارعاً للاسم، فيجب أن يكون عامل النصب فيه ما

منطلق، فالمعنى أظن انطلاقكَ. وتقول أرجُو أن تذهب أي أرجو ذَهَابَك. فَأَنْ الخفيفة مع المستقبل كالمصدر.

كما أن «أَنَّ» الشديدة مع اسمها وخبرها كالمصدر، وهو وجه المضارعة[1].

وقوله عزّوجلّ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾:

معناه بَلْ أَيَحْسدُونَ النَّاسَ. وهنا يعني به النبي ـ ﷺ ـ كانت اليهود قد حسدته على ما أتاه اللَّه من النبوَّة، وهم قد علموا أن النبَوَّةَ في آل إبراهيم عليه السلام، فقيل لهم: أتحسدون النبي ـ ﷺ ـ وقد كانت النبَوَّةُ في آله وهم آل إبراهيم (عليهما السلام)[2].

وقيل في التفسير إن اليهود قالت: إن النبي ـ ﷺ ـ شأْنه النساء، حسداً لما أُحِلَّ لَه مِنهُنَّ، فأعلم اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ أن آل إبراهيم قد أُوتوا مُلْكاً عظيماً، وَقَالَ بعضهم[3] [نالوا من] النساءِ أكثر مما نال محمد ـ ﷺ ـ كان لداود مائةُ مرأةٍ، وكان لسليمانَ ألفُ ما بين حُرَّةٍ ومملُوكَةٍ[4]. فما بالهم حسدوا النبي ـ ﷺ ـ.

وقوله: ﴿ فمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ به ﴾:

أي من آمن بالنبي ـ ﷺ ـ.

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾:

= ينصب في الأسماء، والأسماء تنصب بأن، فينصب المضارع بأن. لأن كلاً يؤول مع ما بعده بمصدر.

هذا رأيه وقد رده أبو علي الفارسي في كتاب الاغفال.

(١) ب فهذا وجه المضارعة.

(٢) ب فقط.

(٣) قال بعض المفسرين ان النساء كن عند بني إسرائيل أكثر مما كان عند محمد ﷺ منهن.

(٤) كذا في العهد القديم في سفر الملك.

وقيل منهم مَنْ آمن به أي بهذا الخبر عن سليمان وداود فيما أُعْطِيَا مِن النِّسَاء[١].

وقوله: ﴿وكفى بجهنم سعيراً﴾:

المعنى كفت جهنم شدةَ توقُّدٍ.

وقوله: ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً﴾:

أي نَشْويهم في نار. ويروى أن يهوديَّة أَهدت إلى النبي ﷺ شاة مَصْلِيَّة أي مشويَّةً.

وقوله: ﴿كلَّمَا نَضِجَتْ جلودهم بدَّلْنَاهم جُلُوداً غيْرَهَا﴾:

الأحسَنُ إظهار التاءَ ههنا مع الجيم. لئلا تكثر الجيمات، وإن شئت أَدغمت التاء في الجيم، لأَن الجيم من وسط اللسان والتاء من طرفه، والتاء حرف مهموس فأَدغمته في الجيم[٢].

فإن قال قائِلٌ بدَّل الجلد الذي عَصَى بالجلد الذي غير العاصي، فذلك غلط من القَول. لأن العاصي والآلم هو الإنسان لا الجلد. وجَائز أَنْ يكونَ بُدّلَ الجلْدُ النَّضِجُ. وأُعيد كَمَا كانَ جلدُه الأَول، كما تقول: قد صغت من خاتَمِي خاتَماً آخر فأَنت وإن غيرت الصوغ فالفضة أَصل وَاحِدٌ. وقد كان الجلدُ بلِيَ بَعدَ البَعْثِ، فإنشاؤه بعد النضج كإنشائه بعد البعث.

وقوله: ﴿لِيَذُوقوا العَذَابَ﴾:

أي لِيُبْلِغَ في أَلَمِهِمْ.

وقوله: ﴿إنَّ اللَّه كانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾:

---

(١) لا مساغ لهذا إذ لم يسبق ذكر نساء لهما.

(٢) الادغام غير جيد لان الحرفين متقاربان ومختلفان صفة، والادغام ينتج ثلاث جيمات متجاورة.

العزيز البالغ إرادَتَه، الذي لا يَغْلبُه شيءٌ، وهو مع ذلك حكيم فيما يدبر، لأَنّ الملْحدين رُبَّمَا سَأَلوا عن العذَابِ كيف وقع فأعلم اللّه عزّ وجلّ أن جميع مَا فعله بحكمةٍ.

وقوله :﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾:

المعنى تجري من تحتها مياه الأنهار، لأن الجاري على الحقيقة الماءَ.

وقوله : ﴿ونُدْخِلُهُم ظِلاًّ ظليلاً﴾ :

معنى ظليل يُظلّ من الريح والحرِّ، وليس كل ظل كذلك. أعلم الله ـعزّوجلّـ أن ظِلَّ أهل الجنّة ظليل لا حَرَّ مَعَه ولا بَرْدَ، وكذلك [قوله]: ﴿وظلٍّ مَمْدُودٍ﴾[١] لأن ليس كلُّ ظلٍّ مَمْدُوداً.

وقوله : ﴿ إن اللّه يَأْمرُكُمْ أَنْ تُؤَدّوا الأَمانَاتِ إلَى أَهْلِهَا﴾ :

هذا أَمرٌ عَامٌّ للنبي (ﷺ) وجميع أُمَّتِه.

ويروى في التفسير أن العباسَ عم النبي (ﷺ) سأل النبي (ﷺ) أن يجعلَ له السِّقَاية والسِّدَانَةَ وهي الحِجبة[٢]. وهو أن يجعل له مع السقاية فتح البيت وإغلاقَه، فنازعه شيبةُ بن عثمان فقال يا رسول اللّه ارددْ عليَّ ما أَخـذْتَ مِنِّي يعني مفتاح الكعبة، فرده (ﷺ) على شَيْبَة[٣].

وقوله : ﴿إن اللّه نِعَّما يَعظُكُمْ بِهِ﴾ :

(١) سورة الواقعة آية ٣٠.

(٢) خدمة البيت وحراسته ـ ويقال الحجابة.

(٣) كانت مفاتيح الكعبة مع عثمان بن طلحة، وقد أغلق بابها وقال: لو كنت أعلم أنه رسول اللّه لم أمنعه، فلوى على يده وأخذ المفتاح منه ـ ثم نزلت الآية فأمر رسول اللّه ﷺ علياً برد المفتاح إلى عثمان. وجعل السدانة والمفتاح في ذريته. أنظر ترجمة عثمان في الإصابة رقم ٥٤٤٠ ـ وتخريج أحاديث الكشاف لابن حجر أيضاً رقم ٣٦٩.

هـذه على أوجه ـ نِعِمَّـا ـ بكسر النـون والعين وإدغـام الميم في الميم، وإن شئت فتحت النون، وإن شئت أسكنت العين فقلت نَعْمًا، إلا أن الأحسنَ عندي الإدْغامُ مع كسرِ العَيْن فأما من قـرأ نِعْمَّ مَا بـإسكان العين والميم، فهـو شيءَ ينكره البَصْرِيُّون، ويزْعُمُون أن اجتماع السـاكنين أعني العين والميم غير جـائز، والـذي قالـوا بَيِّن، وذلك أنَّـه غير ممكن في اللفظ، إنمـا يحتـال فيـه بمشقة في اللفظ(١).

وقوله: ﴿وأُولي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾:

أي أطيعوا أُوْلي الأَمْر مِنكم، فـأمر اللَّه عـزّ وجلّ بـطاعته، فيمـا فرض، وطاعة رسوله وتصديقه فيما أدى عن اللَّه.

وأُولـو الأَمر منهم هم أَصحـابُ رسـول اللَّه (ﷺ) ومن اتبعهم من أهـل العلم، وقيل إنهم همُ الأُمراءُ، والأُمـراءُ إذا كانـوا أُولي علم ودينٍ آخذين بمـا يقوله أهل العلم، فطاعتهم فريضةٌ.

وجُمْلَة أُولي الأَمر من المسلمين من يقول بشأْنهم في أَمر دينهم وجميـع ما أدى إلى صلاح له.

ويقـال: أَديت الشيءَ تأْديـة، والأَداءُ اسم مَمْدود وأَدَوْتُ الـرَّجُل آدو لـه أَدْواً إذا خَتَلْته، قال الشاعر:

أَدَوْت لــه لأَخْــتِـلـه ... فهيهات الفتى حذرا(٢)

وأَدِيَ اللَّبنُ أَدِيًّا إذا حمض.

---

(١) راجع ما قيل مثل هذا في قوله تعالى: ﴿فتوبوا إلى بارئكم﴾ جـ ١ ص ١٣٥ وما بعدها.

(٢) اللسان. والتاج «أدو».

أدوت لـه: دبرت لـه مكيده ـ وحـذراً منصوب بفعـل مضمر أي لا يـزال حذراً، أو هـو حـال ـ ويروى لآخذه، والمعنى واحد. يقال ـ أدا ـ يأدو أدوا، وأنا آدو له.

وقوله: ﴿فإن تنازعتُم في شَيْءٍ فَرُدُّوه إلَى اللَّه والرَّسُول﴾:

معنى تنازعتم اختلفتم وتجادلتم وقال كل فريق: القولُ قولي.

واشتقاق المنازعة أن كل واحد منهما ينزع الحجة.

وفي هذه الآية أَمْرٌ مؤكد يدل على أن القصد للاختلاف كُفْرٌ، وأَنَّ الإيمان اتِّباعُ الإجماع والسُّنَّةِ، ولا يخلو قوله عزّ وجلّ:

﴿فَرُدُّوهُ إلى اللَّه والرَّسُول إنْ كُنتُم تُؤمنون باللَّه والْيوم الآخرِ﴾.

من أحد أمرين: إمَّا أنْ تَرُدُّوا ما اخْتَلَفْتُم فيه إلى كتاب اللَّه وسنة رسوله، أو تقولوا إن لم تعلموه: اللَّه ورسوله أعلم.

﴿ذلك خَيْرٌ وأَحْسَنُ تَأْويلا﴾:

أي إنَّ رَدَّكم ما اختلفتم فيه إلى ما أَتى من عند اللَّه وتركَكم التَّحارُب خيرٌ، وأَحْسَنُ تأْويلاً لَكُم، أي أَحسنُ عاقبةً لكم. وجائزٌ أن يكون أَحسن تأْويلاً أي أَحسن من تأَوُّلِكم أَنتُم. دون رَدِّكم إياه إلى الكتاب والسُّنَّةِ.

وتأْويلاً منصوبٌ على التمييز.

وقوله: ﴿أَلم تَرَ إِلَى الَّذين يَزْعُمُونَ أَنَّهم آمَنُوا بمَا أُنزلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾:

يُعْنى به المنافقون.

﴿أَنَّهم﴾ تنوب عن اسم الزَّعم وَخبره[1].

وقوله: ﴿يُريدون أن يَتَحاكَمُوا إلى الطَّاغوت﴾:

إلى الكاهن والشيطان.

---

(١) سدت مسد مفعولي «زعم» - أن واسمها وخبرها تسد مكان المفعولات. وسيأتي هذا عند الآية ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم﴾.

ويروى أَنَّ رَجُلا من المنافقين نازعه رجل من اليهود، فقال اليهودي بيني وبينك أبو القاسم[١] وقال المنافق بيني وبينك الكاهن، فلم يرض اليهودي بالكاهن وصار إلى النبي (ﷺ) فحكم لليهودي على المنافق فقال المنافق لا أرضى. بيني وبينك أبو بكر، فحكم أبو بكر أيضاً لليهودي، فلم يرض المنافق وقال بيني وبينك عمرُ فصارا إلى عمرَ فأخبره اليهودي بأن المنافق قد حَكَمَ عليه النبي (ﷺ) وأبو بكر فلم يرض بحكمهما. فقال عمر للمنافق: أكذاك؟ قال: نَعَمْ، فقال عمر: اصبروا فإن لي حاجةً **أدْخُلُ فأقْضِيهَا** وأخرج إليكما فدخل وأخذ سيفه وخرج إلى المنافق فضربه بالسيف حتى قتله، فجاءَ أهله فشكوا عُمَرَ إلي النبي (ﷺ) فسأله عن قِصَّتِه فقال عمر: إنه ردَّ حُكمَك يا رسولَ اللَّه، فقال رسول اللَّه: أنت الفارُوق..

وقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدونَ عَنْكَ صُدُوداً ﴾:

أي يَصدُّون عن حُكْمِكَ.

وقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمتْ أَيْدِيهِم﴾:

أي فكيف تكون حالُهم إذا قُتِلَ صَاحبُهم بما أظهر من الخيانة ورَدِّ حُكْمِ النبي (ﷺ).

وقوله: ﴿ ثُمَّ جَاؤُوكَ يَحْلِفُونَ باللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلا إِحْسَاناً وتَوْفيقاً ﴾:

أي ما أَرَدْنا بمُطَالَبَتِنَا بدمِ صاحِبِنَا إِلَّا إِحْسَاناً وطلباً لما يوافق الحقّ:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾:

اللَّه يعلم ما في قلوب أولئك وقلوب غيرهم، ألا أن الفائدة في ذكره

---

(١) يعني رسول اللَّه ﷺ.

ههنــا الــذين يعلم اللَّه مــا في قلوبهم أي أُولئـك الــذين قــد علم اللَّه أنهم منافقون. والفائدة لنا [هي]: إعلموا أُنهم منافقون.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فأَعْرِضْ عَنْهُم وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾:

أي أعلمهم أنَّهم إن ظهر منهم رَدٌّ لحِكُمكَ وكفـر، فالقتـل حقُّهم. يقال قَولٌ بليغٌ إذا كان يبلغ بعبَارةِ لسـانه كُنْـهَ مَا في قلبـه، ويقال أَحْمَقُ بَلْغٌ وبلْغٌ. وفيه قولان: انّه أَحمَقُ يبلغ حيث يريد(١)، ويكون «أَحمقُ بَلْغٌ وبلْغٌ» قـد بَلَغَ في الحماقة. والقولُ الأَول قول من يُوثَقُ بعِلْمه، والثاني وجه جَيِّدٌ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بـإِذْنِ اللَّهِ﴾.

[أي] أُذِنَ في ذلك(٢).

و «مِنْ» دخلت للتوكيد. المعنى وما أرسلنا رسولاً إلَّا ليطاع بإذن اللَّه.

وقوله :﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم جَاؤُوكَ فاسْتَغْفَروا اللَّهَ﴾:

«أنّ» في موضع رفع: المعنى لو وقع مجيئهم في وقت ظلمهم أنفسهم مع استغفارهم .﴿لَوَجَدُوا اللَّه تَوَّاباً رَحِيماً﴾.

وقوله : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ :

يُعنَى به المنافقون.

﴿حَتَّى يُحكِّمُوكَ فِيمَا شَجَر بَيْنَهُمْ﴾ :

أي فيما وقع من الاختلاف بينهم،﴿ثم لا يجدوا في أَنْفُسِهم حَـرَجاً ممـا قضيتَ﴾، أي لاَ تَضِيقُ صدورُهم من قضيتِكَ.

﴿ ويُسلِّمُوا تسليماً﴾:

---

(١) هذا هو الوجه الأول.

أي يصل إليه مع حمقه وبلاهته. و «يكون»: هو الوجه الثاني.

(٢) أعلمه اللَّه أنه مطاع.

أي يسلمون لما يأتي به من حُكْمِكَ[1]، لا يعارضونه بشيء، وتسليماً مصدر مؤكد، والمصادر المؤكدة بمنزلة ذكر الفعل ثانياً، كأنك إذا قلت سلمت تسليماً فقد قُلْت: سَلَّمْتُ سَلَّمْتُ. وحقُّ التَّوْكِيد أن يكون محقِّقاً لما تذكره في صَدْرِ كَلاَمِك، فإذا قُلْتَ ضَربتُ ضرباً، فكأنك قُلْتَ أَحْدَثْتُ ضَرْباً أُحَقُّه ولا أَشك فيه، وكذلك ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ أي يسلمون لحكمك تسليماً، لا يُدْخِلون على أنفسهم فيه شَكّاً.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلوا أَنْفُسَكُمْ أَو اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾:

«لو» يُمْنَعُ بها الشيءُ لامتناع غيره. تقول لَوْ جاءَني زيد لَجئْتُه، المعنى ان مجيئي امتنع لامتناع مَجِيءِ زَيْدٍ، فحقها أن يَلِهَا الأفعالُ. إلاَّ أَنَّ «أَنَّ» المشدّدةَ تقع بعدها، لأنّ - «أَنَّ» في اللغة تنوب عن الاسم والخبر، تقول ظننت أنك عالم.

[وهذا] كقولك ظننتك عالماً. والمعنى ظننت علمك. فالمعنى في «أَنَّ» بَعْدَ «لَوْ» أنها نابَتْ عن الفعل والاسم، كما نابت عن الاسم والخبر.

فالمعنى في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ كالمعنى في لو كتبنا عليهم. وجائز أن يكون مضمراً الفعلُ مع «أَنَّ» مع وقوع قابلها.

المعنى ولو وقع وكتبْنَا عليهم أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسكم أَو اخرُجُوا من دِيارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إلا قَليلُ مِنْهُمْ.

وإن شئت كسرتها لالتقاء الساكنين أعني. . «أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكم» وإن شئت قُلْتَ «أَنُ اقتلوا» فضممتها لانضمام التاء. .

(١) يذعنون له ولا يعارضون، ولا يكون في نفوسهم حرج منه.

وأبو عمرو بن العلاء يختار مع النونات خاصة الكَسْرَ ومَعَ سائِر ما في القرآن ـ إذا كان ما بعدها مضموماً ـ الضَّمَّ، إلاّ قوله:

﴿وَقَالَتِ اخْرُجِ عليهن﴾[1]، ﴿وَلَقَدِ اسْتُهزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾[2] ولست أعرف في هذين الحرفين خاصيةَ أبي[3] عمرو إياهُمَا بالكَسْرِ إلا أَنْ يكونَ رَوَى روايةً فاختار الكسرَ لهذه العِلةِ، أو يكون أرادَ أن الكسرَ جازَ أَيْضاً كما جاز الضمُّ ـ وهذا أَجْوَدُ التأويلين.

وللكسر والضم في هَذِهِ الحروف وجهان جيِّدانِ قد قَرأَتِ القرّاءُ بهما[4].

فأما رفع إلا قَليلٌ مِنْهم. فعلى البدل من الواو. المعنى ما فعله إلا قليل منهم. والنصب جائز في غير القرآن، على معنى ما فعلوه أَسْتَثْنِي قَلِيلاً مِنْهُمْ، وعلى ما فسّرنَا في نصب الاستثناء، فإن كان في النفْيِ نوعانِ مختلِفَان فالاختيارُ النصبُ، والبدَلُ جائز، تقولُ مَا بِالدّارِ أَحَدٌ إلا حِمَاراً قال النابغة الذبياني:

وقفت فيها أُصَيْلالاً أُسَائِلها ... عَيَّتْ جواباً ومَا بالربع من أَحَدِ
إلَّا الأوَارِيَّ لأْياً ما أُبَيِّنُها ... والنُّؤيُ كالحوضِ بالمظْلومةِ الجَلَدِ[5]

---

(١) سورة يوسف ٣١. (٢) سورة الأنعام ١٠.

(٣) خلاصته أن مذهب أبي عمرو في التقاء ساكنين من هذا النوع أن يضم الحرف الأول مراعاة لحركة الضم التي كانت لهمزة الوصل، فهو يقول مثلاً: قد اقتتل في هذا المكان، هل احتضر الرجل قلُ انظروا، لكن إذا كان الحرف الأول نوناً آثر أن تكسر، فهو يقول فمن اضطر في مخمصة، وأن احكم بينهم وقد روي عنه كسر التاء في ﴿وقالت اخرج عليهن﴾، والدال في: ولقد استهزىء. ولا يعرف الزجاج سبباً لإيثارهما بالكسر. وفي ب: لإيثارهما بالكسر (خاصة).

(٤) أما الكسر فهو لالتقاء الساكنين، والضم لنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها.

(٥) في قصيدته: يا دارمية بالعلياء فالسند. وتقدم البيت الثاني ص ١٣٥ ج ١. وأصيلالاً تصغير =

فقال ما بالرَّبـع مِنْ أَحدٍ، أَي مـا بالـرَّبعِ أَحَـدٌ إِلَّا أَوَارِيَّ، لأَن الأَواريّ ليست من الناس.

وقـد يجوز الـرفع على البـدل، وإِن كان ليس من جنس الأَول كمـا قال الشاعر:

وبــلدٌ لــيس بــه أنيسُ(١) إِلّا الـيـعـافـيرُ وَإِلا الـعِـيسُ

فجعل اليعافير والعيسَ بدلا من الأَنيس.

وجائز أَن يكون أَنيس ذلك البلد اليعافير والعيس(٢).

وقوله: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾.

يعنى النبيين، لأَنه قال:

﴿وَمَنْ يُطعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِك﴾أَي المطيعون.

﴿مَع الّذِينَ أَنْعَمَ اللَّه عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّـدِّيقِينَ والشهداءِ وَالصَّـالِحينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفيقاً﴾.

أَي الأَنبياءَ ومن مَعَهُمْ [حسنوا] رفيقاً.

و«رفيقاً» منصوب على التمييـز، ينوب عن رفقـاء، وقال بعضهم لا ينـوبُ الواحدُ عن الجماعة إلا أَن يكُـون من أَسماء الفـاعلين. فلو كان «حسُنَ القـومُ رجُلًا» لم يجز عنده. ولا فرق بين رفيق ورَجُل في هذا المعنى لأَن الواحد في

= أصيل - في لغة. وانظر شرح العشر للزوزني ١١١.

(١) لجران العود - الديوان ٥٢، والقرطبي ٥ - ٣١٢، والخزانـة - ٢ - ٢٩ والعيني ١ - ٣٢ واليعافيـر جمع يعفور، دابة ذات لون رمادي تشبه الفـأرة الصغيرة. والعيس البيض من الـظباء أو الإبـل - يريد أن البلدة قد هجرت وصارت هذه الحيوانات تمرح بها. وجران هو عامر بن الحـرث - وأكثر الرواية وبلدة ليس بها أنيس، الشاهد رفع المستثنى مع أن الاستثناء منقطع.

(٢) أي هو إذن استثناء متصل فلا شذوذ فيه.

التمييز ينوب عن الجماعة، وكذلك في المواضع التي لا تكـون إلا جماعـةً[1] نحو قولـك هُوَ أحسن فتى وأجْمله، المعنى هـو أحسن الفتيان وأجملهم، وإذا كان الموضع الذي لا يُلْبِسُ ذِكْرُ الواحـد [فيه] فهـو يُنْبئُ عـن الجماعـة كقول الشاعر:[2]

بها جيف الحسرى فأما عظامها فبيض، وأمـا جلدهـا فصليبُ

وقال الآخر:

فـي حَلْقِـكم عَـظـمٌ وقـد شَـجينَـا[3]

يريد في حلوقكم عِظَامٌ، ولو قلت حسُنَ القـوم مجاهـداً في سبيل اللَّه، وحسن القوم رجلاً كان واحداً[4].

وقوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً﴾.

معناه وكفى اللَّه عليماً، والباء مؤكدة. المعنى اكتفوا باللَّه عليماً.

وقوله: ﴿يَاأَيُّها الَّذينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾.

أمر اللَّه أنْ لا يُلْقِيَ المؤمنون بأيديهم إلى التهلكـة وأن يحذروا عـدوَّهم وأن يجـاهـدوا في اللَّه حق الجهـاد، ليبلو اللَّه الأخيـارَ وضمِنَ لهم مـع ذلـك النَّصْرَ، لأنه لو تولى [اللَّه تعـالى] قتل أعدائه بغير سبب للآدميين[5] لم يكـونوا مُثَابينَ، ولكنه أمر أن يُؤْخَذَ الحذَرُ.

وقال: ﴿فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفُرُوا جَمِيعاً﴾:

---

(١) أي نكرات عامة يفهم منها معنى الجمع.

(٢) تقدم في الجزء الأول ص ٨٣.

(٣) تقدم أيضاً ص ٨٣ جـ ١.

(٤) أي لا فرق بين ما هو اسم فاعل أو غيره.

(٥) من غير عمل منهم.

والثُّباتُ الجماعات المتفرقة، واحدها ثُبَة، قال زهير ابن أَبي سلمى:[١]

وقــد أَغْـدُو على ثُبَـةٍ كـرامٍ ... نَشَـاوَى واجـدين لمـا نشـاءُ

قـال سيبويـه ثُبة تجمـعُ ثُبُون وثُبين، في الـرفـع والنصب والجـر وإنمـا جُمِعتْ بالواو والنـون ـ وكذلـك عِزَة وعِضَـة ـ كقولـه عزّ وجـلّ ﴿الذين جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ﴾[٢]ـ لأَنَّ الواو والنون جُعَلتَا عوضاً من حذف آخر الكلمة، وَثُبة التي هي الجمـاعة محـذُوفُ آخرهـا؛ تُصَغَّرُ ثُبيَّـة، وَثُبة الحـوض وسطُه حيث يثوب الماءُ إليه تُصَغَّر ثُوَيْبَةَ، لأَن هذا محذوفـة منه عين الفِعْـل، وإنما اشتقت ثبـة الجماعـة من ثَبَّيْتُ عَلى الرَّجُـلِ إذا أَثْنَيت عليه في حيـاته، وتـأْويله أنـك جمعت ذكر محاسنه، فأَمـا الثُّبَةُ الجمـاعة من فـرقة. فتـأْويله انفروا جَمـاعات مُتَفَرِّقةٍ أَو انفروا بعضكم إلى بَعْض.

وقال: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾.

أَي ممن أَظهـر الإِيمان لمن يبـطئُ عن القتال، يقـال قد أَبـطأَ الـرجـل وبَطُوءَ بمعنى، أَبطأَ تأَخر، ومعنى بطوءَ ثقل، إبطاءً، وبُطْئاً.

والـلام الأَولى التي في «لَمَنْ» لام إن[٣]، والـلام التي في ليَبـطئَن لام القَسِمُ، ومَنْ موصولـة بالجـالب للقَسِمَ، كأَن هـذا لو كـان كلامـاً لقلْتَ إن[٤] منكم لَمَن أَحْلِف واللَّه لِيُبطِّئن، والنحويون يجمعون على أَنّ مَنْ ومَا والذي لا

---

(١) الديوان ٧٢ ـ من قصيدته: عفا من آل فاطمة الجواء.
وثبـة جماعـة، ونشاوى جمـع نشوان، أي طـرب أو سكران من خمـر أو غيره، وواجـدين لما نشاء ـ أي ميسورين لديهم ما يريدون من الشراب وغيره. ـ وسيبويه يجعل جمعها ملحقاً بجمع المذكر السـالم، كسنة وعزة.

(٢) سورة الحجر آية ـ ٩١.

(٣) لام التوكيد التي تأتي في خبر إن.

(٤) ط أني.

يُوصَلْنَ بالأمر والنهي إلا بما يُضْمَر معها من ذكـر الخبر[١]، وأن لام القسم إذا جاءَت مع هذه الحروف فلفظ القَسمِ وما أَشْبَه لَفْظَهُ مضمر معها.

وقوله: ﴿فَإِنْ أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ، قال﴾ هذا المُبطِّئُ:

﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً﴾.

أي لم أُشْركهُمْ في مُصِيبَتهم.

﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ﴾ أي ظفِرتم وغَنِمْتُمُ.

﴿لَيَقُولَن ـ كأَنْ لَمْ يكُنْ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُ مودةٌ ـ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ﴾.

﴿وَكأَنْ لَم تَكُنْ بيْنَكُم وبينهم مَوَدةٌ﴾: جائز أن يكون وقع ههنـا معترضـاً: المعنى: ولئن أصابكم فضل من اللَّه ليقُولَنَّ.

﴿يَالَيْتَنِي كنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عظِيماً﴾ وَيكُونُ:

«وإنْ أَصَـابتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَـالَ قَـدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهيـداً» «كـأَن لم تكن بينكم وبينهم مَوَدَّةٌ».

ومعنى المودّة ههنا، أي كأنه لم يُعاقِدْكُمْ على الأيمان أي كأنه لم يُظهر لكم المَودَّةَ، وجائز أن يكون ـ واللَّه أعلم ـ ليقُولَنَّ يا ليتني كنت معهم كـأَنْ لم تكن بينكم وبينه مَودَّةُ، أي كأنه لم يعاقدكم على أنْ يجاهِدَ معكم. فـلا يكون في العربيّةِ فيه عيْبٌ ولا ينقص معنًى. . واللَّه أعلم.

﴿فَـأَفُـوزَ فَـوْزاً عَـظِيمـاً﴾.

فأفوز منصوبٌ على جواب التمنّي بالفاء.

وقـولـه: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبيلِ اللَّهِ﴾.

---

(١) صلة الموصول لا تكون طلباً ـ فإذا وقعت كذلك قدرت لها جملة خبريـة ـ كما قـدر هنا الفعـل «أحلف». وكذلك صلة الوصول.

أي إنْ كانَتْ بينكم وبينه عقدة أَمَان فليقاتل في سبيل اللَّه معكم.

﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الحيَاةَ الدُّنْيَا بالآخِرَةِ﴾.

أي يبيعون، يقال شريت بمعنى بعتُ، وشَرَيت بمعنى اشتَريْتُ قال يزيد ابن مُفَرِغ[1].

وشَــرِيْـتُ بُــرداً لـيـتـنـي | من بَعْـد بُـردٍ كنتُ هـامَـهْ

بُرْدٌ غلامه، وشريته بعتُه.

وقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبيلِ اللَّهِ﴾.

«ما» منفصلة. المعنى أي شيءَ لكم تَارِكِينَ القتالَ. و﴿لاَ تُقَاتِلُونَ﴾ في موضع نَصْبٍ على الحال كقوله - عزّ وجلّ - ﴿فما لهم عن التَّذكِرةِ مُعْرِضينَ﴾[2].

﴿والمستضعَفِين﴾: في موضع جَرٍ.

المعنى وما لكم لا تُقَاتِلون في سبيل اللَّه وسبيل المستضعفين.

﴿مِن الرجالِ والنساءِ والوِلْدانِ الذِينَ يَقُولُونَ رَبنا أَخرِجْنا مِن هَذِهِ القَريةِ الظالِمِ أَهْلها﴾.

يعني بالقرية مكة، أي ما لكم لاَ تسعون في خلاص هؤلاءِ.

وقوله: ﴿واجعل لنا مِن لَدنكَ وَلِياً واجعل لنا مِن لَدُنكَ نَصِيراً﴾.

أي تَولَّنا بنصرك وخَلِّصْنا من أَهْلِ مكة الظالمِ أَهلُهَا. [فهو] نعت للقرية، ووحَّدَ الظالم لأَنه صفة تقع موقع الفِعل تقول مررت بالقرية الصالح أَهلُهَا كقولك التي صَلَحَ أَهْلُهَا.

---

(١) تقدم شرح هذا ص ٢٧٨ ج١.

(٢) سورة المدثر ٤٩.

قال أبو العباس محمد بن يزيد: ﴿والمستضعفين﴾ في موضع جر: مِن وَجْهَين: المعنى ما لكم لا تقاتلون في سبيل اللّه وفي المستضعفين، قال: وجائز أن يكون عطفاً على اسم اللّه، أي في سبيل اللّه وسبيل المستضعفين[١]، قال: وأختار أن يكون على «وفي المستضعفين» لاختلاف السبيلين، لأن معنى سبيل المستضعفين كأنه خلاصُ المستضعفين، وقول أكثر النحويين كما اخْتار أبو العباس محمد بن يزيد. والوجه الثاني عِندي أشبه بالمعنى، لأن سبيل المستضعفين هي سبيل اللّه.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿والَّذِين كفروا يقاتِلون فِي سبيلِ الطَّاغُوتِ﴾.

الطاغُوتُ في قول النحويين أجمعين يذكَّر ويؤنَّثُ. وفي القرآن دليل على تذكيره وتأنيثه، فأما تذكيره فقوله: ﴿يُرِيدُونَ أن يتحاكموا إلى الطاغوتِ وقد أُمِروا أن يكفروا به﴾[٢]، وأما تأنيثه فقوله ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿والَّذِينَ اجتَنَبوا الطاغوت أن يَعبُدوهَا﴾[٣]. قال أبو عبيدة: الطاغوت ههنا في معنى جماعة، كما قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿حُرِمَتْ عَليكُمْ المَيْتَةُ والدَّمُ وَلَحمُ الخِنزير﴾[٤] معناه لحم الخنازير كلها.

والطاغوت الشيطان، وكل معبود من دون اللّهِ فهو طاغوت. والدليل على أن الطاغوت الشيطان قوله: ﴿ويُرِيدُ الشيطان أن يُضِلَّهم ضَلاَلاً بعِيداً﴾.

وقوله: ﴿أَلم تر إِلَى الَّذِينَ قِيل لَهُم كُفُّوا أَيْدِيكُمْ وأَقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾.

قيل كان المسلمون قبل أن يؤمروا بالقتال قالوا للنبي ـ ﷺ ـ: لو أذِنت

---

(١) المعنى واحد على كلا التقديرين.

(٢) سورة النساء ـ ٦٠.

(٣) سورة الزمر. ١٧.

(٤) سورة المائدة ـ ٣.

لنا أن نعمَلَ مَعَاوِلَ نقاتل بها المشركين، فأُمروا بالكف وأداءَ ما افْتُرِضَ عليهم غيرَ القتال، فلما كُتبَ عليهم القتالُ خشي فريق منهم ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا القِتَالَ لَوْلاَ أَخَّرتنا إِلَى أَجل قَرِيبٍ﴾.

المعنى هَلَّا أَخَّرْتَنَا.

فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن متاع الدنيا قليل وأن الآخرة لِأَهْلِ التُّقَى، وأعلمهم أن آجالهم تخطئُهم ولو تحصنوا بأمنع الحصون فقال:

﴿أينما تكونوا يدرِكْكُم المَوْتُ وَلَو كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ لأن مُفَعَّلة، ومُفعَّل للتكثير، يقال: شاد الرجل بناءَهُ يشيده شَيداً إذا رَفَعه وإذا طَلاه بالشِّيدِ، وهو ما يطلى به البناءُ من الكِلس والجصِّ وغيرهِ، ويقال أيضاً قد أَشَادَ الرجل بِنَاءَهُ. فأما في الذِكْرِ فأشدت بذكْر فُلانٍ لا غير إذا رَفَعْتَ من ذِكرِه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ تُصِبْهم حَسَنة يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّه، وإِن تُصِبْهُمْ سيئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾.

قيل كانت اليهود ـ لُعِنَتْ ـ تَشَاءَمَتْ برسول اللَّه ﷺ عند دخوله المدينة فقالت: منذ دخل المدينة نَقَصَتْ ثمارُنا وغلت أسعارنَا، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن الخصْبَ والجَدْبَ من عِندِ اللَّهِ.

وقوله: ﴿مَا أَصَابَكَ مِن حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيئَةٍ﴾.

هذا خطاب للنبي ﷺ يرادُ به الخلق، ومخاطبة النبي ﷺ قد تكون للنَّاس جميعاً لأنه عليه السلام لِسانهم، والدليل على ذلك قوله: ﴿يا أيها النَّبيّ إذا طَلَّقتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقوهن لِعدَّتِهِنَّ﴾(١).

فنادى النبي ﷺ وحده وصار الخطابُ شامِلاً له ولسائر أُمَّتِه، فمعنى ما

---

(١) سورة الطلاق ـ ١.

أصابك من حسنة فمن اللَّه، أي ما أصبتم من غنيمة أو أتاكم من خِصْبٍ فمن تفضلِ اللَّه، وما أَصَابَكَ من سَيئَةٍ أي من جَدْبٍ أو غَلَبَةٍ في حرب فمِنْ نَفْسِك، أي أَصَابَكم ذلك بما كَسَبتُمْ كما قال اللَّه جلّ وعزّ ﴿وما أصابكم من مُصيبةٍ فبما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوعَنْ كَثِيرٍ﴾[1].

ومعنى ﴿وأَرْسَلنَاكَ للنَّاسِ رَسُولاً﴾.

معنى الرسول ههنا مؤكدٌ لقوله: ﴿وأَرْسَلنَاكَ﴾ لأن ﴿وأَرْسَلنَاكَ للناس﴾ تدل على أنه رَسُولٌ.

﴿وَكَفَى بـاللَّه شَهِيداً﴾.

أي اللَّه قد شهد أَنَّه صَادِقٌ، وأَنَّه رسوله، و «شهيداً» منصوب على التمييز، لأَنَكَ إذا قلت كفى اللَّه ولم تبين في أي شيء الكفاية كنت مُبْهِماً.

والفاءَ دخلت في قوله جلّ وعزّ: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ لأن الكلام في تقدير الجزاءَ، وهو بمنزلة قولك: إنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ فمن اللَّه[2].

وقوله: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّه﴾.

أي من قبل ما أتى به الرسول فإنَّما قبلَ ما أمر اللَّه به.

وقوله: ﴿وَمَنْ تَوَلَّى فما أَرْسَلنَاكَ عَلَيْهِم حَفِيظاً﴾.

تأْويله ـ واللَّه أَعلم ـ أنك لا تعلم غيبهم إنما لك ما ظهر منهم، والدليل على ذلك ما يتلوه وهو قوله:

﴿ويَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾.

---

(١) سورة الشورى ٣٠.

(٢) الاسم الموصول يشبه الشرط في عمومه واستقباله فتدخل الفاء في خبره. ويجوز أن تكون «ما» ههنا شرطية.

قال النحويون [تقديره] أَمْرنا طاعةٌ. وقال بعضهم مِنَّا طاعةٌ.

والمعنى واحد، إلا أن إضمار أمرنا أجمع في القصة وأحسَنُ.

وقوله: ﴿فإذا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾:

يقال لكل أمر قد قُضِيَ بِلَيْلٍ قد بُيِّتَ. قال الشاعر:(١)

أتــوني فلم أدْرِ مَـا بَيَّتُـوا وَكَـانُـوا أتـوني لأَمْـرٍ نُكْـر

أي فلست حفيظاً عليهم تعلم ما يغيب عنك من شأْنِهم، وهـذا ونظائـره في كتـاب اللَّه من أبين آيات النبي ﷺ، لأنهم مـا كانـوا يُخْفونَ عنـه أَمْـراً إلا أظهره اللَّه عليه.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَاللهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾.

فيه وجهان، يجوز أن يكون - واللَّه أعلم - ينزله إليك في كتابه، وجائز أن يكون يكتب ما يُبَيِّتون يحفظه(٢) عليهم ليُجَازوا به.

وقوله: ﴿فأَعْرِضْ عَنْهُم وَتَوَكَّل عَلَى اللَّهِ﴾.

أي لَا تُسمِّ هؤُلاءِ بأعيَانِهم لمـا أحب اللَّه من ستر أمـر المنافقين إلى أن يستقيم أَمْرُ الإسلام. فأما قوله: ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ منْهُمْ﴾ فذكَّر ولم يقل بيتت، فلأن(٣)

---

(١) هو عبيدة بن همام - له ترجمة في الأغاني ١١ - ٥٨ - في خبر الجحاف ونسبه وبعد البيت:

لأنـكـح أيـمـهـم مـنـذراً وهـل ينكـح العبـد حـراً لـحـر

وينسب البيتان للأسود بن يعفر - انظر اللسان (نكـر)، ومجاز أبي عبيـدة ١ - ١٣٣ - والكامـل ٣٥/٢، ١٠٦ والمعنى أنهم أتوه وقد دبروا شراً لا علم له به، وهذا الشر أن يـزوج منذراً هـذه الفتاة وهو غير كفء لها.

(٢) تكتبه الحفظة حتى يحاسبوا عليه يوم القيامة.

(٣) في الأصل لأن - بدون فاء - وهو خطأ.

كل تأنيث غير حقيقي فتعبيره بلفظ التذكير جائز، تقول: قالت طائفة من أهل الكتاب، وقال طائفة من المسلمين لأن طائفة وفريقاً في معنى واحد، فكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فمن جَاءَهُ موعظةٌ مِنْ رَبِّه﴾[1]، وقوله: ﴿يا أيُّها النَّاسُ قد جَاءَتْكُمْ مَوعِظَة مِنْ رَبْكُم﴾[2]، يعني الوعظ إذا قلت فمن جاءه موعظة. وقرأ القرَّاءُ بيَّتْ طَّائفةٌ على إسكان التاءِ وإدْغامها في الطاء، وروي عن الكسائي أن ذلك إذا كان في فعل فهو قبيح، ولا فرق في الإدغام ههنا فِي فعلٍ كان أو في اسم لو قلت بَيَّتُ طائفةٌ وهذا بَيْتُ طائفة ـ وأنت تريد بيتُّ طائفةٌ كان واحداً، وإنما جاز الإدغام لأن التاءَ والطَّاءَ مِن مَخْرجٍ واحدٍ.

وقوله: ﴿أفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيه اخْتِلَافاً كثيراً﴾.

يُعْنَى بـه المنافقـون، أي لو كـان ما يخبِـرونَ به ممـا بيَّتُوا، ومـا يُسِرُّونَ ويُوحَى إلى النبي ﷺ. . لولا أنه من عند اللَّه لما كان الإخبار به غير مختلف، لأن الغيب لا يعلمه إلا اللَّه[3]. وهذا من آيات النبي ﷺ البيِّنَةِ.

ومعنى تدَبَرتُ الشيءَ، نظرتُ في عَاقبته، وقولهم في الخبر: لا تَـدَابَرُوا، أي لا تكونوا أعـداءَ، أي لا يُوَلِّي بعضُكم دُبُـرهَ، يقال قـد دَبَر القـومُ يَدْبُـرون دبَـاراً إذَا هَلكُوا، وأدْبَـرُوا إذا وَلَّى أمرُهـم، وإنمـا تأويله أنـه تقضَّى أمرهم إلى آخره فلم يبق منهم باقية، والدَّبْرُ النَّحلُ سُمِّيَ دَبْراً لأنه يُعْقِبُ[4] مـا ينتفع بـه، والدِّبرُ المال الكثير سمِّيَ دِبْرا لكثرته، ولأنـه يبقى للأعْقابِ والأدْبارِ،

---

(١) البقرة ـ ٢٧٥.

(٢) يونس ـ ٥٧.

(٣) يريد أن ما أخبرهم به النبي ﷺ من شؤونهم التي يسرون ويعلنـون إنما هـو وحي من اللَّه تعالى بدليل أنه لا اختلاف فيه.

(٤) يترك ويبقى.

وقوله: ﴿وإذا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمنِ أو الخَوْفِ أَذَاعوا بِهِ﴾.

أي أظهروه ونادَوْا به في الناس، قال الشاعر:[1]

أَذاع بـه في النـاس حتى كـأنـه بـعَلْيـاءَ نـارٌ أُوقِـدَتْ بثُقُـوبِ

وكـان إذا علم النبي ﷺ أنه ظـاهر على قـوم أمن مِنهم، أَوْ أُعْلَمَ تجمع قوم يخاف من جمع مِثلِهم، أَذاع المنافقون ذلك ليحذَر مَنْ يحذر من الكفار، وليقوَى قلب من ينبغي أن يَقْوَى قلبه لما أذاعوا وكان ضَعَفَةُ المُسْلِمين يُشِيعُونَ ذلكَ مَعَهُمْ مِنْ غير علم بالضرَرِ في ذلك، فقال عزّ وجلّ ولو ردوا ذلك إلى أن يأخذوه من قِبَلِ الرسـول ومن قبل أُولي الأَمْـرِ منهم، أي من قِبَلِ ذوي العلم والرأي منهم.

وقوله: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَستنبِطونَه مِنهُم﴾.

أي لعلمـه هؤلاءِ الذين أَذاعـوا به من ضَعَفِـة المسلمين من[2] النبي ﷺ وذوي العلم، وكانوا يعلمون مع ذلك هَلْ ينبغي أن يُذَاع أو لا يُذَاعَ.

ومعنى «يستنبطونه» في اللغـة يستخرجـونـه، وأَصْله من النبط وهـو المـاءَ الـذي يُخرج من البئر في أول ما يحفـر، يقال من ذلـك: قـد أَنبط فـلان في غضـراءَ[3]، أي استنبط المـاءَ من طينٍ حُـرٍّ[4]. والنبط إِنَّمـا سُمـوا نبـطاً لاستنباطهم ما يخرج من الأرضين.

وقوله: ﴿وَلَوْلا فَضلُ اللَّهِ عَليكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَليلاً﴾.

---

(١) أبـو الأسود الـدؤلي، الخزانـة ١ ـ ١٥٣، العيني ٢ ـ ٥٣٦، الطبـري ٥ ـ ١١٤ أي أعلن هذا الأمر وشهره حتى صار كالنار التي توقد بمكان مرتفع يراها كل مار.

(٢) حصلوا على العلم به منهم.

(٣) الغضراء الأرض الطيبة الخضراء.

(٤) طين نقي جيد المعادن.

قال بعضهم: لولا ما أنزله اللَّه عليكم من القرآن، وبيَّنَ لكم من الآيات على لسان نبيه لاتَّبعْتُم الشيطانَ إلَّا قليلاً، أي كان أولكم بجوار الكفر[١]، وهذا ليس قولُ أحد من أهل اللغة، قال أهل اللغة كلُّهم: المعنى: ﴿لَوْلا فضل اللَّه عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إلَّا قليلًا﴾ إنما هو استثناءَ من قوله ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ إلَّا قليلاً، وقال النحويون: المعنى أذاعوا به إلا قليلاً، وقالوا أن يكون الاستثناءَ من أذاعوا به إلا قليلاً أجود[٢]، لأن مَا عُلِمَ بالاستنباط فليس[٣] الأكثر يعرفه، إنما يستنبط القليل، لأن الفضائل والاستنباط، والاستخراج في القليل من الناس. وهذا في هذا الموضع غلط من النحويين، لأن هذا الاستنباط ليس بشيء يستخرج بنظر وتفكُّر، إنما هو استنباط خبر، فالأكثر يعرف الخبر، إذا خُبِرَ به، وإنما القليل المبالِغُ في البلادة لا يَعْلَمُ ما يُخْبرُ بِه، والقول الأول مع هذين القولين جائزة كلها[٤]. واللَّه أعلم.

لأن القرآن قبل أن ينزل والنبي قبل أن يبعث قد كان في الناس القليلُ ممن لم يشاهد القرآن ولا النبيّ ﷺ مؤمناً. وقد يجوز أن يقول القائل إنَّ من كان قبل هذا مؤمناً فبفضل اللَّه وبرحمته آمَنَ، فالفضل والرحمة لا يخلو منهما من نال ثواب اللَّه جلّ وعزّ إلا أن المقصود به في هذا الموضع النبيُّ ﷺ والقرآن.

وقوله جلّ وعزّ ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لا تُكلَّفُ إلَّا نَفْسَكَ﴾.

هذه الفاءَ جواب قوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أو

---

(١) لانحرف بكم الشيطان انحرافاً يكاد يكون كاملاً، أو لانحرف بكم جميعاً إلا قليلاً منكم.

(٢) تفسير لنوع اتباعهم الشيطان ـ فعلى الأول سببه اتباع من لا قدرة له على الاستنباط، وفي الثاني سببه الإذاعة بهذا الأمر. وكونه استثناء من ﴿الذين يستنبطونه﴾ أو أذاعوا به بعيد.

(٣) الفاء واقعة في خبر الاسم الموصول كما سبق كثيراً.

(٤) أي هذه الأقوال الثلاثة جائزة.

يَغْلبْ فَسَوفَ نُؤْتيه أَجراً عظيماً﴾، ﴿فقَاتِلْ فِي سبِيل الله﴾[١].

ويجوز أن يكون متصلاً بقوله: ﴿وما لكم لا تقاتلون في سَبِيل اللَّهِ﴾أي أيُّ شيءٍ لكم في ترك القتال ﴿فقاتل في سبيل الله﴾. فأمره اللَّه بالقتال ولو أنه قاتل وحده، لأنه قد ضمن له النصر.

ويروى عن أبي بكر رحمه اللَّه أنه قال في الردَّةِ، لو خالفتني يميني جاهدتها بشمالي.

وقوله: ﴿عَسَى اللَّهُ أن يَكُفَ بأس الَّذِينَ كَفرُوا، واللَّهُ أَشَدُ بَأْساً وأَشَدُ تَنْكيلاً﴾.

البأس الشدة في كل شيءٍ.

وقوله: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا، وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَة يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾.

الكفل في اللغة النصيب، أُخِذَ من قولهم أَكفَلْتَ البعيرَ إذا أَدَرْتَ على سِنَامه أو على موضع من ظهره كساءً، وركبت عليه وإنما قيل له كفْل، واكْتُفِلَ البَعِيرُ؛ لأنه لم يُسْتَعْمَلْ الظَّهْرَ كله، إنما اسْتُعْمِل نَصيب من الظهر، ولم يستعمل كله.

وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً﴾.

قال بعضهم: المقيت القدير، وقال بعضهم: المقيت الحفيظ، وهو عندي ـ واللَّه أعلم ـ بالحفيظ أشبه، لأنه من القُوتِ مشْتَقٌّ، يقال: قُتَّ الرَّجلَ أَقُوتُهُ قوتاً إذا حفظتُ عليه نفسه بما يقوته. والقوتُ اسم ذلك الشيء الذي يحفظ نفسه، ولا فضل فيه على قدرة الحِفْظ، فمعنى المقيت ـ واللَّه أعلم ـ الحفيظ الذي يعطي الشيءَ قدر الحاجة من الحفظ قال الشاعر:[٢]

(١) جواب الشرط مذكور في «فسوق» والفاء في «فقاتِلْ» تفريعية، إذا كان الأمر كذلك فقاتل.

(٢) هو السموأل بن عادياء صاحب الحصن، له قصص تروى في الوفاء، وقد جاء البيت مرتين في

. أَلِـيَ الـفـضْـلُ أَمْ عَـلَى إذا حُوسِبتُ إني عَلى الحِسَابِ مُقِيتُ

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾.

قال النحويون: «أحسن» ههنا صفة لا تنصرف لأنـه على وزن أَفْعَل وهـو صفة.

والمعنى فحيـوا بتحيـة أحسن منهـا، وقيـل في التفسيـر: التحيـة ههنـا السـلام، وهي تفعله ـ من حيَّيْتُ، ومعنى حيّـوا بـأَحْسَن منهـا: إذا قيـل لكم «السلام عليكم» فقولوا: «وعليكم السلام ورحمة الله»، فالتحيـة التي هي أحسن منهـا، [هي] «وعليكم السلام ورحمـة اللّه وبركاته»، ويقـال لكل شيء منتهىً، ومنتهى السَّلام [كلمة] وبركاته.

ويروى أَنَّ دَاخِلاً دخـل إلى النبي ﷺ فقال: السـلام عليكم ورحمة اللَّه وبـركاتـه، فقال النبي ﷺ وعليـك، ودخـل آخـر فقـال: السـلام عليكم فقـال النبي ﷺ وعليكم السلام ورحمة اللَّه، ودخل رجل آخر فقال: السـلام عليكم ورحمة اللَّه، فقال النبي ﷺ وعليكم السلام ورحمة اللَّه وبركاتـه فقام الـداخل الأول فقـال: يا رسـول اللَّه سلمت فلم تَـزِدْ على «وعليـك» وقـام هـذا فقـال السلام عليكم فزدته، وقام هذا فقال: السلام عليكم ورحمة اللَّه فزدته، فقـال النبي ﷺ: إنك لم تترك من السلام شيئاً، فرددت عليك، وهذان تركا منه شيئاً فزدتهما.

وهذا دليل أَنّ أخر ما في السُّنة من السّلام [كلمة] وبركاته.

القـرطبي، واحـدة في حـ ٥ ـ ٢٩٦، ومـع بيت آخـر قبله في ١ ـ ١٢٩، والعيني ٤ ـ ٣٣٢ واللسان (قوت) ومجاز أبي عبيدة في الآية نفسها، والبيت السابق هو:

لـيـت شـعـري وأشـعـرن إذا مـا قـربـوهـا مـطويـة ودعـيـت

أي إذا قربوا لي صحيفة أعمالي هل أثاب أم أعاقب، اني في هذا الوقت مدرك كل ما فعلت. ويروى البيت برواية أخرى.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً﴾.

أي يعطي كلَّ شيءٍ من العلم والحفظ والجزاءَ مقدار ما يحسبه، أي يكفيه، تقول حسبك بهذا أي اكتف بهذا، وقوله تعالى: ﴿عَطاءً حِساباً﴾(١) أي كافياً، وإنما سُمِّيَ الحساب في المعاملات حساباً لأنه يعلم ما فيه كفاية ليس فيها زيادة على المقدار ولا نقصان.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ﴾.

هذه لام القسم كقولك: واللّه ليجمعنكم، ومعنى القيامة في اللغة - والله أعلم - على ضربين، جائز أن تكون سميت القيامة لأن الناس يقومون من قبورهم، قال اللّه جلّ وعزّ: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الأجْدَاثِ كأَنَّهُم جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾(٢)، وجائز أن تكون سُمّيتْ القيامةَ لأن الناس يقومون للحساب، قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿يومَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾(٣).

ومعنى ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ - واللّه أعلم - أي يجمعكم في الموت وفي قبوركم، وقوله: ﴿فَمَالَكُم فِي المُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾.

هذا خطاب للمسلمين، وذلك أن قوماً من المنافقين قالوا للنبي ﷺ قد اجتوينا(٤) المدينة، فلو أذنت لنا فخرجنا إلى البدو، فلما خرجوا لم يزالوا يرحلون مرحلةً مرحلةً حتى لحقوا بالمشركين، فقال قوم من المسلمين هم كفّار هم كفار، وقال قوم: هُم مُسلِمُونَ حتى نعلم أنهم بدَّلوا، فأمر اللّه بأن يتفق المسلمون على تكفير من احتال على النبي ﷺ وخالفه فقال - عزّوجلّ -: ﴿فَمَالَكُم فِي المُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾.

(١) سورة عم يتساءلون - ٣٦.

(٢) سورة القمر - ٧.

(٣) سورة المطففين - ٦.

(٤) سئمناها ومللنا جوها.

أي أيّ شيء لكم في الاختلاف في أمرهم ﴿وَاللهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾.

وتأويل «أركسهم» في اللغة نَكَّسَهُمْ وردَّهم، يقال أَرْكَسه ورَكَسَهُ.

ومعنى ﴿وَاللهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾ أي ردَّهم إلى حُكم الكفار.

وقوله: ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾.

أي أتقولون إن هؤلاءِ مهتدون واللّه قد أضَلَّهم.

﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾.

أي طريقاً إلى الحجة، وقال النحويّون في نصب «فئتين» إنها منصوبة على الحال، وقال سيبويه: إذا قلت مالك قائماً فإنَّما معناه لِمَ قُمْتَ ونصب على تأويل أي شيء يستقر لك في هذه الحال، قال غيره إن «قائماً» ههنا منصوبٌ على جهة فِعل «مَالَ»[1] ويجيز مالك قائماً، ومالك القائمَ يا هذا، ومالك القائمَ خطأً، لأن القائم معرفة فلا يجوز أن تقع حالا، و«ما» حرف من حروف الاستفهام لا تعمل عمل كان، ولو جاز مَالَكَ القَائِمَ يا هذا، جاز أن يقول ما عندكَ القائمَ، وما بِكَ القَائِمَ، وبالإجماع أن ما عندك القائمَ خطأً، فمالك القائمَ مثله لا فرق في ذلك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فلا تَتخِذُوا مِنْهُم أَولِيَاءَ حَتى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

أي لا تتخذوا من هؤلاءِ الذين احتالوا على النبي ﷺ حتى فارقوه أولياءَ، أي لا تقولوا انهم مؤمنون حتى يهاجروا في سبيل اللّه، أي حتى يرجعوا إلى النبي ﷺ.

وقوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾:

أي تولوا عن أن يهاجروا، ولزموا الإقامة على ما هم عليه ﴿فخذوهُم واقْتُلُوهُم حَيْثُ وَجَدتُمُوهُم، ولاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُم وليًا ولاَ نَصِيراً﴾.

---

(١) أي ما هو بمعناه ـ وينحل إلى معنى أي شيء حدث لك.

وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾.

أي فاقتلوهم إلا من اتصل بقوم بينكم وبينهم ميثاق.

ويروى أن هؤلاءِ اتصلوا ببني مُدْلج وكانوا صلحاً[1] للنبي ﷺ.

وقوله: ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾.

معناه ضاقت صدورهم عن قتالكم وقتال قومهم، وقال النحويُّون إنَّ ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ معناه أوجاءُوكم قد حَصِرَت صُدورُهم، لأن حَصِرَتْ لا يَكونُ حالاً إلا بقد، وقال بعضهم حصرت صدورهم خبر بعد خبر[2]، كأنه قال: أوجاءُوكم، ثم أخبرَ فقال: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقاتلوكم﴾.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿ولو شاءَ اللَّهُ لسلَّطَهم عليكم فَلَقَاتَلُوكُم﴾ أي ضيقَ صُدورِهم عن قتالكم إنما هو لقذف اللَّه الرعبَ في صدورهم، وقرأ بعضهم «حصِرةً صُدُورُهُم» على الحال.

وقوله جل وعزّ: ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُم وَيَأْمَنوا قَوْمَهُمْ﴾.

ستجدون من يظهر لكم الصلح ليأمنكم، وإذا سنحت فتنة كانوا[3] مع أهلها عليكم.

وقوله: ﴿كُلَّما رُدُّوا إلى الفِتْنَةِ أُركِسُوا فيها﴾.

أي انتكسوا عن عهدهم الذي عقدوه.

وقوله: ﴿فَإِنْ لَم يعتزِلُوكُم﴾.

أي فإن لم يعتزلوا قتالكم ولم يعاونوا عليكم[4].

---

(١) كان بنو مدلج صلحاً للنبي - فكان بينهم وبين المؤمنين ميثاق - فلا يستحق الذين لحقوا بهم أن يقتلوا.

(٢) أي جملة خبرية مستقلة وليست حالاً.

(٣) ب - كانت.

(٤) ولم يتركوا المعاونة عليكم.

﴿ويُلْقوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ .

أي المقادة والاستسلام .

﴿وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهم﴾ [أي] عن الحرب .

﴿فَخُذُوهُم واقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُموهُم وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لكمْ عليهِمْ سُلطاناً مُبيناً﴾ .

أي حجة بَيِنَةً بأنهم غَدَرَةٌ[١]، لا يَفُونَ بما يفارقونكم عليه[٢] من الهدنة والصلح .

وقوله : ﴿وَمَا كانَ لِمؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مؤْمناً إلا خَطَأً﴾ .

المعنى ما كان لمؤمن البتّة . و«إلّا خطأً» استثناءُ ليس من الأول[٣] .

المعنى إلا أن يخطئ المؤمن فكفَّارةُ خَطِئِه ما ذكر بَعْدُ .

وقال بعض أهل العلم : ﴿ما كان لمؤْمنٍ أَن يَقْتُلَ مؤْمناً إلّا خَطَأً﴾ على معنى أن دم المسلم إنما يصفح عن أن يؤخذ به القَاتِلُ في الخطأ فقد عفى له عن قتل الخطأ، إلا أن اللَّه جلّ ثناؤه فرض في كتابه على القاتل خطأً تحريرَ رقبة وديةً مسلمةً إلى أولياء المقتول، وبيَّن رسول اللَّه ﷺ دية الخطأ على العاقِلة[٤]، وعلى القاتل أن يؤدّي في ذلك لقوله عزّ وجلّ : ﴿فَمَنْ لَم يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ﴾ .

ويحتمل أن يكون الصِّيَامُ بدَلاً مَن الرقَبةِ وبدلاً مما ينبغي أن يؤدّى في الدّيةِ . فَإِنْ قتَل المُؤْمِنُ خَطَأً رَجُلاً مُؤْمِناً من قَوْمٍ كفَرةً فعليه تحرير رقبة، ولا

---

(١) جمع غادر .

(٢) بما يفارقونكم وهم متفقون عليه .

(٣) استثناء منقطع .

(٤) عاقلة الرجل أقاربه الذين يشاركونه في دفع الدية وعقل الجناية .

مال للكفار الـذين هم حَربٌ، لأن الـدية في الخـطأ إنما جعلت ـ واللّه أعلم ـ لِيحَـذَرَ الناسُ حـذراً شديـداً من أن يخطئـوا خـطأ يُؤدّي إلى القَتْـل، لتَـذْهَبَ الضَّغَائنُ بينهُمْ . .

﴿وَإنْ كَـانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَـاقٌ فَدِيَـةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِه وَتَحْـرِيرُ رَقَبَةٍ مؤمِنَةٍ﴾.

وإن كان من قوم بينهم وبين المسلمين عَهْـدٌ فتحريـر رقبة وتسليم الـدِّيةِ إلى ذوي الميثاق لئلا تقع ضغينة بين أهل الميثاق والمؤْمنين.

ونَصْبُ ﴿تَوْبةً مِنَ اللّه﴾ على[1] جهةِ نصب «فعلْتُ ذلك حذار الشّر» المعنى فعليه صيامُ شهرين وعليه دية إذَا وَجَدَ توبةً من اللّه[2]، أي فعل ذلك تـوبة من اللّه.

فـأما قتـل النفس فجزاؤه كمـا قال اللّه ـ عـزّ وجلّ ـ النَّفْس بـالنَّفْس في الدّنيا، وفي الآخرة جهنم:

قـال اللّه جلّ وعـزّ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمّداً فَجَـزاؤُهُ جَهنَّم خَالـداً فيها وغَضِبَ اللّه عليهْ وَلَعَنَهُ وَأعدّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾.

وهذا وعيد شديد في القتل حظَرَ اللّه عزّ وجلّ به الدّماءَ.

وقوله: ﴿يأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيل اللّه فَتبيَّنُوا﴾.

و ﴿فتَثَبَّتُوا﴾ بالثاء والتاء.

ومعنى ضربتم سِرْتم فِي الأرض وغزوتُم.

وقوله: ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾.

---

(١) في الأصل لا جهة نصب والآية هي: ﴿فمن لم يجد فصيام شهرين متتـابعين توبـة من اللّه وكان اللّه عليماً حكيماً﴾.

(٢) أي هي مفعول لأجله، وأولى أن تكون مفعولاً مطلقاً.

قرئت السلام بالألف، وقرئت السَّلَمَ. فأما السلام فيجوز أن يكون من التسليم، ويجوز أن يكون بمعنى السِّلْم، وهو الاستسلام، والقاءَ المقادة إلى إرادَةِ المسلمين.

ويروى في التفسير أن سبب هذا أن رجلاً انحاز وأظهر الإسلام فقتله رجل من المسلمين وأخذ سَلَبَه[1]. فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن حقَّ من ألقى السَّلَمَ أن يُتَبين أمْرُه.

ومن قرأ «فتثبتوا» فحقه[2] أن يُتَثَبّتَ في أمره، وأعلم اللَّه جلّ وعزّ أن كل من أسلم مِمَّن كان كافِراً فبمنزلة الذي تعوَّذ بالإسلام، فقال عزّ وجلّ:

﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَليكُمْ﴾.

أي مَنَّ عليكم بالإسلام، وبأن قبل ذلك منكم على ما أظْهَرْتُمْ ثم كرر الأمر بالتبيين فقال عزّ وجلّ:

﴿فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّه كَانَ بِمَا تعمَلُونَ خبيراً﴾.

﴿لَا يَستَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيرُ أُولِي الضَّرَرِ، والمُجَاهِدُونَ في سَبِيل اللَّه بِأَموَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾.

قرئت ﴿غيرُ أولي الضرر﴾ بالرفع وغيْرَ بالنصب، فأما الرّفع فمن جهتين، إحداهما أن يكون «غير» صفةً للقاعدين، وإن كان أصلها أن تكون صِفةً للنكرة. المعنى لا يستوي القاعدون الذين هم غير أولى الضرر، أي لا يستوي القاعدون الأصحاءُ والمجاهدون وإن كانوا كلهم مؤْمنين، ويجوز أن يكون «غير» رفعاً على جهة الاستثناء. المعنى لا يستوي القاعدون والمجاهدونَ إلَّا

---

(١) الذي انحاز وأسلم هو مرداس بن نهيك من أهل فدك، ولم يكن أسلم من قومه غيره، لهذا هربوا وبقي وكبر وأعلن الشهادة، فلم يصدقه المسلمون، وقتله أسامة بن زيد.

(٢) فالتقدير فيه ذلك.

أولــو الضّرر، فـإنهم يساوونَ المجـاهـدين، لأن الـذي أقعـدهم عن الجهـاد الضرر، والضرر أن يكون ضريراً أو أعمى أو زَمِناً أو مريضاً.

ويـروى أن ابن أمّ مكتوم قـالَ للنبي ﷺ أعَلَيَّ جهـادٌ، فقـال النبي ﷺ: ﴿انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً﴾[1]، فإما أن تكـون من الخِفَافِ أو من الثقـال فأنـزل اللَّه: ﴿لَيسَ عَلَى الأعمى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأعرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى المرِيضِ حرَجٌ﴾[2].

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَضَّل اللَّهُ المُجَاهِدينَ بأَمـوَالِهِم وَأنفُسِهم عَلى القَاعِـدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الحُسنَى﴾.

أي وَعَدَ الجنّة.

﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ المُجَاهِدينَ عَلى القَاعِدين أجراً عَظِيماً﴾.

ويجوز أن يكون ﴿غير أولي الضرر﴾ نصباً على الاستثناء من ﴿القاعدين﴾، المعنى: لا يستوي القاعدون إلاَّ أولي الضرر على أصـل الاستثناءَ النَّصْبُ، ويجـوز أن يكـون «غَيْر» منصـوباً على الحـال، المعنى: لا يستـوي القـاعـدون في حـال صحتهم والمجاهدون، كما تقول: جـاءَني زيد غيـرَ مريض، أي جـاءَني زيد صحيحاً. ويجوز جَرُّ «غيرِ» على الصفـة للمؤمنين، أي لا يستوي القـاعدون من المؤْمنين الأصحـاءِ والمجاهـدونَ. أما الـرفعُ والنصبُ فـالقـراءَة بهمـا كثيـرة، والجرُّ وجهٌ جيّدٌ إلا أنّ أهل الأمصَار لَم يقرأوا بـه وإن كان وجهـاً، لأن القراءَة سنة متبعة.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿دَرَجَاتٍ منه وَمَغْفِرَةً وَرَحمَةً﴾.

«درجات» في موضع نصب بدلاً من قوله.. أجْـراً عظيمـاً..، وهو مُفسّـر للآخر، المعنى فَضَّل اللَّه المجاهدين درجاتٍ ومغفرةً ورحمةً. وجائز أن يكون

(١) من سورة التوبة آية ٤١.
(٢) سورة الفتح آية ١٧.

منصوباً على التوكيد لأجراً عظيماً، لأن الأجر العظيم هو رفع الدرجات من اللَّه جلّ وعزّ والمغفرة والرحمة، كما تقول لك على ألف درهم، لأن قولك على ألف درهم هو اعتراف فكأنك قلت أعرِفْها عُرفاً، وكأنه قيل: غفر اللَّه لهُمْ مغفرة، وأجَرهم أجراً عظيماً، لأن قوله أجراً عظيماً فيه معنى غَفَر ورَحِم وفَضَّل.

ويجوز الرفع في قوله ﴿درجاتٍ منه ومغفرةً ورحمةً﴾، ولو قيل «دَرَجَاتٌ منه ومغفرة ورحمة» كان جائز جائزاً على إضمار تلك درجات منه ومغفرة كما قال جلّ ثناؤه: ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إلَّا سَاعَةً من نَهار بَلاغٌ﴾[1] أي ذلك بلاغ.

وقوله: ﴿إنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلاَئِكَةُ ظَالِمي أنْفُسِهِمْ﴾.

يُعنَى [به] المشركون الذين تخلفوا عن الهجرة إلى النبي ﷺ.

فـ﴿توفاهم﴾ إن شئت كان لفظه ماضياً على معنى إن الذين توفتهم الملائكة وذُكِّرَ الفعلُ لأنه فعل جميع[2]، ويجوز أن يكون على معنى الاستقبال على معنى أن الذين تتوفاهم الملائكة، وحذفت التاءُ الثانية لاجتماع تاءَيْن، وقد شرحنا ذلك فيما تقدم من هذا الكتاب.

وقوله: ﴿ظَالِمِي أنْفُسِهِمْ﴾: نصب على الحال، المعنى تتوفاهم في حال ظلمهم أنْفُسَهُم، والأصل ظالمين أنْفُسَهُم إلا أن النون حذفت استخفافاً، والمعنى معنى ثبوتها، كما قال جلّ وعزّ: ﴿هَدْياً بَالِغَ الكَعْبَةِ﴾[3]، والمعنى معنى ثبوت التنوين. معنى بَالِغاً الكعبةَ.

وقوله: [قَالُوا]﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾.

---

(١) سورة الأحقاف ٣٥.

(٢) الملائكة جمع يجوز تأنيث الفعل و[illegible] كيره معه.

(٣) سورة المائدة ـ ٩٥ ـ والأصل بالغاً [illegible] عبة.

هذه الواو للملائكة [أيْ] قال الملائكة للمشركين فيم كنتم أي أكنتم في المشركين أم في أصحاب محمد ﷺ. وهذا سؤال توبيخ قد مر نظراؤه مما قد استقصينا شرحه.

وقوله: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ﴾.

فأعلم اللَّه أنهم كانوا مستضعفين (عن)[1] الهجرة. فقالت لهم الملائكة:

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا، فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً. إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾.

﴿المستضعفين﴾ نصب على الاستثناءِ من قوله: ﴿مَأْوَاهُم جَهَنَّمُ... إلا المستضعفين﴾، أي إلا مَنْ صَدَق أنه مستضعَف غيرُ مستطيع حيلةً ولا مهتدٍ سَبيلاً، فأعلم اللَّه أن هؤلاءِ راجون العَفوَ، كما يرجو المؤْمِنُونَ فقال:

﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾:

و«عسى» ترج، وما أمر اللَّه به أن يرجَّى مِن رحمته فبمنزلة الواقع كذلك الظن بأَرْحم الراحمين.

وقوله: ﴿وَكَانَ اللهُ عَفُوّاً غَفُوراً﴾.

تأْويل «كان» في هذا الموضع قد اختلف فيه الناس، فقال الحسن البصري: كان غفوراً لعباده، وعن عباده قبل أن يخلقهم، وقال النحويون البصريون: كأَن القوم شاهدوا من اللَّه رحمة فأُعلموا أن ذلك ليس بحادثٍ[2]، وأن اللَّه لم يزل كذلك، وقال قوم من النحويين: .. «كان»

---

(١) ليست في ط.

(٢) أي إن رحمته أسبق من ذلك، وعلى هذا «فكان» على معناها

و «فعَلَ» من اللّه بمنزلة ما في الحال، فالمعنى ـ واللّه أعلم ـ واللّه عُفوّ غفور.

والذي قاله الحسن وغيره أدخل في اللغة، وأشبه بكلام العرب، وأما القول الثالث فمعناه يؤول إلى ما قاله الحسن وسيبويه، إلا أن يكون الماضي بمعنى الحال يقِلّ. وصاحب هذا القول له من الحجة قولنا «غفر اللّه لفُلانٍ» بمعنى ليغفر اللّه له فلما كان في الحال دليل على الاستقبال وقع الماضي مؤدياً عنها استخفافاً، لأن اختلاف ألفاظ الأفعال إنما وقع لاختلاف الأوقات، فإذا أُعْلِمت الأحوال والأوقات استُغني بلفظ بعض الأفعال عن لفظ بعض، الدليل على ذلك قوله جلّ وعزّ ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾(1) وقوله: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَاباً﴾(2) معناه من يَتُبْ ومن يجئ بالحسنة يعط عشر أمثالها.

وقوله: ﴿وَمَنْ يهَاجِر فِي سَبيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كثيراً وَسَعةً﴾.

معنى مراغم معنى مُهاجَرُ، المعنى يجد في الأرض مُهاجراً، لأن المهاجر لقومه والمراغم بمنزلة واحدة، وأن اختلف اللفظان وقال الشاعر:(3)

إلى بلد غير دانـــي المحل   بعيد المُراغَمِ وَالمُضْطَرَب

وقيل المراغَم ههنا المضطرب، وليس المراغم ههنا إلا المضطرب في حال هجرة، وإن كان مشتقاً من الرغام، والرَّغام التُّراب وتأويل قولك رَاغَمْتُ

---

(1) الأنعام ـ ١٦٠.

(2) الفرقان ـ ٧١.

(3) المراغم والمضطرب اسما مكان، أي بلد ناء، وإقامة بعيدة والرحيل إليه طويل. انظر اللسان (رغم) وأنشد ابن الأعرابي للجعدي:

كطود يلاذ بأركانه   بعيد المراغم والمهرب

والثاني من شواهد الكشاف. ولم أقف على قائل البيت الأول.

فُلاناً أَي هجرته وَعَاديته، ولم أُبالِ رَغْمَ أَنْفِهِ، أَي وإن لصق أَنفه بالتراب، والرَّغام والرُّغامُ ما يسيل من الأَنف، والأَنف يوصف بالرَّغم فيضرب مثلاً لكل ذليل فيقال على رَغْم أَنفه.

وقوله: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾.

هذه الهاءُ والميم يعودان على المؤْمنين. أَي وإذا كنت أَيها النبي في المؤْمنين في غزواتهم وخوفهم.

﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا﴾.

أَي فإذا سجدت الطائفة التي قامت معك.

﴿فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهم﴾.

جائز أَن يكون - واللَّه أَعلم - ولتأْخذ الجماعة حِذْرَهم وأَسْلحتهُم. ويجوز أَن يكون الذين هم وُجاه[1] العَدُو يأْخذون أَسلحَتْهم، لأَن من في الصلاة غير مقاتل، وجائز أَن تكون الجماعة أَمرت بحمل السلاح وإن كان بعضُها لا يقاتل لأَنه أَرْهَب للعَدوِّ وأَحرى أَلَّا يقدم علَى الحذِرين المتيقظين المتأَهِبين للحربِ في كل حال.

وقد اختلف الناس في صلاة الخوف فزعم مالك بن أَنس أَن أَحب ما رُوي فيها إليه أَن النبي ﷺ قام يصلي وقامت خلفه طائفة من المؤْمنين وطائفة وُجَاهَ العَدوِّ، فصلى بالطائِفة التي خلفه ركعة وقام فأَتمت الطائفة بركعة أُخْرى وسلَّمت، وهو ﷺ واقف، ثم انصرفت وقامت وجاه العدو، والنبيُّ ﷺ واقف

(١) وجاه أي تجاه وهو الأصل في التعبير لأنه من وجه، وجعلت الواو تاء.

في الصلاة، وأتت الطائفة التي كانت وجاه العدو، فَصَلَّى بِهِمْ ركعة ثانية له، وهِي الأولى لهذه الطائفة الأخرى ـ وجلس النبي ﷺ وقاموا فصلوا ركعة ثانية وحدهم وهو ﷺ قاعد، وقعدوا في الثانية فسلم وسلمُوا بتسليمه، فصلت كل طائفة منهم ركعتين، وصَلَى النبي ﷺ ركعتين.

وقال مالك: هذا أحب ما روي في صلاة الخوف إليَّ.

وأما أسلحة فجمع سلاح مثل حمار وأحمرة. وسلاح اسم لجملة ما يدفع الناس به عن أنفسهم في الحروب مما يقاتل به خاصَّة، لا يقال للدواب وما أشبهها سلاح.

فأما ولْيأْخذوا[1] فالقراءَة على سكون اللام ـ. وَلْيَأْخُذُوا» و «ولِيَأْخُذُوا» هو الأَصل بالكسر[2] إلا أَن الكسر استثقل فيُحْذفُ استخفافاً.

وحكى الفراءُ أَن لام الأَمر قد فتحها بعض العرب في قولك ليجلِس، فقالوا لنجْلِسْ ففتحوا، وهذا خطأٌ. لا يجوز فتح لام الأَمر لئلا تشبه لام التوكيد.

وقد حكى بعض البصريين فتح لام الجر نحو قولك: المالُ لِزَيْدٍ، تقول: المال لَزَيدٍ وهذه الحكاية في الشذوذ كالأُولى، لأَن الإجماع والروايات الصحيحة كسر لام الجر ولام الأَمر، ولا يلتفت إلى الشذوذ، خاصة إذا لم يروه النحويُّون القُدَمَاءُ الذين هم أَصل الرواية، وجميع من ذكرنا من الذين روَوا هذا الشاذ عندنا صادقون في الرواية، إلا أَن الذي سمع منهم مخطئٌ.

وقوله: ﴿لَا جُنَاحُ عَلَيْكُمْ﴾.

---

(١) في الأصول فليأخذوا؛ وآثرنا النص القرآني.

(٢) ب. على سكون اللام والأصل فليأخذوا بكسر اللام إلا أن الكسر ألخ.

الجناح الإثم، وتأويله من جنحت إذا عدَلْتُ عن المكان أي أخَذْتُ جانباً عن القَصْـد، فتأويـل لا جناح عليكم أي لا تَعـدلـون[1] عن الحق إن وضَعتم أَسْلِحتكم ﴿إن كَانَ بكُم أَذًى مِن مَطَرٍ﴾.

و«أذى» مقصورة، تقول أذى يأذى أذًى، مثل فزِعَ يفزعُ فزَعاً. وموضع ﴿أن تضعوا﴾ نصْبٌ. أي لا إثم عليكم في أن تضعوا، فلما سقطت «في» عمل ما قبل «أنْ» فيها، ويجوز أن يكون مَوْضعُها جرًّا بمعنى في.

وقوله: ﴿فإذَا قضيتم الصَّلاَةَ﴾.

يعني به[2] صلاة الخوف هذه.

﴿فَاذْكرُوا اللَّه قِيَاماً وَقُعُوداً﴾.

أي أذكروه بتوحيده وشكره وتسبيحه، وكل ما يمكن أن يتقرب به منه.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَإذَا اطْمَأْنَنتُمْ﴾.

أي إذا سكنت قلوبكم، ويقال اطمأن الشيء إذا سكن وطَامنْتُه وطَمـأْنته إذا سكنته، وقد روي «اطبأن» بالباء ولكن لا تقرأ بها لأن المصحف لا يخالف البتة.

وقوله: ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلاَة﴾.

أي فـأتمـوا، لأنهم جُعِـلَ لهم في الخـوف قصـرهـا، وأُمـروا في الأمن بإتمامها.

وقوله: ﴿إنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى المؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾.

أي مفروضاً مؤقتاً فرضه:

---

(١) في الأصل لا تعدلوا.والرفع على تقدير شانكم أنكم لا تعدلون.

(٢) أي بهذا القول.

وقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابتغَاءِ القَوْمِ﴾.

هذا خطاب للمؤْمنين، والقوم ههنا الكفار الذين هم حربُ المؤْمنين.

وتأْويل: «لا تهِنُوا» في اللغة لا تضعفوا، يقال وَهَن الرجل يهِنُ إذَا ضعف فهو وهِنٌ. ومعنى ابتغاءِ القوم: طلب القوم بالحرب.

وقوله: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلمونَ فَإِنَّهُمْ﴾.

أي إن تكونوا توجَعُون فإنهم يجدون من الوجع بما يَنَالَهم من الجراح والتَعَبَ كما تجدون، وأنتم مع ذلك ﴿تُرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يرجُونَ﴾.

أي أنتم ترجون النصر الذي وعدكم اللّه به، وإظهار دينكم على سائر أديانِ أهل الملل المخالفة لأهل الإسلام وترجُونَ مع ذلك الجنة، وهم ـ أعني المشركينَ ـ لا يرجون الجنة لأنهم كانوا غير مقرين بالبعث فأنتم ترجون من اللّه ما لا يرجون.

قال بعض أهل التفسير: معنى «ترجون» ههنا تَخَافُون، وأَجمَعَ أهل اللغة الموثوق بعلمهم: أن الرجاءَ ههنا على معنى الأمل لا على تصريح الخوف، وقال بعضهم: الرجاءُ لا يكون بمعنى الخوف إلا مع الجحدِ، قال الشاعر[1].

لا ترتجي حين تلاقي الذائدا   أسبعةً لاقَتْ مَعاً أَم وَاحِدا

معناه لا تخاف، وكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً﴾[2] أي لا تخافون للّه عظمة ولا عظَةً.

وإنما اشتمل الرجاءُ على معنى الخوف لأن الرجاءَ أَمَلٌ قد يخاف ألا يَتِمَّ.

---

(١) غير معروف، والبيت في معاني الفراء ١ ـ ٢٨٦.

(٢) سورة نوح آية: ١٣.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنـا إِلَيْكَ الْكِتـابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّـاسِ بِمَا أَرَاكَ الله﴾: أي بالحق الذي أَعْلَمَكَهُ اللّه عزّ وجلّ.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائنينَ خَصِيماً﴾: أي لا تكن مخاصماً ولا دَافِعـاً عن خَائِنٍ.

ويروى أن رجلا من الأنصار كان يقال له أبو طُعْمة أو طِعْمـة سرق درعـاً وجعله في غِرارَةِ دقيق، وكان فيها خَرْقٌ، فانتثر الدقيق من مكان سرقته[1] إلى منزله فظُنَّ بِهِ أنه سارق الـدرع وحيص[2] في أمره، فمضى بـالدِّرع إلى رجـل من اليهود فأودعها إياه ثم صار إلى قومه فأعلمه أنه لما إتهم بالدِّرع اتبع أثـرها فعلم أنها عند اليهودِيّ، وأن اليهودي سارقها، فجاءَ قومـه أي طُعْمة أو طِعْمـة إلى النبي ﷺ فسـألوه أن يَعْـذِرَهُ عنـد النـاس، وأعلمـوه أن اليهـودي صـاحب الـدرع، وكان بعضهم قـد علم أنّ أبَا طِعْمـةَ قد رمَى اليهـوديَّ وهو بـريءٌ من الـدرع، فَهَمَّ النبي ﷺ أن يَعْذِرَهُ، فـأوحى اللّه إليـه وعـرفـه قصتـه أي طعمـه وأعلمه أنّه خائن، ونهاه أن يحتج له، وأمره بالاستغفار مما هم به، وأن يحكم بما أنزل اللّه في كتابه، فقال:

﴿وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾.

يعني أبا طعمة ومن عاونه من قومه، وهم يعلمون أنه سارق. ويروى أن أبا طعمة هذا هرب إلى مكة وارتد عن الإسلام، وأنه نقب حائطاً بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله.

وقوله: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرضَى مِنَ القَولِ﴾.

كل ما فُكِّرَ فِيه أو خِيضَ[3] فيه بليل فقد بُيِّتَ.

---

(١) في الأصل من مكان سرقه، ويصح على الإضافة، وسرق مصدر.

(٢) حيص في أمره: اضطرب فيه، بعض برأه وبعض اتهمه.

(٣) من خاض في الأمر يخوض. والأمر مخوض فيه.

يعني به هذا السارق، والذي بُيِّتَ من القوم أن قال: أرمِي اليهودِي بأنه سارق الدرع، وأحلِفُ أني لم أسرقها، فتُقْبل يميني لأني على ديني، ولا تقبل يمين اليهودي. فهذا ما بيَّتَ من القول واللَّه أعلم.

وقوله: ﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الحيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

يعني به من احتج عن هذا السارق.

﴿فَمَنْ يُجادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَومَ القيامةِ﴾.

أي في اليوم الذي يؤخذ فيه بالحقائق، وأمر الدُّنيا يَقومُ بالشهادات في الحقوق. ، وجائز أن تكون الشهادة غير حقيقة، فكأنه ـ واللَّه أعلم ـ قيل لهم إن يقم الجدال في الدنيا والتغييب عن أمر هذا السارق، فيوم القيامة لا ينفع فيه جدال ولا شهادة.

ومعنى قوله «هَا أَنْتُمْ» ها للتنبيه، وأعيدت في أولاءِ. والمعنى ـ واللَّه أعلم ـ ها أنتم الذين جادلتم، لأن «هؤلاءِ» و «هذا» يكونان في الإشارة للمخاطبين بمنزلة الذين، نحو قول الشاعر:

وهــذا تـحمليــن طـليــق[1]

أي والذي تحملينه طليق.

وأصل المجادلة والجدال في اللغة شدة المخاصمة، والجدْلُ شدةُ القَتْل، ورَجُل مجدول، أي كأنه قد قُتِلَ، والأجدَلُ الصقرُ، يقال له أجدَلُ لأنه من أشد الطيور قوةً. .

وأعلم الله ـ جلّ وعزّ ـ أن التوبة مبذولة في كل ذنب دُونَ الشرك فقال جلّ ثناؤه.

---

(١) تقدم هذا الشاهد ص ٢٨٨ ج ١.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَو يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ الله يجِدِ الله غَفُوراً رَحيماً﴾ .

أي يسأله المغفرة مع إقلاعٍ ، لأنه إذا كان مقيماً على الإصرار فليس بتائب .

وقوله :﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِه﴾ .

ولا يُؤْخَذُ الإِثم بالإِثم .

وقوله :﴿وَمَنْ يَكْسِبِ خَطِيئَةً أَو إِثماً ثمَّ يَرمِ به بَرِيئاً﴾ .

قيل «إثماً» لأن اللّه قد سَمَّى بعضَ المعاصي خطايا، وسمى بَعْضَهَا آثاماً، فأعلم اللّه جلّ وعزّ أن من كسب خطيئة، ويقع عليها اسم الإِثم أو اسم الخطيئة، ثم رَمَى به من لم يعلمه وهو منه بريءٌ . ﴿فقد احتَمَلَ بُهْتَاناً﴾ .

و«البهتان» الكذبُ الذي يُتحيَّرُ من عِظَمِه وبيانه، يقال قد بَهَتَ فلان فلاناً إذا كذب عليه، وقد بُهِت الرجل يُبْهَتُ إِذَا تحيَّر قال اللّه عزّوجلّ ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَر﴾[1]، ويجوز أن يكون ـ والله أعلم ـ ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثْماً﴾ أي من يقع عليه خَطَأٌ نحو قَتْلِ الخطإِ الذي يقع فيه القوم وَلَا إِثم فيه، فيكونُ [أن] يرمي بذلك غيره فقد احتمل بهتاناً[2] .

وقوله عزّ وجلّ : ﴿وَلَولاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيكَ وَرحْمتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُم أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ .

هذا خطابٌ للنبي ﷺ، والطائِفة هُمْ طُعمَةُ هذا السارق[3]، لأن بعضهم

---

(١) راجع ص ٣٤١ ج ١ .

(٢) العبارة رديئة كما ترى، وهو يعتبر الخطيئة من الخطأ الذي لا إثم فيه، أي ان من ارتكب خطأ ثم رمى به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وكذلك من ارتكب إثماً، وإذن فجملة ثم يرمي به بريئاً عائد على مرتكب الخطأ فقط وهو رأي كما ترى بعيد عن النص .

(٣) أي ومعاونوه حتى يصح تسميهم بطائفة .

قد كان وقف على أنه سارق، وسأل النبي ﷺ أن يَعذِرَهُ.

فالتأويل ـ والله أعلم ـ لولا فضل الله عليك ورحمتُه بما أوحَى إليك، وأعلمك أمْرَ هذا السارق [لهمت طائفة أن يضلوك] والمعنى في همت طائفة منهم أنْ يُضِلُّوكَ. [أي] فبِفَضْلِ الله ورحمته صرفَ الله عنك أن تعمل ما هَمَّتْ به الطائفة(١)

وقال بعضهم معنى «أنْ يُضِلُّوكَ» أن يُخَطِّئُوكَ في حُكْمِكَ(٢).

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَا يُضِلّونَ إلاَّ أنْفُسَهُمْ﴾.

أي لأنهم هم يعملون عمل الضالين، والله يعصم نبيه ﷺ من متابعتهم، والإضلال راجع عليهم وواقع بهم.

وقوله: ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شيءٍ﴾.

أي مع عصمة الله إياك، ونصره دينه دين الحق.

وقوله: ﴿وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيكَ الكِتَابَ والحِكْمَةَ﴾.

أي بيَّنَ في كتابِهِ ما فيه الحكمة التي لا يقع لك مَعها ضَلاَلٌ.

وقوله: ﴿لاَ خيرَ فِي كَثيرٍ مِنْ نَجوَاهُمْ﴾.

النجوي في الكلام ما تنفردُ به الجماعة أو الاثنان سِرًّا كان أو ظاهراً،

ومعنى نَجوْتُ الشيءَ في اللغة خَلَّصتُه وألقيتُه، يقال نجوت الجلْدَ إذا ألقيتُه عن البعير وغيره.

قال الشاعر:(٣)

---

(١) أي أن إرادتهم إضلالة لم تتم بفضل الله تعالى.

(٢) إما بمعنى يصرفونك عن الحق إلى الخطأ فهذا واضح، وإما بمعنى ينسبونك إلى الخطأ فيما حكمت به فبعيد.

(٣) أي اكشفا غطاء الجلد عن سنامها وأكتافها فسيعجبكما ما تريان وهو يخاطب ضيفين طرقاه، واعتبر =

فقلت انجوا عنها نجا الجلد إنّه ... سيرضيكما منها سنام وغاربه

وقد نجوت فلاناً إذا استنكَهْتُه[1]، قال الشاعر:[2]

نجوت مجالداً فوجدت منه ... كريح الكلب مَاتَ حديثَ عهد

ونجوت الوَبَرَ واستنجيته إذا خلَّصته، قال الشاعر:[3]

فتَبَازت فتبَازَخْتُ لَهَا ... جِلْسَةَ الأَعسر يستنجي الوتر

وأصله كله من النجوة، وهُوَ[4] ما ارتفع من الأرض قال الشاعر:[5]

فمن بنجوته كمن بعقوته ... والمستكِنُّ كمن يمشي بقِرْواح

= الفراء إضافة نجا إلى الجلد من إضافة الشيء إلى نفسه، أي اكشفا عنها غطاءها الذي هو الجلد، (اللسان - نجو)، وانظر الخزانة ٤/ ٢٧٠، الشاهد ٣٠٩، والعيني ٣/ ٢٧٣ ونسبه الفرا لأبي الجراح، وقيل هو لأبي الغمر الكلابي.

(١) تشممت رائحته.

(٢) أي شممته فوجدته قذر الرائحة، كالكلب الميت الذي لم تمض عليه مدة يجف فيها جسمه وتذهب رائحته.

(٣) تبازت أبرزت عجيزتها وأخرجت صدرها هزؤاً وتدللاً، والبزخ مثله خروج الصدر ودخول الظهر- رجل أبزخ وامرأة بزخاء وتبازخ فعل ذلك أو تقاعس، ويروى. جلسة الجازر، ويروى الأعسر. يقال استنجى الجازر وتر المتن أي قطعه، وأصله الذي يتخذ أوتار القسي، لأنه يخرج ما في المصارين من النجو، والشعر لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت. اللسان (بزخ. نجا).

يصف حالة إيناس له مع زوجه، وقبله:

سائلاً فية هل نبهتها ... آخر الليل بعرد ذي عجر

والعرد الذكر المنتشر، وانظر الخصائص جـ ١/ ٨.

(٤) ذكر لمعنى الكلام. والأصل وهي.

(٥) لعبيد بن الابرص، - والقرواح والقرياح الفضاء من الأرض، لا نبات أو شجر بها ولا تمسك ماء، المستكن المستتر. والذي بالقرواح ظاهر لا يخفيه شيء. (انظر اللسان - نجا -) وينسب لأوس بن حجر يصف سحاباً وقبله:

دان سف فويق الأرض هيدبه ... يكاد يلمسه من قام بالراح

وانظر ذيل الأمالي ص ١٩.

ويقال: ما أنجى فلان شيئاً وما نجا شيئاً منذ أيام، أيْ لَم يَدْخُل الغائِط.

والمعنى والله أعلم: لا خير في كثير من نجواهم، أي مما يدبرونه بينهم من الكلام.

﴿إلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾.

فيجوز أن يكون موضع «مَنْ» خفضاً، المعنى إلَّا في نجوى من صدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس، ويجوز أن يكون - والله أعلم - استثناءً ليس من الأول[1] ويكون موضعها نصباً، ويكون على معنى لكن من أمر بصدقة أو معروف ففي نجواه خير. وأعلم الله عزّ وجلّ أن ذلك إنما ينفع من ابتغى به ما عند الله فقال:

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتغاءَ مَرْضَاة اللَّه فَسَوْفَ نُؤتِيه أَجْراً عَظِيماً﴾.

ومعنى ﴿ابتغاءَ مرضاة اللَّه﴾ طلب مرضاة اللّه. ونصب ابتغاءً مرضاة اللّه لأنه مفعُول له. المعنى ومن يَفْعَل ذلك لابتغاءِ مرضاة اللّه، وهو راجع إلى تأويل المصدر، كأنه قال: ومن يبتغ ابتغاءَ مرضاة اللّه، ثم عاد الأمر إلى ذكر طعمة هذا ومن أشبهه فقال:

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لهُ الهُدَى ويتَّبعْ غَيرَ سَبيل المُؤْمِنينَ نُوَلِّه مَا تَوَلَّى وَنُصلِهِ جَهَنَّم﴾.

لأن طعمة هذا كان قد تبين له ما أَوْحَى اللَّهُ إلى نبيّه في أمرِه، وأظهر مِنْ سَرِقَتِه في الآية ما فيه بَلَاغٌ، فعَادى النبيَّ ﷺ وصار إلى مكة، وأقام مع المشركين.

---

(۱) استثناء منقطع.

ومعنى ﴿نُولِّه مَا تولَّى﴾، نَدَعهُ ومَا اختار لنفسه في الدُّنيـا لأن اللَّه جلّ وعـزّ وعد بالعـذاب في الآخرة، وأعلم تعـالى أنه لا يغفـر الشرك، وذكـر قبل هـذه الآيـة: ﴿وَمَنْ يَعمَـلْ سُـوءًا أو يَـظْلِمْ نَفْسَــه ثُمَّ يستغْفِـرِ اللَّهَ يَجِـدِ اللَّهَ غَفُـوراً رَحِيماً﴾. وأعلم بعدها أن الشرك لا يجوز أن يغفره ما أقام المشرك عليه، فـإن قال قائل فإنما قال: ﴿إنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِـرُ أَنْ يُشْرَكَ به﴾ فإن سُمِّيَ رجـل كافـراً ولم يشـرك مع اللَّه غيـره فهـو خـارج عن قـولـه: ﴿إنْ اللَّه لا يغفـر أن يُشـرك به﴾ فالجواب في هذا أن كل كافر مشرك باللَّه لأن الكافر إذا كفر بنبِي فقد زعم أن الآيات التي أتى بها ليست من عند اللَّه، فيجعل مـا لا يكون إلا للّهِ لغيـر اللَّهِ فيصير مشركاً. فكل كافرٍ مشرك.

فالمعنى أن اللَّه لا يغفر كُفْرَ من كفَر بِهِ وبنَبيّ من أنبيائِـه لأن كفره بنبيـه كفر به.

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ باللَّهِ فَقَد ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً﴾.

لأن جعلَه مع اللَّه غيرَه[١] من أبعد الضلال والعَمَى، وهذا أكثرُ ما جَرَى ههنا من أجل الذين عَبَدوا الأصنَام، والدليـل على ذلك قـوله عـزّ وجلّ بعقب هذا:

﴿إن يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إلا إنَاثاً﴾.

فَأَمَّا ﴿نُولِّهِ ما تَوَلَّى وَنُصلِهِ جَهَنَّم﴾.

ففيها أوجه، يجوز فيها نولهي - بإثبات الياء، ويجوز نُولِّهو بإثبات الواو، ويجوز «نولهِ» بكسر الهاءِ، فأما «نولَهْ» - بإسكان الهاءِ و «نَصْلِهِ جهنم»، فلا يجوز إسكـان الهاءِ لأن الهـاءَ حقها أن يكـون معها يـاءٌ، وأما حـذف اليـاءِ فضعيف فيها، ولا يجوز حذف الياءِ ولا تُبَقّى الكسرة التي تدل عليها.

(١) اي جعله أحداً غير اللّه معه سبحانه.

وقوله: ﴿إن يدعُونَ مِنْ دُونِه إلَّا إنَاثاً﴾.

إنْ يدعُونَ تقـرأ إلا أُنُثاً، وألا أُثُنَـا ـ بتقديم الثـاءِ، وتأْخيـرها. فمن قـال أنـاث فهو جمـع أُنثى وإناث، ومن قـال أُنُثُ فهو جمـع إنَاث، لأن إنـاثاً على وزن مِثـال، وإنَاثٌ وأُنُثٌ مِثْـل مِثَـال ومُثُـل. ومن قـال أُثُنـا فـإنـه جمـع وثَن، والأصل وُثُن، إلَّا أنَّ الواو إذا انْضَمَّتَ يجوز إبدالهـا همزة، كقـوله [تعـالى]: ﴿وإذَا الـرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾[1]. الأصـل وُقِّتَتْ، ومثال وُثُن في الجمـع مثل سُقُف. وجائز أن يكون أُثْن مثل أسد وأُسدٌ، وجائز أن يكـون أُثُن أَصلها أُثْن، فـاتبعت الضمَّةُ الضَّمةَ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَإنْ يَدْعُونَ إلَّا شَيطاناً مريداً﴾.

يعني به إبليس لأنهم إذا أطاعوه فيما سَوَّلَ لهم فقد عَبدُوه، وَيدعُونَ في معنى يعبدُونَ، لأنهم إذَا دَعوْا اللَّهَ مخلصين فقد عبدوه، وكذلك قوله: ﴿وقَالَ ربُّكم ادعُـوني أَستَجِبْ لَكُم﴾[2] أي اعبـدُوني، والـدليـل عـلى ذلـك قــولـه عزّ وجلّ: ﴿ إنَّ الّذِينَ يستَكْبِرُونَ عنْ عِبادتِي﴾.

ومعنى «مَريد» أي خارجٌ عن الطاعة مُتَمَلِصُ مِنْهَا، ويُقَال شجرةٌ مَرْدَاءُ، إذا تناثر ورقُها، ومن ذلك يسمى من لم تنبت له لحية أَمـردُ أي أَملسُ موضـع اللحية، وقد مرَدَ الرجل يمرُدُ مُروداً إذا عتا وخرج عن الطاعة.

﴿وقَالَ لأتَّخِذَنَّ مِنْ عِبادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾.

قيل في مفروض إنّ معنـاه مؤقت، وجاءَ في بعض التفسيـر من كل ألف واحدٌ للّه وسائرهم لأبليس.

---

(١) سورة والمرسلات ١١

(٢) سورة غافر ـ ٦٠.

ومعنى مفروض ـ واللّٰه أعلم ـ أي أفترضه على نفسي وأصل الفرض في اللغة القطعُ، والفُرْضَة الثُّلْمةُ تكون في النهر، يقال سقاها بالفِرَاضِ وبالفُرَضِ، والفرْض الحزُّ الذي يكون في المسواك يشد فيه الخيط، والفَرْض فِي القَوسِ الحزُّ الذي يشدُّ فيه الوتر، والفَريضَةُ في سائر ما افْتُرِضَ ما أمر اللّٰه به العباد فجَعَلهُ أمراً حَتْماً عليهم قاطعاً، وكذلك قوله: ﴿ وقَد فَرضْتُم لَهُنَّ فَرِيضَةً فنِصفُ مَا فرضْتُم﴾[1] أي جعلتم لهُنَّ قطعة من المالِ وقد فرضتُ الرجُلَ جعلتُ له قطعة من مال الفيءِ، فأما قول الشاعر:[2]

إذا أكلتُ سمكاً وفَرْضا ذهبت طولاً وذهبت عرضا

فالفَرضُ ههنا التمر، وإنما سُمّي التّمر فَرضاً لأنه يؤخذ في فِرَاضِ الصدقة.

وقوله: ﴿ولأمَنِّيَنَّهُم﴾.

أي أجمع لهم مع الإضْلَال أن أوهِمهُم أنهم ينالون من الآخرة حظاً، كَمَا قال: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطَانُ أَعمَالَهُمْ﴾.

﴿ولآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُن آذَانَ الأنْعَامِ ﴾.

كأنه ـ واللّٰه أعلم ـ ولآمُرنّهم بِتَبْتِيكِ آذان الأنعام فليبتكُنَّ[3]، [أي] يشقِقْن، يقال بتكْتُ الشيءَ أبْتِكه بَتْكاً إذا قطعته، وبِتْكَةٌ وبِتَكٌ، مثل قطعة وقطعُ، وهذا في البَحِيرةِ، كانت الجاهلية إذا ولدت الناقة خمسة أبطن فكان الخامس ذكراً شقوا أذن الناقة وامتنعوا من الانتفاع بها ولم تطرد عن ماءٍ ولا

---

(١) سورة البقرة ٢٣٧.

(٢) الشعر في اللسان (فرض). والفرض نوع من صغار التمر يعتبر من أجود أنواعه، ونوع منه يشتهر بعمان عندما يجف على نخله ينساقط التمر ويبقى النوى وحده في عراجينه. وذهبت طولاً وعرضاً، أي تباهيت وافتحرت.

(٣) تقدير لمفعول «آمرنَّهم» ـ ويجوز تقدير مفعول غير هذا أو سيأتي نظائر له.

مَرْعًى، وإذا لقيها المعْـي[1] لم يركبها. فهذا تأويل ﴿فليُبتكن آذان الأنعام ِ﴾.

سَوَّلَ لهم إبليس أن في تركها لا ينتفع بها قربة إلى اللّه،

﴿ولآمُـرنَّـهـمْ فـليُـغَـيِّـرُنَّ خَـلْقَ الـلَّهِ﴾.

قيـل إن معناه أن اللّه خلق الأنعـام ليركبـوها ويـأكلوها فحـرمـوهـا على أنفسهِم، وخلق الشمس والقمر والأرض والحجارة سخْـرة للناس ينْتَفعـون بها فعبدهَا المشرِكون، فغيـروا خلق اللّه، أي دِينَ اللّه، لأن اللّه فطر الخلق على الإسلام، خلقهم من بطن آدَمَ كـالذر، وأشهـدَهُمْ أنه ربهم فـآمنوا، فمن كفـر فقد غير فِطْرَة اللّه التي فَطَرَ الناسَ عليها.

فـأَمَّا قـوله: ﴿لَا تَبْدِيـلَ لِخَلق اللَّه﴾[2]، فـإن معنـاهُ مـا خلقـه اللّه هـو الصحيح، لا يقْدِرُ أحـد أن يُبَدِّل معنى صحـة الدين، وقـال بعضهم: فَلَيُغيِّرُن خلق اللّه هو الخصاءُ لأن الذي يخصي الفحل قد غير خلق اللّه.

ومـعنـى ﴿إنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِه إلا إنَاثاً﴾.

أي ما يعبدون إلا ما قد سموه باسم الإناثِ، يعني به المشركون، سَمُّـوا الأصنام اللاّت والعزى ومناةً، وما أشبهه، وقيل إن مَعْنى قوله: «ما يعبـدُون من دونه إلا إناثاً» أي مَوَاتا[3]، والموات كلهـا يخبر عنهـا كما يخبـر عن المؤنث، تقـول من ذلـك: هـذه الأحجـار تعجبني، ولا تقـول يعجبـونني[4]، وكـذلـك الدراهم تنفعني.

وقوله: ﴿ ولَا يَجدُونَ عنهَا مَحِيصاً ﴾.

---

(١) المتعب المنهك.

(٢) آية ٣٠ من سورة الروم، ذكرت استطراداً.

(٣) جمادات.

(٤) في الأصل يعجبوني.

أي لا يجدون عنها مَعْدِلاً ولا مَلْجأً .

يقال حِصْتُ عَن الرجُل أَحِيصُ، وروَوْا جِضْتُ عنه أجيضُ بالجيم والضاد المعجمة، بمعنى حِصْتُ، ولا يجوز ذلك في القرآن، وإن كان المعنى واحداً والخط غير مخالف، لأن القرآن سنة لا تخالف فيه الرواية عن النبي ﷺ وأصحابه والسلف وقرَّاءِ الأمصار بما يجوز في النحو واللُّغَة، وما فيه أفْصَحُ ممَّا يَجُوزُ[١]. فالاتباع فيه أولى.

يقال حُصْتُ أُحُوصُ حوْصاً وحياصاً، إذا خِطْتُ، قال الأصمَعي: يقال حُصْ عين صَقْرك أي خِطْ عينه، والْحَوصُ في العَيْن ضيقُ مُؤَخَّرها[٢].

والخَوصُ [٣] بالخاءِ ـ مُعْجمة ـ غُؤورُهَا.

وقوله: ﴿لَيْسَ بأَمانِيِّكُمْ ولاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الكِتَابِ﴾.

اسم ليس مضمر، المعنى ليس ثواب اللّه بأمانيكم ولا أمانِي أهل الكتاب، وقد جرى ما يدل على إضمار الثواب، وهو قوله: ﴿والذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ سنُدخِلُهُمْ جنَّاتٍ تَجري مِنْ تَحتِها الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أبداً وَعْدَ اللّه حَقًّا﴾.

أي إنما يدخل الجنة من آمن وَعَمَل صَالحاً. ليس كما يتمنى أهل الكتاب، لأنهم كانوا يزعمون أنهم أبناءُ اللّه وأحباؤه، وقالوا: ﴿لنْ تَمَسَّنَا النَّار إلاّ أَيَّاماً معْدُودَةً﴾[٤]، فأعلم اللّه عزّ وجلّ أن دخول الجنة وثواب اللّه على الحسنات والسيئات ليس بالأماني ولكنه بالأعمال. ثم ذكر بعض ذلك فقال عزّ وجلّ:

---

(١) أي اللفظ الذي ذكر في القرآن أفصح وفي الأصل فأفصح.

(٢) في الأصل مؤخره.

(٣) خوص ـ كفرح ـ فهو أخوص.

(٤) سورة البقرة آية ٨٠.

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءً يُجْزَ بِهِ﴾.

أي لا ينفعه تمنيه.

﴿ولاَ يَجِد له مِن دون اللَّه وَلِيًّا ولاَ نَصيراً. وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحاتِ من ذَكَرٍ أو أُنْثَى وَهُوَ مُؤمِنٌ فأُولَئِكَ يدخُلُونَ الجَنَّة﴾.

فأعلم اللَّه أن عامل السوءِ لا ينفعه تمنيه، ولا يتولاه مُتَوَلٍّ ولا ينصره نَاصِرٌ.

وقد احتج قومٌ من أصحاب الوعيد بقوله: ﴿وَلاَ يَجد لَهُ مِنْ دُون اللَّهِ وليًّا ولاَ نصِيراً﴾. فزعموا أن هذا يدل على أن من عَمِلَ السوءَ جُزِيَ به[1]. وقد أعلم اللَّه عزّ وجلّ أنه يَغْفِر ما دُونَ الشِّركِ لمن يشاءُ، فعامِلُ السوءِ ـ ما لم يكن كافِراً ـ مرجُوٌّ له العَفْوُ والرحمةُ، والنبي ﷺ شافِعٌ لأُمته يشفع فيهم.

ومعنى: ﴿وَلاَ يُظلَمُونَ نَقيراً﴾.

النقير النقطة في ظهر النواة، وهي مَنْبتِ النخلة، والمعنى «ولا يظلمون مقدار ذلك».

وقوله: ﴿ واتّخَذَ اللَّه إبْراهِيمَ خَلِيلاً ﴾.

الخليل المحب الذي ليس في محبته خَلَلٌ فجائز أن يكون إبراهيم سمي خليلَ اللَّه بأنَّه الذي أَحَبه اللَّه واصطفاه محبةً تامَّةً كامِلةً. وقيل أيضاً الخليل الفقير، فجائز أن يكون فقير اللَّه، أي الذي لم يَجْعَلْ فقره وفاقته إلا إلى اللَّه مخلِصاً في ذلك، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿ يا أَيُّها الناس أَنْتُمْ الفُقَراءُ إِلَى اللَّهِ﴾[2].

ومثل أن إبراهيم الخليل الفقير إلى اللَّه قول زهير يمدح هرم بن سنان.

---

(١) أي إن السيئات لا تُغفر، وجملة «وقد أعلم اللَّه ـ عز وجل» . . . لهذا الزعم.

(٢) سورة فاطر ١٥.

وإن أتــاه خليــل يــوم مسـغبــةٍ   يقـولُ لا غائب مـالي ولا حَرِمُ[1]

وجـاءَ في التفسير أن إبـراهيم كـان يضيفُ الضِّيفـان ويـطعِم المسـاكينَ الطعامَ، وأصاب الناسَ جَـدْبٌ فبعث إلى خليل لـه كان بمصـر يمْتارُ منـه[2]، فقال ذلك الخليل لنفسه: لو كان إبراهيم إنما يـريد المِيـرَةَ لنفسه لـوجهتُ إليه بها، ولكنه يريدها للناس فرجع غلمان إبراهيم بغير ميرة، فاجتازوا ببطحاءَ لَيِّنَةٍ فأخذوا من رَمْلٍ كان فيها وجعلوه في أوعِيتِهِمْ استحياءً من النـاس أن يرجِعـوا بغير شيءٍ، فلما رآهم عليه السلام، سألهم عن الخبر فـأعلموه، فحملتـه عينه فنام مهموماً، وانتبهت امرأته وقد بصرت بالأوعية مملوءَة، فأمـرت بأن يخـرج منها ويخبز فـأخرج منهـا طعام في غـاية الحسْن فـاختُبِزَ، وانتبـه إبراهيم وشمَّ رائحة الطعام، فقال: مِن أين هذا؟ فقالت امـرأته من عنـد خليلك المصري. فقال إبراهيم هذا من عند خليلي اللَّه عزّ وجلّ.

فهـذا مـا روي في التفسيـر وهـو من آيـات الأنبيـاءُ عليهم السـلام غيـر منكـر. والذي فسرنا من الاشتقاق لا يخالف هذا.

والخلة الصداقة، والخلة الحاجة.

فأما معنى الحاجةِ فإنه الاختلال الذي يلحق الإنسـان فيما يحتـاج إليه، وأما الخلة الصداقة فمعناهـا أنه يسُـد كل محب خَلَلَ صـاحبه في المـودة وفي الحـاجة إليـه، والخلل كل فـرجة تقـع في شيء، والخِلاَل الـذي يتخلل بـه، وإنما سمي خلالاً [لأنه] يتبع به الخلل بين الأَسْنانِ. ، وقوله الشاعر:[3]

---

(۱) الخليل ذو الخلة المحتاج. وحـرم بوزن (كتف) بمعنى ممنـوع محرم ـ يـريد لامـالي غائب ولا ممنوع. انظر العيني ٤ ـ ٤٢٩ وابن يعيش ٨ ـ ١٥٧ وشرح شواهد المغني ٢٨٣.

(۲) يسأله الميرة، وهي جلب الطعام. مار عياله يمير وامتار وأمار.

(۳) هو ابن ميادة المري من عطفـان ـ يصف هؤلاء النسوة بـالصون وعـدم التبرج. فهن ينـظرن من فروج الستائر، ويروى: من خلل الخدور. جمع خـدر، وهو مـا تحتجب المرأة وراءه، ولهـذا=

ونظرن من خَلَلِ الستور بأعينٍ مرضَى مخالِطها السِّقام صحاح

فإن معناه نظرن من الفرجُ التي تقع في الستور.

وقوله القائل: «لـك خلَّةٌ مِن خِلاَلٍ» تـأويله أني أُخلَى لك من رأيي أو مما عندي عن خلة من خِلاَل. وتأويل أخلِّى إنما هـو أُخلل، وجائـز أن يكون أُخلي من الخلوْةِ، والخلوةُ والخلل يـرجعـان إلى معنى، والخِـلُّ الـطريق في الرملِ معناه أنه انفرجتْ فيه فـرجة فصـارت طريقـاً. والخَلُّ الـذي يؤكل إنمـا سمي خلًّا لأنه اختلَّ منه طعم الحلاوةِ.

وقوله: ﴿ ولِلَّهِ ما فِى السَّمَواتِ ومَا فِي الأَرضِ ﴾.

أي إن إبراهيم الذي اتخذه اللَّه خليلاً هو عبد اللَّه، وهو له وكـلُّ ما في السموات والأرض[1].

وقوله: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قل ِ اللَّهُ يُفتِيكم فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيكُمْ ﴾:

موضع «ما» رفع. المعنى اللَّه يفتيكم فيهن، ومـا يتلى عليكم في الكتاب، أيضاً يفتيكم فِيهن. ويجوز أن يكون «ما» في موضع جر، وهو بعيد جداً، لأن الظاهر لا يعطف على المضمر[2]، فلذلك اختير الرفع، ولأن معنى الـرفع أيضـاً أُبيَنُ، لأن مـا يتلى فِي الكتاب هـو الذي بين مـا سـألـوا. فـالمعنى: ﴿قل اللَّه يفتيكم فيهن﴾، وكتابه يفتيكم فيهن.

وقوله: ﴿وتَرْغَبُونَ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ﴾.

= تسمى مخدرة. وقد وصف عيونهن بالفتور والانكسار لغير مرض، وفتور الطرف كناية عن الحياء وعدم التبجح، وتوصف المرأة عادة بأنها ناعسة الطرف أو سقيمته، وكلمة «صحـاح» احتراس. أي ليس هذا السقام لمـرض. بل للحياء وحسن الأدب.

انظر اللسان (ريش)، والشنتمري ١/٢٢٧، وكتاب سيبويه حـ ٢/٢٠.

(١) أي وكل ما في السموات والأرض له.

(٢) يعطف بإعادة حرف الجر، وجاء بدونه ومنه قراءة ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾ بجـر الأرحام.

المعنى وترغبون عن أن تنكحوهنَّ.

وقوله: ﴿ والمسْتضْعَفِينَ مِنَ الوِلْدَانِ﴾.

يعني اليتامى، وموضع «المستضعفين» جر، عطف على قوله: ﴿وما يُتلى عليكم فِي الكِتـاب فِي يَتَـامَى النِّساءِ﴾ المعنى وفي [المستضعفين من] الـولـد والـذي يفتِيهم من القرآن قـوله عـزّ وجلّ: ﴿وآتوا اليَتامَى أَمْـوالَهُم ولاَ تَتَبَدلـوا الخَبِيثَ بالطِّيِّبِ وَلاَ تأْكلوا أَمْوالَهمْ إِلَى أَموالِكُمْ﴾والذي تُلِيَ عليهم في التزويج [هو] قوله:﴿فانْكِحوا مَا طَابَ لَكُمْ مِن النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَث ورُبَاعَ﴾[1].

فـالمعنى قل اللّه يفتيكم فيهنَّ، وهـذه الأَشْياءُ التي في الكتـاب يُفْتيكم فيهن[2].

وقوله:﴿وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتامَى بالْقِسْطِ﴾.

«أَن»في موضع جر :المعنى وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء وفي أَن تقوموا لليتامى بالقسط.

وقوله:﴿وإِن إمرأَةٌ خَافَتْ مِن بعلِهَا نشُوزاً أَو إِعْراضاً فلاَ جُناح عَلَيْهِمَـا أَن يُصْلِحا بينهمَا صلحـاً﴾.

النشوز من بعْلِ المـرأَة أَن يسيء عشرتهـا وأَن يمنعها نفسـه ونَفَقَتَه واللَّه عزّ وجلّ قال في النساءِ:﴿وعاشِروهن بالْمعْروفِ﴾،وقـال: ﴿فإِمسَـاك بِمَعْروفٍ أَو تَسريحٌ بإِحْسَان﴾[3]، وقال: ﴿وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لتَعْتَدُوا﴾[4]. فَشَــدد

(١) تقدمت الآيتان أول هذه السورة ٢، ٣.

(٢) أي قـل اللّه يفتيكم فيهن ومـا يتلى عليكم في الكتـاب يفتيكم فيهن ويفتيكم في الـولـدان وفي المستضعفين الخ.

(٣) آية: ٢٢٩ سورة البقرة.

(٤) البقرة ٢٣١.

اللّه في العدل في أمر النِّساءِ، فَلَوْ لَمْ يعْلَم عزّ وجلّ أن رضا المرأةِ مِنْ زوجِهَا بالإقامة على منعها ـ في كثير من الأوقاتِ ـ نَفَسَه ومَنَعِها بعض ما يَحْتَاج إليه لما جاز الإمساك إلا على غاية العدل والمعروف، فجعل اللّه عزّ وجلّ الصُّلحَ جائزاً بين الرجلِ وامرأتِهِ إذا رضِيت منه بإيثار غيرها عليه. فقال: « لا إثم عليهما في أن يتصالحا بينهما صلحاً، والصُّلح خير من الفرقة ».

وقوله: ﴿ وأُحْضِرتِ الأنفُسُ الشُحَّ ﴾.

وهو أن المرأة تشح على مكانها من زوجها، والرجل يشح[1] على المرة بنفسه إن[2] كان غيرها أحب إليه منها.

وقوله: ﴿وإن تحسِنُوا وَتَتَّقُوا﴾.

أي أن تحسنوا إليهنَّ، وتحملوا عشرتهن.

﴿فإنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبيراً ﴾.

أي يخْبُرُ ذلك فيجازيكم عليه، فإن قال قائل إنما قِيلَ: ﴿ وإن امرأة خافت﴾، ولم يُقَلْ وإنْ نَشَزَ رجُلٌ على المرأة لأن الخائف للشيء ليس بمتيقّنٍ له، فالجواب في هذا إنْ خَافَتْ الإقامةَ منهُ على النُّشُوزِ والإعراضِ، وليس أن تخاف الإقامة إلا وقد بدا منه شيء، فأما التفرقة بين «إنَّ» الجزاءِ والفعل الماضي فجيّدٌ[3]. ولكن «إن» وقعت التفرقة بين «إنْ» والفعلِ المستقبلِ فذلك قبيح. إن قلتَ: إن امرأة تخاف ـ فهو قبيح، لأنّ «إنْ» لا يفصل بينها وبين ما يُجْزَمُ، وذلك في الشعر جائز في «إنْ» وغيرها. قال عدي بن زيد[4].

(١) الشح مثلثة البخل. شح به وعليه حرص. شحح يشح وشحح بفتح عينه يشح ويشح. وهو شحاح وشحيح وشحشاح.

(٢) ك: إذ.

(٣) وضع كلمة امرأة بين «إن» والفعل «خافت» ويقدر فعل بعد إن.

(٤) من قصيدة له يستعطف بها النعمان بن المنذر وهو في سجنه، وأول القصيدة:

فمتى واغِـلٌ يَنُبْهُـم يُحيُّـوهُ   وَتُعـطَفْ عليـه كـأْسُ السَّـاقي

فـأما المـاضي فـ «إنْ» غير عَـامِلةٍ في لفظه، و «إنْ» أمُّ حُروفِ الجَـزْم، فجاز أن تفرق بينها وبينَ الفِعْل، وامرأةٌ ارتفعت بفعل مضمرٍ يدل عليه ما بعـد الاسم، المعنى إنْ خافت امْرأةٌ خَـافَتْ فأما غير «إن» فـالفصل يقبح فيه مـع الماضي والمستقبل جميعاً، لو قلت: «متى زيـد جاءَني أكـرمته»، كـان قبيحاً، ولو قلت أن اللَّهُ أمكنني فعلتُ كان حسناً جميلاً.

وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوابُ الدُّنْيَا والآخِرَةِ﴾.

كان مشركو العرب لا يؤمنون بالبعث، وكـانوا مُقِـرِّين بأن اللَّهَ خـالقُهم، فكان تقرُّبُهم إلى اللَّه عزّ وجلّ إنما هو ليُعْطِيهُمْ من خير الدنيا، ويَصرِفَ عنهم شَرَّها، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن خير الدنيا والآخرة عنده.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنوا كُونُوا قَوَّامِينَ بالقِسْطِ﴾.

القسط والإقساطُ العدلُ، يقال أقسط الرجل يُقسِط إقْساطاً إذا عدل وأتى بالقسطِ، ويقال قسط الرجل قُسُوطاً إذا جَارَ، قال اللَّه جلّ وعزّ: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّه يُحِبُّ المقْسِطِينَ﴾[١].

أي أعدلوا إنّ اللَّه يُحب العَادِلِينَ، وقال جلّ وعزّ: ﴿ وأَما القَاسِطُونَ فكَانُوا لِجَهَنم حَطَبَا﴾، أي الجـائرون، يقـال قسط البعيرُ قَسْـطاً إذَا يَبِسَتْ يـدُه، ويـدٌ قَسْطاءُ أي يابسـة، فكأن أقسط أقـام الشيءَ على حقيقةِ التعـديل، وكـأَنَّ قَسَطَ [بمعنى] جارَ معناه يَبَّسَ الشَّيءَ، وأفْسَدَ جِهتَهُ المستقيمةَ.

وقوله: ﴿ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الوَالِدَينِ والأَقـرَبِينَ﴾:

= ليس شيء على المنون بباق ـ وهي جيدة، والواغل من يدس نفسه على الشاربين أما الفضولي على الطعام فهو وارش، انظر الخزانة ٣ ـ ٤٠.

(١) سورة الحجرات آية ٩.

المعنى قوموا بالعدل وأشهدوا للَّه بالحقِّ، وإن كان الحق على نفس الشاهد أو على والديه وأقْربيه.

﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾.

أي إن يكن المشهود له فقيراً فاللَّه أولى به، وكذلك إن يكن المشهود عليه غنياً فاللَّه أولى به، فالتأويل أقيموا الشهادةَ لِلَّهِ على أَنْفُسِكُمْ وأقاربكم، ولا تميلوا في الشهادة رحمةً للفقير، ولا تَحِيفُوا لاحتَفَالِ غِنَى غَنِيٍّ عِندَكم.

وقوله: ﴿ فَلاَ تَتَّبِعُوا الهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا ﴾.

أي لا تتبعوا الهوى فتعدلوا.

﴿ وَإِنْ تَلْوُوا أو تُعْرِضُوا ﴾.

قرأ عاصِمٌ وأبو عمرو بن العلاءَ وأَهلُ المدينَة «تَلْوُوا» بواوين، وقرأَ يَحيى ابنُ وثاب والأعمشُ وحمزةُ بواو واحدة «تَلُوا»[1]، والأشبه على ما جاءَ في التفسير ومَذْهَبِ أهل المدينة وأبي عمروٍ، لأنه جاءَ في التفسير أَنَّ «لَوَى الحاكِمُ في قضيتِه» أعرَضَ.

﴿فإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تعملُونَ خَبِيراً﴾.

يقال لويت فلاناً حقه إذا دَفَعتُه به ومطَلْته، ويجوز أن يكون «وأن تَلُو» أصله تَلْوُوا فأبدلوا من الواو المضمومة ـ همزة فصارت تلؤوا ـ بإسكان اللام ـ ثم طُرِحَت الهمزَةُ وطُرِحَتْ حَركتها على اللام فصار تلُوا كما قيل في أدْؤُرٍ أُدُورٍ ثم طرحت الهمزة فصَارَتْ آدُر.

ويجوز أن يكونَ وإنْ تَلُوا من الولاية، وتُعْرِضُوا أي إن قمتم بالأمر أو أعرضتم عنه، فإِنَّ اللَّهَ كان بمَا تَعملون خَبيراً.

(١) وتوجيه هذه القراءة سيذكره قريباً.

وقوله : ﴿فَتَذَرُوهَا كَالمعَلَّقَةِ﴾ .

قيل كالمحبوسة لا أَيِّماً ولا ذات بَعلٍ .

وقوله: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا باللَّه وَرَسُولِه والكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِه﴾.

قيل فيه قولان: يا أيها الذين آمنوا أَقيموا على الايمان باللَّه كما قال عزّ وجلّ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجراً عَظِيماً﴾[1]، أي وَعَدَ مَنْ أَقام على الإِيمان من أصحاب النبي ﷺ الذين ذكروا في هذه القصة مغفرة وأجراً عظيماً.

وقيل يُعْنَى بهذا المنافقون الذين أَظهروا التصديق وأَسرّوا التكذيب، فقيل: يا أَيُّها الذين أَظْهَرُوا الإِيمان آمِنُوا باللَّه ورسوله أي أَبطنوا مثل ما أَظهرتم.

والتأْويل الأَول أَشبه واللَّه أَعلم.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا، ثُم ازدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾.

قيل فيه غير قول: قال بعضهم يُعْنَى به اليهودُ لأَنَّهم آمنوا بموسى ثم كفروا بعزيرٍ ثم آمنوا بعزيرٍ ثم كفروا بعِيسَى، ثم ازدَادُوا كفْراً بكفرهم بمحمد ﷺ.

وقيل جائز أَنْ يكون محاربٌ آمن ثم كَفَر ثم آمَن ثم كَفَر.

وقيل جائز أَن يكون منافِقٌ أَظْهَرَ الإِيمان وأَبطن الكفرَ ثم آمن بعد ثم كفر وازداد كفراً بإقامته على الكفر.

---

[1] سورة الفتح آية «٢٩». ومحل الاستشهاد أن الآية في وصف المؤمنين وذكر مثلهم في التوراة وفي الإنجيل، ثم ختمت بهذه الجملة ـ فلا معنى للذين آمنوا من المؤمنين إلا الذين ثبتوا على الإيمان وداوموا عليه.

فإن قال قائل: اللّه جلّ وعزّ لا يغفر كُفْر مرةٍ واحدةٍ فلم قيل ههنا فيمن آمن ثم كفرتم آمن ثم كفر: لم يكن اللّه ليغفر لهم وما الفائدة في هذا؟ فالجواب في هذا ـ واللّه أعلم ـ أن اللّه عزّ وجلّ يغفر للكافر إذا آمن بعد كفره، فإن كفر بعد إيمانه لم يغفر اللّه له الكفر الأول، لأن اللّه جلّ وعزّ يقبل التوبة، فإذا كفر بعد إيمان قبله كفْر فهو مطالب بجميع كفره. ولا يجوز أن يكون إذا آمن بعد ذلك لا يغفر له، لأن اللّه جلّ ثناؤه يغفر لكل مؤْمن بعد كفره، والدليل على ذلك قوله جلّ وعزّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَعفو عَنِ السَّيِّئآتِ﴾[1]. وهذا في القرآن كثير، وهو شبيه بالإجماع أيضاً.

ومعنى ﴿ولا لِيَهْدِيهم سَبِيلاً﴾:

أي لا يجعلهم بكفرهم مهتدين بل يضلهم، لأنه جلّ وعزّ يضل الفاسقين.

وقوله ـ جلّ وعزّ: ﴿بَشِّرِ المُنافِقِينَ بأَنَّ لَهُم عَذَاباً أَلِيماً﴾.

معنى أَليم موجع، قال «بشر» أي اجعل في مكان بشارتهم «لَهُمْ العَذَابُ». العرب تقول تَحيَّتُكَ الضرْبُ، وعتابك السيف أي لك ـ بدلاً من التحية. . . هذا. قال الشاعر:[2]

وخيل قد دَلَفْتُ لها بِخيل ... تحية بينِهم ضرب وجيع

وقوله جلّ وعزّ ﴿أَيَبْتَغُون عندهُمُ العزَّة﴾ أي أَيبْتَغِي المنافقون عند الكافرين العزة، والعزة المَنْعَة وشدة الغَلَبَة وهو مأخوذ من قولهم أَرْضٌ عَزاز[3]. قال

(١) سورة الشورى الآية ٢٥.

(٢) هو عمرو بن معديكرب الزبيدي. والخيل هي خيل الأعداء تقدم لها بخيل من رجاله، وبدلاً من التحية تضاربوا بالسيوف. أنظر الخزانة ٥٣/٤، الخصائص ٣٥/٤ وابن يعيش ٨٠/٢ وكتاب سيبويه ٣٢٣/٢.

(٣) العزاز الأرض الصلبة، وأعز الرجل وقع في هذه الأرض.

الأَصْمَعيُّ: العَـزَاز: النَّفَلُ مِنَ الأَرضِ والصُّلْبُ الحجـارة، الذي يسـرع منـه جريُ الماءِ والسيل هذا لفظ الأَصْمعي.

فتأْويل العزة الغَلَبَةُ والشِّدَّةُ التي لا يتعلق بها إذلال، قالت الخنساءَ:[1]

كـأَن لـم يكـونـوا حـمىً يُـتَّـقَـى إذ الـنـاسُ إذ ذاك مـن عـزّ بـزَّا

أي من قوى وغلب سلب.

ويقال: قد استُعِز على المريض إذا اشتد وجَعَه، وكـذلك قـول الناس: يَعِزُّ عليَّ أَن تَفْعل، أي يشتد، فأما قولهم قد عَزَّ الشيءُ إذا لَم يوجد فتأْويله قد اشتد وجُودُه أَي صعب أَن يُوجَدَ، والمآب، واحدٌ.

وقوله: ﴿وَقَـدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَـابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آياتِ اللَّه يُكفَـرُ بِهَا وَيُسْتَهْزأُ بِهَا﴾.

أَعلَمَ اللَّه عزّ وجلّ المؤْمنين أَنَّ المنافقين يَهْزأُونَ بكتاب اللَّه، فأُمروا أَلا يقعدوا مَعَهُمْ حَتَّى يخوضوا في حديث غيره أَي في حديث غير القرآن.

وقوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُم﴾.

أَي إنكم إذا جـالستمـوهم على الخـوض في كتـاب اللَّه بـالهـزؤ فـأَنتم مِثْلُهُمْ.

---

(١) الديوان ص ٤٨ من أبيات أولها.

تـعـرقني الـدهـر نهسـاً وحـزا وأوجعني الـدهـر قـرعـاً وغمـزا

من تعرقت العظم أخذت ما عليه من اللحم والنهس القبض بالأسنان، والقرع الضرب والغمز ضغط الشيء اللين باليد ـ تريد أن الدهر أنهكها وقسا عليها بكبار نـوائبه ثم بكت قـومها الـذين ذهبوا ـ وعز بمعنى غلب، وبز: سلب، أي حين كان الناس من قدر على شيء نهبـه كانـوا هم يحمون الناس بقوتهم وينصفون الضعيف.

وانظر شواهد المغني ٨٨ والكامل ٢ /٥٨، ٢٨٧ (تجارية).

وقوله : ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِن الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

هـذا يقولـه المنافقـون إذا كـان للكـافـرين نصيبٌ قـالـوا : أَلـم نستحـوِذ عليكم ، أي أَلم نغلب عليكم بـالمُوالاة لكم ، ونمنعكُم من المؤْمنين بمـا كنـا نُعلمكم مِن أَخْبَارِهم .

ونَسْتَحوِذ في اللغة : نستولي على الشيء ، يقال حـاذ الحمار آتُنَـه[1] إذا استولى عليها وجَمعَها ، وكذلك حازها ، قال الشَّاعر .

يـحُوذهُـــنَّ ولـــه حُـــوذِيُّ[2]

ورَوُوه أيضاً :

يـحـــوزُهـــن ولـــه حـــوزيُّ

قـال النحويـون : اسْتَحْوَذَ خـرج على أَصْله ، فمن قال حَـاذَ يحـوذُ لم يقـل إلا استحاذ يستحيذ ، ومن قال أَحوَذَ [فهو] كما قال بعضهم أَجْودتَ وأَطيَبْتَ بمعنى أَجذْتَ وأَطبْتَ ، فأَخرجه على الأَصْل قال : اسْتَحْوَذَ[3] .

وقوله : ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ للكَافرينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ .

أي إن اللَّه ناصِرُ المؤمنين بـالحجة والغلبـة ، فلن يجعل للكـافرين أَبـداً على المؤْمنين سَبِيلاً .

وقوله عزّ وجلّ : ﴿ إنَّ المُنَافِقِينَ يخَادعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ .

أَي يخادعون النبي ﷺ بـإظهارهم لـه الإيمان وإبـطانِهم الكُفْرِ ، فجعـل

(١) جمع أتان ـ والأتانة قليلة . والأتان الحمارة يجمع أتن وأتن أيضاً .

(٢) للعجاج يصف ثوراً تـطارده الكلاب فيتغلب عليهـا . الديـوان ٧١ ، واللسان (حـوز) ومجاز أبي عبيـدة ١ ـ ١٤١ ، والخصائص ١/١١٩ ـ وعجـزه ـ كمـا يجـوز الفئـة الكمي ـ وجمـل حـوزي منقطع النظير .

(٣) وهو تصريف شاذ لا يقاس عليه .

اللَّه عزّ وجلّ مخـادعة النبي ﷺ مخـادعة لـه، كما قـال عزّ وجـلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعونَكَ إِنَّما يُبَايعونَ اللَّهَ﴾[1].

ومعنى قوله: ﴿وهو خَادِعُهُمْ﴾.

فيه غير قول: قال بَعْضُهُمْ: مُخادعةُ اللَّه إياهم جزاؤهم على المخـادعة بالعذاب، وكذلك قـوله: ﴿ ويمكـرونَ ويمْكُر اللَّهُ ﴾[2]. وقيـل وهو خـادِعُهُم بأمره عزّ وجلّ بالقبول منهم ما أظهروا، فاللَّه خادعهُمْ بذلك.

وقوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخذُوا الكَافِرِينَ أَوْلياءَ من دُون المُؤْمِنِينَ.

أي لا تجعلوهم بِطَانَتَكُمْ وخَاصَّتَكُمْ.

﴿أتُرِيدُونَ أنْ تَجعلُوا لِلَّهِ عَليكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً ﴾.

أي حجة ظاهرة، والسُّلطان في اللغة الحجَّةُ، وإنما قيل للخليفة والأمير سلطان لأنَّ معنـاه أنه ذو الحجـة. والعـربُ تُؤنِّث السلطان وتـذكـره، فتقـول: قَضَتْ عليـك بهذا السُّلْطَانُ، وأَمَـرَتْكَ بـه السلطانُ. وزعم قـوم من الـرواة أن التـأنيث فيـه أكثــر، ولم يُخْتلَفْ في التـذكيــر. وأحسب الـذين (رَووْا)[3] لم يَضْبطُوا مَعْنَى الكثرة من القلة.

والتـذكير (فيـه)[4] أكثر، فـأمـا القـرآن فلم يـأت فيـه ذكـر السلطان إلا مذكراً، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿لَوْلَا يأتون عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾[5] وقال: ﴿هَلَكَ

---

(١) سورة الفتح آية «١٠».

(٢) سورة الأنفال آية ٣٠.

(٣) ساقطة من ط ويظهر أن ذلك من سهو الناسخ ـ والمعنى الذين رووا هذه المسألة.

(٤) ليست في ك.

(٥) سورة الكهف آية ١٥.

عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾[١]، وقال: ﴿سُلْطَاناً مُبِيناً﴾[٢]. فجميع ما في القرآن من ذكر السلطان مذكر، ولو كان التأنيث أكثر لكان في كتاب اللَّه جلّ وعزّ.

فإن قال قائل إنما رَووْا أن السلطان بين الناس هو المؤنث قيل إنما السلطان معناه ذو السلطان. والسلطان الحجة. والاحتجاج والحجة معناهما واحد. فأما التأنيث فصحيح، إلا أنه أقل من التذكير، فمن قال: قضت به عليك السلطان أراد قضت عليكَ به الحجة، وقضت عليك حجة الوالي، ومن قال قضى به عليك السلطانُ ذهب إلى معنى صاحبُ السلطانِ. وجائز أن يكون ذهب به إلى البرهَانِ والاحتجاجِ، أي قضى به عليك البرهان.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ إن الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾.

قال أبو عبيدة معمر بن المثَنّى: جهنم أَدْرَاك، أي مَنازِل، فكل منزلة منها دَرَك.

والقراءَة: الدَّرَك بفتح الراءَ. والدَّرْكُ بتسكين الراءَ، فأما أهل المدينة وأهل البصرة فيقرأونها. «الدَّرَك». بفتح الراءَ وأما أهل الكوفة والأعمش وحمزة ويحيى بن وثاب، فيقرأون «الدَّرْك». وقد اختلف فيها عن عاصم، فرواها بعضهم عنه الدَّرَك ورواها بعضهم الدَّرْك - بالحركة والسكون جميعاً - واللغتان حكاهما جميعاً أهل اللغة، إلا أن الاختيار فتح الراءَ، لإجماع المَدَنيين والبصريين عليها وأن أحداً من المحدِّثين ما رواها إلا الدَّرَك بفتح الراءَ، فلذلك اخترنا الدَّرَك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾.

أي لا يمنعهم مانع من عذاب اللَّه عزّ وجلّ ولا يشْفَعُ لهم شافعٌ.

---

(١) سورة الحاقة - ٢٩.

(٢) في هذه الآية.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَسوْفَ يُؤتِ اللَّهُ المُؤْمِنينَ أَجْراً عَظِيماً﴾.

الخط حذفت منه الياءُ في هذا الموضع، وزعم النحويون أن الياءَ حذفت من الخط كما حذفت في اللفظ، لأن الياءَ سقطت من اللفظ لسكونها وسكون اللام في «اللّه» وكذلك قوله: ﴿يَومَ يُنَادِ المُنَادِ﴾[1] الياءَ من يناد حذفت في الخط لهذه العلة، وكذلك ﴿سَنَدْع الزَّبَانِيةَ﴾[2] و ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾[3] فالواوات حذفت ههنا لالتقاءِ الساكنين، فأما قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿ذلك مَا كُنَّا نَبغِ﴾[4]، فهو كقوله ﴿يُنادِ المُنَادِ﴾، و﴿يدع الداع﴾، فهذه الياءَاتُ من نحو ﴿نَبْغِ﴾ حذفت لأن الكسرة دلت على الياءَ فحذفت الياءَ لثقلها، وليس الوجه عند النحويين حَذْفها. فأما المنادي والداعي فحذفت الياءَ منها كما حذفت قبل دُخُول الألف واللام، لأنك تقول: هذا داعٍ وهذا منادٍ. فأما ﴿وَاللَّيلِ إِذَا يسرِ﴾[5]. فحذفت الياءَ لأنها رَأْسُ آيةٍ، ورُؤُوس الآي الحذف جائز فيها كما يجوز في آخر الأبيات.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الجَهْرَ بالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إلاَّ مَنْ ظُلِمَ﴾. وإلاَّ مَنْ ظَلَم، يقرأُ بهما جميعاً.

فالمعنى أن المظلوم جائز أن يظهر بظُلاَمَته تَشكياً، والظالم يجهر بالسوءِ من القول ظلماً واعتداءً، وموضع «مَنْ» نصبٌ بالوجهين جميعاً، لأنه استثناءَ ليس من الأول[6].

---

(١) سورة ق آية ٤١.

(٢) سورة العلق ١٨.

(٣) سورة القمر ٦.

(٤) الكهف ٦٤.

(٥) سورة والفجر ٤.

(٦) على الوجه الثاني استثناء منقطع، وعلى الأول تام موجب.

المعنى: لا يحب اللَّه الجهر بالسوءِ من القول لكن المظلوم يظهر بظلامته تشكياً، ولكن الظالم يجهر بذلك ظلماً. ويجوز أن يكون موضع «مَنْ» رفعاً على معنى لا يحب اللَّه أن يجهر بالسوءِ من القول إلَّا من ظلم فيكون «من» بَدلاً من معنى أحدٍ، المعنى: لا يحب اللَّه أن يجهر أحد بالسوءِ من القول إلا المظلوم.

وفيها وجه آخر لا أعلم النحويين ذكروه، وهو أن يكونَ «إلّا مُنْ ظَلَمَ» على معنى لكن الظالم أجهروا له بالسوء من القول، وهذا بَعْدُ استثناءُ ليس من الأول. وهو وجه حَسَنٌ، وموضعه نَصْبٌ.

وقد روي أن هذا ورد في الضيف إذا أُسِيءَ إليه، فله أن يشكو لك، وحقيقته ما قلناه. واللَّه أعلم.

وقوله: ﴿يَسألُك أهلُ الكِتَابِ أن تُنزِّلَ عَلَيهِم كِتَاباً من السَّمَاءِ﴾ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ.

وهذا حين قالوا للنبي ﷺ: ﴿وَلَنْ نؤْمِنَ لرُقِيك حَتَّى تُنزِّلَ عَلَيْنَا كتاباً نَقْرَؤُهُ﴾(١).

أي فقد سألوا موسى بعد أن جاءَهم بالآيات، فقالوا: ﴿أَرنَا اللَّه جَهْرَةً﴾.

وقال أهل اللغة في ﴿جهرة﴾ قولين: قال أَبُو عبيدة: قالوا جهرةً أَرِنَا اللَّه(٢)، لأنهم إذا رأوا اللَّه فالسر جهرة، فإنَّما جَهْرَةٌ صفةٌ لقولهم.

وقال بعضهم أَرِنَا اللَّه جَهْرَةً، إنما معناه أرنا رؤْيةً بينةً منكشفةً ظاهرة لأن من علِم اللَّه عزّ وجلّ فقد زَادَ عِلْماً، ولكن سألوه رؤْية يُدْرِكونها بأبصَارِهم.

---

(١) سورة الإسراء ٩٣.

(٢) أي قالوا ذلك جهاراً.

ودليل هذا القول قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قُلْتُم يا مُوسى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتى نَرَى اللَّه جَهرةً﴾[1]. وهذا عندي هو القول البين إنْ شَاءَ اللَّه.

وقوله: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهَم ﴾.

«ما» لَغْوٌ في اللفظ، المعنى فبنقضهم ميثاقهم حقًا، فكما أن حقًا لتوكيد الأمر فكذلك «ما» دخلت للتوكيد.

وتأويل نَقْضِهم مِيثَاقَهُم أن اللَّه عزّ وجلّ أخذ عليهم الميثاق في أن يُبَيّنُوا ما أُنْزل عليهم من ذِكْـر النبي ﷺ وغيره، قـال اللَّه عزّ وجـلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّه مِيثَـاقَ الَّـذينَ أُوتُـوا الكِتَـابَ لتبيننّـهُ لِلنَّـاسِ وَلاَ تَكْتُمُـونَـه فَنَبـذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾[2].

والجالب للباءَ والعامل فيها قوله عزّ وجلّ:

﴿حَرَّمْنَا عَلَيهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُم﴾۔

المعنى بنقضهم ميثاقهم، والأشياءَ التي ذكرت بعدَه.

وقوله «فبظلم» بدل من قوله: فبما نقضِهم.

وقوله: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: أي أوعية للعلم.

﴿بَلْ طَبعَ اللَّه عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾.

وإن شئت أدغمت اللام في الطاء، وكذلك: ﴿بَـلْ تُؤْثِـرونَ الحَيَـاةَ الدُّنيا﴾[3] يُدْغَمُ فتقول: بَطَّبَعَ، وبتُّؤْثُرنَ، جعل اللَّه مُجَازاتَهُمْ على كفرهم أن طبع على قلوبهِم.

وقوله: ﴿ وَقَوْلِهم علَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظيماً ﴾.

---

(١) سورة البقرة ـ ٥٥.

(٢) سورة آل عمران ١٨٧.

(٣) سورة الأعلى آية ١٦ ـ والشاهد جواز الادغام، «بتؤثرون».

البهتان الكذب الذي يُحيّرُ من شِدَّتِه وعِظَمِه، وذلك أنَّ اليهود ـ لعنها اللَّه ـ رمت مريم، وهي صفوة اللَّه على نساءِ العالمين، بأمْرٍ عظِيمٍ.

وقوله: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى بنَ مَريَمَ رَسُولَ اللَّه﴾.

أي باعترافهم بقتلهم إياه.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وما صَلبُوهُ وَلكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾.

فإنما عُذِّبوا أو يُعَذبون عذابَ من قتل، أو كان شُبِّهَ لَهم لأنهم قد أُتوا الأمر على أنه قتل نبّي. وجاءَ في التفسير أن عيسى لما أراد اللَّه جلّ ثناؤه رفعه إليه وتطهيره منهم، قال لأصحابه: أيُكم يرضَى أن يُلْقَى عليه شبهي فَيُقْتلَ ويُصلَب ويدخل الجنة، فقال رجل منهم أنا فألقى عليه شبهه فقتل، ورفع اللَّه عيسى إليه، وهذا كله غير ممتنع، لأنا لا نشك في أنه شُبِّه لَهُمْ.

وقوله: ﴿وَإِنَّ الَّذينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍ مِنْهُ﴾.

أي الذين اختلفوا في قتله شاكُّون، لأن بعضهم زعم أنه إله، وما قُتِلَ، وبَعضُهم ذكر أنه قُتِلَ، وهم في ذلك شَاكُّون.

﴿مَا لَهُمْ به مِنْ عِلْمٍ إلا اتباعَ الظَّنِ﴾.

اتباعَ منصوبٌ بالاستثناء، وهو استثناء ليس من الأول. المعنى ما لهم به من علم لكنهم يتبعون الظن. وإن رُفِعَ جاز على أن يُجْعَلَ عليهم اتباعُ الظَّن، كما تقول العرب: تحيتك الضربُ وعتابُكَ السَّيفُ.

قال الشاعر:(١)

وخيل قد دَلَفْتُ لها بخيلٍ تحية بينهم ضربٌ وجيعُ

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقيناً﴾.

(١) تقدم ص ١٢٠.

قـال بعضهم: الهاءَ للعلم. المعنى ومـا قتلوا علمهم يقيناً، كمـا تقول: أنا أَقتل الشيءَ علماً، تأْويله إني أَعلمه علماً تامًّا.

وقال بعضهم: «وما قتلوه» الهاء لعيسى كما قال: وما قتلوه ومـا صلبوه، وكلا القولين جائز.

وقوله: ﴿بَلْ رَفَعَه اللَّه إِلَيْهِ﴾.

إدغـام اللام في الـراء هو الكـلام وعليه القـراءَة، لأَن الـلام قـريبـة من مخرج الراء، والراء متمكنة، وفيها كالتكرير، فلذلك اختير الإدغـام فيها، وَإِنْ لَمْ تُدْغم لأَنه مِنْ كلمتين جاز.

وقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَّابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبلَ مَوتِهِ﴾.

المعنى: ومَا منهم من أَحد إلا ليُؤْمِنَنَّ بـه، وكذلـك قولـه: ﴿وَإِنْ مِنكُمْ إِلا وَارِدُهَا﴾[1].

المعنى مـا منكم أَحـدٌ إلا واردهـا، وكـذلـك ﴿وَمَـا مِنَّـا الَّا لـه مَقَـامٌ مَعْلومٌ﴾[2] المعنى وما منا أَحد إلا له [مَقَامٌ مَعْلومٌ].

ومثله قول الشاعر:[3]

لـو قلتَ مـا في قـومهـا لم تيثَم ... يَـفْضُـلُهـا في حَـسبٍ ومِـيسَـمِ

المعنى مــا في قومها أَحد يَفضلها.

فـالمعنى ﴿ليؤْمنَّن بـه بعد مـوته﴾[4]، فـالهَاءُ في «مـوتـه» راجعـة على

(١) مريم - ٧١.

(٢) الصافات ١٦٤.

(٣) تقدم ص ٥٨.

(٤) ليست في ك. وتفسير قبل ببعد مستبعد والعبارة في ك: فأما ليؤمنن به قبل موتـه فالهاء في موتـه راجعة.. الخ.

كافرٍ في بعض الأقاويل، وقد قيل: ما من أحد إلا ليُؤمننَّ بعيسى ممَّن كفر به قبل مَوْتِه، لأن الميت قبل موته يعاين عمله فيعلم صالحه من طالحه، وكل كافر إذا عَاينَ آمَنَ بكل نبي كَفرَ به قبل مَوْته.

وقالوا في الهاء في قوله: ﴿ليُؤمننّ به﴾ أي بعيسى، وقال بعضهم بمحمد ﷺ. والقولان واحدٌ، لأن من كفر بنبي عَاينَ قبل موته أنه كان على ضلالٍ، وآمن حيث لا ينفعه الإيمانُ.

وقال بعضهم: ﴿إلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ به﴾ أي سيؤْمن بعيسى إذا نزل لقتل المسيخ الدَّجَّال، وهذا بعيدٌ في اللُّغَةِ، لأنه قال: «وإن منهم إلا ليؤْمِنَنَّ به قبل موته»، والذين يبقون إلى ذلك الوقت إنما هم شرذمة منهم، ولكنه يحتمل أنهم كلهم يقولون إن عيسى الذي ينزل لقتل الدجال. نحن نؤْمن، فيجوز على هذا، واللَّه أعلم بحقيقته.

وقوله: ﴿لَكنِ الرَّاسِخُونَ في الْعِلْمِ مِنْهُمْ والمؤْمِنُونَ يُؤْمِنُوَن بما أُنْزِلَ إلَيْكَ».

يُعْنَى بالرَّاسخين الثابتون[1] في العلم من أهل الكتاب أنهم لِعِلْمِهِمْ آمنوا بالنبي ﷺ وسائر الأنبياء عليهم السلام.

ـ﴿والمُقِيمِينَ الصَّلاةَ﴾.

نسق عَلى «ما»[2] المعنى يؤْمنون بما أُنزل إليك وبالمقيمين الصلاة أي ويؤمنون بالنبيين المقيمين الصلاة.

وقال بعضهم «المقيمين» عطف على الهاء والميم، المعنى: لكن

---

(١) ك الثابتين.

(٢) ك اختلف الناس في إعراب المقيمين فقال بعضهم هو نسق.. الخ.

الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة يؤْمنون بما أُنزل إليْـك، وهذا عند النحويين رَدِيءُ، أعني العطف على الهاء والميم لأنـه لا يعطف بـالظاهـر المجرور على المضمر المجرور إلا في شعْرٍ، وذهب بعضهم أن هذا وهمٌ من الكاتب(١).

وقال بعضهم: في كتاب اللَّه أشيـاءَ آستصلحها العـرب بألسنتهـا، وهذا القـول عند أهـل اللغة بعيـدٌ جداً، لأن الـذين جمعوا القـرآن أصحاب رسـول اللَّه ﷺ وهم أهل اللغة وهم القدوة وهم قريبو العهد بـالإسلام فكيف يتـركون في كتـاب اللَّه شيئاً يصلحـه غيـرهم، وهم الـذين أخـذوه عن رسـول اللَّه ﷺ وجمعوه، وهذا ساقط عَمَّنْ لا يَعْلَم بَعْـدَهُمْ وسـاقط عمن يعْلَمُ، لأنهم يُقْتَدى بهمْ فهـذا مما لا ينبغي أن ينسب إليهم رحمـةُ اللَّه عليهم. والقـرآن محكَم لا لحن فيه، ولا تَتكلم العرب بأجود منه في الإعراب، كما قال عزّ وجلّ ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيم حَمِيد﴾(٢)، وقال: ﴿بِلِسانٍ عَربي مُبِينٍ﴾(٣).

ولسيبويه والخليل وجميع النحويين في هذا باب يسمونه باب المدحِ قد بَينوا فيه صحةَ هذا وجَوْدتهَ. وقال النحويـون: إذا قُلتَ مَرَرْتُ بـزيدِ الكـريمَ، وأنتَ تريد أن تخلص زيداً من غيره فالجرّ هو الكلام حتى يُعْـرَفَ زيد الكـريمُ من زيد غير الكريمِ، وإذا أردت المدح والثناءَ فإن شئت نصبت فقلت مـررتَ بـزيد الكـريمَ كأنـك قُلتَ أذكُرُ الكـريمَ، وإن شئت قلت بـزيـد الكـريمُ على [تقـدير] هـو الكريم، وجـاءني قومُـكَ المطعمينَ في المحـل، والمغيثـون في الشدائد، على معنى أذكر المطعمينَ، وهم المُغيثُون في الشّدَائـد، وعلى هذا الآيـة، لأنه لمـا قال: ﴿يُؤْمِنونَ بِمَا أُنْـزِلَ إِلَيْكَ وَمَـا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِك﴾ عُلمَ أنهُمْ

(١) أي انها بالرفع وأخطأ الكاتب ـ وهذا كما ذكر خطأ.

(٢) سورة فصلت آية ٤٢.

(٣) سورة الشعراء آية ١٩٥.

يُقِيمون الصَّلَاة ويُؤْتُـون الزَّكـاةَ. فقال: ﴿والمقيمين الصـلاة، والمُؤْتُونَ الزكاةَ﴾، على معنى، أذكُـر المُقِيمينَ الصـلاةَ، وهم المؤْتـوْنَ الـزكـاة، وأنشـدوا بيت الخزنق بنت بدر بن هفان(١):

لا يَبْعَـدَن قـومي الـذين همُـو سمُّ الـعـداةِ وآفَـةُ الـجـزُرِ
الـنـازلين بـكـل مـعـتـرك والـطيبـون مـعـاقـد الأُزُرِ

على معنى أذكـر النازلين، رفعـه ونصبـه على المـدح. وبعضهم يـرفـع النازلين وينصب الطيبين، وكله واحد جائز حسن. فعلى هذه الآية.

فأما من قال إنه وهم فقد بينا ما فيه كفاية. والـذي ذكرنـاه من الاحتجاج في ذلك مذهب أصحابنا البصريين.

وقوله: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْـكَ كَمَا أَوْحَيْنَـا إِلى نُوحٍ وَالنَبِيّينَ مِنْ بعدِهِ﴾. هـذا جواب لهم حين سألوا النبي ﷺ أن ينزل عليهم كتـاباً من السمـاءِ، وقد جـرى ذكر ذلك قبل هذه الآية. وهو قوله: ﴿يَسْأَلُكَ أَهلُ الكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِم كِتَابـاً مِن السَّماءِ﴾ فأعلم اللّه نبيـه أن شأنـه في الوحي كشـأن الأنبياءِ الـذين سلفـوا قبله، وهـذا احتجاج عليهم، فقـال: ﴿إنا أوحينـا إليـك كمـا أوحينـا إلى نـوح والنبيين من بعده﴾ وسائر الأنبياءُ الذين ذكروا في هذه الآية.

وقوله: ﴿وآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾.

القـراءَة فيه بفتـح الزاي وضمهـا، وأكثر القـراء على فتح الـزاي،. وقد قرأت جماعة زُبُوراً بضم الزاي، منهم الأعمش وحمزة، فمن قرأ زَبُوراً، بفتح الزاي فمعناه كتاباً، وهذا الوجـه عند أهـل اللغة، لأن الآثـار كذا جـاءَت زَبُور دَاوُدَ، كما جاءَ تَوْراةُ مُوسَى وإِنْجِيل عِيسى.

---

(١) الكلمة غامضة في ب، ط، وفي ك بنت عبعبة والمعروف أنها خـرنق بنت بدر بن هفـان. أنظر الخـزانة ٢ ـ ٣١٧، والكتـاب ١ ـ ٨١ وأمالي المـرتضى ١ ـ ١٤٦، وينسب البيتان أيضـاً لغيـر خرنق.

ومن قرأ زُبوراً بضم الـزاي فمعناه وآتينـاه كُتُباً، جمـع زَبْر وزُبُـور ويقال ذَبرت الكتاب أَذْبرُه ذَبْراً إذا كتبتَ، وذَبَرتُ أَذْبُرُ ذبْراً، وأَذْبرُ إذا قرأْتَ[١].

والزَّبْرُ في اللغة إحكام العمـل في البئر خـاصة، تقـول: بئر مـزبورة إذا كانت مطوية بالحجارة، والزبر إحكام الكتاب، وقول الشاعر:[٢]

هَـوْجَـاءُ لَيْـسَ لِلُبهـا زَبْـرُ

يصف ريحـاً، جعل هـذا مثـلاً لَهـا، كـأنـه قـال ليس لشـأنهـا قـوة في الاستواءِ. وقوله جلّ وعزّ: ﴿آتوني زُبرَ الحدِيد﴾[٣] واحدها زُبْرَة، وهي قـطع الحديد.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُم عَلَيْكَ﴾.

«رسلاً» منصوب من جهتين، أَجـودهما أن يكـون منصوبـاً بفعل مضمَـرِ، الذي ظهر يفسِرهُ، المعنى وقد قصصنا رسلاً عليك قد قصَصْنـاهم، كما تقـول رأيت زيـداً وعمراً أكـرمته، المعنى وأكـرمت عمراً أكـرمته. وجـائز أن يحمـل ﴿ورسُلاً﴾ على معنى ﴿إنَّا أوحينا إليك﴾، لأن معناه إنا أرسلنا إليك: موحين إليك، وأرسلنا رسلاً قد قصصناهم عليك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّه موسَى تَكْلِيماً﴾.

أَخْبَرَ اللَّه عزْ وجلّ بتخصيص نَبِي مِمَّن ذكر، فـأعلم عزّ وجـلَ أن موسى كُلِمّ بغير وَحي، وأكد ذلك بقوله تكليماً، فهو كلام كمـا يعقلُ الكـلام لا شك في ذلك.

(١) في القاموس: الذبر الكتابة يزبر ويزبر كالتذبيـر والنقط والقراءة الخفيـة، والزبـر القوي الشـديد والعقل والحجارة والرمي بها وطي البئر بها.. والكتابة وهي بالذال والزاي.

(٢) هو ابن أحمر، وصدر البيت: ـ ولهت عليه كل معصفة ـ الزبر هنا القرار. ويقـال آراء هوجـاء أي ليست محكمة، والزبر الحجارة وطي البئر ـ أنظر اللسان ـ زبر ـ، وكتاب سيبويه ٢ / ٧١.

(٣) سورة الكهف آية ٩٦.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِما أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾.

القراءَة الرفع مع تخفيف «لكن»، والنصب جائز «لكنَّ اللَّه يَشهَدُ» إلا أنه لا يقرأ بما يجوز في العربية إلا أن يَثْبُتَ به رواية عن الصحابة وقراءَ الأمصار، ومعنى ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بما أَنْزل إِلَيْكَ﴾: [يبين]، لأن الشاهِدَ هو المبين لما يشهَدُ به. فاللَّه جلّ وعزّ يبينه ويعلم مع إبانتهِ أنه حق.

﴿ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُون وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾:

معناه: وكفى اللَّه شهيداً، والباءُ دخلت مؤكدة، المعنى اكتفوا باللَّه في شهادته، ومعنى ﴿ أَنْزَلَهُ بعِلْمِه﴾ أي أنزل القرآن الذي فيه علْمُه.

وقوله: ﴿فآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ﴾.

اختلف أهل العربية في تفسير نصب «خير»، فقال الكسائي: انتصب لخروجه من الكلام، قال: وهذا تقوله العرب في الكلام التام نحو قولك لتقومَن خيراً لك، فإذا كان الكلام ناقصاً رفعوا فقالوا: إن تنته خيرٌ لك. وقال الفَرَّاءُ: انتصب هذا وقوله ﴿خيراً لكم﴾ لأنه متصل بالأمر وهو من صفته، ألا ترى أنك تقول انته هو خير لك فلما سقطت هو اتصل بما قبله، وهو معرفة فانتصب، ولم يقل هُو ولاَ الكسائِي من أي المنصوبات هو، ولا شرحوه بأكثر من هذا.

وقال الخليل وجميع البصريين: إنَّ هذا محمول على معنا، لأنك إذا قلت: إِنْتَهِ خيْراً فأنت تدفعه عن أمر وتدخِله في غيره، كأنك قلت انْتَهِ وائتِ خيرٌ[1] لك وادخُلْ فيما هو خير لك.

وأنشد الخليل وسيبويه قول عمر بن أبي ربيعة:

---

(١) أي يكن ذلك خيراً لك.

فـواعِـديـه سَـرْحَتيْ مـالِـكٍ　　أو الـزُّبى بينهمـا أسْهَـلاَ[١]

كأنه قال إيتي مكاناً أسْهلا .

وقوله : عزّ وجلّ : ﴿سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ .

معنى سبحانه تبرئته من أن يكون له ولد، وهذا قول أهل العربية . وجاءَ عن النبي ﷺ أن معنى «سبحان اللَّه» تبرئة اللَّه من السوءِ، وتفسير أهل العربية موافق لما جاءَ عن النبي ﷺ .

وقوله جلّ وعزّ : ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا﴾ :

الرفع لا غير، ورفعه بإضمار لا تقولوا آلِهتُنَا ثَلَاثَةٌ .

﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ :

أي ما هو إلا إله واحِدٌ .

وقوله : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بنُ مَرْيَم رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ﴾ :

[أي] فكيف يكـون إلٰهاً وهـو ابن مريم، وكيف يكـون إلٰهاً وأُمـه قبله[٢] واللَّه عزّ وجلّ القديم الذي لم يَزُل .

﴿لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ .

الغُلو مجاوز القدرِ في الظلم .

وقوله : ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ المَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ﴾ :

أي ليس يستنكف الذي تزعمون أنه إله أن يكون عبداً للَّه .

﴿ ولا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ .

---

(١) انظر الخزانة الشاهد رقم ١٠٠ ـ ٣ : ١ ط السلفية وهـو صفة لمحـذوف أي أئت مكانـاً أسهل . وهو الشاهد إذ نصبه لفعل محذوف ـ ويروى البيت برواية أخرى لا شـاهد فيهـا . أنظر الأغـاني ٨ ـ ١٤٤، وابن الشجري ١ ـ ٣٤٤ .

(٢) أي هو ليس بقديم ـ إذ تسبقه أمه في الوجود فهو ليس بإلٰه ـ والإِله لا يكون محدثاً ولا مولوداً .

والملائكة ـ واللّه أعلم ـ أكرم من النبيين، ألا ترى أن نُوحاً عليه السلام قال: ﴿لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ، وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾(١)، فقال عزّ وجلّ: لن يستنكف المسيح من العبودةِ للّه.

ومعنى يستنكف أي لن يأنف، وأصله في اللغة من نَكَفْتُ الدَّمْعَ إذا نحيته بإِصبعك من خدك، قال الشاعر:(٢)

فبانوا فلولا ما تذكر منهم من الخُلفِ لم يُنْكَفْ لعَينيك مَدمعُ

فتأويل لَنْ يستنكف لن ينقبض، ولن يمتنع من عبودَةِ اللّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نوراً مُبِيناً﴾.

يُعنَى به ـ واللّه أعلم ـ القرآن، لأن النور هو الذي يُبَيِّنُ الأشياءَ حتى تُرَى. وَمَثَّلَ اللّه عزّ وجلّ ما يَعْلم بالقلب عِلْماً واضِحاً لما يرى بالعَيْن رُؤْيَةً منكشفة بَيِّنَة.

والكلاَلَةَ قد بَيَّناها أول السورة.

وقوله: ﴿إِن امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَد﴾.

جاز مع «إن» تقديم الاسم قبل الفعل، لأن «إنْ» لا تعمل في الماضي، ولأنها أم الجزاءِ. والنحويون يذهبون إلى أن مَعَها فعلاً مضمراً، الذي ظهر يفسره، والمعنى إن هلك امرؤٌ هلك.

وقوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾.

قيل فيها قولان، قال بعضُهم: المعنى يبين اللّه لكم أن لاَ تضلوا

(١) سورة هود ٣١.

(٢) اللسان (نكف) ـ أي أن الأحبة قد نأوا فلولا ما يتذكره من مخالفتهم له وقسوتهم لظل دمعه سيالاً لا يستطيع كفكفته ولا مسحه عن خده ويروى فماتوا! ونكف من باب نصر.

فأضمرت لا، . وقال البصريون إن «لا» لا تضمر، وإن المعنى: يبيّنُ اللَّه لكم كراهة أن تضلوا، ولكن حذفت «كراهة»، لأن في الكلام دليلًا عليها، وإنما جاز الحذف بمندهم على [حد] قوله: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ والمعنى واسأل أهل القرية، فحذف الأول جائز، ويبقى المضاف يدل على المحذوف، قالوا فأما حذف «لا» وهي حرف جاء لمعنى النفي فلا يجوز، ولكن «لا» تدخل في الكلام مؤكدة، وهي لغو كقوله: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ﴾[١] ومثله قول الشاعر:

وما ألوم البيض ألَّا تسخراً لما رأين الشمط القَفَنْدَرا[٢]

المعنى وما ألوم البيض أن تسخر.

ومثل دخول «لا» توكيداً قوله عزّ وجلّ: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوم الْقِيَامَةِ﴾[٣]، و﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾[٤].

فإن قال قائل: أفيجوز أن تَقُول لا أحلف عليك، تريد أحلف عليك؟. قيل «لا» لأن لا، إنما تلغى إذا مضى صدر الكلام على غير النّفي، فإذا بنيت الكلام على النفي فقد نقضت الإيجاب، وإنما جاز أن تلغى «لا» في أول السورة، لأن القرآن كله كالسورة الواحدة، ألا ترى أن جواب الشيء[٥] قد

---

(١) سورة الحديد ٢٩.

(٢) لأبي النجم والبيت في الخزانة ١ ـ ٤٨ وفي القرطبي ٢ ـ ١٨٢، واللسان (قفندر) ومجاز أبي عبيدة ١ ـ ٢٦، والشاهد فيه زيادة «لا». أي لا ألوم البيض أن تسخر من أن رأين الشيب لاح برأسي.

(٣) سورة القيامة آية ١.

(٤) سورة البلد آية ١.

(٥) الرد عليه ورد شبهته.

يقع وبينهما سُورٌ كما قال جلّ وعزّ جواباً لقوله: ﴿وقالوا يا أيُّها الَّذي نزل عليه الـذِّكر إنَّـك لَمجْنُونٌ﴾[1]، فقـال: ﴿نُون والقَلمِ ومـا يَسطرونَ مـا أنت بنعمة رَبِّكَ بمَجنُون﴾[2]، (ومثله في القرآن كثير)[3].

---

(١) سورة الحجر ٦.

(٢) سورة ن آية ١ ـ ٢.

(٣) ك فقط.

ومن سورة المائدة

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله جلّ وعزّ: ﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا أَوْفُوا بالعُقُودِ﴾.

خاطب اللَّه جلّ وعزّ جميعَ المؤْمنين بالوفاءِ بالعقود التي عقدها اللَّه عليهم، والعقود التي يعقدها بعضهم على بعضٍ على ما يوجبه الدين، فقال: يا أَيُّها الَّذين آمنُوا، أي يا أيُّها الذين صدقوا النبي ﷺ أَوْفُوا بالعُقُود، والعقود العهود، يقال وفيت بالعهْدِ وأوفيتُ. والعقود واحدُها عَقْد، وهي أوكد العهودِ يقال: عهدت إلى فلان في كذا وكذا، تأْويله أَلْزَمْتُه ذلك، فإنما قلت عاقدته أو عَقَدتُ عليه، فتأْويله أنك أَلْزَمْته ذلك باستيثاق.

وقال بعضهم أَوْفوا بالعقُودِ أي بما كان عقد بعضُكم على بعض في الجاهلية، نحو الموالاة، ونحو قوله: ﴿والذين عقَدتْ أَيْمانُكُم، فآتُوهُم نَصِيبهمْ﴾(١) والمواريث تنسخ العقودَ في باب المواريث.

يقال عقدت الحبلَ والعهد فهو معْقودٌ. قال الحطيئة:

قومٌ إذا عَقَدوا عقْداً لِجارِهِمُو   شدُّوا العِناجَ وشدُّوا فوقَه الكَرَبا(٢)

---

(١) النساء: الآية ٣٣.

(٢) الديوان ٦، واللسان (كرب). وشواهد الكشاف. العناج ككتاب حبل يشد به أسفل الدو، وعرقوته، والكرب حبل يربطهما معاً. والبيت من قصيدته في مدح عامر بن الطفيل وتفضيله =

تأويله أنهم يوفون عهودَهم بالوفاءِ بها، ويقال أعقَدْتُ العسَل ونحـوه فهو مُعقــدَ وعَقِيـدٌ، وروى بعضهم: عقــدت العسـل والكــلام أُعقَــدْتُ، قــال الشاعِر:(١)

وكــأن ربًّــا أوْ كُحيــلًا مُـعْقَــداً   حشَّ الـوقُـودُ بــه جـوانب قُمقُم

وقوله جلّ وعزّ: ﴿أُحِلَّت لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعام﴾.

قال بعضهم: بهيمة الأَنعام: الظباءُ والبقر الـوحْشِيَّةُ والحُمْـرُ الوحشيَّـةُ.

والأَنعام في اللغة تشتمل على الإبل والبقر والغنمَ.

فالتأْويل ـ واللَّه أعلم ـ أُحلت لكم بهيمة الأَنعـام، أي أُحلت لكم الإبل والبقرُ والغنمُ والوحْشُ. والدليل على أَن الأَنعـام مشتملة على ما وصفنـا قولـه عزّ وجلّ: ﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَـةً وفَرْشاً﴾(٢) فالحمـولة الإبـل التي تُحَمَّلُ(٣) والفرْشُ صغار الإبل، قال ﴿ثمانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِن الضَّأْنِ اثْنَيْنْ. ومن المعز اثنين﴾(٤) ثم قـال: ﴿ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين﴾(٥) وهذا مردود على قوله: ﴿وهو

= على الزبرقان بن بدر، وجاء قبلها:

قـوم هم الأَنف والأذنــاب غيــرهم   ومن يسـوي بـأنف النـاقـة الـذنبـا

قـوم يبيت قـريــر العين جـارهمـو   إذا لــوى بـقـوى أطنــابـهم طـنبـا

يريد أنهم يفون بعهدهم وينصرون من يحالفهم.

(١) هو عنترة العبسي يصف العرق الذي يتصبب من ناقته، بأنه خاثر مما علق به من الأتربة، فصار كـالطلاء أو القـطران الذي أوقـدت عليه النـار حتى تخثر، والـرب الطلاء، والكحيـل القـطران وحش النار أوقدها أو جمع لها الوقـود.، وعرق الإبـل أسود، والقمقم هنـا هو رأس النـاقة على التشبيه، والبيت في معلقته رقم ٣٢.

(٢) سورة الأنعام آية ١٤٢.

(٣) فهي فعولة بمعنى مفعولة أي محملة. ولهذا دخلتها تاء التأنيث.

(٤) سورة الأنعام. آية ١٤٣.

(٥) سورة الأنعام ـ ١٤٤ ـ أي خلق من الأنعام ما هو كبير يحملكم ويحمـل متاعكم في أسفـاركم، وما هو دون ذلك، تأكلون لحمه وتنتفعون بجلده وبوبره.

الذي أنشأ جناتٍ مَعْرُوشاتٍ﴾[١]، وأنشأ ﴿من الأنعام حمولة وفرشاً﴾. ثم ذكر ثمانية أزواجٍ بـدلاً من قولـه: ﴿ومن الأنعام حمـولة وفرشاً﴾. والسُّـورَة تُدعَى سـورة الأنعام، فبهيمة الأنعام هذه[٢]، وإنمـا قيل لهـا بهيمة الأنعـام لأن كل حي لا يميـز فهو بهيمـة، وإنمـا قيـل لـه بهيمـة لأنـه أبهم عن أي يميـز، فـأعلم اللّه عزّ وجلّ أن الذي أُحِلّ لنا مما أُبهِم هذه الأشياءُ.

وقوله: ﴿إلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُم﴾.

مـوضع مـا نصب بـإلا، وتـأُويله أُحلت لكم بهيمـة الأنعـام ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ من الميتةِ والدَّم والمـوقُوذَةِ والمُتَـرَدِّيَةِ والنـطِيحَة ﴿غيرَ مِحِلّي الصَّيْدِ﴾ أي أُحلَّتْ لكم هذه لا مُحِلينَ الصَّيْدَ ﴿وأنتم حرم﴾.

وقال أبو الحسن الأخفش: انتصب ﴿غيرَ محِلّي الصيد﴾ على قوله: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾، كأنه قيل: أُوفـوا بالعُقـودِ غيرَ مُحِلَى الصَّيْـدِ، وقال بعضهم يجوز أن تكون «ما» في موضع رفع على أنه يذهب إلى أنه يجوز جـاءَ إخوتك إلَّا زيدٌ، وهذا عنـد البصريين بـاطل لأن المعنى عنـد هذا القـائل:[٣] جاءَ اخوتك وزيد[٤]. كأنه يعطف بها كما يعطف بـلا، ويجوز عنـد البصريين جـاءَ الرجـال إلا زيد على معنى جـاءَ الرجـال غيرُ زيـد، على أن تكون صفـة للنكرة أو مَا قَاربَ النكرةَ من الأجناسِ.

وقوله: ﴿وأَنْتُمْ حُرمٌ﴾.

أي مُحـرمونَ. وأَحَـدُ الحُرُم حـرام، يقال رجـل حَرامٌ وقـوم حُرُم، قـال الشاعر:[٥]

---

(١) الأنعام آية ١٤١.

(٢) أي هذه الأصناف الثمانية. والإضافة في «بهيمة» الأنعام بيانية، أي بهيمة هي الأنعام.

(٣) أي من يرفع المستثني بعد الموجب التام.

(٤) أي إلا عاطفة وتفيد النفي، وكان الأولى أن يكون التقدير: جاء إخوتك لا زيد.

(٥) في اللسـان (لبب) للمضرب بن سعـد، وهو للمضـرب بن كعب بن زهيـر وأنـظر القـرطبي ٦ -:

فقلت لها فِيئي إليك فإنَّني حرامٌ وإني بعد ذاك لبيب

أي ملبٍّ.

وقوله: ﴿إنَّ اللَّه يحْكُمُ ما يُريدُ﴾.

أي الخلق له عزّ وجلّ، يُحِل منه ما يشاءُ لِمَنْ يَشَاءُ، ويُحُرِّمُ مَا يُرِيدُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يا أَيُّها الذينَ آمنُوا لا تُحِلُّوا شعَائِرَ اللَّهِ وَلاَ الشهر الحرام ولا الهَدْيَ ولاَ القَلائِد﴾.

الشعائر واحدتها شعيرة، ومعناه ما أُشْعِرَ أي أُعْلَمَ ليُهدَى إلى بيت اللَّه الحرام. وقال قوم شعائر اللَّه يُعنَى بِهِ جميع مُتَعَبَّداتِ اللَّهِ التي أَشْعَرهَا اللَّه، أي جعلها أعلاماً لنا.

﴿وَلاَ الْهديَ﴾ الهَدْيُ واحِدَتُهُ هَدْيةٌ مثلُ جَدْيةَ وجَدْيٌ يعني حَدَبةُ السَّرج[١].

و﴿القلائد﴾: كانوا يقلِّدون بِلِحاءِ الشَّجرَ ويعتصمون بذلك وهذا كله كان للمشركين، وكان قد أُمِرَ المسلمون بأن لا يحلوا هذه الأشياءَ التي يَتَقرَّبُ بها المشركون إلى اللَّه وكذلك ﴿ولا آمِّينَ البيتَ الحَرَامَ﴾ وهذا كله منسوخ، وكذلك ﴿ولا الشهر الحرام، وهو المُحرَّم لأن القِتَال كان مرفوعاً فيه، فَنسخَ جميعَ ذلك قوله: ﴿فاقْتُلوا المُشْرِكِينَ حَيْث وَجَدتمُوهُم، وَخُذُوهُم واحْصُرُوهمْ واقعدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدِ﴾[٢].

= ٣٦، ومجاز أبي عبيدة. ١ ـ ٤٥.

يقول عودي لرشدك فإني لا أقربك لأنني محرم، ولو لم أكن محرماً ما قربتك لأنني ذكي لبيب لا أفعل قبيحاً.

(١) في القاموس هدية الأمر مثلثة جهته، والهدي والهدية ـ ويكسر الطريقة والسيرة، والهادي المتقدم والعتق ـ ومن الليل أوله، ومن الإبل أول رعيل يطلع منها.

(٢) سورة التوبة ـ ٥ والاستدلال غير قوي ـ لأن صدر الآية: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا=

وقوله: ﴿ وإذَا حَلَلْتُم فاصطَادوا﴾.

هـذا اللفظ أمرٌ ومعنـاه الإباحـة، لأن اللَّه عـزّ وجـلّ حـرَّم الصيـدَ على المحْـرم، وأباحَـه لَهُ إذَا حَـلَّ من إحْرامـه، ليس أنـه واجب عليـه إذا حَـلَّ أن يَصـطاد، ومثله قولـه: ﴿فإذا قُضِيتِ الصَّـلاَة فَانْتَشِـرُوا فِي الأَرض وابتغوا مِن فضـل اللَّهِ﴾[1] تأويله أنـه أُبيح لكم بعـد الفراغ من الصـلاة، ومثل ذلـك في الكلام: لا تَدْخُلَنَّ هـذه الدار حتى تُـودِّيَ ثمنها، فـإذا أديت فَادْخُلْهـا، تأويله فإذا أَديت فقد أُبيح لك دُخولها.

وقوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنآن قَوْمٍ﴾.

أي لا يحملنكم بغضُ قوم، يقال شنئتـه شنآنـاً معناه أبغضتـه إبغاضـاً، والشنآن مصدر مثل غَلَى غَلَيَاناً، ونَزَا نَزَوَاناً، فـالمعنى لا يكْسَبَنكم بُغْضُ قوم أن تعتدوا[2].

وموضع «أن» نصب، أي تعتـدوا لأن صَـدُّوكم عَن المسْجِـد الحـرام فمـوضعُ أَنْ الأُولى نصبُ مفعـولٌ له، ومـوضع أَنْ الثـانيـةِ نصب مفعـول بـه، المعنى لا يكسبنكم بغضُ قـوم أي بغضكم قومـاً الاعْتِدَاءَ بصـدِّهم إيَّـاكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحرام يُقالُ فلان جريمة أَهْله أي هـو كاسبهم[3]. وقيـل في التفسير لا يحملنكم بغض قـوم، والمعنى واحـد، وقـال الأخفش لا يَجْنِفَنَّكُمْ بُغْضُ قَوْمٍ[4]. وهذه أَلفاظ مختلفة والمعنى واحد.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى البرِّ وَالتَّقْوَى﴾.

= المشركين.... ﴾ ولكن في آية اخرى - ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام﴾.

(١) سورة الجمعة آية ١٠.

(٢) لا يحملنكم بعضهم على عدم العدل.

(٣) يقال: جرم لأهله وعليهم وإليهم جريمة أي جنى جناية، أو كسب.

(٤) لا يحملنكم على الجنف، وهو الظلم.

وهذا كله منسوخ إلا التعاوُنَ مِن المسلمين على البِّر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ﴾.

أَصله الميِّتَة بالتشديد، إلَّا أَنه مخففٌ، ولو قرئت الميِّتَةُ لجاز يقال مَيِّتٌ، ومَيْت، والمعنى واحد. وقال بعضهم الميِّت يقال لما لَمْ يَمُتْ، والميْتُ لما قَدْ مَاتَ، وهذا خطأٌ إنما ميت يصلح لما قد مات، ولما سَيَمُوتُ، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُمْ ميِّتونَ﴾[1].

وقال الشاعر في تصديق أن الميْتَ والميِّتَ بمعنى واحد:

ليس من مات فاستراح بمَيْت ... إنما المَيْتُ مَيِّتُ الأَحْياءِ[2]

فجعل الميت مخففاً من الميت.

وقوله: ﴿والدَّمُ﴾.

قيل إنهم كانوا يجعلون الدم في المباعر[3] ويشوونها ويأْكلونها، فأَعلم اللَّه عزّ وجلّ أَن الدم المسفوح، أَي المصْبُوبَ حرام، فأَما المُتَلَطِّخُ بالدم[4] فهو كاللحم في الحل.

وقوله: ﴿وَمَا أُهِلَّ لغَيرِ اللَّهِ بِهِ﴾.

موضعه رفع، والمعنى: وحرم عليكم ما أَهل لغير اللَّه به، ومعنى ﴿أُهِلَّ لغير اللَّه به﴾ ذكر عليه اسمُ غيرِ اللَّه، وقد فسرنا[5] أَن الإهلال رفع الصوت

---

(١) سورة الزمر ٣٠.

(٢) لعدي بن الرعلاء ـ انظر ابن يعيش ١٠ ـ ٥٧. والخزانة ٤/١٧٤ وفي ياقوت ١٢/٩ لصالح بن عبد القدوس.

(٣) في أمعاء الحيوان.

(٤) أي الدم الذي يبقى باللحم كالدهان فهو حلال كاللحم، وفي ك التلطخ في اللحم.

(٥) انظر ص ٢٤٣ ج ١.

بالشيءِ فَمَا[١] يتقَرَّبُ به من الذبح لغير اللَّه، أو ذكر غير اسمه فحرام، ﴿ولحمُ الخنزير﴾ حرام، حرَّم اللَّه أكله، وملكه، والخزير يشمل[٢] على الذكر والأُنثى.

وقوله ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾.

وهي التي تنخنق بِرِبْقَتِها أي بالحبل الذي تشك به، وبأي جِهة اختنقت فهي حرام.

وقوله: ﴿والمَوْقُوذةُ﴾.

وهي التي تُقْتَلُ ضرباً، يقال وَقَذْتُها أَوْقِـذُها وَقْذاً وأَوْقَذْتُها أُوقِذُها إيقَاذاً، إذَا أَثْخَنْتُهَا ضرباً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿والنَّطِيحَةُ﴾.

وهي التي تَنْطِحُ أو تُنْطَحُ فَتموتُ.

وقوله: ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾.

موضع «ما» أيض ً رفع عطف على ما قبْلَها.

وقوله: ﴿إِلاَّ مَاذَكيتمْ﴾.

أي إلاَّ مـا أدركْتُم ذَكاتَـه مِنْ هَذه التي وصفْنـا، وموضـع «ما» نصبٌ أي حُرِّمت عليكم هذه الأشياءُ إلاَّ الشيءَ الذي أُدْرِكَ ذَبحُه مِنْهَا، وكل ذَبحٍ ذكـاةٌ، ومعنى التذكية أن يدركها وفيها بقية تَشْخُبُ معها الأوداج، وتضطرب اضطراب المذبوح الذي أُدْرِكَتْ ذَكاتُه، وأهل العلم يقولون إنْ أَخْرَجَ السَّبُعُ الحَشْوةَ، أو قَطَعَ الجَوفَ قطعاً خرج معه الحَشْوة[٣] فلا ذكاة لذلـك، وتأويله أنـه يصير في حالة مَا لاَ يُؤثر في حياتِه الـذَّبْحُ، وأصـل الذكـاء في اللغة كلهـا تمام الشيءِ،

---

(١) في الأصل فيما نقرب.

(٢) ك يشتمل.

(٣) أي ما في جوف الحيوان ـ وجمع الحشوة أحشاء.

فمن ذلك الذَّكاءُ في السن والفهم، وهو تمام السِّنِّ، قال الخليل: الذَّكـاءُ في السِّنِ أَنْ يأْتي على قُرُوحِه سنةٌ[1]، وذلك تمامُ استِكمال القُوَّةِ، قال زهير:

يُـفَضِّـله إِذَا اجْـتـهَـدا عـليـهـا   تَمَـامُ السِـنِّ منـه والـذَّكـاءُ[2]

وَقيـل جريُ المـذْكِيَاتِ غِـلابٌ[3] أي جَرْي المَسَـانِّ التي قـد تـأَسَنَّتَ. وتأْويل تمام السِّن النَّهايةُ في الشباب فـإذا نقص عن ذلك أَو زاد فـلا يقال لهـا الذكاءُ. والذكاءُ في الفهم أَن يكون فَهِماً تامّا سريعَ القَبول، وذَكَّيْتُ النارَ إنمـا هـو مِنْ هذا. تأْويله أَتَممت إشعالها.

﴿إلاَّ مَا ذَكَيْتُمْ﴾: ما أَذْكَيْتُم ذَبْحة على التمام.

وقوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾.

والنُصبُ الحجارة التي كانُوا يعْبُدونَهـا، وهي الأَوثانُ واحِـدُها نِصـابٌ، وجائز أَن يكون واحداً، وجمعه أَنصاب.

وقوله: ﴿وأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلَامِ﴾.

مـوضع «أن» رفع، والمعنى وحـرم عليكم الاستقسـام بـالأَزلام. وواحـد الأَزلام زُلَم، وزَلَم، وهي سِهَـام كانَتْ فـي[4] الجـاهلية مَكْتـوبٌ على بعضها «أَمَرَنِي رَبّي» وعَلى بعضها: «نهاني رَبّي» فإذا أَراد الرَّجُلُ سَفَراً أَو أَمْراً يهتَم به

---

(١) ذكي تذكية أسن وبدن ـ والمذاكي من الخيل جمع مذكية وهي ما أتى عليها بعد قروحهـا سنة ـ وقرح الفرس كخجل ومنع قرحاً وقرحاً ـ وهي قارح وقارحة ـ وجمعه قوارح وقرح ومقاريح.

(٢) يروى أيضاً ويفضله ـ وكذلك ورد في ك ـ والبيت في الديوان ص ٧٢، الكامل ١ / ٢٢٩.

(٣) من الأمثال الجارية، ويروى ـ غلاء ـ جمع غلوة ـ وهي الشـوط أي شوط بعـد شوط. بمعنى لا تـظهر نجـابتها من أول جـربة أو غلوة، أمـا رواية غـلاب فهي من المغالبـة. والمذكيـات جمع مذكية.

(٤) الزلم ـ كبطل وصرد ـ الظلف أو ما خلفه، والقدح سهمٌ لا ريش عليه وسهـام كانـوا يستقسمون بها في الجاهلية. وزلمه تزليماً سواه ولينه بمعنى أزال أزلامه أي الزوائد التي به.

اهتماماً شديداً ضرب تلك القِدَاح، فإن خرج السهم الذي عليه «أمرني رَبِّي» مضَى لحاجته، وإن خرج الذي عليه «نهاني ربي» لم يمض في أمره، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن ذلك حرام، ولا فرق بين ذلك وبين قول المنجمين: لا تخرج من أَجْل نَجْم كَذَا، واخرج من أجل طلوع نجم كذا، لأن اللَّه جلّ وعزّ قال: وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غداً[1] وروي عن النبي ﷺ، خمس لا يَعْلَمُهن إلّا اللَّه، وذكر الآية التي في آخر سورة لقمان. ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِب غداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[2].

وهذا هو دخول في علم اللَّه الذي هو غيب، وهو حرام كالأزلام التي ذكرها اللَّه جلّ وعزّ أنها حرام.

والاستقسام بالأزلام فِسْقٌ. والفِسْقُ اسم لِكُلِّ ما أعلم اللَّه أنه مُخْرِجٌ عن الحلال إلى الحرام، فقد ذَمَّ اللَّهُ به جميعَ الخارجين مِن مُتَعَبَّداته وأَصْلُه عند أَهْلِ اللغة قد فَسقَتِ الرُّطَبَة إذَا خَرَجَتْ عَنْ قِشْرها.

ولو كان بَعْضُ هذه المَرْفُوعَاتِ نَصْباً على المعنى لجاز في غير القرآن. لو قلتَ حُرِّمَتْ على الناس الميتَةُ والدَّمَ ولحمَ الخنزير، وتحمله على مَعْنَى وحَرَّمَ اللَّه الدَّمَ ولحمَ الخِنْزير لجاز ذلك، فأما القرآن فخطأٌ فيه أن نقْرأ بما لم يَقْرأْ به مَنْ هو قُدْوةٌ في القِراءَةِ، لأن القراءَة سنة لا تُتَجاوَزُ.

وقوله: ﴿اليَوْمَ يَئِسَ الذين كَفَرُوا مِنْ دِينكُمْ﴾.

«اليومَ» منصوب على الظرف، وَلَيْسَ يُرادُ به ـ واللَّه أعلم ـ يوماً بعَيْنه.

---

(١) لك كانت في الجاهلية غدا.

(٢) سورة لقمان آية ٣٤.

معناه الآنَ يئِس الذين كفروا من دينكم، وهذا كما تقول أَنا اليومَ قَدْ كَبِرْتُ. وهذا الشأْن لا يصلح في اليوم. تريد أَنا الآن، وفي هذا الزمان ومعناه: أَن قد حَوَّل(١) اللَّه الخَوفَ الذي كاد يلحقكم منهم اليوم ويئِسُوا مِنْ بُطْلان الإِسْلَام وجاءَكُمْ مَا كُنتم توعدون من قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾(٢)، والدِّين اسم لجميع ما تعَبَّدَ اللَّهُ خلقَهُ، وأَمرهم بالإِقامة عليْه، والذِي به يُجزون، والذي أَمرهم أَن يكون عادَتَهم. وقد بينَّا ذلك في قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

وقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾.

أَي فليكن خوفُكم لِلَّه وحده، فقد أَمِنْتُم أَنْ يَظْهَرَ دين على الإِسلام وكذلك ـ واللَّه أَعلم ـ.

قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

أَي الآنَ أَكْمَلْتُ لكم الدِّينَ بأَن كَفَيتكُم خَوف عَدوكم وأَظهرتكم عليهم، كما تقول: الآن كَمُلَ لَنَا الملكُ وكَمُلَ لَنَا ما نريد، بأَن كُفينا مَنْ كنا نَخافه. وقد قيل أيضاً: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ أَي أَكملت لكم فَرْض ما تحتاجون إليه في دينكم. وذلك جائز حسن، فأَما أَن يكون دين اللَّه في وقت من الأَوقات غيرَ كامل فلا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾.

أَي فمن دَعته الضرورة في مجاعة، لأَنَّ المخمصَةَ(٣) شدةُ ضمور البطنِ.

﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾.

---

(١) أزال وصرف.

(٢) سورة الصف آية ٩، والفتح آية ٢٨، والتوبة ٣٣.

(٣) في القاموس: خمص الجرح وانخمص سكن ورمه، والخمصة الجوعة ـ والمخمصة المجاعة وخمص البطن (مثلثة).

أي غير مائِل إلى إثم.

﴿فإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٍ﴾.

أي فإن اللَّه أباحه ذلك رحمة منه وتسهيلاً على خلقه، وكذلك فَمَنِ اضْطُرَّ غير بَاغٍ وَلَا عَادٍ، أي غير آكل لها على جهة الاستحلال وَلا عَادٍ: أي مجاوزِ لقدر الحاجة، وغير آكل لها على جهة التلذذ فإنّ اللَّهَ غَفُورٌ رحيم.

وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾.

موضع «ما» رفع، إن شئت جَعلتها وحدها اسماً، ويكون خبرها قوله: «ذا». ويكون أَحَلَّ من صلة ما، والتأويل: يسألونك أيَ شيءٍ أُحِلَّ لهم، وجائز أنِ تكون «ما»، و «ذا»، اسماً واحداً، وهي أيضاً رَفْعُ بالابتداءِ والتأويل على هذا: يسألونك أيَّ شيءٍ أُحِلَّ لهُم، وأُحل لهم خبر الابتداءِ.

﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الجَوَارِحِ﴾.

فالطيبات كل شيءٍ لم يأت تَحريمه في كتاب ولا سنة، والكلام يدل على أنهم سألوا عن الصَّيْدِ فيما سألوا عنه، ولكن حُذِفَ ذكرُ صيدِ «مَا عَلَّمْتُمْ».. لأن في الكلام دليلاً عليه، كما قال: ﴿واسأَل الْقَرْيَةَ﴾(١). المعنى واسأل أهل القرية.

«وقوله: ﴿مُكَلِّبِينُ﴾.

أي في هذه الحال يقال رجل مُكلّب، وكَلَّاب، أي صاحب صيد بالكلاب، وفي هذا دليل أن لحم صيد الكلب الذي لم يُعلَّم حرام إذا لم تُدْرَك ذَكاتُه، فإذا أَرْسَل المرسلُ كلب الصَّيْدِ فصادَ فقَتَل صَيْدَه، وقد ذكر الصائدُ اسم اللَّه على الصيد فهو حلال بلا اختلاف بين الناس في ذلك.

---

(١) سورة يوسف ٨٢.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيكُمْ﴾.

فاختلف الفقها فيه إذا أكل من الصيدِ، فقال بعضهم يؤْكل (منه)[1] وإن أكل منه. وكل ذلك في اللغة غيرُ مُمتنعٍ لأنّه قد يُمْسك الصيدَ إذا قَتَله ولم يأكل منه، وقد يُمسَكُ وقد أكل منه.

ومعنى: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾.

أي تُؤَدِّبُونَهنَّ أَنْ يُمسِكنَ الصَّيدَ عليكمِ، فإنْ غابَ الصَّيْدُ فماتَ فإنه غيرُ مُمْسَكٌ. وفي الحديث: «كُلْ مَا أَصْمَيْتَ ولا تأْكُلْ مَا أَنْميت». ومعنى كل مَا أَصْمَيْتَ أي إن صِدْتَ صيداً بكلبٍ أو غيرِه فمات وأَنْت تَرَاهُ مات بصَيْدك فهو ما أَصْمَيت، وأَصل الصَّمَيَان في اللغة السُّرعةُ والخِفَّةُ.

فالمعنى: كلْ ما أَصْمَيتَ أيْ ما قتلته بصَيْدِك وأنت تراه أسرع في الموت، فرأيته وعلمت ـ لا محالة ـ أنه مات بصيدك، ومعنى ما أنميت، أي ما غاب عنك فمات ولم تره، فلست تدري أمات بصيدك أم عَرَضَ له عَارِضٌ آخَرُ فقتله، يُقَالُ نمتِ الرَّمِيَّةُ إذا مضتْ والسهمُ فيها، وأَنميتُ الرَّميَّةَ إذَا رَميتُها فمضت والسهم فيها، قال أمرؤُ القيس:

فَـهـو لا يَـنـمِـي رمـيـتَـه ... مـالـه، لا عُـدَّ من نفـره[2]

وقال الحَرِث بن وعْلَة الشَّيْبَانِي:

قـالت سليمى قـد غَنيـتَ فتًـى ... فـالآن لا تـصمِـي ولا تَنْـمِـي[3]

---

(١) ليست في ب ـ والمراد يجوز لنا أن نأكل منه وإن كان الجارح أكل منه.

(٢) نمى رميته وصيده إذا ضربها فجرت وماتت بعيداً. يتعجب من مهارته إذ لا يفلت صيد منه ـ ولا عد من نفره دعاء عليه للتعجب، وهو في حقيقته دعاء له ـ مثل تربت يداك، ولا أب لك. أنظر اللسان (نمى ـ نفر) وشرح الحماسة ١/٢٨٩.

(٣) قد كنت في شبابك ذا قوة والآن ذهبت قواك فلا قدرة لك على الصيد.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ، وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾.

أي ذبائح أهل الكتاب حلّ لكم، وقد أجمع المسلمون أن ذبائحَ أهلِ الكتاب حلال للمسلمين، واختلفوا فيما سواها من الأطعمة، والذبائح هي من الأطعمة، فالظاهر - واللَّه أعلم - أن جميع طعامهم حلال كالذبائح.

﴿وَطَعَامُكُم حِلٌّ لَهُمْ﴾.

تأويله حل لكم أن تطعموهم، لأن الحلال والحرام والفرائض بعد عقد التوحيد[1]، إنما يعقد على أهل الشريعة والملة، فأمّا الكفّارُ فالواجِبُ فيهم القتلِ إلّا مَنْ أَدّى الجِزْيَةَ مِنْ أَهِلِ الكِتَابِ.

وقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكم﴾.

أي وأُحل لكم المحصنات وهن العفائف وقيل الحرائر، والكتاب يدل على أن الأَمَةَ إذا كانت غيرَ مُؤْمِنَةٍ لم يجز التزويج بها، لقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعِ مِنْكُم طَوْلاً أَنْ يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَات فَمِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْض فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيرَ مُسَافِحَاتٍ﴾[2].

فإذا آتيتموهُنَّ أي إذا أعطيتموهن الأجر على جهة التزويج لا على جهة السِّفَاح وهو الزِّنَا.

وقوله: ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾.

---

(١) أي الإيمان والعقيدة أولاً ثم التكاليف بعد ذلك، وهؤلاء لا إيمان عندهم. فليأكلوا ما يأكلون ولا حرج علينا في تقديم ذلك لهم.

(٢) سورة النساء ٢٥ - وتزويج الكافرة أياً كانت غير جائز لقوله تعالى: ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾ - ولا تمسكوا بعصم الكوافر.

وهن الصديقات والأصدقاءُ، فحرم اللَّه عَزّ وجلّ الجماع على جهة السّفاح، أو على جهة اتخاذ الصَّدِيقة[١]، وأَحَلَّهُ على جهة الإِحصَانِ، وهو التزويج، على ما عليه جماعة العلماءِ.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ

أي من بدل شيئاً مما أَحَلَّ اللَّه فجعله حَراماً، أو أَحَلَّ شيئاً مما حَرَّمَ اللَّهُ فهو كَافِرٌ بإجماعٍ، وقد حَبِط عَمَلُه أي حَبِطَ جميع ما تَقَرَّب بِه إلى اللَّهِ جَلَّ ثَناؤُه، ومن غير ذلك[٢].

وقوله: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾.

المعنى إذا أَردتم القيام إلى الصلاة، وإنما جاز ذلك لأن في الكلام والاستعمال دليلاً على معنى الإرادة، ومثل ذلك قول اللَّه عزّ وجلّ ﴿ فإذا قرأْت القرآن فاستعذ باللَّه من الشيطان الرجيم﴾، المعنى إذا أَردت أَن تقرأَ القرآن فاستعذ باللَّه من الشيطان الرجيم.

وقوله: ﴿وأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾.

القراءَة بالنصب، وقد قرِئت بالخفض، وكلا الوجهين جائز في العربية فمن قَرَأَ بالنصب فالمعنى: فاغسلوا وُجُوهَكُم وَأَيديَكم إلى المرافق وأَرجُلَكم إلى الكعبين، وامسحوا برؤُوسكم على التّقْديم والتّأْخير والواو جائز فيها ذلك كما قال جلّ وعزّ: ﴿يَا مريَمُ آقنُتِي لِرَبِّكِ وآسجُدِي وآركَعِي مَعَ

---

(١) وكان مألوفاً أن يصادق الرجل المرأة، ويعاشرها معاشرة زوجية متكررة ـ فالمعنى أن كل ذلك سفاح سواء كان صداقة وعشرة أو كان لقاء عارضاً.

(٢) جملة لا فائدة فيها، وهو يريد ـ فيما يبدو ـ كل عمل تقرب به إلى اللَّه سواء من طريق النكاح الحلال أو غيره، يحبط إذا أحلَّ ما حرّم اللَّه.

الـرَّاكِعِينَ﴾[١] ، والمعنى وآركعي واسجـدي لأن الـركوع قبـل السجـود، ومن قرأ: وَأَرجُلِكم ـ بالجر عطف على الرؤوس . وقال بعضهم نزل جبريل بالمسح، والسنـة في الغَسل[٢]، وقـال بعض أهـل اللغـة هـو جَـرٌّ على الجِـوَارِ، فـأَمـا الخفض على الجـوار فـلا يكـون في كلمـات اللّه، ولكن المســح على هـذا التحـديـد في القـرآن كـالغُسـل لأن قـولـه: ﴿فاغسلوا وُجُـوهَكم وأيـديَكم إلى المَرافِق﴾، فذكر الحدَّ في الغسل لليد إلى المرافق، ولليد من أطراف الأصابـع إلى الكفِ، ففـرض علينـا أن نغسـل بعض اليـد من أطـراف الأصـابــع إلى المرفق، فالمرفق منقَطِعٌ ممـا لا يُغْسَل ودخـل فيما يُغْسَـل[٣]، وقد قـال بعض أهل اللغة معناهُ مع المرافق، واليَدُ المرفق داخل فيها، فلو كان اغسلوا أيديَكم مع المرفَق، لم تكن في المرافق فَائِـدةٌ وكانت اليـد كلها يجب أن تغسـل[٤]، ولكنه لما قيل إلى المرافق اقتـطعت في الغسل من حَـدِّ المِرفق، والمِـرفَق في اللغـة ما جـاوز الأبره وهـو المكان الـذي يُـرتَفَقُ بـه، أي يتكـأ عليـه على المرفقة[٥] وغيرها. فالمرافق حَد ما ينتهَي إليه في الغسْل منهـا، وليس يحتاج إلى تأويل «مع».

ولما حدَّ في الرِّجْلِ إلى الكعْبين، والرِّجْلُ من أصـل الفخذ إلى القَـدَم عُلِمَ أن الغُسْـلَ من أطراف الأصـابع إلى الكعبين، والكعبـان همـا العـظمـان الناتئان في آخر الساق مـع القدم، وكـلُّ مِفْصَل من العـظام فهو كعب، إلا أن

---

(١) سورة آل عمران ٤٣ .

(٢) يريد السنة هي التي بينت الغسل، أما القرآن فجاء بالمسح إذ عطف الأرجـل على الرأس وفي ك: فالسنة الغسل.

(٣) وداخل فيما يغسل. والمعنى فيهما أنه ليس من اليد ولكنه يغسل.

(٤) لأن اليد تطلق على الذراع كله.

(٥) الوسادة ونحوها.

هذين الكعبين ظاهران عن يَمْنَة فوق القدم ويَسْـرَتِه، فلذلـك لم يحتج إلى أن يقال الكعبان اللذان صِفَتهما كذا وكذا.

فـالدَّلِيـل على أن الغسل هـو الواجب في الـرجل، و[الـدليل على] أنَّ المَسْحَ على الرجل لا يجوز [هو تحديد] إلى الكعبين[1] كما جـاءَ في تحديـد اليد إلى المرافق، ولم يجـئْ في شيء في المسـح[2] تحديـد، قال فـامسحوا برؤوسكم بغير تحديد في القرآن وكذلك قوله:

﴿فَلَمْ تَجِـدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُـوا صَعِيداً طَيِّبـاً فَامْسَحُـوا بِوُجُـوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾: ويجوز وأرجُلِكم بالجر على معنى واغسلوا، لأن قوله إلى الكعبين قد دل على ذلك كما وصفنا، وينسق بالغسل على المسح كما قال الشاعر:

يـا لـيـت بـعـلك قـد غـدا مـتـقـلـداً سـيـفـاً ورمـحـا

المعنى متقلداً سيفاً وحاملاً رمحاً، وكذلك قال الآخر:

عـلفتـهـا تـبنـاً ومـاءً بـارداً[3]

المعنى وسقيتها ما بارداً.

وقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا﴾.

يقال للواحد رجل جُنُب، ورجُلان جُنُبٌ، وقوم جُنُب وامرأةٌ جُنبٌ، كما يقال رَجُلٌ رِضًى وقومٌ رضًى وإنما هـو على تأويـل ذَووا أَجْنُبٍ، لأنه مصـدر، والمصـدر يقوم مقـام مـا أضيف إليـه، ومن العـرب من يُثَنِّي وَيَجْمَـعُ ويجعـل

---

(١) ط. تحديد قوله إلى الكعبين.

(٢) ك في شيء.

(٣) تقدم ص ٦: ورواية ـ حتى شتت همالة عيناها، وفي شواهد الكشاف:
لمّا حططت الرحل عنها وارداً.. علفتها... والرواية الأولى رواية الفراء أي كانت عيناها دامعة زمن الشتاء ـ ويروى غدت.

المصدر بمنزلة اسم الفاعل، وإذا جمع جنب، قلت في الرِّجال جُنُبون، وفي النساءِ جُنُبات، وللاثنين جُنُبان.

وقوله: ﴿فَاطَّهَّرُوا﴾.

معناه فتطهروا، إلَّا أن التاءَ تدغم في الطاءِ لأَنهما من مكان واحد، وهما مع الدال من طرف اللسان، وأُصول الثنايا العليا، فإِذا أُدغمت التاءُ في الطاءِ. سقط أَول الكلمة فزيد فيها أَلف الوصل، فابتدأت فقلت اطهَّروا.

وبيَّن عزّ وجلّ ما طهارة الجنب في سورة النساءِ بالغسل فقال: ﴿وَلَا جُنُباً إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلوا﴾(١).

والغائط ـ كناية عن مكان الحَدَثِ، والغِيطَانُ ما انخفض من الأَرض.

وقوله: عزّ وجلّ: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾.

أَي اقصدوا، وقد بينا الصعيد في سورة النساءِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾.

أَي من ضيق.

﴿وَلكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُم﴾.

واللام دخلت لتبيِّنَ الإِرادة. المعنى إِرادته ليطهركم، قال الشاعر:

أُرِيدُ لأَنْسى ذكرها فكأَنما ... تَمَثَّلُ لي لَيلَى بكُلِّ سَبِيلِ(٢)

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَوَّامِينَ للَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾.

أَي بالعدل.

---

(١) الآية ٤٣.

(٢) ينسب لقيس بن الملوح، ولكثير، ولجرير، ويروى بفتح اللام وهي لغة عكل. وبالكسر على اللغة المشهورة. أي أريد نسيانها. أنظر شواهد الكشاف، وفي اللسان (ورد) أنه لكثير. وانظر شواهد المغني ١٩٩.

﴿شُهَدَاءَ﴾.

أي مُبَينين عن دين اللَّه لأن الشاهد يبيّن ما شهد عليه.

وقوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾.

فشنآن قوم معناه بُغْضِ قوم [أي] لا يحملنكم بغضكم المشركين على ترك العدل. ومن قال شنْآن قوم، فمعناه بُغْضُ قوم، ويقال: أجرَمَني كذا وكذا، وجَرَمَنِي، وجرَّمني، وأجرَمتُ بمعنى واحد، وقد قيل لا يَجرِمنَّكُم: لا يُدخِلَنَّكُم في الجُرم كما تقول آثمته أي أدخلته في الإثم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

هذا تمام الكلام، يقال وعدت الرجل تريد وعدته خيراً، وأوعَدتُ الرَّجُلَ تريد أوعَدتُه شرًّا، وَإِذَا ذكرت الموعود قُلْتَ فيهما جميعاً واعَدتُه. وإذَا لم تذكر الموعود قلت في الخير وعدته وفي الشر أوعدتُه. فقال عزّ وجلّ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فدل على الخير[1]، ثم بين ذلك الخير فقال:

﴿لَهُم مَغْفِرَةٌ﴾: أي تغْطِيةٌ على ذنوبهم.

﴿وأَجرٌ عَظِيمٌ﴾: جزاء على إيمانهم.

وقوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبسُطُوا إِلَيْكُم أَيْدِيَهُم فَكَفَّ أَيدِيَهُمْ عَنْكُم﴾.

يُرْوى في التفسير أَن بني قُرَيظة و[بني] النَّضِير كانوا عاهدوا النبي ﷺ على تَركِ القِتَال وعلى أَنْ يُعينهم في دِيَاتِهم ويُعينُوه في ديات المسلمين، فأُصِيبَ رَجُلان من المسلمين فقال النبي ﷺ لهم في دياتهما[2]، فوَعَدُوه

---

(١) الاستدلال غير جيد، لأن آمنوا وعملوا الصالحات تؤذن بالخير وأنه خير.

(٢) سألهم المساعدة فيها حسبما أنفقوا.

لِوَقْتٍ يصيرُ[١] إليهم فيه، فصار النبي هـو وأبو بكـر وعمرُ وعليُ، فلمـا صاروا إليهم هموا بالغـدرِ وأن يَقْتُلوا النبي ﷺ ومن معه، فـأوحى اللَّه إليه وأعلمـه ما عزموا عليه، فخرجوا من المكان الذي كانوا فيه، فأعلمهم اليهود أنَّ قـدُورَهُم تغلي[٢]، فـأعلمهم ﷺ أنَّه قـد نزل عليـه الوحي بمـا عزمـوا عليه، وهـذه من الآيـات التي تدل على نبـوته. وقيـل إن هذا مـردود على قولـه: ﴿الْيَـوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكم﴾[٣] أي قَـد أُعطِيتُم الظَّفر عليهم، فقـال: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إذْ هَمَّ قَوْمٌ أنْ يَبْسُطُوا إلَيْكُمْ أيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾.

وكلا الوجهين ـ واللَّه أعلم ـ جائز، لأن اللَّه جلّ ثناؤه قد أظهر الإسـلام على سائر الأديان.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

أي أخذ اللَّه منهم الميثاق على توحيده والإيمان برسله.

﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً﴾.

النقيب في اللغة كالأمير، والكفيل، ونحن نُبَيِّنُ حقيقَتَه واشتقاقه إن شاءَ اللَّه.

يقـال: نَقَبَ الرجـل على القـوم يَنْقُبُ إذا صـار نَقيبـاً عليهم، ومـا كـان الرجل نقيباً[٤]، ولقد نقُبَ، وصناعته النقابة وكذلك عَرَفَ عَلَيْهم إذَا صار عريفاً،

---

(١) ينتهي إليهم، أي يقـابلهم في حلتهم. وفي ك يسيـر ـ بـالسين ـ أي يمشي إليهم لأخـذ المـال منهم.

(٢) أي إنهم يعدون له الطعام ويطبخونه.

(٣) سورة المائدة من الآية: ٣.

(٤) لم يكن من قبل ولكنه أصبح كذلك.

ولقد عَرفَ، ويقال لأول ما يبدو من الجرب النُّقْبة، ويُجْمَعُ: النُّقَب، قال الشاعر[1]:

متبذ لا تبدو محاسنه　　　يَضَعُ الهِناءَ مواضع النُّقْب

والنُّقْبَة وجمعُها نُقُب سراويل تلبسه المرأة بلا رجلين، ويقال فلانة حسنة النُّقْبة والنِّقَابِ، ويقال في فلان مناقب جميلة، وهو حسن النَّقِيبَة، أي حسن الخليقة، ويقال كَلْبٌ نقِيبٌ، وهو أنْ تُنْقَبَ حَنْجَرَةُ الكلْب لئلا يرتفع صوته في نُباحِه، وإنما يفعل ذلك البخلاءُ من العرب لئلا يطرقهم ضيف بسماع نُبَاح الكلاب.

وهذا الباب كله يجمعه التأْثير الذي له عمق ودخول، فمن ذلك نقبتُ الحائط، أي بلغت في الثقب آخره، ومن ذلك النقبة من الجَرَبِ لأنه داءٌ شديد الدخول، والدليل على ذلك أَنَّ البعيرَ يُطْلَى بالهَنَاءِ فيوجد طعم القطران

---

(١) هو دريد بن الصمة ـ من جشم بن بكر، واسمه معاوية بن الحرث؛ ذكره الجمحي على رأس الشعراء الفرسان، قتل ـ على شركه ـ يوم حنين في غير معركة،قتله ابن الدغنة في قصص معروف.
وكان قد رأى الخنساء تهنأ بعيراً، أي تطليه بالقطران، وقد خلعت ثيابها عدا بذلة العمل التي كشفت عن أجزاء من جسمها ـ وقيل خلعت ثيابها لتغتسل فرآها دريد خفية.
أنظر الأغاني ١٠ ـ ٢٢، وشواهد المغني ٣٢٣.
وذكر القالي في أماليه هذه القصة، وأول القصيدة.

حيوا تماضر واربعوا صحبي　　　وقفوا فإن وقوفكم حسبي
ما إن رأيت ولا سمعت به　　　كاليوم طالي أينق جرب

وقد رفضت الخنساء خطبته قائلة:

معاذ اللّه ينكحني حبركي　　　قصيد للظهر من جشم بن بكر

والخنساء هي السيدة تماضر الصحابية الجليلة ـ كان رسول اللّه ﷺ، يستنشدها ويقول: هيه يا خناس ـ واستشهد أولادها الأربعة يوم القادسية. فحمدت اللّه وسألته أن يلحقها بهم في جنته، رضي اللّه عنها.
انظر الإصابة ج ٨. ت ٣٥٥.

في لحمه . ، والنُّقْبَةُ هذه السراويل التي لا رِجلَين لها، قد بُولغ في فتحها ونَقْبِها، وَنِقاب المرأةِ وهو ما ظهر من تَلَثُّمِها من العينين والمَحاجر، والنَّقَبُ والنُّقْب الطريق في الجبل، وإنما قيل نقيب لأنه يعلم دخيلة أمر القوم ويعرف مناقبهم، وهو الطريق إلى معرفة أُمورهم(١) .

وقوله عزّ وجلّ : ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُم﴾ .

قال أبو عبيدة :﴿عَزَّرْتُموهم﴾ عظمتموهم . قال غيره : عزرتموهم : نَصَرْتموهم . وهذا هو الحق ـ واللَّه أعلم ـ وذلك أن العَزْر في اللغة الرّدّ، وتأويل عزَّرْت فلاناً ـ أي أَدَّبْتُه ـ فعلت به ما يَرْدَعُه عن القبيح كما أَنَّ نَكَّلتُ به، فعلت به ما يجب أن ينكل معه عن المعاوَدَةِ، فتأْويل عزرتموهم نصرتوهم بأن تردوا عنهم أعداءَهم . وقال اللَّه عزّ وجلّ ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾(٢) فلو كان التعزير هو التوقير لكان الأَجود في اللغة الاستعانة والنصرة إذا وجبت، فالتعظيم داخل فيها، لأَن نصرة الأَنبياءِ هي المدافعة عنهم والذَّبُّ عن دَمِهِم وتعظيمهم وتوقيرهم(٣) .

وقوله عزّ وجلّ :﴿فَقَدضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ .

أي فقد ضل قصد السبيل .

وقوله عزّ وجلّ :﴿فَبِمَانَقْضِهِم مِيثَاقَهُمْ﴾ .

«ما» لغوٌ، المعنى : فبنقضهم ميثاقهم، ومعنى «ما» الملغاة في العمل توكيد القِصَّةِ .

﴿لَعَنَّاهُمْ﴾ : أي باعَدْنَاهم من الرّحمةِ، وجعلنا قلوبهم قاسية أي يابسةً ،

---

(١) أي هو كالثقبة التي ينفذ منها إليهم .

(٢) سورة الفتح من الآية : ٩ .

(٣) لأن التوقير يكون مكرراً إذا كان بمعنى التعذير، وإنما المراد تنصروه وتجلوه .

يقال للرجل الرَّحيم: لَيِّنُ القلب، وللرجل غير الرحيم: قاسي القلب ويابس القلب، والقاسي في اللغة، والقاسِح - بالحاءِ -: الشديد الصلابة.

وقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾.

الكلم جمع كلمة، وتأويل يحرفون؛ يُغيِّرونه على غير ما أُنزل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾.

معنى نسوا: ﴿تركوا نصيباً مما ذكروا به﴾.

وقوله: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾.

خائنة في معنى خيانة، المعنى: لا تزال تطلع على خيانة منهم، وفاعلة في أسماءِ المصادر كثيرة، نحو عافاه اللَّه عافية، وقوله: ﴿فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾[1]، وقد يقال رجل خائنة، قال الشاعِر:[2]

حَدَّثتَ نفسك بالوفاءِ ولم تَكُنْ ... لِلغَدرِ، خائنةً مُغِلَّ الإصبَعِ

(قال خائنة على المبالغة لأنه يخاطب رجلاً، يقول: لا تحملن فتغلل

---

(١) سورة الحاقة من الآية: ٥، أي بالطغيان.

(٢) البيت لرجل من السواقط من بني كلاب قدم وأخاله اليمامة في جوار عمير بن سلمى، فقتل قرين أخو عمير أخا الكلابي، فأتى الكلابي قبر سلمى - والد عمير وقرين. وأنشد أبياتاً منها:

أقرين إنك لو رأيت فوارسي ... بعمايتين إلى جوانب ضلفع

حدثت نفسك بالوفاء.....

وعمايتان جبلان، وضلفع مكان - يقول إن شجعان قبيلتهم كثر يملأون هذا الفضاء، يعني لو رأيت هذا العدد الكثير لأوجبت على نفسك الوفاء ولم يجرؤ أخوك على قتل أخي - وقوله للغدر، أي من أجل الغدر - ومغل يقال أغل فهو مغل، كما يقال غل - والغلول ما يختان ويحتجن، يستعمل في غير المال مجازاً - وخائنة مصدر - وهو يأتي على فاعل قليلاً جداً، مثل عوفي عافية، وقم قائماً، أي قم قياماً.

وانظر الأبيات وتفاصيل القصص في الكامل ١ - ٢١١ - ٢١٢ - (ط - التجارية) وانظر القرطبي - ١ - ٢٥٠، والطبري ٦ - ٩٠، واللسان (صبغ. خور). وشواهد الكشاف.

اصبعك في المتاع فتدخلها للخيانة، (ومُغِل يَدَك مِنْ خَائِنَةٍ)[1] ويجوز أن يكون ـ والله أعلم ـ على خائنة أن على فِرْقَةٍ خائنة.

وقوله: ﴿إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾.

مَنصُوبٌ بالاستثناءِ.

وقوله: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾يُعنَى به النصارى، ويَعْنِي قولَه: أَغْرَيْنَا أَلْصَقْنَا بهم ذلك، يقال: غريتُ بالرجل غَرىً -مَقْصُورٌ ـ إِذَا لصِقتَ بِه، وهذا قول الأصمعي وقال غيرُ الأَصْمَعِي: غَرِيتُ به غَرَاءً، وهو الغِرَاءُ الذي يُغَرَّى إنما تلصق به الأشياءُ، وتأويل أَغْرَينا بينهم العداوة والبغضاءَ أَنَّهُمْ صَارُوا فِرَقاً يُكفِّر بعضُهم بَعضاً، مِنهُم النَّسْطُورِيَّةُ، واليَعْقُوبيَّةُ والمَلْكَانِيَّةَ، وهم الرُّوم، فكل فرقة مِنهم تعادي الأُخرى.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾.

النور [هو] محمدٌ ﷺ والهدى أو النور هو الذي يبين الأشياءَ، ويُرى الأَبْصَارَ حقيقتَها[2]، فمثل ما أُوتي به النبي ﷺ في القلوب في بيانه وكشفه الظُّلمات كمثل النور.

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾.

ورُضوانه ـ بالكسر والضم.

﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾.

جميع سبيل، والسُّبُل: الطُّرُق، فجائز أن يكون ـ والله أعلم ـ طرق السلام [أي] طرق السَّلَامَةِ التي من ملكها سلم في دينه، وجائز أن يكون ـ والله أعلم ـ سبل السلام، طرق الله، والسلام اسم من أَسماءِ الله.

---

(١) ليست في ك.

(٢) يمكن الأعين من رؤيتها على حقيقتها.

وقوله :﴿عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾.

[أي] على انقطاع، لأن النبي ﷺ بُعث بعد انقطاع الرسل لأن الرسل كانت إلى وقت رفع عيسى تَتْرى، أي متواترة، يجيءُ بعضها في أثر بعض.

وقوله جلّ وعزّ:﴿أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ﴾.

قال بعضهم معناه أنْ لَا تقولوا ما جاءَنا من بشير، أي بعث اللَّه النبي ﷺ لئلا تقولوا ما جاءَنا من بشير، ومثله قوله عزّ وجلّ: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾[١] معناه أن لا تضلوا، وقال بعضهم: أن تقولوا: معناه كَراهَةَ أنْ تَقُولوا، وحذفت كراهة، كما قال جلّ وعزّ:﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾، معناه: سَلْ أَهْلَ القَرْيَةِ، وقد استقْصَيْنا شرح هذا في آخر سورة النساءِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً﴾.

مثل جعلكم تملكُون أمركم[٢] لا يَغْلبكم عليه غالب. وقال بعضهم: جعلكم ذَوي مَنازِل لا يُدْخَل عليكم فيها إلاَّ بإذْن، والمعنى راجع إلى ملك الأمر.

وقوله: ﴿وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

وهو أن اللَّه - جلّ وعزّ - أَنْزَلَ علَيْهِم المَنَّ والسَّلْوَى، وظَلَّلَ عَلَيْهم الغمام.

وقوله: ﴿ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

المقدسة: المطهَّرة، وقيل في التفسير إنها دمشق، وفلسطين، وبعض

---

(١) النساء - ١٧٦.

(٢) ليس معنى جعلكم ملوكاً أن كل واحد كان ملكاً، إنما معناه: جعلكم في هذه الحالة. أي منكم ملوككم ولستم تحت حكم غيركم.

الأُردن وبيت المَقْدِسِ، وإنما سمي بالمَقْدِس لأَن المَقْدِس:[١] المكان الذي يتطهر فيه. فتأْويله البيت الذي يُطَهِّرُ الإنسان من العيوب، ومن هذا قيل:

القدس، أَي الذي يتطهّر منه، كما قيل: مَطْهَرة لما يُتَوضأُ مِنْه، إنما هي مَفْعَلَةٌ من الطهر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ ﴾.

تأْويل الجبار من الآدميين: العاتي الذي يَجْبرُ النَّاسَ عَلَى مَا يُرِيدُ، واللَّه -عزّ وجلّ- الجبار العَزِيزُ، وهو الممتنع من أَن يُزَلّ، واللَّه عزّ وجلّ يأْمر بما أَراد، لا رَادَّ لأَمْرِه، ولا مُعَقِّبَ لحُكْمِه.

وإِنَّمَا وَصَفوهم بالقُدرَةِ والتَّكَبُّر، والمَنَعةِ.

و﴿قوماً﴾ منصوب بإِنَّ، و ﴿ جبارين﴾ من صفتهم، والخَبرُ قوله: ﴿فيها﴾.

وقوله: ﴿ قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾.

أَي أَنْعَمَ اللَّهُ عليهما بالإِيمان.

﴿آدْخُلُوا عَلَيهِم البَابَ ﴾.

فكأَنَّهما عِلِمَا أَن ذَلِك البابَ إِذا دُخِلَ منه وقع الغَلبُ.

وقوله: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُوا فِيهَا ﴾.

أَي لسْنَا نقْبل مَشُورَةً في دُخُولها، ولا أَمْراً، وفيها هؤُلاءِ الجبارون، فأَعلم اللَّهجلّ ثناؤه أَن أَهل الكتاب هؤلاءِ غير قابلين من الأَنبياءِ قَبْلَ النبي ﷺ[٢]، وأَن الخلافَ شأْنُهم.

وفي هذا الإِعلام دليل على تصحيح نبوة النبي ﷺ لأَنه أَعلمهم ما لا

---

(١) أي هو اسم مكان من قدس، ويسمى أيضاً المقدس: اسم مكان من الرباعي.

(٢) أي من طبيعتهم أن لا يقبلوا رسالة الأنبياء ولا يستجيبون لهم.

يُعْلَمُ إلا من قراءَة كتاب أو إخْبارٍ، أو وَحْي، والنبي ﷺ منشؤه معروف بالخُلوّ من ذكر أقاصيص بني إسرائيل[1]، وبحيث لا يقرأ كتبَهُمْ، فلم يبق في علم ذلك إلا الوحي.

وقوله: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾.

كلام العرب: اذهب أنت وزيد، والنحويُّون يستقبحون اذهب وزيد[2]، لأنه لا يعطف بالاسم الظاهر على المضمر، والمضمر في النية[3] لا علامة له، فكان الاسم يصير معطوفاً على ما هو متصل بالفعل غير مفارق له.

فأما قوله: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾[4] فمن رفع فإنما يجوز ذلك لأن المفعول يقوي الكلام، وكذلك ضربْتُ زيداً وعمرٌو. كما يقوي الكلام دُخولُ لا، قال اللَّه جلّ ثناؤه: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾[5].

وقوله: ﴿قَالَ ربِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وأَخِي﴾.

أخي في موضع رفع، وجائز أن يكون في موضع نصبٍ.

المعنى: قال ربي إني لا أملك إلا نفسي، وأخي أيضاً لا يملك إلا نفسه، ورفعه من جهتين إحداهما: أنْ يكون نَسَقاً على موضع إنِّي. المعنى أنا لا أملك إلا نفسي وأخي كذلك، ومثله قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[6] وجائز أن يكون عطفاً على «ما» في[7] قوله أملك فالمعنى أنا لا

(١) معروف بأنه لم يقرأ هذه الأقاصيص ولم يعلمها. ونشأته خالية من التعليم.

(٢) هو ممنوع، وليس قبيحاً فقط.

(٣) أي هو ضمير مستتر.

(٤) سورة يونس من الآية: ٧١.

(٥) سورة الأنعام ١٤٨، والمعروف نحوياً أنه يجوز العطف إن وجد فاصل ما، وقد ورد بلا فاصل وهو ضعيف جداً.

(٦) سورة التوبة من الآية: ٣.

(٧) أي على الضمير المستتر.

أملك أنا وأخي إلَّا أنفسنا، وجائز أن يكـون أخي في موضـع نصب من جهتين إحداهما: أن يكون نسقاً على الياء [في إني]. المعنى إني وأخي لا نملك إلا أنفسنـا، وأني لا أملك إلا نفسي، وأن أخي لا يملك إلا نفسـه، وجـائـز أن يكـون معطوفـاً على نفسي، فيكـون المعنى لا أملك إلَّا نفسي، ولا أملك إلا أخي، لأن أخاه إذا كان مطيعاً له فهو ملك طاعته.

وقوله: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِياءَ﴾.

لا يصرف ﴿أنبياءِ﴾ لأنه مبني على ألف التـأنيث، وهـو غيـر مصـروف في المعرفة والنكرة لأن فيه علامة التأنيث، وهي مع أنهـا علامـة التأنيث مبنيـة مع الاسم على غير خروج التأنيث عن التذكير نحو قائم، وقائمة.

وقوله: ﴿فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِم أَرْبَعينَ سَنَةً يَتِيهونَ في الأَرْضِ﴾.

يعني أن الأرض المقـدسة مُحـرَّمٌ عليهم دخولُهـا أي هم ممنـوعـون من ذلك، قال بعض النحويين: أَرْبَعينَ سَنَةً يجوز أن تكون منصوبة بقوله مُحرَّمَةٌ، ويجوز أن يكون منصوباً بقوله يَتيهُون، أما نصبـه بمَحَرَّمَـة فخطأ، لأن التفسيـر جاءَ بأنها محرمة عليهم أبداً[1]. فنصب[2] أربعين سنـة بقولهم يتيهـون. وقيل عذَّبهم اللَّه بأن مكثوا في التيه أربعين سنة سَيَّارَةً[3] لا يُقِرُّهُمْ قَرارٌ إلى أن مات البـالغون الـذين عصوا اللَّه ونشـأ الصغار ووُلِـدَ مَنْ لم يدخـل في جملتهم في المعصية، وقيل إن مـوسى وهـرون كانـا معهم في التِّيهِ. قـال بعضُهم لم يكن موسى وهرون في التِّيه لأن التِّيه عذاب، والأنبياءُ لا يعذبون. وجائز أن يكـون

---

(١) هم دخلوها فعلاً بعد أربعين سنة، ولكن كان قد نشأ جيل جديد غيـر الذين خـرجوا مـع موسى من مصر.

(٢) في الأصل ونصب الكبار.

(٣) متجولين لا يستقرون ولا يهتدون للطريق.

كانَا في التِّيه وأن اللَّه جلّ اسمه سَهّل عليْهما ذلك كما سهَّل على إبراهيم النار فجعلها عليه بَرداً وَسَلاماً وشأنها الإحراق.

وقوله: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الفَاسِقِينَ﴾.

جائز أن يكون هذا خطاباً لموسى، وجائـز أن يكون خـطاباً لمحمـد ﷺ أي لا تحزن على قوم لم يزل شأنهم المعاصي ومخالفة الرسل.

وقوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيهِمْ نَبأُ ابْنَى آدَمَ بالحَقِّ إذْ قَرَّبَا قُرْبانَاً﴾.

قيلَ كانـا رجلين من بني إسرائيـل لأن القُرْبـانَ كان تـأكله النار في زمن بني إسرائيل، ومثـل ذلك قـوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نـؤْمِنَ لِرَسُـولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَـا بقرْبـانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾(١) وقيـل ابنا آدم لصلبـه، أحدهمـا هابيـل والآخـر قابيل، فقربا قرباناً.

﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا. [ولم يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ]﴾.

وكان الرجل إذا قرَّب قُرباناً سجد وتَنْزِل النار فتأكل قربانه، فذلك علامة قبـول القُرْبـان، فنزلت النـار وأكلت قربـان هابيـل، ولم تأكـل قربـان قَابيـل، فحسده قابيل وتوعده بالقتل فقال:

﴿لأَقْتُلَنَّكَ، قَالَ إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّه مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

المعنى قـال الذي لم يُتَقبَّـلْ منه لأقتلنك، وحذف ذكر الـذي لم يتقبـل منـه، لأن في الكلام دليـلاً عليـه، ومثـل ذلـك في الكـلام إذا رأيت الحـاكم والمظلوم كنت معه، المعنى كنت مع المظلوم، ويقال إن السيف كان ممنـوعاً في ذلك الوقت كما كان حين كـان النبي ﷺ بمكة وكمـا كان ممنـوعاً في زمن عيسى، فقال:

﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ﴾.

---

(١) سورة آل عمران ١٨٣.

[أي] ما أنا بمجازيك ولا مُقَاتلُك، ولا قاتِلُك: ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ العَالَمِينَ﴾.

﴿إِنِّي أُرِيدَ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وإِثْمِكَ﴾.

أي أن ترجع إلى اللَّه بإثمي وإثمك.

﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾.

معنى بإثمي: بإثم قتلي وإثمك الذي من أجله لم يُتَقَبَّلْ قربانك[١] أي إن قتلتني فأنا مريدٌ ذلك. وَذَلِكَ جزاءَ الظَّالِمِينَ.

﴿فَطَوَّعَتْ لَه نَفْسُه﴾.

تَابَعَتْهُ. وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: فَطَوَّعَتْ لـه نفسه فَعَّلَتْ من الطَّوْع. والعرب تقول: طاع لهذه الظبية أُصول هذه الشجرة[٢]، وطاع له كذا وكذا، أي أتاه طوعاً.

وقوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾.

أي مِمَّن خَسِر حَسَناتِه. وكان حين قتله سلَبه ثيابَه وتركه عَارِياً بالأرض القفار.

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ﴾.

قال بعضهم بعث اللَّه غراباً يبحث على غراب آخر مَيِّت

﴿لِيُرِيَهُ كيفَ يُوارِي سَوأَةَ أَخِيهِ﴾.

وقيل بل أكرمه اللَّه بأن بعث غراباً حثا عليه التراب، ليُرِيَه كيف يواري.

﴿قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مثلَ هَذَا الغُرَابِ﴾.

يقال عَجَزْت عن الأمر أَعْجِزُ عَجْزاً ومعْجَزَةً ومَعْجِزَةً، فأما «يا ويْلَتَا»

---

(١) لم يتقبل قربان الثاني منهما لأنه كان آثماً ـ وهو يريد الآن ليقتله. فسيكونان آثمين.

(٢) استجابت لها ولانت حين جذبتها لتأكل ورقها.

فالوقف عليها في غير القرآن يا ويلتاه، والنداءُ لغيـر الآدميين نحو ﴿يـا حسرتـا على البعـاد﴾[١] و ﴿يا ويلتـا أأَلِدُ وأنـا عَجُوزٌ﴾[٢]، وقـال يا ويلتـا أعجَـزْتُ. فإنما وقع في كلام العرب على تنبيه المخـاطبين، وأن الوقت الـذي تدعى لـه هذه الأشياءَ هو وقتها، فالمعنى يا ويلتـا تَعَالَيْ، فـإنه من إبَّـانِك[٣]، فـإنه قـد لزمني الويـل، وكذلـك يا عجبـاً، المعنى يا أيُّها العجب هذا وقتـك فعلى هذا كلام العرب.

وقوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾.

الأجود أن يكون ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إسْرَائِيلَ﴾.

يقال أَجَلْتُ الشيء أأْجِلَهُ أَجَلاً إذَا جنيتَهُ قالَ خَوَّاتُ بن جبير[٤]:

وأهـل خَبَـاءٍ صـالـح ذَاتُ بينهِم قـد احْتـرَبُـوا في عـاجـل أنـا أأجِلهُ

أي أنا جَانِيه. وتأويل الويل في اللغة قال سيبويه، الويل كلمة تقال عند الهلكة، وقيل الوَيْلُ واد في جهنم، وهـذا غير خـارج من مذاهب أهـل اللغة، لأن من وقع في ذلك فقد وقع في هلكة:

وقوله: ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ﴾.

«فساد» معطوف على «نفس»، المعنى بغير فسادٍ، فكأنما قتل الناس جميعاً،

---

(١) سورة يس آية ٣٠ ـ وقراءة عاصم يا حسرة:

(٢) سورة هود ٧٢.

(٣) أي الوقت الذي من شدة الحزن فيه يدعو الإنسان بالويل.

(٤) آجله ـ فعل مضارع بمعنى أجنيه، أي هم أقاموا حرباً في أمر عاجل أنا أتجنبه، وبعده.

فـأقبلت في السـاعـين أسـأل عـنهـم سؤالـك بـالشيء الـذي أنت جـاهله

وهو من شعر الخنـوت ـ وهو تـوبة بن مضـرس. والخنوت المستصغـر وله تـرجمة في المؤتلف والمختلف والإصابة ١ ـ رقم ٤٢٠ وانظر الكامل في التاريخ ٤ ـ ٢٣١. وانظر البيت في شواهد الكشاف واللسان (أجل) والطبري ٦ ـ ١١٦، ومجاز أبي عبيدة ١ ـ ١٦٣.

أما خوات بن جبير فأنصـاري ـ قيل حضـر بدراً. وقيـل رجع لحجـر أصاب رجلـه، وضـرب له بسهم. وشهد المشاهد بعد ذلك، وكان حسن الصـوت والغناء ـ طلبه عمر ليغني في حجـة له =

أي المؤمنون كلهم خُصَماءُ القاتِلِ، وقد وَتَرهم وِتْرَ مَن قَصَد لِقَتلهم جميعاً[1].

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾.

أي من استنقذها من غَرقٍ أو حَرقٍ أو هَدْمٍ، أو ما يُميت لا محالة، أو استنقذّها من ضلالةٍ.

﴿فَكَأَنَّما أَحْيَا الناسَ جميعاً﴾.

أي أجره على اللّه أجرُ من أَحياهم أجمعين. وجائز أن يكونه في إسدائه[2] إليهم المعروفَ بإحيائه أخاهم المؤْمِنَ بمنزلة من أحيا كلَّ واحد منهم، فإن قال قائل، كيف يكون ثوابه ثوابَ من أحياهم جميعاً، فالجواب في هذا كالجواب في قوله [تعالى] ﴿مَنْ جَاءَ بالحَسَنَة فَلَهُ عَشْرُ أَمثَالِهَا﴾[3] فالتأْويل أَن الثواب الذي إذا جعل للحسنة كان غاية مَا يُتَمَنَّى يُعطَى العاملُ لها عشرةَ أمثَالِه.

وقوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الذَينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَه ويَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا﴾.

موضع «أنْ» رفع المعنى: إنما جزاؤهم القتل أو الصلب أو القطع للأيدي والأرجل من خلاف، لأن القائل إذا قال: إنما جزاؤك دينار، فالمعنى ما جزاؤك إلا دينار.

وقولُ العلماءِ أنَّ هذه الآية نزلت في الكفار خاصة[4]. وروي في التفسير أَنَّ أَبا بَرْزَة الأَسْلَمي كان عاهد النبي ﷺ ألا يعرض لما يُريدُ النبي

فغنى حتى أسحر القوم،وهو صاحب ذات النحيين في جاهليته. له ترجمة مطولة في الاصابة رقم ٢٢٩٨ ـ وينسب له هذا الشعر أيضاً.

(١) اعتدى عليهم جميعاً. (٢) ط ابتدائه. (٣) سورة الأنعام ـ ١٦٠.

(٤) أي الذي قاله العلماء هو أنها في الكفار خاصة. فكلمة «أن هذه الآية» خبر «قول».

بسوءٍ[١]، وألا يمنع من ذلك، وأن النبي لا يمنع من يـريد أبـا بَرْزَةَ، فمـرَّ قوم يريدون النبي بأبي بَرْزَةَ، فَعرَضَ أصحابُه لهم فقتلوا وأخذوا المـال فأنـزل اللَّه تعالى على نبيه وأتاه جبريـل فأعلمـه أنّ اللَّه يأمـره أن من أدركه منهم قـدْ قَتَلَ وأخذَ المالَ قَتَلَه وصَلَبه، ومن قَتَل ولم يأْخذ المـال قَتَله، ومن أخذ المـال ولم يقتـل قَطَع يـدَهُ لأخذه المـال وقطَع رِجْلَهُ لإخـافـة السبيـل. . وقـال بعضهم: المسلمون مخيَّرون في أمـر المشركين، إن شـاءُوا قتلوهم وصلبوهـم أوْ قـطعوا أيْـديَهم وأرجلَهم من خـلاف، ومعنى: ﴿يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾ فيـه قـولان، قـال بعضهم من قتله فـدَمُهُ هَـدَرٌ أي لا يـطالب قـاتله بـدمـه. وقيل: ﴿أو يُنْفَـوْا من الأَرْضِ﴾[ان] يُقَاتَلُوا حَيْثُ تَوجَّهوا منها، لا يتـركُوا فـارين. يقال نفيت الشيءَ أنْفِيه نَفْياً ونِفَايَةً والنُّفَايَةُ ما يطرح ويُنْفَى، القليل[٢]. مثل البُراية والنُّحَّاتَة.

وقوله: ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾.

يقال خَزِيِ الرجِل يَخْـزَى خِزْيـاً إذا افتُضِحَ وتَحيَّـر فضِيحةً، وقـد خَزَى يَخْزِي خِزَاية، إذَا استَحا كأنَه يتحيّرُ أن يَفْعَلَ قبيحاً.

وقوله: ﴿إلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبلِ أنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾.

جائز أن يكون موضع الذين رفعـاً بالابتـداءِ، وخبره ﴿فَاعْلَموا[٣] أنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

المعنى غفور رحيم لهم، المعنى: لكن التائبون من قبل القدرة عليهم، فاللَّه غفور رحيم لهم، . وجائز أن يكون ﴿إلاَّ الَّذين تَـابُوا منْ قَبـلِ أنْ تقْدِرُوا

(١) عاهد النبي على ألا يعتدي على المسلمين ولا يمنع مسلماً من الذهاب إلى رسول اللَّه ﷺ.
(٢) كلمة القليل مستأنفة. تفسير لما يطرح وينفي.
(٣) هذا غير سائغ أصلاً، لأن الاستثناء تام موجب، ووجهة نظر المؤلف أن الجملة كلهـا في محل نصب، وهي مكونة من مبتدأ وخبر ـ وهذا غير جيد.

عَلَيْهِمْ﴾ موضعُ «الذين» نصب، فيكون المعنى جزاؤُهم الذي وَصفَنا إلاّ التَّائبين، ثم قال بعد: ﴿أَنَّ اللَّه غَفُورٌ رحيم﴾ واللَّه جلّ وعزّ، جعل التوبةَ لك، فادْرَأُوا عنهم الحدود التي وجبت عليهم في كُفرهم ليكون ذلك أَدعى إلى الدخول في الإسلام، وجَعَل توبة المؤْمنين من الزنا والقتل والسَّرَقِ لا ترفع عنهم إقامة الحدود عليهم، وتدفع عنهم العذاب في الآخرة، لأَن في إقامة الحدود الصلاح للمؤمنين، والحياةَ، قال اللَّه جلّ ثناؤه: ﴿وَلَكُم في القِصَاصِ حَيَاةٌ يا أُولِي الأَلْبَابِ﴾[1].

وقوله: ﴿وابْتَغُوا إِلَيْهِ الوسِيلَةَ﴾.

معناه أُطلبوا إليهِ القُرْبَةَ.

﴿وجَاهِدُوا في سَبِيله لعلَّكمْ تُفْلِحُونَ﴾.

أي لعلكم تظفرون بعَدُوِّكم، والمُفْلح الفائزُ بما فيه غايةُ صلاح حاله.

وقوله: ﴿والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فاقطعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾.

اختلف النحويون في تفسير الرفع فيهما. قال سيبويه وكثير من البصريين إن هذا وقوله: ﴿الزَّانِيةُ والزَّانِي فاجْلدُوا كُلَّ واحد منهما مائة جلدة﴾[2]، وقوله: ﴿واللَّذانِ يَأْتِيانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا﴾[3]. هذه الأشياءَ مرفوعة على معنى: وفيما فَرض اللَّه عليكم السارقُ والسارقة، والزانِيَةُ والزَّانِي، أو السارق والسارقة فيما فرض اللَّه عليكم. ومعنى قولِهِمْ هذا: فيما فرض عليكم حكم السارق والسارقة، وقال سيبويه: الاختيار في هذا النصبُ في العربيَّة، كما تقول زيداً أضربْهُ، وقال أبتِ[4] العامَّةُ القراءَةَ إلاَّ بالرَّفْع، يعني بالعامة

---

(١) سورة البقرة - ١٧٩.

(٢) سورة النور - ٢. وفي الأصل واحدة وهو خطأ.

(٣) سورة النساء - ١٦.

(٤) يعني لم يجز عامة القراء على الوجه الذي اختاره.

الجماعةَ. ، وقرأ عيسى ابن عمر: والسّارِقَ والسَّارِقَةَ فاقطعوا أيديهما، وكذلك الزانية والزانيَ، وهذه القِراءَةُ وإن كان القــارئ بها مُقَـدَّماً[١] لا أُحب أن يُقـرأ بها[٢]، لأَن الجماعة أولى بالاتباع، إذْ كانتِ القراءَة سنَّةً. (قال أبو إسحاق)[٣] ودلِيلِي أَن القـراءَةَ الجيدةَ بـالرفـع في . . والزَّانيَـةُ والـزاني، و[في] والسَّـارِقُ والسَّارِقَةُ قوله جلّ ثناؤه: ﴿واللذان يأْتيانها منكم فآذوهما﴾[٤].

وقال غير سيبويه من البصريين. وهو محمـد بن يزيـد المبرد: أَخْتَـارُ أن يكـون والسارقُ والسـارقةُ رفعـاً بالابتـداءَ، لأَن القصد ليس إلى واحـدٍ بعينه، فليس هو مثل قولك زيداً فأضـربه، إنمـا هو كقـولك: من سـرق فآقـطع يده، ومن زنى فـاجْلِدْه، وهذا القـول هـو المختـارُ، وهـو مـذهب بعض البصـريين والكوفيين[٥].

وقيـل «أَيْدِيَهُما» يعْنيَ به أَيْمانهُما[٦]. وفي قـراءَة ابن مسعود والسَّـارقون والسارقاتُ فاقطعوا أَيْمانَهُمْ.

قال بعض النحويين: إنما جعلت تثنية ما في الإنسان منه واحدٌ لأَنَّ أكثر أَعضـائه فيـه منه اثنـان فحمل مـا كان فيـه الواحـد على مثل ذلـك. قـال لأن للإنسان عينين فإذا ثنيت قلت عيونهما فجعلت قلوبكما وظهورهما في القرآن، وكـذلك أيـديهما، وهـذا خطأٌ، إنمـا ينبغي أَن يُفصَّـل بين مـا في الشيء منـه واحد، وبين ما في الشيء منه اثنان.

---

(١) أي عيسى بن عمر كان عالماً مقدماً على العلماء ويعتبر في نظر بعضهم إمام النحو لأنه صاحب كتاب الجامع وكتاب الإكمال الذي بنى سيبويه كتابه عليه. وفي الأصل فلا أحب.

(٢) ك ـ فلا أحب أن يقرأ ـ بدون كلمة بها ـ ولعلها فلا أحب أن تقرأ.

(٣) ليست في ط. وأبو إسحاق هو الزجاج.

(٤) سورة النساء آية ١٦.

(٥) ويخرج على أن «أل» في السارق والسارقة اسم موصول. والفاء واقعة في خبـره ـ كما في قـوله تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم . . .﴾.

(٦) اليد اليمنى فقط.

وقال قوم: إنَّمَا فَعلْنا ذلِك للفصل بين ما في الشيء منه واحد وبين ما في الشيءُ منه اثنان فجعل ما في الشيء منه واحد تثنيته جمعاً نحو قول اللّه عز وجل: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[1].

قال أبو إسحق: وحقيقة هذا الباب أن كل ما كان في الشيء منه واحد لم يُثنَّ، ولفِظَ به على لفظ الجمع، لأن الإضافة تُبينه، فإذا قُلْتَ أشْبَعت بطونهما علم أن للاثنين بطنين فقط، وأصل التثنية الجمعُ لأنك إذا ثنيْت الواحدَ فقد جمعتَ واحداً إلى واحِدٍ، وكان الأصل أن يقال أثْنا رِجال، ولكنْ «رجلان» يدل على جنس الشيء وعدده، فالتثنية يحتاج إليها للاختصار، فإذا لم يكن اختصار رُدّ الشيءُ إلى أَصْله، وأَصلُهُ الجمع[2]. فإذا قلت قلوبهما فالتثنية في «هما» قد أغنتك عن تثنية قَلْب فصار الاختصار ههنا ترك تثنية قلب، وإن ثني ما كان في الشيء منه واحد فذلك جائز عند النحويين[3]، قال الشاعر:

ظهراهما مثل ظهور الترسين[4].

فجاءَ بالتثنيةِ والجمع في بيت واحد. وحكى سيبويه أنه قد يجمع المفرد والذي ليس من شيء إذا أُردت به التثنية. وحُكِيَ عن العرب: «وَضَعَا رِحالهما» يريد رَحْلَيْ راحِلتِهما.

---

(١) التحريم - ٤.

(٢) جمهور النحويين أن إضافة المثنى إلى المثنى مستثقلة، فلذلك يؤتى بالجمع أو المفرد، والمفرد حينئذ في معنى الجمع.

(٣) في الأصل «وذلك».

(٤) ومهمهين قذفين مرتين. ظهراهما . . . جبتهما بالنعت لا بالنعتين.

يقول: إنهما فلاتان مستويتان كظهر الترس. جاء في كتاب سيبويه ٣ - ٤٨ - (ت. هرون). أن الراجز اسمه خطام، وانظر الخزانة ٣ - ٣٧٤، وابن يعيش ٤ - ١٥٥، العيني ٤ - ٨٩ شواهد المغني ٣١٦ ومعاني الفراء ٣ - ١٧.

وأجمعت الفقهاءَ أن السارق يقطع حُرًّا كانَ أو عبداً، وأن السارقة تقطع حرَّة كانت أو أمة، وأجمعوا أن القطع من الرسغ، والرسغ المفصل بين الكف والساعد، ويقال رُسْغ ورُصْغ والسنين أجود

﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾.

﴿جزاءً﴾ نصبٌ لأنه مفعول به.

المعنى فاقْطَعوا بجزاءِ فعلهم، وكذلك ﴿نَكالاً من الله﴾، وإنْ شئتَ كانا منصوبين على المصدر الذي دل عليه فاقطعوا، لأن معنى فاقطعوا جازوهم وَنكِّلُوا بهم.

وقوله جلْ وعزّ: ﴿يَا أَيُّها الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُون فِي الْكُفر﴾: إن شئت قلت يَحْزُنُك ويَحزِنْكَ بالفتح والضم. أي لا يحزنك مُسَارَعَتهُمْ في الكفر إذ كنت موعوداً بالنصر عليهم، واللَّه أعلم.

وقوله: ﴿ مِنَ الَّذِين قَالُوا آمنَّا بأَفْواهِهِمْ وَلَمْ تُؤمِنْ قُلُوبُهُمْ ﴾.

أي لا تحزنك المسارعةُ في الكُفْر منَ المُنَافِقين ومنَ الَّذِين هادُوا، ثمَّ قالَ: ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخرِينَ لَمْ يأْتُوكَ ﴾.

هذا تمام الكلام، ورفع «سمَّاعُون» من جهتين، إحداهما هم سمَّاعون للكذب أي منافقون، واليهود سماعون للكذب، [وسماعون] فيه وجهان ـ واللَّه أعلم ـ أحدهما أنَّهم مُسمعُونَ لِلكَذِبِ، أي قَابُلون للكَذب، لأن الإنسان يسمعُ الحقَّ والبَاطِلَ، ولكن يقال: لا تسمع من فلان قوله أي لا تقبل قوله، ومنه «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَه»، أي تَقَبَّلَ اللَّه حمده، فتأويله أنهم يَقْبَلُونَ الكَذِبَ، والوجه الآخر في «سمَّاعُون» أن معناه أنهم يسمعون منك لِيَكذِبُوا عليك، وذلك أنهم إذا جالسوه تهيأَ أن يقولوا سَمِعْنَا مِنْهُ كَذَا، وكَذَا.

﴿سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾.

أي هم مستمعون منك لقوم آخرين «لَمْ يأْتُوك» أي هم عُيُونٌ لأولئك الغيَبِ ويجوز أن يكون رفع «سماعون»[١] على معنى ومن الذين هادوا سماعون فيكون الإخبار أن السَّماعين مِنهم، ويرتفع منهم كما تقول: في قومك عقلاءُ. هذا مذهب الأخفش، وزعم سيبويه أن هذا يرتفع بالابتداء[٢].

وقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الكلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِه﴾: أي من بعد أنْ وضعه اللَّهُ موضِعَهُ أي فرض فروضَه، وأحلَّ حلاله وحرَّم حرامه.

وقوله: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾.

إنْ أُوتِيتُم هذا الحكمَ المحرفَ فخذوه، وإن لم تُؤْتوه فاحذروا، أي احذروا إن أفتاكم النبي ﷺ بغير ما حدَّثْنَا لكم، فاحذروا أن تَعْملوا به.

وكان السبب في هذا فيما رُوِيَ أن الزِّنَا كثُر في أشراف اليهودِ وخَيْبر، وكان في التوراة أن على المحصنين الرجم فزنى رجُلٌ وامْرأةٌ، فطمعت اليهودُ أن يكون نزل على النبي ﷺ الجلد في المحصنين[٣]، وكانوا قد حَرَّفُوا[٤] وَصَارُوا يَجْلِدُون المحصنيْنِ وَيسُودُونَ وجُوهَهُمَا، فأوحى[٥] اللَّه جلّ ثناؤه أنَّهُمْ يستفتونه في أمر هاتين المرأتين، وأعْلَمَهُ أن اللَّه يأمرهم عن أعْلَمِهِمْ بالتوراة، فأعلموه أنه ليس بحَاضِرٍ[٦]، فقال النبي ﷺ قَدْ علِمتُ، وكان جبريل قد أعلمه مكانه فأمرهم أن يحضروه، فأحضروه، وأوحى اللَّه إلى نبيِّهِ أن يستحلفهم

(١) في الأصل «سماعين» على أنها مضاف إليه، وسماعون على حكاية اللفظ.

(٢) وتكون «من» مبتدأ بمعنى بعض.

(٣) ط الجلد والتحصين، ولا معنى لها.

(٤) حرفوا التوراة وغيروا أحكامها.

(٥) ط فأوحى اللَّه إلى نبيه ﷺ يعلمه أنهم يستفتونه في أمر هاتين المرأتين.

(٦) ط أنه ليس بحاضر، والنسخ الأخرى «أنه حاضر».

ليصْدُقُنّه، فلما حَضَر عالِمُهم قال له النبي: أسألـك بالـذي أنزل التـوراة على مـوسى، ورفع فـوقكم الـطور، وفلق لكم البحـرَ، هـل في التـوراة أن يُـرجَمَ المحصنان إذا زَنَيَا؟ قال: نَعَمْ. فوثب عليه سفلة اليهود، فقال خفتُ إن كذبْتُه أن ينزل بنا عذابٌ، ويقال إن الذي سأله النبي ﷺ ابنُ صُورِيَا اليهودي، وكان حديث السِّن، فقال له النبي ﷺ أنت أعلم قومك بالتوراة، قال: كذا يقولون، وكان هو المخبـر له[1] بـأن الرجم فيهـا، وأنه سـاءَل النبي ﷺ عن أشياءَ كـان يعرفها من أعـلامه فلمـا أنبأه النبي ﷺ بهـا قال أشهـد أن لا إله إلا اللَّه وأنـك رسول اللَّه الأمي العربيُّ الذي بشَّر به المرسلُونَ.

وهذا الذي ذكرناه من أمر الزانيين مشهور في روايةِ المفسِّـرينِ وهو يُبَينَ قوله:

﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾.

والقائل يقول ما تفسير هذا، فلذلك شرحناه، وباللَّه الحول والقُوَّةُ.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾.

قيـل فضيحته وقيـل أيضاً كفـره، ويجوز أن يكـون اختباره بمـا يظْهـر به أمره، يقال فتنت الحديد إذا أَحْمِيتُه، وفتنت الرجـل إذا أزلته عمـا كان عليـه، ومنـه قولـه: ﴿وإِن كَادُوا لَيَفْتِنُـونَكَ عَن الـذي أَوْحَيْنا إِلَيْـكَ﴾[2] أي وان كادوا لَيُزِيلُونَكَ.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾.

أي أن يُهينَهمُ.

﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾.

---

(١) ك وهو كان المجيب له بأن أمر الرجم فيها.

(٢) سورة الإسراء آية ٧٣.

قيـل لهم في الدنيـا فضيحةٌ بمـا أظهـر اللَّه من كـذبِهِمْ، وقيـل لهم في الـدنيا خـزي بأخـذ الجزيـة منهم، وضرب الـذِّلَّـةِ والمسكَنـة عَلَيْهم، ثم عـاد عزّ وجلّ في وصفهم فقال:

﴿سَمَّاعُون لِلْكذبِ أكَّالون للسُّحْتِ﴾.

ويقرأ للسُّحُتِ جميعاً، تأويله أن الرِّشَا التي يأكلونهـا يعاقبهم اللَّه بها أن يُسْحِتَهُمْ بعذَابٍ، كما قال جلّ وعزّ: ﴿ لا تفترُوا على الله كذباً فَيُسْحِتَكُمْ ﴾[1] ومثـل هذا قـوله: ﴿إنـما يأكـلون في بطـونهـم ناراً﴾[2]. أي يـأكلون ما عـاقبتهُ النار، يقال سَحَته وأسْحَتَه إذا استأصله، وقال بعضهم سَحَتَهُ: أذْهَبَهُ قليلاً قليلاً إلى أن استأْصله ومثل أسحته قول الفرزدق.

وعَضُّ زمـانٍ يـا ابن مـروان لم يـدَعْ   مِنَ الْمـال إلا مُسْحتـاً أو مُجَلَّفُ[3]

ويجوز أن يكون سحتَهُ وأَسْحتَهُ إذا استأصله، كان ذلك شيئاً بعد شيءٍ، أو كان دفعة واحدةً.

وقوله: ﴿ فإنْ جاءُوكَ فَاحْكُمْ بينَهُمْ أو أعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾.

أجمعت العلماءَ على أن هذه الآية تدل على أن النبي ﷺ مُخَيَّـر بها في الحكم بين أهل الذِّمَّةِ، وقيل في بعض الأقاويل إن التخيير نسخ بقوله: ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل اللَّه﴾.

وقوله: ﴿فاحكم بينهم بالقِسْط﴾.

أي العَدْل.

(١) سورة طه آية ٦١.

(٢) سورة النساء ١٠.

(٣) البيت معـروف من شواهـد النحو المشهـورة للفرزدق، وممـا عابـة عبد اللَّه الحضـرمي. أنـظر الخزانة ٢ ـ ٣٤٧ اللسان (خلف ـ سحت)، والقرطبي ١١ ـ ٢١٥ وديوانه ٢٥٥. والعيـب فيه هو رفع مجلف.

وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فيها هُدًى ونُورٌ يَحْكُمُ بهَا النبيُّونَ﴾: فيها نور[1] أي بيان أَنّ أَمْر رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حق، وفيها بيـان الحكم الذي جـاءَوا يستفتون فيـه النبي ﷺ، ويجـوز أَن يكون المعنى على التقـديم والتأخيـر، على معنى: إنـا أَنزلنا التـوراة فيها هـدى ونور للذين هـادوا، يحكم بها النبيـون الذين أسلمـوا والرَّبَّانِيُّون، ويجوز أَن يكون «يحكم بهـا النبيـون الذين اسلمـوا للذين هادوا» أَي يحكم النبي ﷺ فيما سأَلُوهُ بما في التَّـوْراة، ويجوز أَن يكـون للذين هادوا للذين تابوا، أَي النبيـون والربـانيون هم العلمـاءُ والأحبار وهم العلمـاءُ الخُيَّارُ يحكمُون للتَّائبين مِنَ الكفر.

﴿بما استُحْفِظُوا مِنْ كتَابِ اللَّهِ﴾.

أَي استُودِعُوا.

وقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِك هُمُ الكَافِرُونَ﴾:

أَي من زعم أَن حكمـاً من أَحكـام اللَّه الَّتي أَتَتْ بهـا الأنبيـاءُ[2] عليهم السلام باطل فهو كافر، أَجمعت الفقهـاءَ أَنّ من قال إن المحصَنَيْنِ لا يجب أَن يرجما إذا زنيا وكانا حرين ـ كـافِرٌ، وإنمـا كفر من ردّ حكمـاً من أَحكام النبي، لأَنه مكذِبٌ له، ومن كذّب النبي فهو كافر.

وقوله: ﴿وكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾:

أَي في التوراةِ.

﴿أَنَّ النَّفْسَ بالنَّفْسِ والعيْنَ بالعيْنِ﴾.

وروي أَن النبي قرأَ والعَينُ بالعَيْنِ والقراءة والعَيْنَ بالعَيْن

﴿والأَنْفَ بالأَنْفِ والأُذُنَ بالأُذُنِ والسِّنَّ بالسِّنِّ، والجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾.

---

(١) في الأصل أي فيها نور.

(٢) في الأصل وك الذي أتت به ـ أي الحكم.

بالرفع والنصب جميعاً لا اختلاف بين أهل العربيّة في ذلك، فَمَنْ قرأ العَيْنَ بالعيْنِ أراد أن العيْنَ بالعَيْنِ، ومن قرأ، والعَيْنُ بالعين فرفْعُهُ على وجهين، على العطف على موضع النّفس بالنّفس والعاملِ فيها[1]، المعنى وكتبنا عليهم النفسُ بالنَّفِس، أي قلنا لهم النفس بالنفَس، ويجوز كسر إن، ولا أعلم أحداً قرأ بها فلا تقرأن[2] بها إلا أن تثبت رواية صحيحة، ويجوز أن تكون العينُ بالعَيْن، ورفعُه على الاستئناف، وفيها وجه آخر، يجوز أن يكون عطفاً على المضمر في النّفس، لأن المضمر في النفس في موضع رفع، المعنى أن النفس مأخوذة هي بالنفس، والعَيْنُ معطوفة على هي.

وقوله: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾:

قال بعضهم من تصدق به أي بحقه فهو كفارة للجارحِ إذا ترك المجروحُ حقَّهُ، رفع القصاص عن الجارح، وقال بعضهم هو كفارة للمجروح أي يكفر اللّٰه عنه بعفوه ما سلف من ذنوبه.

وقوله: ﴿وَمُهَيْمِناً عَلَيهِ﴾:

رواها بعضهم ومهيمَناً ـ بفتح الميم الثانية ـ وهي عربيَّة ولا أحب القراءَة بها، لأن الإجماع في القراءَة على كسر الميم في قوله: ﴿المؤمن المهيمِنُ﴾[3].

واختلف الناس في تفسير قوله: ﴿المؤمنُ المُهَيْمِنُ﴾، واختلف الناس في تفسير قوله: ﴿وَمُهَيْمِناً عَلَيْه﴾:

فقال بعضهم: معناه وشاهداً عليه، وقال بعضهم رقيباً عليه، وقال

---

(١) عطف على إن والعامل معاً.

(٢) في الأصل ولا تقرأن.

(٣) سورة الحشر آية ٢٣.

بعضهم معناه مُؤتَمَناً عليه. وقال بعضهم: المهيمنُ اسم من أسماءِ اللَّه في الكتب القديمة، وقال بعضهم: مُهيمِن في معنى مُؤْتمن إلا أن الهاءَ بدل من الهمزة، والأَصْلُ مؤتمناً عليه كما قالوا: هَرَقْتُ الماءَ، وأرقت الماءَ، وكما قالوا: إياك وهياك، وهذا قول أبي العباس محمد بن يزيد، وهو على مذهب العربية حَسَنٌ ومُوافِقٌ لِبعْضِ ما جاءَ في التفسير، لأن معناه مؤتمن.

وقوله: ﴿ولْيَحْكُمْ أَهْلُ الانْجِيلِ﴾.

قرئت بإسكان اللام وجزم الميم على مذهب الأمر، وقرئت ولِيَحْكمَ بكسر اللام وفتح الميم على معنى ولأن يحكمَ ويجوز كسر اللام مع الجزم وَلِيَحكُمْ أهل الأنجيل، ولكنه لم يقرأ به فيما علمتُ، والأصل كان كسر اللام، ولكنّ الكَسرَةَ حُذِفَت استثقالاً. والإنجيل القراءَة فيه بكسر الهمزة، ورويت عن الحسن الأنجيل بفتح الهمزة، وهذه قولة ضعيفة، لأن أنجيل أفعيل، وليس في كلام العرب هذا المثال، وإنجيل إفعِيلُ من النجل وهو الأصل، وللقائل أن يقول إن إنجيل اسم أعجَميٌّ فلا يُنْكَرُ أن يقع بفتح الهمزة لأنّ كثيراً من الأسماءَ الأعجمية تخالف أمثلة العرب نحو آجرّ وإبرَاهيم وهَابيل وقابيل، فلا ينكر أن يجيء أنجيل وإنما كُرِهَتِ القراءَة بها لأنّ إسنادها عن الحسن لا أدري[1] هل هو من ناحية يوثق بها أم لا.

وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبغونَ﴾.

أي تطلب اليهود في حكم الزانيين حكماً لم يأمر اللَّه به وهو أهل الكتاب كما تفعل الجاهلية.

وقوله: ﴿وَمَن أَحسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

---

(١) ط ما أدري.

أي من أَيْقَنَ تبيَّن عدلَ اللَّهِ وحكمَهُ، وحكماً منصوب على التفسير[١].

وقوله: ﴿وَمَن يَتوِلَّهم مِنكم فإنه مِنْهُمْ﴾.

أي من عاضدهم على المسلمين فإنه من عاضدَه.

وقوله: ﴿فترى الَّذِينَ فِي قلوبِهم مَرَضٌ يُسَارِعونَ فِيهِم﴾.

والمـرض ههنـا النفـاق في الـدِّين، ومعنى يسـارعـون فيهم، أي في معاونتهم على المسلمين.

﴿يَقُولونَ نَخشَى أن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾.

أي نخشى أَلَّا يتم الأمر للنبي ﷺ، ومعنى دائرة أي يدور الأمر عن حاله التي يكون عليها.

وقوله: ﴿فَعَسى اللَّه أن يَأتِيَ بالْفَتْح﴾.

أي فعسى اللَّه أن يُـظْهِـر الْمسلِمين، و «عَسَـى» من الـلَّه جـلّ وعـزّ واجبة[٢].

وقـوله عزّوجلّ: ﴿أوأمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾، أي أو أن يؤمـر النبي ﷺ بإظهـار أمر المنافعين بقتلهم.

﴿فَيصبحوا عَلى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفسِهِم نَادِمِينَ﴾.

وقوله: ﴿وَيقول الَّذِينَ آمنَوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَموا بِاللَّهِ جهدَ أَيمَانِهم﴾.

أي يقول المؤمنون الذين باطنهم وظـاهرهم واحـدٌ: هؤلاءِ الذين حَلَفـوا وأكَّدوا أَيمَانَهم إنَّهم مؤْمِنونَ وإنهم معكم أعوانكم على من خالفكم.

﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهم﴾.

---

(١) تمييز.

(٢) لأن الترجي لا يكون من اللّه عالم كل شيء، فهي تدل على حدوث قطعاً

أي ذَهَب مَا أَظْهروهُ مِنَ الإيمان، وبطل كل خيرٍ عَمِلُوه بكفرهم وصَدِّهِم عن سبيل اللّه كما قال: ﴿الَّذِينَ كَفروا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيل اللَّهِ أَضَلّ أَعمَالَهم﴾[١].

المعنى ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت، أي في وقتٍ يظهر اللَّه نفاقهم فيه.

وقوله: ﴿يا أيُّها الذِينَ آمَنُوا مَن يَرتَدَّ مِنْكُم عَنْ دِينِه﴾.

فيها من العربية ثلاثة أوجه، مَنْ يَرتدِدْ، ومن يَرْتَّد بفتح الدَّال وَمَنْ يَرْتَدِّ مِنْكُم، بكسر الدال. ولا يجوز في القراءَة الكسر لأنه لم يُرْوَ أنه قرئ به، وأما «مَنْ يَرتدِدْ» فهو الأصل، لأن التضعيف إذا سَكَنَ الثاني من المضَعَفَيْنِ ظَهرَ التضعيف[٢]، نحو قوله: ﴿إنْ يمسَسكُم قرحٌ﴾[٣] ولو قرئت إن يمسكم قرح كان صواباً، ولكن لا تَقْرَأَنَّ بِهِ لمخالفتِه المصحفَ، ولأن القراءَة سُنَّةٌ. وقد ثبت عن نافع وأهل الشام يرتدِدْ بدالَيْنِ، وموضع يرتدَّ جزم، والأصل كما قُلْنَا يرتدد، وأُدغمت الدال الأُولى في الثانية، وحركت الثانية بالفتح لالتقاءِ الساكنين، قال أبوعبيدٍ: إنهم كَرِهوا اجتماعَ حَرْفَيْن متحركين وأحسبه غلِطَ، لأن اجتماع حرفين متحركين من جنس واحدٍ أكثر في الكلام من أنْ يحصَى نحو شَرَرٍ وَمَددٍ[٤]، وَقِدَدٍ، وجُدَدٍ[٥]، والكسر في قوله من يرتَدِّ يجوز لالتقاءِ الساكنين لأنه أصل. والفاءُ جواب للجزاءَ، أي إن ارتد أَحَدٌ عن دينه، أي الذي هو الإيمان.

---

(١) سورة محمد. آية ١.

(٢) الأصل في التعبير «يرتدد» لأن الحرفين المتماثلين إذا سكن ثانيها لم يكن ثم مجال للإدغام. فيفك التضعيف.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٤٠.

(٤) المدد قطع الطين اليابس، والمدن والحضر، يقال أهل الوبر للبدو، وأهل المدر لسكان المدن والحضر.

(٥) القدد القطع جمع قدة، والجدد الطرق جمع جدة. وفي ط: نحو شدد ومدد.

﴿فَسَوفَ يَأْتِي اللهُ بِقَومٍ يُحِبُّهُمْ ويُحِبُّونَه﴾.

أي بقوم مؤمنين غير منافقين.

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي جانبهم لَيِّنٌ على المؤْمنين، ليس أنهم أذلاءِ مهَانون.

﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ﴾.

أي جانبهم غليظ على الكافرين.

وقوله: ﴿ يُجَاهِدونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ﴾.

لأن المنافقين كانوا يراقبون الكفارَ ويظَاهِرونَهم، ويخافونَ لَوْمَهُم، فأعلَم اللَّه عزّ وجلّ أنّ الصّحيحَ الايمانِ لا يخاف في نصرة الدِّين بِيدِه ولا لِسَانِه لَوْمَةَ لائِم. (ثم)[1] أعلم اللَّه عزّ وجلّ أن ذلك لا يكون إلا بتسديده وتوفيقه فقال عزّ وجلّ:

﴿ذَلِكَ فَضلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[2].

أي محبتهم للّه ولين جانبهم للمسلمين، وشدتهم على الكافرين فضل من اللَّه عزّ وجلّ عليهم، لا توفيق لهم إلا به عزّ وجلّ.

وقوله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنوا ﴾.

بيّن[3] من هم المؤْمنون فقال:

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾.

وإقامتها تمامها بجميع فَرْضِها، وأولُ فروضها صحة الإيمان بِها وهذا كقولك: فلان قائم بِعِلْمِه الذِي وَلِيَه، تأويله أنه يوَفِّي العَمَلَ حقوقه، ومعنى

---

(١) ليست في ط.

(٢) ط ذلك الفضل من اللّه.

(٣) ط ثم بين.

«يُقِيمُونَ» من قولك هذا قِوام الأمر، فأما قوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾. فمخفوض على نعتِ قوم، وإن شئت كانت نصباً على وجهين أحدهما الحال، على معنى يحبهم ويحبونه في حال تذللهم على المؤمنين وتعزُّزِهِم عَلى الكافرين، ويجوز أن يكون نصباً على المدح.

فأما قوله عزّ وجلّ: ﴿وقَفَّيْنا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى بنِ مَرْيَمَ﴾.

أي قفينا على آثَارِ الرُّسل بعيسَى أي جعلناه يقفوهم.

وقوله: ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ﴾.

أي لما تَقَدَّم من التّوراة، ونصب «مُصَدِّقاً» على الحال وهو جائز أن يكون من صفَةِ الإنجيل فهو منصوب بقوله: «آتيناه» المعنى. آتيناه الإنجيل مُستقِراً فيه هدًى ونورٌ ومصدقاً. وَيَجُوزُ أَنْ يكونَ حالاً من عيسى. المعنى وآتيناه الإنجيل هَادِياً ومُصَدِّقاً، لأَنَّهُ إذا قيل آتيناه الإنجيل فيه هدى، فالذي أتى بالهدى هو هادٍ والأَحسَنُ أَنْ يكونَ على معنى وقَفَّيْنَا بِعِيسَى آتِياً بالإِنْجيل وهادياً ومصدقاً لما بين يديه من التوراة، والدليل على أنه من صفة عيسى قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إني رَسُولُ اللهِ إِليكُمْ مُصَدِّقاً لمَا بَينَ يَدَيَّ مِنَ التَّورَاةِ﴾(١).

وقوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾.

قال بعضهم: الشِّرعَةُ الدينُ والمنهاج الطريق، وقيل: الشرعة والمنهاج جميعاً الطَّريق، والطريق ههنا الدين، ولكن اللفظ إذا اختلف أُتِي مِنْهُ بألفاظ تُؤَكدُ بِها القصة والأَمر نحو قول الشاعر:(٢)

---

(١) سورة الصف الآية ٦.

(٢) هو عنتر العبسي، والبيت هو السادس من معلقته ـ وأم الهيثم هي حبيبته عبلة، والأقواء والأقفار الخلاء، قال الزوزني أنه جمع بينهما لضرب من التوكيد كما قال طرفة:

متى أدن منه ينأ عني ويبعد

حُيِّيتَ مِن طلل تقادم عهدُه ... أقوى وأقفر بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثَم

فإن معنى أقوى وأقفر يدل على الْخَلْوَةِ، إلاَّ أَنَّ اللفظين أوكد في الخُلوِّ من لفظ واحدٍ. وقال أبو العباس محمد بن يزيد: شرعة معناها ابتداءُ الطريق، والمنهاج الطريق المستَمِرُّ، قال: وهذه الألفاظ إذا تكررت في مثل هذا فللزيادة في الفائدة، قال وكذلك قول الحطيئة:(١)

أَلا حَبَذَا هِنْدٌ وَأَرْضٌ بها هندُ ... وَهِنْدٌ أتى مِنْ دونها النَّأْيُ والبُعْدُ

قال: النَّأْيُ لكل ما قل بعده منك أَوْ كثرَ، كأنه يقول:

النأي المفارقة قلَّت أَوْ كثرتْ، والبُعْدُ إنَّمَا يُسْتَعْمَلُ في الشيءِ البعيد ومعنى البعيدِ عندَه ما كَثرتْ مسافةُ مُفَارقَتِه، وكأَنَّهُ يقُولُ لِمَا قرب منه هو نــاءٍ عني، وكذلك لما بعُدَ عنه، والنأي عنده المفارقة (٢).

وقوله: ﴿يَا أيُّها الَّذِينَ آمنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينكُمْ هُزُواً وَلَعِباً﴾.

هُزءَاً فيه لغات، إن شئت قلت هُزُؤا بضم الزاي وتحقيق الهمزة، وهو الأَصل والأَجودُ، وإن شئت قلت هُزُواً وَأَبْدَلْتَ من الهمزة واواً، لانضمام ما قبلها وأنها مفتوحة، وإنْ شئتَ [قلت] هُزْءَاً بإسكان الزاي وتحقيقِ الهمزة. فهذه الأَوجه الثلاثةُ جَيدَة يُقْرأُ بِهِنَّ. وفيها وجه آخر. ولا تجوز القراءَة به لأنه لم يقرأْ به، وهو أن يقول هُزَاً مثل هُدًى وذلك يجوز إذا أُردت تخفيفَ همزة

= جمع بين النأي والبعد لضرب من التوكيد.

(١) من قصيدته في مدح آل شماس بن لأي وذم الزبرقان بن بدر والشاهد جمعه بين النأي والبعد الديوان ٧٢ ـ حواشي المرتضي ٤/١٩٨.

(٢) أي محمد بن يزيد المبرد يقول للشيء الذي ليس بعيداً ولكنه منفصل عنه هو ناء عني كما يقولها لما هو بعيد.

هُـزءٍ فيمن أسكن الزاي أن يقـول هُزَاً. تـطرح حركتهـا على الزاي كمـا تقـول رَأَيْتَ خَباً تُريدُ خَبْئاً(١).

وقوله: ﴿مِـنَ الَّذِينَ أُوتوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُـمْ والْكُفَّارَ﴾(٢).

النصب فيـه على العطف على قـوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الَّـذِينَ اتَّخَـذُوا دِينَكُمْ هُزُوا ولَعِباً﴾ [أي] ولَا تَتَّخِذُوا الكُفَّار أَوْلِياءَ، ويجوز والكفارِ أولياءَ على العطف على الَّذِينَ أُوتواالكتاب، المعنى من الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم وَمِن الكفارِ أولياءَ.

وقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا﴾.

يقـال: نقَمْتُ على الرَّجُـلِ أَنْقِمُ، ونقِمْتُ عليه أَنْقَم(٣) والأَجْـودُ نقَمْتُ أنقِمُ، وكذلك الأكثر في القراءَة: ﴿ومانَقمُوا مِنْهُمْ إلَّا أن يُؤْمِنُـوا بِالله العَـزِيزِ الحَمِيد﴾(٤)، وأنشد بيت ابن قيس الرقيات.

مَـا نَـقِـمُـوا مِـنْ أُمـيَّـةَ إلَّا ... أَنَّـهمْ يـحْلُمُـون إن غَـضِبُـوا(٥)

بالفتح والكسر، نقَمُوا ونقِمُوا، ومعنى نقمت بالغت في كراهة الشَّيءِ.

وقوله: ﴿وأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقونَ﴾.

المعنى: هل تكرهـون منا إلا إيمـاننا وفِسْقَكُمْ، إي إنمـا كرهتم إيمـاننا

---

(١) الخبأ ما خبيء وغيب، ومن الأرض النبات ومن السماء القطر.

(٢) ط: تريد خبئاً، والكفار فالنصب فيه.

(٣) مثل ضرب يضرب، وعللم يعللم.

(٤) سورة البروج آية ٨.

(٥) من قصيدة له في مدح عبد الملك بن مروان أولها: «عاد له من كثيرة الطرب» وهو تأكيد المدح بما يشبه الذم. أي لا عيب فيهم إلا أنهم يحلمون، والقصيدة في ديوانـه ٦٧، والمغني ٢١١، والخزانة ٣ ـ ٢٦٨ وشواهد الكشاف، والقرطبي ٦ ـ ٢٣٤.

وأنتم تعلمـــون أنـا على حق لأنّكم فَسَقْتُمْ، بـأن أقمتم على دينكم لمحبتكم الرياسة، وكسبكم بها الأموالَ، فإن قـال قائـل: وكيف يعلم عالِمٌ أن دِينـاً من الأَدْيانِ حق فيؤْثر البـاطِلِ على الْحق؟ فـالجواب في هـذا أن أكثر مـا نشاهـده كذلك. مِنْ ذلِكَ أنَّ الإِنْسانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْقَتْل يُورِدُ النَّار فيقْتُلُ، إما إيثاراً لِشِفَـاءِ غيظه أو لأَخْذِ مال. ومنها أنَّ إبْلِيسَ قَدْ علِم أَنَّ اللَّه يُدْخِلُه النَّارُ بِمعْصِيتِهِ فـآثر هواه على قُرْبه من اللَّه، وعمِل على دُخول النَّارِ وهذا بابٌ بينٌ.

وقوله: ﴿[قُلْ] هَلْ أُنبِّئُكُمْ بشَرٍ مِنْ ذَلِكَ مثُوبةً عِنْدَ اللهِ﴾.

أي بِشَرٍّ مما نَقَمْتُمْ مِن إيمانِنا ثواباً، و«مثوبة» منصوب على التمييز.

وقوله: ﴿مَنْ لَعنهُ اللهُ﴾.

وضع «منْ» إن شئت كان رفعاً، وإن شئت كان جراً فأمـا من جر فيجعله بـدلاً مِنْ شَر. المعنى أُؤنبِّئُكُمْ بمن لعنـه اللَّه، ومن رفع فبـإضمـار هـو، كـأن قائـــلاً قـال: منْ ذلك؟ فقيـل هو من لعنـه اللَّه، كما قـال جـلّ ثناؤه: ﴿[قل] أَفَأُنبِّئُكُمْ بِشَر من ذَلِكُمْ النَّارُ﴾[1] كأنه قال: هي النار.

وقوله: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾.

الطاغُوتُ هو الشيطان، وتـأويل وَعَبَـدَ الطَّاغـوتَ: أطَاعـه فيما سَـوَّلَ لَه وأغْراهُ به، وقَـدْ قُرِئَتْ: ﴿وعَبْدَ[2] الطَّاغـوتِ﴾. والذي أَخْتارُ ﴿وَعَبَدَ الطاغوتَ﴾ وروي عن ابن مسعودٍ وعَبَدوا الطَّاغوتَ، وهـذا يقوي ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾، ومن قـال: وعَبُدَ[3] الـطاغوتِ. فَضَمَّ البـاءَ وجَرَّ الـطاغوتَ، فـإنه عنـد بعض أهل العرَبيَّةِ ليس بالوجـه من جهتين إحداهمـا[4]، أن عَبُد على فَعُـلٍ، وليس هذا

(١) الآية ٧٢ من سورة الحج.

(٢) هو في بمعنى الجمع.

(٣) بمعنى عباد.

(٤) ط أحدهما.

من أمثلة الجمع، لأنهم فسروه خَدَمُ الطاغوتِ[١] والثاني أن يكونَ محمولاً على وجعل منهم عَبُدَ الطاغوتِ[٢]. فأما من قرأ «وَعُبُدَ الطَّاغُوتِ» فهو جمع عبيدٍ وَعُبُد، مثلُ رغِيفٍ ورغُفُ وسَرِيرٍ وسُررٍ، ويكون على معنى وجعل منهم عُبُدَ الطاغوتِ على جعلت زيداً أخاك، أي نَسَبْتُه إليك، ووجه وعَبُد الطاغوت ـ بفتح العين وضم الباء ـ [أن][٣] الاسم يبنى على فَعُلٍ كما قالوا عَلُمٌ زيدٌ. وكما أقُول رَجُلٌ حَذُرٌ، تأويل حَذرٍ أنه مبالغ في الحَذَرِ، فتأويل عَبُد أنَّهُ بلغ الغاية في طاعة الشيطان، وكأن اللفظَ لفظُ واحدٍ يَدُل على الجمع. كما تقول للقوم: منكم عَبُدُ العصا، تريد منكم عَبِيدُ العَصَا. ويجوز بعد هذه الثَلاَثَةِ الأوْجُهِ الرفعُ في قوله وعَبُدَ الطاغوتِ، فيقول وعَبُدُ الطاغوتِ، وكذلك وعُبُدُ الطَّاغُوتِ بالرفع، ولا تقرأن بِهذين الوجهين وإن كانا جائزين، لأن القراءَة لا تبتدع على وجه يجوز، وإنما سبيل القراءَة اتباع مَنْ تَقَدَّم، فيجوز رفع، وعَبُدُ الطَّاغُوتِ، وعُبُد الطاغوت، على معنى الذَّمِّ، والمعنى وهم عُبُد الطاغوت، كأنه لما قال: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وغَضِبَ عَلَيهِ وجَعَلَ مِنْهُمُ القِرَدَةَ والخنازيرَ﴾، دَلَّ الكلامُ على اتِّبَاعِهِم الشَّيَاطينَ، فقيل وهم عُبُدُ الطاغوتِ.

ويجوز أن يكون بدلاً من «مَنْ» في رَفع «مَنْ» كأنه لما قِيل[٤] منهم من لعَنَهُ اللَّه، وغضِبَ عليه، قيلَ هم عَبُدُ الطاغوت وعُبُدُ الطَّاغُوتِ، ويجوز في الكلام أيضاً، وعَبْدَ الطاغوت ـ بإسكان الباء ـ وفتح الدَّال. ويكون على وجهين، أحدهما أنْ يكونَ مخفَّفاً من عَبُد ـ كما يُقَال في عَضُدٍ عَضْد. وجائز أن يكون «عَبْد» اسْماً واحداً يدل على الجنس، وكذلك يجوز في عبد الرفع

---

(١) مطيعوه وخاضعون لوساوسه فهو جمع، وعَبُدَ ليس بجمع.

(٢) بمعنى عبيد، ويتلاقى مع الوجه الأول.

(٣) ليست في ط.

(٤) ط. قال.

والنصب من جهتين كما وصفنا في عبد، ويجوز أن يكون النصبُ من جهتين: إحداهما على وجعل منهم عَبْدَ الطاغوتِ ويجوز أن يكون منصوباً على الـذم، على أعني عبدَ الطاغوت، . ويجوز فـي وعَبْد وعَبُد وعُبُدٍ الجرُّ على البَدَل من «من» ويكون المعنى: هل أُنبِّئُكم بمَنْ[1] لعنه اللَّه وعَبُدِ الطاغوت. ولا يجـوز القراءَة بشيء من هذه الأوجه إلا بالثلاثة التي رُويَتْ وقرأ بها القراءَ، وهي عَبَدَ الطَّاغُوتَ. وهي أجودها، ثم وعَبُدَ الطاغُوتِ ثم وعُبُدَ الطاغوتِ.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً﴾.

أي هؤلاءِ الذين هذه صَفْتهم ﴿شَرٌّ مكاناً، وأَضَلُّ عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ﴾.

أي عن قصد السبيل، و«مكاناً» منصوبٌ على التفسير.

وقـوله: ﴿لوْلَا يَنْهَاهُمُ الـرَّبَّانِيُّـونَ والأَحْبَارُ﴾. وهُم عُلَمـاؤُهم ورؤسـاؤُهم. والحَبْـرُ العالِمُ، والحِبْـرُ المِـدَادُ بـالكسـرِ، فـأعلم اللَّه أن رُؤسـاءَهم وسِفْلَتَهُمْ مُشْتَرِكونَ في الكفر.

ومعنى: ﴿لوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيونَ﴾: هلاَّ ينها م، ثم أَخْبَرَ عـزَّ وَجَلَّ بعـظيم فِريتهم فقال:

﴿وقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولةٌ، غُلَّتْ أَيْدِيهِـ ﴾.

أي [قـالوا] يـده مُمْسِكةٌ عن الاتِّسـاع عَا نَا. كما قال اللَّه جَلَّ وَعزَّ: ﴿ولا تَجْعَلْ يَدكَ مغلُولةً إلى عُنُقِكَ﴾ تأويله لا تُمسِكها عنِ الإنفاق قال بعضهم: معنى ﴿يدُ الله مَغْلُولةٌ﴾ نعْمَتُـه مقبوضـة عَنَّا، وهـذا ا مول خـطأ ينقضُـه: ﴿بَلْ يَـدَاهُ مبْسُوطَتَانِ﴾.

فيكون المعنى: بلْ نِعْمَتَـاهُ مبسُوطتـانِ، ـِنعَمُ اللَّهِ أكثرُ مِن أن تُحصى.

---

(١) من بدل من «شر» في «بشر من ذلكم» وعبد معطوف عليه

وقال بعضهم: وقالوا يَدُ اللَّهِ مغْلُولَةٌ عَنْ أعدائنا، أي لا يُعذِّبُنا. وقال بعض أهل اللغة إنما أُجِيبُوا على قَدْرِ كَلاَمِهِمْ. كما قالُوا يدُ اللَّه مغْلُولَةٌ، يريدون به تبخيل اللَّه.

فقيل: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾. أي هو جَوَادٌ ﴿يُنْفِق كَيْفَ يَشَاءُ﴾ ومعنى غُلَّتْ أيدِيهِمْ أي جُعِلُوا بُخَلاَءَ. فهُم أَبْخَلُ قَوْمٍ وَقيلَ ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِم﴾ أي غُلتْ في نَارِ جُهَنَّم.

وقوله: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وكُفْراً﴾.

أي كلما نزل عليك شيءٌ من القرآن كفروا به فيزِيدُ[1] كفرهم والطغيان الغُلوَّ والكفر هَهُنَاكَ.

وقوله: ﴿وأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمْ العَدَاوَةَ والبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ﴾ جعلهم اللَّه مختلفين في دينهم متباغضين، كما قال: ﴿تحسَبُهم جميعاً وقُلُوبُهُمْ شتَّى﴾[2] فألقى الله بينهم العداوة، وهي أَحدُ الأَسباب التي أَذهب الله بها جَدَّهم[3] وشَوْكَتَهُمْ.

وقوله: ﴿كُلما أَوْقَدُوا نَاراً للحَرْبِ أَطْفَأَها اللَّهُ﴾.

هذا مثل[4] أي كلما جمعوا على النبيِّ والمسلمين وأَعدُّوا لِحربِهم فرق اللَّه جمعهم وأَفْسد ذات بينِهمْ.

وقوله: ﴿وَيَسْعَوْنَ في الأَرْضِ فَساداً﴾.

---

(١) ط فيزيدهم كفرهم.

(٢) سورة الحشر ١٤.

(٣) حظهم وسعادتهم.

(٤) ذكر النار للاستعداد للحرب تمثيل.

أي يجتهدون في دفع الإسلام ومحو ذكر النبي ﷺ من كُتُبِهِمْ.

وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ والإِنْجِيلَ﴾.

أي لَوْ عَمِلُوا بِمَا فِيهِمَا، ولم يكتُمُوا ما علموا من ذكر النبي ﷺ فيهمَا.

﴿وما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾.

وهو ـ واللَّه أعلَم ـ القرآن. أي [لـو] عَمِلُوا بما في هـذه الكتب من ذكر النبي، وأظهروا أمره، ﴿لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾.

قيل إنه كان أَصَابهم جَدْبٌ، فأعلم اللَّه أَنَّهم لو اتَّقوا لأوسـع عليهم في رِزقِهِمْ، ودَلَّ بهذا على ما أَصابَهُم من الجدب فيما عاقبَهُمْ به.

ومعنى ﴿لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ﴾.

أي لأكلوا من قطر السَّماءِ.

﴿ومِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾.

مِن نَبَات الأَرضِ. وقيل قد يكون هذا من جهة التوسِعَةِ كما تقول فلان في خيـر من قرنـه إلى قدمِـه[١]، وقـد أعلم اللَّه جـلّ وعَـزَّ أَن التُّقى سعـة في الرزق فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهلَ الكتاب آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾. وقال: ﴿مَنْ يَتَّق الله يَجعَلْ لهُ مَخْرجاً. ويرزُقْهُ مِنْ حَيثُ لا يَحتَسِبْ﴾[٢] وقال في قصـة نوح: ﴿استغْفِـرُوا رَبَّكُمْ إنه كان غفَّاراً، يُرْسِـلِ السَّمَاءَ عَليكُمْ مِـدْراراً، ويُمدِدْكُمْ بـأَموالٍ وَبنِين ويَجعَلْ لَكُـمْ جَنَّاتٍ﴾[٣] وهي البسـاتين. فوعـدهم اللَّه أتم الغنى على الإيمان والاستغفار.

وقوله: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدةٌ﴾.

---

(١) من رأسه إلى قدمه ـ أي يشمله ويعمه.

(٢) سورة الطلاق ٢ ـ ٣.

(٣) سورة نوح ١٠ ـ ١٢.

أي من أهل الكتاب، قـال بعضهم يعنى بهذا مَنْ آمَن مِنْهُمْ وقيـل يعنى به طائفة لم تُناصِب النبيَّ ﷺ مناصبة هؤلاءِ، والذي أَظُنه ـ واللَّه أَعلم ـ أَنـه لا يسمي اللَّه من كان على شيءٍ من الكفر مُقْتصِداً.

﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾.

المعنى بئس شيئاً عَمَلُهم.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لم تَفْعَلْ فما بلَّغت رِسَالَتَه﴾.

وتقرأْ رسالاتـه. والمعنى بلغ جميع ما أُنزل إِلَيْكَ مِنْ رَبِّك، وإِن تركت منه شيئاً فما بلغتَ، أَي لا تراقبن أَحـداً ولا تتركن شيئـاً من ذلك خـوفاً مِنْ أَن ينالك مكروه.

﴿والله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

أَي يحُولُ بَيْنَهُمْ وبين أَنَ ينالكَ منهم مَكْرُوهٌ، فَـأَعْلَمَهُ اللَّه جـلّ وعزّ أَنـه يَسْلَمْ مِنهـمْ. وفي هذا آية للنبي ﷺ بَيِّنَةٌ.

قوله: ﴿إِن الَّذينَ آمنُوا والَّـذِينَ هَادُوا والصَّـابئُونَ والنَّصَـارَى مَنْ آمنَ باللَّه وَاليَوْمِ الآخِرِ وَعملَ صالحاً فلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ [ولاَ هُمْ يَحْزنُونَ]﴾.

اختلف أَهل العربية في تفسير رفع الصابئين، فَقَـالَ بعضهم نَصْبُ «إِنَّ» ضَعُفَ فنُسقَ «بـالصَّابئـون» على «الّذينَ» لأَن الأصـل فيهم[1] الرفـع. وهو قـول الكسائي، وقال الفراءُ مثل ذلك إلا أَنه ذكر أَن هذا يجـوز في النسق على مثل «الذين» وعلى المضمر، يجوز إِني وزيد قـائمان، وأَنـه لا يجيز إِنَّ زيـداً وعمرو قائمان. وهذا التفسير إِقدام عظيم على كتاب اللَّه وذلك أَنهم زعمـوا أَن نَصْبَ

(١) تقدم أن هذه طريقة الزجاج في إعادة ضمير العقلاء على اللفظ.

«إنَّ» ضعيف لأنها إنما تغيِّرُ الاسم ولا تغير الخبرَ، وهذا غلط لأن «إنَّ» عملت عَمليْن النَّصْبَ، والرفع، وليْسَ في العربيَّة ناصب ليس معه مرفُوع لأن كل منصوب مشبه بالمفعول، والمفعول لا يكون بغير فاعل إلا فيما لم يسم فاعله، وكيف يكون نصب «إنَّ» ضعيفاً وهي تتخطى الظروف فتنصب ما بعدها. نحو قوله: ﴿إنَّ فيها قوْماً جَبَّارين﴾[1] ونَصْبُ إنَّ مِنْ أقْوَى المنْصُوبَاتِ.

وقال سيبويه والخليلُ، وجميعُ البصريين إنّ قوله: والصَّابئُون محمول، على التأْخير، ومرفوع بالابتداءِ. المعنى إن الذين آمنوا والذين هادوا مَنْ آمن باللّهِ واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم، والصابئون والنصارى كذلك أيْضاً، أي من آمن باللّه واليوم الآخر فلا خوف عليهم، وأنشدوا في ذلك قول الشاعر:[2]

وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق

المعنى وإلا فاعلموا أنَّا بُغَاةٌ ما بقينا في شقاق، وأنتم أيضاً كذلك.

وزعم سيبويه أنَّ قوماً من العرب يغْلِطُونَ فيقولون إنهم أجمعُونَ ذاهبُون، وإنك وزيدٌ ذاهبان. فجعل سيبويه هذا غلطاً وجعله كقول الشاعر:[3]

---

(١) سورة المائدة ـ ٢٢.

(٢) هو بشر بن أبي حازم.

والبيت في العيني ١/٢٧١، والخزانة جـ ٤ وكتاب سيبويه جـ ٢ ١٥٦ (ت هرون) وشواهد الكشاف.

(٣) لزهير بن أبي سلمى، من قصيدة أولها:

ألا ليت شعري هل يرى الناس ما أرى من الأمر أو يبدو لهم ما بدا ليا

والبيت في ابن يعيش ٧ ـ ٥٦، والخزانة ٣ ـ ٦٦٥، وشرح شواهد المغني ٩٨ وكتاب سيبويه ٢ ـ ٢٣٨ ـ أميرية.

بـــدا لي أَنّي لسْتُ مـدرِك مَــا مَضى ولا سَــابِقٌ شيئـاً إذا كــان جــائيــاً

فأما ﴿مَن آمَنَ بِاللهِ﴾ وقد ذكر الذين آمنـوا، فإنمـا يعني الذين آمنـوا هَهنا المنافقين الذين أظهـروا الإيمان بـألْسنتهم، ودلَّ على أن المعنى هنـا مَـا تقدَّم من قوله:

﴿لا يَحْزُنْكَ الذين يُسارِعُونَ في الكُفر مِنَ الـذينَ قَالُـوا آمنا بـأفواهِهِمْ ولم تُؤمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾.

ومعنى الصابـئ الخارج عن جملة الأَدْيان لأنهم[1] لا يدينـون بالكتُبُ، والعرب تقول قـد صبأ نَـابُ البعير، وصبـأ سِنُّ الصَّبِيِّ إذا خرج. فـأما قـولهم ضبأت بالضادِ المعجمة فمعناه اختبأت في الأرض، ومنه اشتُق اسم ضابـئ.

وقال الكسائي، الصابئون نسق على ما في هادوا[2]، كأنه قال هادوا هم والصابئون[3]. وهذا القول خطأ من جهتين، إحداهما أن الصابئ يشارك اليهودِيَّ في اليهوديّة وَإن ذَكَرَ أَنَّ هادوا في معنى تابوا[4] فهذا خطأٌ في هذا الموضع أيضـاً لأن معنى الذين آمنوا ههنا إنما هو إيمانٌ بأفواههم، لأنه يُعْنَى بِـه المنَافِقُونَ، ألَا ترى أنَّـه قال من آمَنَ باللَّه، فلو كانوا مؤْمنين لم يحتج أن يقال إنْ آمنوا فلهم أجرهم.

وقوله: ﴿فَرِيقاً كذَّبُوا وَفريقاً يقْتُلُون﴾.

المعنى كُلَّمـا جَاءَهُم رسُـولٌ كذَّبـوا فريقـاً وقَتَلوا فريقـاً، أَمَّـا التَّكْـذيبُ فـاليهودُ والنصـارى مشتـركـة فيـه، وأمـا القتـل فكـانَتْ اليهـود خـاصَّـة ـ دون

---

(١) أي الصابئين.

(٢) عطف على واو الجماعة في هادوا.

(٣) أي يلزم على هذا التقدير أن يكون «الصابئون» فاعلاً للفعل «هاد» من هادوا ـ لأنه معطوف على فاعله وهو الواو.

(٤) إن أراد الذين تابوا ـ ولم يرد اليهود.

النَّصارى - يَقْتُلون الأَنبياءَ، وكانت الرسل على ضربين، رسل تأْتي بالشرائع والكتب نحو موسى وعيسى وإبراهيم ومحمد[1]، فهؤُلاءُ معصومون من الخلق، لم يوصل إلى قتل واحدٍ منهم، ورُسُل تأْتي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحث على التمسك بالدين نحو يحيى وزكريا[2].

وقوله: ﴿وحَسِبُوا أَلَّا تكونَ فِتْنَةٌ﴾.

تقرأُ ﴿أَلَّا تكونَ﴾ بالنَّصْب، وأَلَّا تكونُ بالرَّفْع، فمن قرأَ بالرفع فالمعنى أنه لا تكون فتنة[3]، أَي حسبوا فعلهم غير فَاتنٍ لهم وذلك أَنَّهم كانوا يقولون إنهم أَبناءُ اللَّه وأَحباؤُه.

﴿فعَمُوا وَصَمُّوا﴾.

هَـذا مثلٌ، تـأْويله أَنَّهم لم يعملوا بما سمعوا ولا بما رَأَوْا من الآيات، فصاروا كالعُمْي الصُّمِّ.

﴿ثم تَاب عَلَيْهِم﴾.

أَي أَرسل إليهم محمداً ﷺ يعلمهم أن اللَّه جلّ وعزّ قد تاب عليهم إن آمنوا وصَدَّقوا، فلم يُؤمنوا أَكثرهم، فقال عزّ وجلّ:

﴿ثمَّ عَمُوا وصَمُّوا كثِيرٌ مِنْهُمْ﴾.

أَي بعد أَن ازداد لهم الأمر وضوحاً بالنبي عليه السلام. كثير منهم يرتفع من ثلاثة أَوجه، أَحدها أَن تكون بدلاً من الواو، كأنه لما قال ﴿عموا وصَمُّوا﴾ أَبدل الكثير منهم، أَي عمي وصم كثيرٌ منهم كما تقول: جاءَني قومُك أَكْثَرهُمْ، وجائز أَن يكون جُمعَ الفعلُ مُقَدَّماً كما حكى أَهل اللغة أكلوني

(١) ك - صلّى اللّه عليهم أجمعين.

(٢) زكريا ويحيى قتلا - كما هو معروف.

وهو يعني أنهما لم يأتيا برسالة جديدة، بل كانا يبشران برسالة موسى عليه السلام.

(٣) وتكون «أن» مخففة من الثقيلة لوقوعها بعد «حسب».

البـراغيث، والوجـه[١] أن يكون كثيـر منهم خبر ابتـداءٍ محذوف، المعنى ذوو العمى والصمم كثير مِنهم.

وقوله: ﴿لَقَدْ كَفَر الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالثُ ثَلاثَةٍ﴾.

معناه أنهم قالوا اللّه أحد ثلاثة آلهة، أَوْ وَاحِد من ثلاثة آلهـة، ولا يجوز في ثلاثة إلا الجرُّ، لأن المعنى أحد ثلاثة، فـإن قلت زيد ثـالث اثنين أو رابع ثلاثة جاز الجرُّ والنَّصْبُ، فأما النصب فعلى قولك كـان القوم ثـلاثة فـرَبَعَهُم، وأنا رابعهم[٢] غداً، أو رابع الثلاثة غداً، ومن جـرَّ فعلى حذف التنـوين، كما قال عزّ وجلّ: ﴿هَدياً بالغَ الكَعْبَةَ﴾[٣].

وقوله: ﴿ومَا مِنْ إِلهٍ إِلَّا إِلهٌ واحِد﴾.

دخلت «من» مؤكدة، والمعنى ما إله إلا إله واحد.

وقوله: ﴿وَإِنْ لَمْ يَنْتَهوا عَمَّا يَقُولونَ لَيَمَسَّنَّ الذينَ كَفَرُوا مِنْهُم عذابٌ أَلِيمٌ﴾.

معنى الذين كفروا منهم. الذين أقاموا على هذا الدين[٤] وهذا القول.

وقوله: ﴿إِلَّا رَسُولٌ قَد خَلَتْ مِنْ قَبْله الرُّسُلُ﴾.

أي إبراؤه الأكمه والأبرص وإتيانه بالآيات المعجزات ليس بأنه إله، إنما أتى بالآيات كما أتى موسى بالآيات، وكما أتى إبراهيم بالآيات.

﴿وأُمُّهُ صِدِّيقةٌ﴾.

أي مبالغة في الصدق والتصديق، وإنمـا وقع عليهـا صدِّيقـة لأنه أرسـل إليهـا جبريـل، فقال اللّه عـزّ وجـلّ: ﴿وصـدَّقتْ بكلمـات ربهـا وكتُبه﴾[٥]،

---

(١) هذا هو الوجه الثالث وهو الذي يختاره.

(٢) مصيرهم أربعة.

(٣) المائدة ٩٥.

(٤) هذا الاعتقاد بأن اللّه ثالث ثلاثة.

(٥) سورة التحريم ١٢.

وصِدّيق فِعيلٌ من أبنية المبالغة كما تقول فلان سِكّيت أي مبالغ في السكوت.

وقوله: ﴿ كَانَا يأْكُلاَنِ الطَّعَامَ ﴾.

هذا احتجاج بيّن، أي إنما يعيشان بالغذاءِ كما يعيش سائر الآدميين، فكيف يَكُونُ إلَهاً من لا يقيمه إلاَّ أكلُ الطعام.

وقوله: ﴿ انظرْ كَيْف نُبيّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ﴾.

أي العلامات الواضحة.

﴿ثُمَّ انْظُرْ﴾: أي انظر بعد البيان.

﴿أنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.

أي من أين يُصرَفُونَ عَن الحقِّ الواضح.

وكل شيءٍ صرفته عن شيءٍ وقَلَبْتَه عَنْه، تقول أَفَكْتُه آفِكُه أفْكاً، والإفك الكذب إنما سُمِّيَ لأنه صرف عن الحق، والمؤْتفكات الرياح التي تأْتي من جهات على غير قصد واحد.

وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبعُوا أَهَواءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قبْلُ﴾.

أهواءَ جمع هوى، وهَوَى النَّفْسِ مقصورٌ لأَنه مثل الفَرقَ وفَعَل جمعُه أفْعال، وتأْويله لا تتبعوا شَهَواتِهِمْ لأَنهم آثروا الشهوات على البيان والبرهان. وما في القُرآن مِن ذكر اتباع الهَوَى مَذْمُوم(١) نحو قوله: ﴿وَلَا تَتبع الهوى فيُضلَّك عنْ سبيلِ الله﴾(٢) وقوله: ﴿واتَّبَعَ هواهُ فَتردى﴾(٣) وقوله: ﴿وما ينَطَق عن الهوى﴾(٤).

---

(١) لم يذكر الهوى إلا مذموماً.

(٢) سورة ص آية ٢٦.

(٣) سورة طه آية ١٦.

(٤) سورة النجم آية ٣.

ومعنى ﴿وأضلُّوا كثيراً﴾ الكثير اتبعوهم.

﴿وَضَلُّوا عَن سَواءِ السَّبيلِ﴾.

أي ضلوا بإضلالهم عن قصد السبيل.

وقوله: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيل﴾.

تأْويل لُعِنُوا بُوعِدُوا من رحمة اللَّه.

﴿عَلى لِسَانِ دَاودَ وعِيسَى بنِ مَرْيَمَ﴾.

جاءَ في التفسير أَنّ قوماً اجتمعوا على مُنْكرٍ، فأَتاهم داود عليه السلام ينهاهم عنه، فاستأْذن عليهم فقالوا نحن قرودٌ وما نفقه ما تقول، فقال كونوا قِردَةً، فمسخهم اللَّه قِردَةَ، وأَن قوماً اجتمعوا على عيسى يَسُبُّونه في أُمِّه وَيَرْجُمُونَه فسأَل اللَّه أَن يجعلهم خنازير فصاروا خنازير، وذلك لعنهم على لسان داودَ وعيسَى.

وجائز أَن يكون داود وعيسى أُعْلِمَا أَنَّ مُحمداً ﷺ نَبيٌّ وأَنَّهُما لَعنا مَنْ كَفَرَ به.

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا عصوْا وكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

أي ذلك اللَّعْن بمعصيتهم واعتدائهم.

و«ذلك» الكاف فيه للمخاطبة، واللام في ذَلِك كسرتْ لالتقاء الساكنين، ولم يذكر الكوفيون كسر هذه اللام في شيءٍ من كُتبهم ولا عَرَّفُوه، وهذه من الأَشياءِ التي كان ينبغي أَن يتكلموا فيها[١]، إذ كان «ذلك» إشارة إلى كل متراخ عنك، إلا أَن تركهم الكلام أَعْودُ علَيْهم[٢] مِنْ تَكلُّمِهِمْ إذ كان أَول ما نطقوا به في فَعِلَ قد نقض سائر العربية، وقد بينا ذلك قديماً[٣].

(١) ط فيه.

(٢) أكثر فائدة لهم إذ لا لحجة لديهم.

(٣) لم يتكلم عنه في هذا الكتاب.

وقوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفعَلُونَ﴾.

أي لبئس شيئاً فعِلهم، واللام دَخَلَتْ للقَسم والتَّوكِيد وقد بيَّنَّا لِم فُتِحت، وسائر الحروف التي جاءَت يعْني لم فُتِحتْ وكسرت[1] ولم يبين الكوفيون شيئاً من ذلك.

وقوله: ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّه علَيْهِمْ﴾.

«أَنْ» يجوز أَن يكون نصباً على تأْويل بئس الشيءُ ذلك لأَنْ سخط اللَّه عَلَيْهم، أَي لأَن أَكسبهم السَّخْطةَ، ويجوز أَن يكون «أَنْ»[2] في موضع رفع على إضمار هو، كأنه قيل هو أَنْ سَخط اللَّهُ عَليهمْ، كما تقول نِعْمَ الرَّجُلُ زيْدٌ.

وقوله: ﴿لَتجِدَن أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ والَّذِينَ أَشركُوا﴾.

وذلك أَن اليَهودَ ظاهَروا المشركين على المؤْمنين، والمؤْمنون يؤْمنون بموسى والتوراة التي أَتى بها، وكان ينبغي أَن يكونُوا إلى من وافقهم في الإيمان بنَبيِّهمْ وكتابهم أَقربَ، فظاهروا المشركين حَسَداً للنبي ﷺ.

وقوله: ﴿لَتَجِدَنَ﴾: هذه اللام لام القسم، والنون دَخَلَتْ تَفْصِلُ بينَ الحال والاسْتقْبَالِ، هذا مذهب الخليل وسيبويه، ومن يُوثَقُ بعِلْمِه.

وقوله: ﴿عَدَاوَةً﴾ مَنْصُوب على التمييز.

﴿وَلتجدَنَّ أَقْربَهم مَوَدَّةً للذين آمَنُوا الذِينَ قَالُوا إنَّا نَصَارَى﴾.

في هذه غير وجه، جاءَ في التفسير أَن نيفاً وثلاثين من الْحَبَشِ من

---

(١) انظر ص ٤٢ جـ ١

(٢) ط في «أن» في موضع رفع.

النصارى جاءُوا وجماعةً معهم، فأسلموا لما تلا عليهم النبي ﷺ (القرآن)[1].

وجائز أن يكون يُعْنَى بِهِ النَّصارَى لأنهم كانوا أَقَل مظاهرة للمشركِينَ من اليهود، ويكون قوله:

﴿وإِذَا سَمِعُوا ما أُنزلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾.

على معنى ﴿ذلك بأَنَّ منهم قسيِّسين ورهباناً﴾، ومنهم قوم إِذَا سَمِعُوا ما أُنزلَ إِلى الرَّسُولِ، يعني به ههنا مؤمنيهم، والقُسُّ والقِسِّيسُ من رُؤساءِ النَّصَارَى، فأما القَسُّ[2] في اللُّغَة فهي النميمة ونشر الحديث، يقال: قسَّ فلان الحديث قسًّا.

ومعنى ﴿فَاكتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدينَ﴾.

أي مع من شهد من أَنْبيائك علَيْهِم السلامُ ومُؤْمِني عِبَادك بأَنَّكَ لا إِله غيْرُك.

وقوله: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ باللهِ﴾.

موْضع ﴿لا نؤمن بالله﴾ نصب على الحال، المعنى أَي شيءٍ لنا تاركين للإِيمان، [أَي] في حال تركنا للإِيمان، وذلك أَن قومهم عنفُوهم على إِيمَانِهم فأَجَابُوهم بأَن قالوا ما لنا لا نُؤمنُ باللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بآيَاتِنَا أُولئِكَ أَصْحَابُ الجَحِيم﴾.

الجَحِيم النَّار الشدّيدةُ الوَقُود، وقد جَحِمَ فلان النّار إذا شدَّد وقُودَها، ويُقال لِعَيْن الأَسَد جَحْمة لشدة توقدها، ويقال لوقود الحرب، وهو شدة القتال فيها: جَاحِم، قال الشاعر:[3]

---

(١) كلمة القرآن ليست في ط ـ ويكون المعنى أسلموا حين قرأ عليهم، أو لما قرأه عليهم.

(٢) القس مثلثلة تتبع الشيء وطلبه كالتقسس والنميمة ـ وبالفتح صاحب الإبل الذي لا يفارقها. ورئيس النصارى في العلم ـ كالقسس. اهـ قاموس.

(٣) تقدم في الجزء الأول بيت من القصيدة ـ هو من صد عن نيرانها ـ والأبيات لسعد بن مالك بن=

والـخـيـل لا يـبـقـى لـجـاحـمـهـا الـتـخـيـل والمراحُ
إلا الـفـتـى الـصّـبّـارُ فـي الـنَّـجَـداتِ والـفـرس الوَقَاحُ

وقوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّموا طَيِّباتِ مَا أَحَل اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعتَدوا﴾.

هذه قيل نزلت لأَنَّ جماعةً من أَصحاب النبي كانوا هَمُّوا بأَن يرفضوا الدنيا ويجتنبوا الطيبات ويخْصُوا أنفسهم، فأَعلم اللَّه أن شريعة نبيه عليه السلام غير ذلك، والطيبات لا ينبغي أَن تجتنب البتة، وسمي الخصاءُ اعتداءً، فقال عزّ وجلّ: ﴿ولا تعتدوا﴾، أي لا تَجُبُّوا أَنفسكم فإن ذلك اعتداءَ.

وقوله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُم اللَّهُ باللَّغْوِ﴾.

اللغو في كلام العرب ما اطرح ولم يعقد عليه أَمر، ويسمى ما ليس مُعتَدًّا به ـ وإن كان مَوجُوداً ـ لغواً، قال الشاعر:

أو مِـائـةً تـجـعـل أَولَادَهـا لَغْواً، وعُرْضُ المائةِ الجَلْمَدُ[1]

(الذي يعارضها في قوة الجلمد)[2]، يعني بذلك نوقاً، يقول: مائة لا تجعل أَولادها من عددها.

أَعلم[3] اللَّه عزّ وجلّ أن اليمين التي يُؤَاخَذُ بها العَبْدُ وتجب في بعضها

= ضبيعة وهو جد طرفة ـ بن العبد ـ ورواية البيتين في شواهد المغني ـ والحرب لا يبقى لجاحمها. وجاحم الحرب شدتها واستعارها، والتخيل الخيلاء والعجب، والمراح، النشاط والفرح، والأبيات تعريض بالحرث بن عباد، ومن اعتزل الحرب معه ـ والنجدات الشدائد، والفرس الوقاح الصلبة الشديدة.

(١) البيت في اللسان «جلمد» والجلمد الصخرة والقطيع الضخم من الإبل، يريد أنها ناقة قوية لا يعارضها إلا الجامد ولا تجعل أولادها من عددها.

(٢) ليست في ط.

(٣) ط فأعلم.

الكفارَةُ ما جرى على عقدٍ، ومعنى فكفارته إطعـامُ عَشَرةِ مَسَـاكِين، أي فكفارة المُؤاخَذَةِ فيه إذا حَنَثَ أن يُطْعَم عَشَرَة مساكين إن كانـوا ذكوراً أو إنـاثاً وذكـوراً أجزاه ذلك، ولكن وقع لفظ التذكير لأنه المُغَلَّبُ في الكلام.

ومعنى ﴿من أوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾.

قال بعضهم أعْدله كما قال جلّ وعزّ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُم أُمَّةً وَسَطا﴾[1] أي عَـدْلاً، و﴿أَوْسَط ما تـطعمون أَهْليكُمْ﴾ على ضـربين أحـدهمـا أوسـطه في القدر والقيمة، والآخر أوسَطه في الشبع لا يكون المأكول يفرط في أكله فيؤكل منه فوق القصدِ وقدر الحاجة، ولا يكون دون المعنى عن الجوع.

﴿أَوْ كِسْوَتُهُم﴾.

والكسوة أن يكسوهم نحو الإزَار والعِمَامة أو ما أشبه ذلك.

﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾.

فخير الحالف أحدَ هذه الثلاثة، وأفضلها عند اللَّه أكثَرُها نَفْعاً، وأحسنُها مـوقعاً من المسـاكين، أو من المعتق، فإن كـان الناس في جَـدْب لا يقـدرون على المأكول إلاّ بما هو أشد تكلفاً من الكسوة أو الإعتاق، فـالإطعام أفضـل، لأن به قِوَامَ الحياةِ وإلا فالإعتاق أو الكسوة أفضل.

﴿فَمنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أيّام﴾.

أي من كان لا يقدر على شيء مما حُدَّ في الكفـارة، فعليه صيـام ثلاثـة أيـامٍ، وصيام ثـلاثة مـرتفع بـالابتداءِ، وخبـره كفارتـه أو فكفارتـه صيام ثـلاثة أيام[2]. ويجوز فصيامُ ثلاثةَ أيَّامٍ كمـا قال عـزّ وجلّ: ﴿أَوْ إِطْعـامٌ فِي يَوْمٍ ذِي

(١) سورة البقرة: ١٤٣.

(٢) أي هو خبر لمبتدأ محذوف.

مَسْغَبَةٍ . يتيماً﴾(١) .

﴿أو عَدْلُ ذَلِكَ صِياماً﴾(٢) .

﴿ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ﴾ .

أي ذلك الذي يغطي على آثامكم، يقال كَفَرْتُ الشيءَ إذا غطَّيتُه، ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿أعجب الكُفَّارَ نباتُه﴾(٣)، والكفار الذين يغطون الزرع ويصلحونه، والكافر إنما سمي كافراً، لأنه ستر بكفره الإيمان.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنَّمَا الخَمْرُ والمَيْسِرُ والأَنْصَابُ والأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾.

فالخمر معروف وهو ما خامر العقل، وقد فسرناه(٤)، والميسرُ القَمارُ كله(٥)، وأصله أنه كان قماراً في الجزور، وكانوا يقسمون الجَزُورَ في قول الأصمعي على ثمانية وعشرين جزءاً، وفي قول أبي عمرو الشباني على عشرة أجزاء، وقال أبو عبيدة لا أعرف عَدَدَ الأجزاء، وكانوا يضربون عليها بالقداح وهي سهامُ خَشبٍ. لها أسماء نبينها على حقيقتها في كتابنا إن شاءَ اللَّه، فيحصل كل رجل من ذلك القمار على قدر إمكانه، فهذَا أَصْلُ المَيْسِرِ، والقمار كلُّه كالميْسر وقد بينا الأنصاب والأزلام في أول السورة.

فأعلم اللَّه أن القِمارَ والخَمرَ والاسْتِقْسَامَ بالأَزْلامِ وعبادةَ الأوثان رجسٌ. والرجس في اللغة اسم لكل ما استُقْذِرَ من عمل، فبالغ اللَّه في ذَمِّ هذه الأشياء، وسماها رجْساً، وأعلم أن الشيطان يُسَوِّلُ ذلك لِبَني آدم، يقال رَجِسَ الرجلُ يَرْجَسُ، ورجَسَ يَرْجُسُ، إذَا عمل عملاً قبيحاً، والرَّجْسُ بفتح الراء

(١) سورة البلد ١٤ .

(٢) الأظهر في «صياماً» أنها تمييز، ولكن يجوز أن تكون مفعولاً لعدل، أي معادلة ذلك صوماً.

(٣) سورة الحديد ـ ٢٠ .

(٤) انظر تفسير الآية: يسألونك عن الخمر ص ٢٩١ ج ١ .

(٥) بجميع أنواعه.

شِدَّةُ الصَّوْتِ، فكان الرجس العمل الذي يقبح ذكره، ويرتفع في القبح، ويقال سحاب ورَعْدٌ رجَّاسٌ إذا كان شديد الصوت، قال الشاعر:

وكل رَجَّاس يَسُوقَ الرُّجَّسَا[1]

وأما الرجز بالزاي فالعذابُ، أو العمل الذي يؤدي إلى العذاب، قال الله: ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾[2] أي كشفت عنا العذاب، وقوله: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهجُر﴾[3] قالوا عبادة الأوثان. وأصل الرِّجْز في اللغة تتابع الحركات، فمِنْ ذلك قولهم رجزاءَ إذا كانت ترتعد قوائمها عند قيامها، ومن هذا رَجَزُ الشِّعر لأنه أقْصَرُ أبيَاتِ الشِّعْرِ، والانتقال [فيه] من بيت إلى بيت سريع نحو قوله[4]:

يا ليتني فيها جذع أخب فيها وأضع

ونحو قولهم:

صَبْراً بَنِي عَبْدِ الدَّارِ[5]

ونحو قولهم:

ما هاج أحزانا وشجوا قد شجا[6]

---

(١) للعجاج ـ وبعده ـ من السيول والسحاب المرسا. أنظر الديوان ص ١٦ واللسان (رجس).

(٢) الأعراف ـ ١٣٤.

(٣) سورة المدثر آية ٥.

(٤) من رجز لدريد بن الصمة قاله يوم هوازن (اللسان ـ جدع) وسيرة ابن هشام ٨٩٠، والأغاني جـ٩ ـ ٣٤٥، جـ ١٠ ـ ٣١.

(٥) الرجز في سيرة ابن هشام جـ٣ ـ ٥٨٨ ـ ويهابني عبد الدار ـ ويها حماة الأدبار، ضرباً بكل بتار.

(٦) لرؤبة ـ وبعده: من طلل كالاتحمى أنهجا ـ انظر معاهد التنصيص. وأراجيز العرب ١٧ ورؤبة اسمه عبد الله، بصري تميمي والرؤبة القطعة من الخشب يشبه بها الإناء.

وزعم الخليل أن الرَّجَزَ ليس بشعر، وإنما هو أنصاف أَبْيَات أو أثـلاث، ودليل الخليل في ذلك ما روي عن النبي ﷺ:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً وتأْتيك من لم تزوَّدْ بالأخبار.

قال الخليل: لو كان نصف البيت شعراً ما جرى على لسان النبي ﷺ:

سَـتُبدِي لـك الأَيّـامُ مَـا كَنْـتَ جَاهِـلاً(١)

وجاءَ النصف الثاني على غير تأْليف الشعر، لأن نصف البيت لا يقال له شِعـرٌ ولا بَيتٌ، ولو جـاز أن يقال لنصف البيت شعـر لقيـلَ لِجُـزْءٍ منـه شعـر. وجرى على لسان النبي ﷺ فيما روَى:

أنـا النبي لا كـذب

أنـا ابـن عـبـد المطلب

قال بعضهم: إنما هـوَ لا كذِبَ أنـا ابن عبد المطلب، بفتح البـاءِ على الوصل(٢).

قـال الخليل: فلو كـان شعراً لم يجـر على لسان النبي ﷺ، قـال اللّه: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾(٣)، أي ما يَسَهَّل له، قال الأخفش كان قول الخليـل إن هذه الأشيـاءَ شعرٌ، وأنـا أقول: إنهـا ليست بشعر، وذكـر أنه أَلْـزَمَ الخليـلَ أن الخليل اعتقـده(٤). ومعنى الرِّجـزُ العذاب المُقَلْقِـلُ لشـدَّتِـه قَلْقَلةً شَدِيدَةً متتابعة، ومعنى فاجتَنِبُوهَ: أي اتركوه.

---

(١) بيت من معلقة طرفة ـ وبقيته: ويأتيك بالأخبار من لم تـزود ـ ولكن النبي ﷺ لم يشأ أن ينشـده على صورة الشعر الموزون.

(٢) وبذلك لا يكون رجزاً ولا شعـراً.

(٣) سورةيس. آية ٦٩.

(٤) أي ان الخليل عدل عن رأيه لهذا، وما هو مقرر هنا هو رأي الأخفش.

واشتقاقه في اللغة كونوا جانباً منه أي في ناحية.

وقوله: ﴿لَيَبْلُونكُم اللَّهُ بِشَيءٍ مِنَ الصَّيدِ تَنالُه أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُم﴾ هذه اللام لامُ القَسَمِ، واللام[1] مفتوحة لالتقاءِ الساكنين في قول بعضهم أغزُوَنَّ يا رَجُلُ، فأَما لام لَتُبْلَوُنَّ، فزعم سيبويه أنها مبنية على الفتح.

وقد أَحكمنا شرحَ هذا قبل هذا الموضِع[2].

ومعنى: «ليبلونكم»: ليختبرنّ طاعتكم من معصيتكم.

﴿بِشَيءٍ مِنَ الصيدِ﴾.

فَقال عزّ وجلّ بشيءٍ من الصَّيْدِ فبَعض، وهو يحتمل وَجْهَيْن أَحدهما أنه على صيد البَرِّ دُونَ صَيْدِ البَحْر، والثاني أَنه لَمَّا عَنى الصَّيدَ ما داموا في الاحرام كان ذلك بعضَ الصَّيْدِ. وجائز أَن يكون على وجه ثالث، ويكون «مِنْ» هذه تبين جنساً من الأَجناس، تقول: لأَمتحننك بشيءٍ من الوَرِق، أَي لامتحننك بالجنس الذي هو ورق، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾[3] والأَوثان كلها رجس، المعنى فاَجتنبوا الرجس الذي هو وثن.

ومعنى قوله: ﴿تَنالُه أَيْدِيكمْ ورماحُكُمْ﴾.

الذي تناله الأَيدي نحو بيض النَّعام وفِراخِه وما كان صغيراً ينهض من مجْثِمِهِ مِن غَيرِ النعام وسائر ما يفوق اليد بحركته من سائر الوحش. فحرم جميع صيد البر الجراد وكل ما يصطاد فحرام [صيده] ما داموا حرماً. وبيّن رسول اللَّه ﷺ أَن كل ما اصْطِيد في الحرمِ حرامٌ، كانوا محرمين أَو غير محرمين.

وقوله: ﴿ومنْ قَتلَهُ مِنكمْ مُتعمّداً﴾.

---

(١) هكذا في جميع الأصول ـ وبيد أنه و«النون».

(٢) جـ ١ الآية لتبلون في أموالكم... سورة آل عمران آية ١٨٦. ص ٤٩٦ جـ ١.

(٣) سورة الحج الآية ٣٠.

أي عمداً لِقتلِه، كأنه ناسٍ أنه مُحرِمٌ، ومتَعمِّدٌ للقتل، وجائز أن يقصد القتل وهو يعلم أنه محرم.

وقوله: ﴿فَجزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِن النَعَمِ﴾.

و﴿فجزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ﴾ برفع مثل وجرّها، فمن رفَعهُما جميعاً فرفعه على معْنى فعليه جزاءُ مثل الَّذِي قَتلَ، فيكون «مِثْل» من نَعْتِ الجزاءُ، ويكون أن ترفع «جزاءَ» على الابتداءِ ويكون مثل قتَل خبر الابتداءِ، ويكون المعنى فجزاءَ ذلك الفعل مِثلُ ما قَتَلَ، ومن جرَّ أراد فعليه جزاءُ مِثل ذلك المقتول من النَّعمِ، والنعمُ في اللغة هي الإبل والبقر والغَنَمُ، وإِن انفَردت الإبل منها قيل لها نَعم وإن انفردت الغنمُ والبقرُ لم تُسَمَّ نعماً.

فكان عليه بحذاءِ حمار الوحش وبقرةِ الوحش بَدَنةً، وعليه بحذاءِ الظباءِ من الغنم شاة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَحْكُمُ به ذَوا عَدْلٍ مِنكمْ﴾.

أي من أهل ملتكم، فعلى قاتل الصيد أن يسْأل فقِيهيْنِ عَدْلَيْن عن جزاءِ ما قَتَل، ويقولان له: أَقتلتَ صيْداً قبْل هَذَا وأَنْتَ مُحرِم فإن اعْترف بأنه قتل صيداً قبْل ذَلِك لم يَحْكُمَا عليه بشيء، لقول اللَّه عزّ وجلّ: ﴿ومن عاد فينتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾. وإِن لم يعترف نَظَرا فيما قتل. فإن كان كالإبل حكماً عليه بها ﴿هَدْياً بَالِغَ الكعْبةِ﴾ وإن كان كالشاءَ حكما عليه بمثل ذلك. وإن كانت القيمة لا تبلغ نظرا فقدرا قيمة ذلك، وأطعم بثمن ذلك المساكينَ، كلَّ مِسكين - قال بعضهم - صاعاً من حِنطة، وقال بعضهم نصف صاع أَوْ صَامَ بعَدْلِ ذلك على ما توجبُه السُّنَّةُ، ويجوز أن تكون «أو» - وهو الأجود في اللغة - للتخيير، فإن شاءَ أَهدى وإن شاءَ قوَّما له الهدْيَ وأَطْعَم بَدلَه على ما وصفنا. وجعل مثل ذلك صياماً لأن «أو» للتخيير، وقال بعضهم كأَنَّهُ إن لم يقدر على الإبلِ والغنمِ

فينبغِي أن يُـطعِم أو يصُومَ، والـذي يوجبـه اللفظُ التخييـرُ، وأهـلُ الفِقْـهِ أعلمُ بالسنة في ذلك، إلَّا أني أختارُ على مذهب اللغة أنه مخيَّر.

وقوله: ﴿هَدْياً بَالِغَ الكَعْبَةِ﴾.

منصوب على الحال. المعنى يحكمان به مُقَدَّراً أن يُهْدَى، و﴿بالغ الكعبة﴾ لفظُه لفظ مَعْرفةٍ، ومعناه النكـرة، المعنى بالغـاً الكعبة، إلَّا أنَّ التَّنْـوِينَ حُذِف استِخفَافاً.

ومعنى قوله: ﴿أَوْ عَدْلُ ذلِك﴾.

أو مِثل ذلك، قال بعضهم عَدْلُ الشيء مثله من جنسـه، وعَدْلُـه مثلُه من غير جنسه - بفتح العين، وقال إلا أن بعض العرب يغلط فيجعل العدْل والعِدْل في معنى المثل، وإن كان من غير جنس الأول. قال البصريون العَـدْل والعِدل في معنى المثـل، والمعنى واحد كـان المثـل من الجنس أو من غيـر الجنس، كما أن المثل ما كان من جِنْسِ الشيءِ ومِنْ غير جِنْسِه، مِثْـل، ولم يقولـوا إنَّ العـرب غلطت، وَلَيْسَ إذا أَخْـطأ مـخـطئ يـوجب أن تقـول ان بعض العـرب غلط.

وقوله: ﴿صِيَاماً﴾.

منصوب على التمييز. المعنى أو مثل ذلك من الصيام.

﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾.

«الوَبَالُ» ثِقْلُ الشّيءِ في المكروه، ومنه قولهم طعام وبيل، وماء وبيل، إذا كانا ثقيلين غيرُ نَامِيَينِ في المَالِ، قال عـزّ وجلّ: ﴿فَـأَخَذْنَـاهُ أَخْذاً وَبِيـلاً﴾[1] أَي ثقيلاً شديداً، والوبيلُ خشبَةُ القصَّارِ ومن هذا[2] قيل لها وبيـلٌ. قال طـرفة ابن العبدِ.

---

(١) سورة المزمل - ١٦.

(٢) من ثقلها وشدتها.

عقيلـة شـيخ كـالـوبيـل يـلنْـدَدٍ(١)

وقوله: ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ﴾.

الفاءُ جواب الجزاءِ، والمعنى أنه ـ واللَّه أعلم ـ ومن عاد مُستَحِلًّا للصيد بعد أنْ حَرَّمَه اللَّه منه فينتقم اللَّهُ مِنه أي فيعذبه اللَّهُ.

وجائز أنْ يكون: من عاد مستخفاً بأمر اللَّه فجزاؤه العـذاب كجزاءِ قـاتل النفس.

وقوله: ﴿ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وللسَّيَّارَة ﴾.

أي أَحَل لكم صيدَ البحر، وأحلَّ لكم طَعَامَ البحر للسَّيَّـارَةِ، فَأَمَّـا صَيدُه فمعـروفٌ، وأما طَعَـامُه فقـد اختُلِفَ فيه، فقـالَ بعضهم: ما نَضَبَ المـاءَ عنـه فأُخِذَ بغَيْر صَيد فهو طعامه، وقال طعامه هو كل ما سقاه الماءَ فأنبت فهـو طعام البحر، لأنه نبت عن ماءِ البحر، فأعلمهم اللَّه أن الذي أَحَلَّ لهم كثير في البـر والبحـر، وأن الذي حُـرِّمَ عَليهم إنما هـو صيد البـرّ في حـال الإحـرام. وسَنَّ النبيُّ ﷺ تحريمَ الصيد في الحرم ليكون قد أَعْذَر إليهم من الانتقام ممَّن عاود ما حرم اللَّه عليه مع كثرة ما أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ.

و«مَتَاعاً»: منصوب مصدر مؤكد، لأنه لما قال أُحِلَّ لكم كان دَليلاً على أَنَّه قد مَتَّعَهُمْ به، كما أنه لما قال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيكُمْ أُمَّهَاتكُمْ﴾ كان دليلاً على أنه قد كتب عليهم ذلك، فقال: «كتاب الله عليكم»(٢).

---

(١) عجز بيت من معلقته، وصدره: فمرت كهاة ذات خيف جلالة ـ والكهاة والجلالة الناقة الضخمة السمينـة والخيف جلد الضرع، والعقيلة الكـريمة، واليلنـدد السدينة ـ يقـول انه مـر بسيفه بين الإبل ليختار واحدة ينحرها ـ فنفرت واحدة سمينة. وهي كريمة مال شيخ قـد يبس جلده ونحل حتى صار كالعصا الضخمة ـ وهو شيخ شديد الخصومة. قيل عنى أباه، وأنه نحر إبله على كره منه، وقيل عنى من يغير عليه من الناس.

(٢) على هـذا يكون «متـاعـاً» مفعـول مـطلق ـ ويمكن أن يكـون حـالاً أي أحـل لكم متعـة وشيئـاً يستزيحون به.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾.

قيل إنما سُمِّيتِ الكعبةَ لتربيع أعلاها.

ومعنى قِياماً للنَّاسِ أي مما أُمِرُوا بِهِ أن يقوموا بالفرض فيه[1]. وكذلك: ﴿والشَّهْرَ الحَرامَ والهَدْيَ والقَلائِدَ﴾.

فأمَّا مَن قَال إنه أَمْنٌ فلأن اللَّه قال: ﴿وَمَنْ دَخله كَانَ آمِناً﴾[2] ولـم تـزَلْ العربُ تتركُ القتال في الشهر الحرام، وكان يسمى رَجَبُ الأَصَمَّ لأنه لا يسمع فيه صوت السلاح. وأما من قال جُعِلت هذه الأشياء لِيَقُومَ الناس بها فإنما عنى متعبداتهم بالحجّ وَأَسْبَابِه.

وقوله: ﴿ذلك لِتَعْلَمُوا أَنّ اللَّه يعلم ما في السموات وما في الأَرض﴾.

فيه قولان: أحدهما أن اللَّه لمـا آمَنَ مِنَ الخوف البلدَ الحَـرَامَ، والناسُ كان يقتل بعضُهم بعضـاً، وجعلَ الشهـرَ الحرامَ يُمتَنَـعُ فِيه من القتـل، والقوم أهل جاهليه، فدل بذلك أنه يعلم ما في السَّمَاوات ومَا في الأَرْض إِذْ جَعَل في أَعْظَمِ الأَوْقَاتِ فسـاداً ما يؤمن بـه، وفيه قـول آخر وهـو عندي أبين، وهـو أن ذلك مَرْدُودٌ على ما أنبأ اللَّه بـه على لسان نبيّـه في هذه السُّورةِ من قوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾.

فـأخبر بنفـاقهم الـذي كـان مسْتَتَـراً عن المسلمين، ومـا أخبـر بـه أنّهم ﴿سمَّاعُونَ للكذب سمَّاعُون لقَوْمٍ آخرينَ لَمْ يأْتوكَ﴾. فأظهر الله ما كانوا أَسَرُّوه من قصة الزانيين، ومسـألتِهمْ إياه ﷺ ومـا شَرَحْنـاهُ مما كـانوا عليـه في ذلك، فأظهر[3] اللَّه جلّ وعزّ: نبيَّه والمُؤْمِنِينَ على جميع ما ستروا عَنْهُمْ.

---

(١) في البيت الحرام.

(٢) سورة آل عمران ـ ٩٧.

(٣) أطلع اللَّه.

فالمعنى ـ واللَّه أعلم ـ ذلك لتعلموا الغيب الذي أنْبأتُكُمْ به عن اللَّه، يدلكم على أنه يعلم ما في السموات وما في الأرض. ودليل هذا القول قوله جلّ وعزّ:

﴿ما عَلَى الرَّسُولِ إلاَّ البَلاغُ واللَّهُ يَعْلَمُ ما تُبْدون وَمَا تكتمونَ﴾.

وقوله: ﴿يَا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْألُوا عنْ أشْيَاءَ إنْ تُبْدَ لَكمْ تَسُؤْكم، وإنْ تَسْألُوا عَنهَا حِينَ يُنَزَّلُ القُرآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾.

[تُبْدَ لكم] ـ تُظْهَر لَكُم، يقال بدا لي الشَّيْ يبدو إذَا ظَهَر.

جاءَ في التفسير أن النبي ﷺ خطب الناس فأعلمهم أن اللَّه قد فرض عليهم الحج، فقام رجل من بني أسدٍ فقال: يا رسول اللَّه أفي كل عام، فأعرض عنه ﷺ فعادَ الرجلُ ثانية، فأعرض عنه، ثم عاد ثالثة فقال ﷺ ما يؤْمنك أنْ أقول نَعَمْ فَتجبُ فلا تقومون بها فتكفرون.

تأويل «تكفرون»، ـ واللَّه أعلم ـ ههنا أنكم تَدْفعُونَ لِثِقَلِهَا وُجُوبَهَا فتكفرون. وقال ﷺ:[1] اتركوني ما تركْتُكُمْ فإنما هلك منْ كَانَ قَبلَكم بكثرة اخْتِلاَفِهِمْ على أنبيائهم. وسأله ﷺ رجل كان يتنازعه اثنان يدَّعِيَ كل واحد منهما أنه أبُوه فأخبر ﷺ بأبيه منهما، فأعلم الله عزّ وجلْ أن السؤال عن مثل هذا الجنس لا ينبغي أن يقع، فإنه إذَا ظهرَ منهُ الجوابُ سَاءَ ذَلِك. وخاصَّةً في وقت سُؤَالِ النبي ﷺ عن جهة تبيين الآيات، فنهى اللَّه عن ذلك، وأعلم أنه قد عفا عنها، ولا وجهَ عَن مسألة ما نهى اللَّه عنه[2]، وفيه فضيحة على السائل إن ظهر.

---

(١) أي في هذا الموقف نفسه.

(٢) لا سبب ولا داعي له.

وأشياءَ في موضع جر إلا أنها فتحت لأنها لاَ تَنْصرِفُ. وقال الكسائي أشبه آخرُها آخَرَ حَمْرَاءَ، ووزْنُها عندَهُ أَفْعال، وكثر اسْتِعْمَالَهُمْ[1] فلم تُصْرَف.

وقد أجمع البصريون وأكثر الكوفيين على أن قول الكسائي خطأً في هذا، وألزموه ألاَّ يصْرفَ أبناءً وأسماءً. وقال الأخفش - سعيدُ بنُ مسعدة - والْفَرَّاءُ: أصلها أفعلاءَ كما تقول هَيْن وأهونَاءَ إلاَّ أنه كان الأصلُ أشْيئاءَ على وزْنِ «أشبِعاع»[2] فاجْتَمَعَتْ هَمزتَان بينهما ألف، فحذفت الهمزة الأُولى. وهذا غلط أيضاً. لأن شيئاً فَعْلٌ، وفَعْلٌ لا يجمع على أفعلاءَ، فأما هَيْن، فأصله أهيِنُ، فجمع على أفعلاءَ، كما يجمع فعيل على أفعلاءَ، مثل نصيب وأنصباءَ. وقال الخليل: أشياءَ اسم للجميع كان أصله فعلاءَ - شيئاءَ، فاستثقلت الهمزتان فقلبت[3] الأُولى إلى أول الكلمة فَجعلَت لَفْعاءَ كما قالوا أَنْوق فقلبوا أينق، كما قلبوا قووس فقالوا قِسِيّ.

ويُصَدِّقُ قولَ الخليل جمعهُم أشياءَ [على] أشاوى، وأشَايَاه وقول الخليل هو مَذهَب سيبويه وأبِي عُثْمانَ المازني وجميعِ البصريين إلا الزيادى[4] منهم، فإنه كان يميل إلى قول الأخفش.

وذكروا أن المازني ناظر الأخفش في هذا فقطع المازنيُّ الأَخْفَش، وذلك أنه سأله: كيف تُصغِّرُ أشياءَ فقال: أُشَيَّاء، فاعلم. ولو كانت أفعلاءُ لرُدَّتْ في التصغير إلى واحدها، فقيل شُيَيْئَات، وإجماع البصريين أن تصغير

---

(١) كثر استعمال الناس هذه الكلمة فخففت بحذف التنوين.

(٢) كلمة لا معنى لها، ذكرها لمجرد الوزن، وهذه عادته كما ذكر: حضاعي.

(٣) نقلت إلى أول الكلمة.

(٤) هو إبراهيم بن سفيان - من نسل عبد الرحمن بن زياد بن أبيه - كان نحوياً لغوياً راوية - وكان شاعراً ذا دعابة ومزح، وله تصانيف حسنة. أنظر ياقوت ١ - ١٥٨، ١ - ٤١٤.

أصدقاءَ إذا كان للمؤنثات صُديِّقَاتٌ وإن كان للمذكرين صُدَيِّقُون(١).

وقوله: ﴿ما جَعَلَ اللَّهُ منْ بَحِيرة وَلا سَائِبَةَ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ﴾.

أثبتُ ما رَوينا في تفسير هذه الأَسماءَ عن أَهل اللغة ما أَذكره ههنا:

قال أهل اللغة: الْبَحِيرةُ ناقةٌ كانت إذا نُتجت خمْسة أبطُن وكان آخرُها ذكراً، نحروا أُذْنَها - أي شَقُّوهَا - وامتنعوا من ركوبها وذبْحهَا، ولا تطرد عن ماءٍ ولا تمنع مِن مَرْعًى، وإذا لقِيها المعْيى(٢) لم يركبها.

والسائبة. كان الرجل إذَا نذَر لقدوم من سَفَر أو بُرءٍ منْ عِلَّة أو ما أشبه ذلك قال ناقتي هذه سائبة، فكانت كالبحيرة في أن لا ينتفع بها وأنْ لاَ تُجْلَى عن مَاءٍ، ولا تَمْنعُ من مَرْعًى.

وكان الرجل إذا أَعْتَقَ عبداً قال هو سائِبَةٌ، فلا عقل بينهما ولا ميراث(٣).

وأما الوَصِيلَةُ ففي الغنم، كانت الشاة إذا ولدت أُنثى فهي لهم وإذا ولدت ذكراً وأنثى قالوا وصلت أَخاها، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم.

وأمَّا الحامِي فالذكر من الإبل. كانت العرب إذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبْطن، حُمِي ظهرهُ فلا يحمل عليه، ولا يمنع من ماءٍ ولا مرعى. فأعلم اللَّه أُنه لَمْ يُحَرِّمْ من هذه الأَشياءِ شيئاً، وأن الذين كفروا افْتروْا على اللَّه.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيكُم أَنْفُسَكُمْ﴾.

معناه إِنَّما أَلزمكم اللَّه أَمْرَ أَنْفسِكُمْ.

---

(١) صغّروا ثم جمعوا.

(٢) المعيي المتعب.

(٣) إذا جنى هذا المعتق جناية لا يلزم بأرش أو عوض، كما لا يتحمل شيئاً عن مولاه، وإذا مات وله مال لا يرثه سيده.

﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾.

أي لا يُؤاخذكم اللّه بذنوب غيركم، وليس يُوجبُ لفظُ هذه الآيةِ ترك الأمْرِ بالمعروف والنهيِ عَن المنكر، وأعلم أنه لا يضر المؤْمِنَ كفرُ الكافِرِ، فإذا تَرَكَ المؤْمنُ الأمرَ بالْمَعروفِ وهو مستطيع ذلك فهو ضَالٌّ، وليس بِمُهْتَدِ.

وَإِعْرَابُ: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ﴾: الأجود أن يكون رفعاً ويكون على جهة الخبرِ. المعنى ليس يضركم مَنْ ضَلَّ إذَا اهْتَدَيتُم. وَيَجُوزُ أن يكونَ موضعُهُ جزماً، ويكون الأصل لا يضرُرْكم إلاَّ أنَّ الراءَ الأُولى أُدغِمَتْ في الثَّانِيَةِ فَضُمَّتِ الثَّانية لالتقاءِ الساكنين، ويجوز في العرَبِيَّةِ على جهة النهيِ لا يضرَّكم بفتح الراءِ، ولا يَضُرِّكم بكسرها. ولكن القراءَة لا تُخَالَفُ، ولأنَّ الضم أَجْوَدُ كان الموضعُ رفعاً أو جَزْماً.

فأما من ضَمَّ لالتقاءِ الساكنين فأتبع الضمَّ الضَّمَّ، وأما من كسر فلأن أصل التقاءِ الساكنين الكسر، وأما من فتح فلخفة الفتح فتح لالتقاءِ الساكنين.

وهذا النهي للفظ غائب يراد به المخاطبون، إذا قلت: لا يَضْرُرْكَ كفرُ الكافر، فالمعنى لا تَعُدَّنَّ أنت كفْرُه ضَرَراً، كما أنك إذَا قلتَ لا أُرنيك ههنا، فالنهي في اللفظ لنفسك، ومعناه لمخَاطَبِكَ، معناه لا تكونن ههنا.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾.

معناه أنَّ الشَّهادةَ في وقت الوصية هي للموت ليس أن الموتَ حاضرُه وهو يُوصِي بما يَقُولُ الموصِي، صحيحاً كان أو غير صحيح: إذا حَضَرَنِي الموتُ، أو إذَا مِتُّ فافعلوا واصْنَعُوا. والشهادة ترتفع من جهتين، أحدهما أن تَرتَفِعَ بالابتداءِ ويكون خبرها «اثنان»، والمعنى شهادة هذه الحال شهادةُ اثنين، فتحذف شهادة ويَقُومُ اثنانَ مقامها.

ويجوز أن يكون رفع ﴿شهادةُ بينِكم﴾ على قوله: [١] وفِيما فرض اللّه عليكم في شهادتكم أن يشهد اثنان، فيرتفع اثنان بشهادة، والمعنى أن يشهد اثنـان[٢] فيرتفع اثنان بشهادة، والمعنى أن يشهد اثنان ذوا عَدْل منكم.

معنى «مِنْكُمْ» قيل فيه قولان، قال بعضُهم منكم من أهل دينكم.

﴿أوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾: من غير أَهْلِ مِلَّتكم.

وقال بعضهم: ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُم﴾: من أهل الميت، أو آخرَان مِن غَيْـركُم مِن غَيرِ أَهْلِ الميّت، واحتج هؤُلاءِ بأَن (قوله)[٣]: ﴿فَيَقْسِمَان باللَّهِ إن ارتَبْتُم لَا نَشْتَرِي بِه ثَمَناً وَلَو كَانَ ذَا قُربَى﴾: يَدُل على أَنّ مِنْكم مِنْ ذَوِي قَراباتِكم.

وقال هؤُلاءِ إذا كانـوا أَيضاً عُـدولاً مِنْ قَرَابَـاتِ الميّتِ، فهم أَولى لأَنهم أَعلم بـأَحوال الأَهْـل مِن الغرائب، وأَعلمُ بمـا يُصلِحُهُم، واحتجوا أَيضـاً بـأَن «ذَوَى عَـدْلٍ» لا يكونـان من غير أَهـل ملة الإسـلام لأَن الكفـر قـد بـاعـدَ من العدالة.

فأَعلم اللَّه عزّ وجلّ أن الوصيةَ ينبغي أَن يكونَ شاهدهـا عَدلَيْن من أَهـل الميت أَو من غير أَهله إن كان الْمُوصِي في حضرٍ وكذلك إن كان في سفر.

فقوله: ﴿إِن أَنْتُمْ ضَرَبتُم في الأَرضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾.

ذكـر[٤] الموت في السفـر بعد قـولـه: إذا حضـر أَحـدكم المـوت حين الوصيّة، فكأَنَّ في الآية ـ واللَّه أَعلم ـ دليلاً على الشهادة في الحضر والسفر.

وقـد جـاءَ في التفسيـر أَن اثنين كـانـا شَهِـدَا في السفـر غيـر مسلمين

---

(١) أي هو مبتدأ.

(٢) أي هو فاعل للمصدر في المعنى وهو خبر المبتدأ.

(٣) ليست في ط.

(٤) في الأصل فذكر.

وللإجمــاع أن الشهــود لا يجب أن يحلفوا. وقـد أجاز قـوم في السفـر شهـادة الـذِّميين، وقال اللَّه عَـزَّ وجلّ: ﴿وأشهـدوا ذوى عدل منكـم وَأَقِيمُـوا الشَّهَـادَةَ لِلَّهِ﴾(١) وقال: ﴿مِمَّنْ تَرضَونَ منَ الشهَدَاءِ﴾(٢) والشاهد إذا عُلِمَ أنه كذاب لم تجر أن تقْبَل شهادته، وقـد علمنا أن النصـارى زعمت أن اللَّه ثالث ثـلاثة وأن اليهـود قالت أن الْعَـزَيرَ ابنُ اللَّه وعَلِمنَـا أَنَّهم كَاذِبُـونَ، فكيف يجوز أن تُقْبَـلَ شهادَةُ منْ هُوَ مُقِيمٌ عَلى الْكَذِب؟

ومعنى قوله: ﴿تَحبِسُونَهُمَا من بَعْد الصَّلاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾.

كـان الناس بـالحجاز يحلفـون بعد صـلاة العصـر، لأنـه وقت اجتمـاع الناس.

وقوله: ﴿إن ارتَبْتُمْ﴾.

إنْ وَقَعَ في أنفسكم مِنهم رَيْبٌ، أي ظننتم بهم رِيبَة،

وقوله: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنهُمَا استَحَقَّا إِثْماً﴾.

أي فإن اطلِع على أنهما قَد خَانَا.

﴿فآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ استحَقَّ عَلَيهِمُ الأَوْلَيَانِ﴾.

وقد قرئت الأَوْلَيْــنَ ويجوز (مِن الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَـانِ)(٣) وهذا موضع من أصعب ما في القرآن في الاعراب. فأوليان في قول أكثـر البصريين يرتفِعان على البدل مما في «يقـومان». المعنى: «فَلْيَقُمْ الأَولَيـان بالميت مقـام هذين الخائنين».

﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لشهادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا﴾.

---

(١) سورة الطلاق آية ٢.

(٢) سورة البقرة ٢٨٢.

(٣) ليست في ك.

فإذا ارتفع الأوليان على البدل، فاللذانَ في استحق من الضمير معنى الوصية، المعنى فليقم الأوليان من الَّذين استحقت الوصية عليهم، أو استحق الإيصاءُ عليهم.

وقال بعضهم: مَعْنَى ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ﴾ معناه: استُحِقَّ فيهم، وقامت «على» مقام «في» كما قامت «في» مقام «على» في قوله: ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[1] ومعناه: على جذوع النخل.

وقال بعضهم معنى على ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ مِنْهُمُ الأَوْلَيَان﴾ كما قال: ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾[2] أي إذا اكتالوا من الناس، وقيل أن في «استحق» ذكر الإثم، لأن قوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْماً فَآخَرَانِ يَقومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتحق عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ﴾، كان المعنى: الذين جَنِيَ الإِثْمُ عَلَيْهِم. وقيل إن «الأَولَيَانِ» جائز أن يرتفعا باستحق، ويكون معناهما الأوليان باليَمِينِ، أي بأن يُحلفا من يشهدُ بعدهما، فإن جاز شهادة النّصرانيين كان «الأَولَيَانِ» على هذا القول النصرانيين، أو الآخران من غير بيت الميت. وأجود هذه الأقوال أن يكون الأَولَيَان بَدَلا، على أَنَّ المعنى: لِيَقُمِ الأَولَيَانِ من الذين استحقت عليهم الوصية، ومن قرأ «الأَوَّلِينَ» رده على الذين، وكان المعنى من الذين استحق عليهم الإيصاء الأَوّلين، واحتج من قرأ بهذا فقال: أرأيت إن كان الأَولَيَانِ صغيرين؟.

وقوله: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلى وَجْهِهَا﴾.

أي ذلك أقرب من الإتيان بالشهادة على وجهها، وأقرب إلى أن يخافوا.

وقوله: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقولُ ماذَا أُجِبْتُم ﴾.

---

(١) سورة طه ٧١.

(٢) سورة المطففين ٨٣ آية ١.

أما نَصْبُ «يوم» فمحمول على قوله. . . واتَّقُوا الله واسمَعُوا [أي] واتَّقوا يومَ يجمَع الله الرسل، كما قال: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيئاً﴾[١].

ومعنى المسألة من اللّه تعالى للرسل [تكون] على جهة التوبيخ الذين أرسلوا إليهم، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سئِلَتْ. بأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[٢] فَإِنَّمَا تُسأَلُ ليوَبَّخ قَاتِلُوهَا، وأَما إجابة الرسل وقولهم: «لَا عِلْمَ لَنَا» فقد قال الناس[٣] في هذا غير قوله:

جاءَ في بعض التفسير أنه عزَبَتْ عنهم أَفهامهم لهول يوم القيامة فقالوا: لا علم لنا مع عِلْمِك، وقال بعضهم: لو كانت عزبت أَفهامهم لم يقولوا إنك أَنت علام الغيوب، وَقَال بعضهم معنى قول الرسل لا علم لنا [أَي] بما غاب عَنّا مِمن أُرْسِلْنَا إليه، أَنت يا رَبنَا تَعْلَمُ بَاطِنَهم ولَسنَا نعلم غيبهم إنك أَنت علام الغيوب.

وقوله: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بنَ مَريَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾.

أَما نعمتُه على وَالِدَتِه فَإِنّه اصطفاها وطهرها واصطفاها على نساءِ العالمين، وكان رِزْقُها يأْتيها من عنده وهي في محرابها.

وقوله: ﴿إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ القُدُسِ﴾.

أي أَيّدتك بجبريل، جائز أَن يكون قوله به[٤]، إذ حاولت بنو إسرائيل

---

(١) البقرة ١٢٣.

(٢) سورة التكوير: ٨ ـ ٩.

(٣) أي الجمهور أو المفسرون.

(٤) أي تأييده به.

قتله، وجائز أن يكون أَيَّده به في كل أحواله، لأن في الكلام دليلاً على ذلك.

وقوله: ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهدِ﴾.

أي أَيّدتُكَ مُكَلِّماً النَّاسَ في المهد ﴿وكهلا﴾ أي أَيَّدتُكَ كَهْلا،[١] وجائز أن يكون ﴿وَكَهْلًا﴾ محمولاً[٢] على تكلم، كأن المعنى أيـدتك مخـاطباً للنـاس في صغرك ومخاطبـاً الناس كهـلاً، وقرأ بعضهم: «آأْيَـدْتُكَ» على أفْعَلتـك من الأيد[٣] وقرأ بعضهم آيَدْتك على فاعلتك أي عاونتك.

وقوله: ﴿وتُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإذْنِي﴾.

الأكمـه قال بعضهم: الـذي يولـد أعمى، قال الخليـل هو الـذي يولـد أعمى، وهو الذي يَعْمَى بعد أن كان بصيراً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بي، وَبِرَسُولِي﴾.

قـال بعضهم: ﴿أَوحَيْتُ إلى الحواريين﴾ أي أَلْهَمتُهم كمـا قـال: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْـلِ أن اتَّخِذِي مِـنَ الْجِبَـالِ بُيُـوتاً﴾[٤] أي ألهمهـا، وقال بعضهم ﴿أوحيت إلى الحواريين﴾ [معناه] أمرهم، وأنشدوا قول الشاعر:[٥]

الحمـد لله الذي استَهلّتِ   بـإذنـه السمـاءُ واطمـأنَّتِ
أوحَـى لهـا القَـرارَ فـاسْتَقَرَّتِ

قالوا معناه: أمرها.

وقـال بعضهم: معنى ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إلى الْحَوَارِيِّينَ﴾: أَتَيْتُهمْ في الـوحي

---

(١) ط وأيدتك به كهلاً.

(٢) في ط إلا محمول.

(٣) أي مددتك بهذه القوة.

(٤) سورة النحل ٦٨.

(٥) هو العجاج. ديوانه ٥ والشطر الأخير في اللسان (وحي). وفي ط وحي لها.

إليك بالبراهين والآيات التي استدلوا بها على الإيمان فآمنوا بي .

وقوله : ﴿إِذْ قَالَ الحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ﴾ .

جائز أن يكون موضع «عيسى» نصباً، كما تقول: يا زيدَ بنْ عَمْرو، لأن ابْناً إذا أُضيف إلى اسم مَعْروفٍ عَلمٍ أو أُضيف إلى كُنيةٍ معروفة جُعِلَ وما قبله كالشيء الواحد فجميع النحويين يختارون يا زيدَ بنَ عَمْرٍو، وكلهم يجيزون: «يا زيدُ بنَ عَمروٍ». وعلى هذا جائز أن يكونَ موضع عيسى موضِعَ اسم مبني على الضم ، قالوا كلُّهم فإنْ قلت يا زيدُ بنَ أخِينا، ويا زيدُ ابنَ الرَّجُلِ الصَّالحِ[1] فضممت زيداً لا غيْر. لأن النصب إنما يكون إذا أُضيف ابن إلي عَلَمٍ كما وصفنا. وقد قُرئ : هل تَسْتَطِيعُ رَبَّك، و﴿هل يَستَطيعُ رَبُّك﴾، فمن قرأ هل تستطيع ربك. فالمعنى هل تستدعي إجَابَتَه وطاعَتَه في أن يُنْزِلَ علينا، ومن قرأها ﴿هل يَسْتَطِيعُ رَبُّك﴾ كان معناه هل يقدر ربُّك .

قال أبو إسحق: وليس المعنى عندي ـ واللَّه أعلم ـ أنهم جهلوا أنّ اللَّه يقدر على أن ينزل مائدة، ولكن وجه السؤال هل ترينا أنت أنَّ ربَّك يُرينَا ما سَأَلْنَا من أجْلِكَ من آياتك التي تدل على نبوتك فأما المائدة فقال أبو عبيدة إنها في المعنى مَفعُولة ولفظها فاعلة، قال: وهي مثل عِيشَةٍ راضية، وقال إن المائدة من العطاءِ، والممتاد المفتَعل المطلوب منه العطاءَ، قال الشاعر[2]:

إنِّي أمِيرُ المؤْمِنينَ المُمتَاد

وَمَادَزيدٌ عمراً إذا أعطاه. والأصل عندي في مائدة أنها فاعلة من ماد يميدُ إذَا تحرَّكَ فكأنها تميد بما عليها .

وقيل في التفسير إنها أنزلت عليهم في يوم الأحد وكان عليها خبز

(١) في الأصل «الرجل» وهو غير مناسب.

(٢) هو رؤبة ـ من أرجوزة له ـ وانظر اللسان (ميد) ومجاز أبي عبيدة ١ ـ ١٥٩ والطبري ٧ ـ ٨٩.

وسمك، فالنصارى تجعل الأَحد عيدا ـ فيما قيل[١] ـ لذلك، وقال بعضهم إنه لم تُنْـزَل للتَّهَوُّدِ الـذي وقع في الكفـر بعد نـزولها، والأَشبـه أَن تكـون[٢] لأَنَّ نُزولَها قد جَاءَ ذكره في هَذِه القِصَّةِ.

قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُها عَلَيْكمْ﴾.

وقال غير أَهل الإِسلام إنها نزلت، والأَخبار أَنها انتهت، فـالتصديق بهـا واجب.

فأَما وجـه مَسْأَلَـةِ الحواريين عيسى المـائدة فيحمـل ضربين أَحـدهما أَن يكُونُوا ازْدَادُوا تثبيتاً، كما قـال إبراهيم: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تحْيِي المَـوْتَـى﴾[٣]. وجائز أَن تكون مسأَلتهم المائدة قبل علمهم أَنه أَبرأَ الأَكمه والأَبرص وأَنه أَحيـا الموتى. وأَما قول عيسى للحواريين:

﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

فإِنَّما أَمَرهُم أَلَّا يقترحوا هم الآيات، وأَلا يقوموا بين يدي اللَّه ورسولـه، لأَن اللَّه قـد أَراهم الآيات والبـراهين بإحيـاءِ المـوتى وهـو أَوكـد فيمـا سـأَلـوا وطلبوا.

وقوله: ﴿قَالَ عِيسَى بنُ مَرْيم اللَّهُمَّ ربَّنا﴾.

ذكر سيبويه أن اللَّهُمَّ كالصَّوتِ وأَنه لَا يُـوصَف، وأَن رَبَّنا منصـوب على نداءٍ آخر، وقد شرحنا هذا قبل شرحاً تاماً[٤].

ومعنى قوله: ﴿وآيةً مِنْك﴾.

---

(١) لم يكن يوم الأحد عيداً لهم على عهد المسيح، والذي جعل الأحد عيداً هو قسطنطين سنة ٣٢٦.

(٢) أي أن تكون نزلت لأنها ذكرت هنا.

(٣) سورة البقرة ـ ٢٦٠.

(٤) سبق في شرح الآية: ﴿قل اللهم مالك الملك﴾ سورة آل عمران.

أي فتكون لنا علامة منك.

وأما قوله: ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَا أُعَذبه أَحداً مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ فجائز[١]، أن يكون يُعجِّلُ لهم العذابَ في الدنيا، وجائز أن يكون في الآخرة لقوله: ﴿لا أُعذِّبُهُ أحداً مِنَ العَالَمِين﴾.

وقوله: ﴿أأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنَ دُونِ اللَّه﴾.

فَالمسأَلة ههنا على وَجْهِ التَّوْبيخِ للَّذين ادَّعَوْا عليه لأنهم مُجْمِعُونَ أنه صادق الخبر وأنه لا يكذبهم و[هو] الصادق عندهم فذلك أَوْكَدُ في الحجَّةِ عَلَيْهِمْ وأَبلَغُ في توبيخهم، والتوبيخ ضَرْبٌ من العقوبة[٢].

قال: ﴿سُبْحَانَكَ﴾. أي براءٌ أنت من السوءِ[٣].

﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بحَقٍّ﴾.

وأما قوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا في نَفْسِكَ إِنَّك أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيوبِ﴾.

و «الغِيُوب» بالكسر والضم[٤].

قال أبو إسحق: هذا موضع أعني ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ يُلَبِّسُ به أهلُ الإلحادِ على مَنْ ضَعُفَ علمه باللغة ولا تعلم حقيقة هذا إلَّا من اللغة، قال أهل اللغة: النفس في كلام العرب تجري على ضربين أحدهما قولك خرجت نفس فلان وفي نَفْسِ فلانٍ أَنْ يَفْعَل كذا وكذا. والضرب الآخر معنى النفس فيه معنى جملة الشيء ومعنى حقيقة الشيءِ، قتلَ

---

(١) في الأصل بدون فاء.

(٢) أي عقوبة بحتة، وفي ب من صنف أي نوع منها.

(٣) أي أنزهك والظاهر أنها تعجب.

(٤) في الأصل بعد هذا «أي في اللغتين جميعاً» وليس في ك.

فلانٌ نفسه، وأَهْلَك فلان نفسه، فليس معناه أن الإهلاك وقع ببعضه، إنما الإهلاك وقع بذاته كلها، ووقع بحقيقته، ومعنى تعلم ما في نفسي، أي تعلم ما أُضْمِره، ولا أعلم ما في نفسك. لا أعلم ما في حقيقتك وما عندي علمه، فالتأْويل أنك تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم، ويدل عليه: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيوبِ﴾.

فإنما هو راجع إلى الفائدة في المعلوم والتوكيدِ أن الغيب لا يعلمه إلا اللَّه جلّ ثناؤه.

وقوله: ﴿أَنِ اعبُدُوا اللَّه رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾.

جائز أن تَكُون[١] في معنى «أي» مُفَسِّرةً، المعنى ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أي اعبدوا، ويجوز أن تكون «أن» في موضع جَرٍّ على البَدَل من الهاءِ، وتكون «أن» موصولة بـ ﴿اعبدوا اللَّه﴾ ومعناه إلَّا مَا أَمَرْتَني بِهِ بأَنَّ يَعبدوا اللَّه، ويجوز أَنْ يكونَ موضعها نصباً على البدل، من ما، المعنى ما قلت لهم شيئاً إلا أن اعبدوا اللَّه، أي ما ذكرت لهم إلا عبادة اللَّه.

وقوله: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾.

معنى قول عيسى [عليه السلام] وإن تَغْفِر لهم، اختلف أهل النظر في تفسير قول عيسى: ﴿إِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾، فَقَال بعضُهم معناه إن تغفر لَهُمْ كذِبَهُم عليّ، وقالوا لا يجوز أن يقول عيسى عليه السلام: إن اللَّه يجوز أن يغفِرَ الكُفْرَ، وكأنه[٢] على هذا القول: إن تغفر لهم الحكاية فقط، هذا قول أبي

(١) أي «أن» في أن أعبدوا.
(٢) ط فكأنه.

العباس محمد بن يزيد، ولا أدري (أشيء)[1] سَمِعَه أم اسْتَخْرَجَه، والذي عندي واللَّه أعلم، أن عيسى قد علم أن منهم من آمن ومنهم من أقام على الكفر، فقال عيسى في جملتهم. إن تُعَذِّبْهُمْ أي إن تعذبْ من كفر منهم، فإنهم عبادك وأنت العادلُ عليهم لأنك أوضحت لهم الحق وكفروا بعد وجوب الحجة عليهم، وَإِنْ تَغْفِرْ لمن أَقْلَعَ منهم وآمن فذلك تفضل منك لأنه قد كان لك ألَّا تَقْبلهم وألا تغفر لهم بعد عظيم فريتهم، وأنت في مغفرتك لهم عزيز لا يمتنع عليك ما تريد، «حكيم» في ذلك.

وقال بعض الناس: جائز أن يكون اللَّه لم يُعْلِمْ عِيسى أنه لَا يَغْفِرُ الشرك، وهذا قول لا يعرج عليه لأن قوله [تعالى] ﴿إِنَّ اللَّه لا يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ بِهِ﴾ لا يخص شيئاً من أمة محمد ﷺ، دون غيرها، لأن هذا خبرٌ والخبر لا ينسخ، وهذا القول دار في المناظرة[2] وليس شيئاً يعتقده أحد يوثق بعلمه.

وقوله: ﴿قالَ اللَّهُ هَذَا يَومُ يَنْفعُ الصَّادقين صِدْقُهُم﴾.

القراءَة برفع «اليوم» ونصب «اليوم» جميعاً، فأما من رفع اليوم فعلى خبر هذا اليوم، قال اللَّه اليوم ذو منفعة صدق الصادقين ومن نصب فعلى أن يوم منصوب على الظرف، المعنى قال اللَّه: هذا لعيسى في يوم ينفع الصادقين صدقهم، أي قال اللَّه هذا في يوم القيامة[3]، ويجوز أن يكون قال اللَّه هذه الأشياء وهذا الذي ذكرناه يقع في يوم ينفع الصادقين صدقهم، وزعم بعضهم أن يوم منصوب لأنه مضاف إلى الفعل[4]، وهو في موضع رفع بمنزله يومَئذ

---

(١) ليست في ط.

(٢) كلام دار في مناظرة بين هذا القائل وغيره، ولم يكن تقريراً لهذه المسألة. فلا ينبغي أن يعول عليه.

(٣) فهو ماض بمعنى المستقبل أي سيقوله.

(٤) أي انه مضاف للجملة الفعلية.

مبني على الفتح في كل حال، وهذا عند البصريين خطأ، لا يجيزون هـذا يومَ آتيك يريدون هذا يومُ إتيانك لأن آتيك فعـلٌ مضارع، فـالإضافـة إليه لا تـزيل الإعـراب عن جهته ولكنهم يجيـزون ذلك يـومَ نفعَ زيـداً صِدْقُـه، لأن الفعـل المـاضي غيـرُ مضـارع، فهي إضـافـة إلى غيـر متمكن وإلى غيـر مـا ضـارع المتمكن، وفيها وجه ثالث. ﴿هذا يومٌ يَنْفَعَ الصادقين﴾ بتنوين «يوم» على إضمـار ﴿هذا يوم ينفع فيه الصادقين صدقهم﴾، ويكون كقوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفسٌ عَن نَفْسٍ شَيْئاً﴾(١).

ومثله قول الشاعر: (٢)

ومـا الـدهـر الا تـارتـان فمنهمـا أمـوت وأُخـرى ابتغي العيش أكـدح

المعنى فمنهما تارة أموت فيها.

---

(١) سورة البقرة آية ٤٨، ١٢٣.

(٢) لتميم بن عقيل ـ وبعده:

وكـلتـاهـمـا قـد خط لـي فـي صـحـيـفـة فـلا الـعيش أهـوى لـي ولا الـمـوت أروح

أي الدهر ذو حالتين احداهما أموت بها، والأخرى أود العيش معها مع كونه عسيراً شاقاً، وكلتا الحالتين مكتوبة في اللوح المحفوظ، فلا العيش أحب إليّ ولا الموت أهنأ لي.

انظر الخزانة ٢ ـ ٣٠٨. معاني الفراء ـ ٢ ـ ١٤٢، الكامل ٥٣٨ ط مصر، شـواهد الكشـاف. سيبويه حـ ٢ ـ ٣٤٦.

جاء في ك. بعد هذا.

تمت المجلة الأولى من معـاني القرآن للزجـاج بحمـد لله ومنـه، وصلى الله على النبي وعلى آله، ويليه السورة التي تذكر فيها الأنعام.

وبهذا انتهت النسخة ك.

سورة الأنعام

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قال أبو إسحق: بلغني مِنْ حَيث أثِق به[١] أن سورةَ الأنعام نزلتْ كلها جملةً واحدة، نزل بها سبعون ألف ملك لهم زَجَلٌ بالتسبيح[٢]، وأن أكثرها احتجاج على مشركي العرب. على من كذَّب بالبعث والنشور، فابتدأ اللَّه عزّ وجلّ بحمده فقال:

﴿الحمدُ للَّه الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالأَرضَ﴾.

فذكر أعظم الأشياءَ المخلوقة[٣] لأن السماءَ بغير عمد ترونها والأرض غيرُ مائِدةٍ بنا، ثم ذكر الظُلُماتِ والنورَ، وذكَر أمرَ الليل والنهار، وهو مما به قِوَامُ الخَلق، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن هذه خَلْقٌ له، وأن خالقها لا شيءَ مِثْلُه، وأعلم مع ذلك أن الذين كفروا بِرَبِّهِم يَعدِلونَ، أي يجعلون للَّه عَدِيلاً، فيعبدون الحجارة المَوَاتَ، وهم يُقرُّون أنَّ اللَّه خَالِقُ مَا وَصف، ثم أعلمهم اللَّه عزّ وجلّ أَنَّهُمْ خَلْقُهُم مِنْ طِينٍ، وذكر في غَيرِ هذا المَوْضع أحوالَ المخلوقين في النُّطَفِ والعَلَقِ والمُضَغِ المُخَلَّقَةِ وَغَيرِ المُخَلَّقَةِ، وذلك أن المشركين شَكوا في البعث وقالوا: ﴿مَنْ يُحيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾؟ فأعلمهم

(١) الضمير يعود على المصدر المفهوم من الجملة من حيث أثق بهذا البلاغ أو بمن بلغني به.

(٢) صوت كصوت الحمام.

(٣) مخلوقة له.

عزّ وجلّ أنّ الذي أَنشَأَهُمْ وأنشأَ العِظَامَ وخلق هذه الأَشْيَاءَ لَا مِنْ[1] شَيءٍ قـادر على أن يخلقَ مِثلَهَا، وهُو يُحيِيهِمْ بَعدَ مَوتِهِم، فقال عزّ وجلّ:

﴿هُوَ الذِّي خلقكُم مِنْ طِينٍ ثم قَضَى أَجَلاً﴾.

أي جعل لحياتكم أجـلاً أي وَقْتاً تَحيون فيه،﴿وأَجَلٌ[2] مُسَمًّى عِنْدَه﴾ يعني أمرَ السّاعة والبعث،﴿ثُمَّ أَنْتُم﴾ بعد هذا البيان.﴿تمتَرُونَ﴾ أي تَشكُّونَ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَهُوَ اللّه في السَّمٰواتِ وفي الأرضِ﴾.

«في» موصولة[3] في المعنى بما يدل عليه اسم اللَّه، المعنى هو الخالق العـالم بما يَصلحُ بـه أَمرُ السمـاءِ والأرضِ، المعنى هوَ المتفـرد بالتّـدبِيـر في السموات والأرض، ولو قلت هو زيد في البيت والدار لم يجز إلّا أن يكون في الكلام دليلٌ على أنَّ زَيداً يدبر أمر البيت والدار، فيكون المعنى هو المُدَبِّر في الدارِ والبيتِ، ولو قلتَ هو المعتَضِدُ الخليفةُ في الشّرق والغَـربِ، أو قلت هو المعتَضِدُ في الشّرق والغَربِ جَازَ على هـذا. ويجوز أن يكـون خَبَراً بعـد خبرٍ كأنه قيل إنه هو اللَّه، وهو في السموات وفي الأرض، ومثل هـذا القول الأول ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ﴾[4] ويجوز أن يكون وهو اللّه في السموات وفي الأرض، أي هو المعبود فيهما، وهذا نحو القول الأول.

قوله عزّ وجلّ:﴿فَسَوفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَستَهْزِئُونَ﴾.

دَلَّ بهـذا أنهم كانـوا يستهـزئُـون، وقـد ذُكـر استهـزاؤهم في غيـر هـذا المكان، ومعنى إتيانه أي تَأْوِيلُه: المعنى سيعلَمُونَ ما يؤول إليه استهزاؤُهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِنْ قَرْنٍ﴾.

---

(١) من غير شيء، أنشأها من عدم.

(٢) في الأصل: وأجلاً.

(٣) مرتبطة ومتصلة.

(٤) الزخرف ٨٤.

موضع «كَم» نصب بأهلكنا، إلَّا أَنَّ هذا الاستفهامَ لا يَعمـل فيه مَـا قَبلَهُ وَقِيـلَ القرنُ ثَمَـانُون سنـةً وقيل سَبعـونَ، والذي يقـع عندي ـ واللَّه أعلم ـ أن القرن أَهْلُ مُدَّةٍ كان فيها نَبيٌّ أو كان فيها طبقة من أهل العلم، قَلَّت السِّنُونَ أو كثرت، والدليل على هذا قول النبي ﷺ خَيركُم قَـرْنِي، أي أَصحَابِي، رحمـة اللَّه عليهم ثمّ الـذين يَلُونَهم يَعني التـابعين، ثم الـذين يلونهم يعني الـذين أخـذُوا[١]. عَن التَابِعين. وجـائز أن يكـون القـرن لجملة الأمـة وهؤلاءَ قُـرونٌ فيها.

وإنمـا اشتقاق القـرن من الاقتـران، فتـأْويله أن القـرن[٢] الـذين كـانـوا مقْتَـرِنِينَ في ذلك الوقت، والذين يأْتون بعدهم ذوو اقتران آخر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَرسَلْنَا السَّماءَ عَليهم مِدْرَاراً﴾.

أي ذات غيث كثير، ومِفْعَالٌ من أسمـاءَ المبالغـة يقال دِيمَـةٌ مِدْرَار، إذا كان مطرها غَزِيـراً دائماً، وهـذا كقولهم امـرأة مِذْكـار، إذا كانت كثيـرة الولادة للذكور، وَكَذَا مِئْنَاثٌ في الأُناث[٣].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَو نَزَّلْنَا عَليكَ كِتَاباً فِي قِرطَاسٍ فَلَمَسُـوه بأَيْـدِيهِمْ لَقَالَ الذينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إنْ هَذَا إلَّا سِحرٌ مُبينٌ﴾.

أَعلم اللَّه عزّ وجلّ أنهم قد أَصِلُوا[٤] في السَّيِّءِ البَاطِل في دفع النبـوة، لأنّهم قد رَأَوا القَمَر انشقَّ فأَعرَضُوا، وقالوا سحرٌ مستمر.

وكذلك يقولون في كل ما يَعْجِزُ عنه المخلوقون سحر، هـذا عين الدفـع

---

(١) تلقوا.

(٢) القوم.

(٣) في الكثيرة الإناث.

(٤) تأصلوا.

لغاية الحق والنور الساطع المبين، فلو رَأَوا الكتاب ينزل من السماءِ لقالوا سِحرٌ كما أنهم قالوا في انشقاق القمر سحر.

﴿وَقَالُوا لَولاَ أُنْزِلَ عَلَيه مَلَكٌ﴾.

يعنون على النبي ﷺ.

﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمرُ ثم لاَ يُنْظَرُونَ﴾.

يعني ـ واللّه أعلم ـ أن الآيات مما لا يَقَعُ مَعَهُ إِنْظَارْ(١).

ومعنى ﴿لَقُضِيَ الأَمرُ﴾ أي لتم بإِهْلاَكِهِمْ. و «قُضِيَ» في اللغة على ضُروبٍ كَلَها يَرجِعُ إِلى معنى انقطاع الشيءِ وتمامه، فمنه قوله [تعالى]: ﴿ثم قَضَى أَجَلاً وأَجلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ معناه ثُمَّ حَتَمَ(٢) بعد ذلك فأَتمَّه، ومِنْه الأَمر وهو قوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تعبدوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾(٣) معناه أَمَرَ إِلاَّ أَنَّه أَمرٌ قَاطِعٌ حَتْمٌ، ومنه الإِعلاَمُ وقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلى بني إِسرائيلَ في الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرضِ مَرَّتَين﴾(٤) أي أَعلمناهم إِعلاماً قاطعاً، ومنه القضاءُ الفَصلُ في الحُكْمِ، وهو قوله: وَلَولاَ أَجَلٌ مُسَمًّى لقُضِيَ بَينَهُمْ ومثل ذلك قولك قَد قَضَى القَاضِي بَينَ الخُصُوم، أي قد قطع بينهم في الحكم، ومن ذلك قد قضى فُلانٌ دَيْنَه، تأْويله قطع ما لغريمه عليه فأَدَّاه إِلَيه وَقَطع ما بَينَه وبَينَه، وكل ما أُحكِم فقد قُضِيَ، تقول قد قضيت هذا الثوب، وقد قضَيتُ هَذه الدّارَ إِذا عَمِلْتُها وأَحكمت عمَلها، قال أَبو ذُؤيب الهذلي(٥):

وعليهما مسرودتان قضاهما ... داود، أَو صَنَعِ السَّوابِغَ تبَّع

(١) أي مهله.

(٢) أي قضى بمعنى حتم هنا ـ أي أوجب.

(٣) الإسراء: ٢٣.

(٤) الإسراء آية: ٤.

(٥) ديوان الهزليين ١٩، اللسان (تبع) القرطبي ٢ ـ ٨٧، مجاز أبي عبيد ١ ـ ٥٢.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَو جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً﴾ .

أي لو أرسلنا إليهم مَلَكاً لم نرسله إلا في صورة إِنْسَانٍ، لأن الملَكَ فيمَا قِيلَ لو نَظَرِ إلَيه نَاظِرٌ على هَيئَتِه لَصَعِقِ، وكانت الملائكة تأتي الأنبيَاءَ في صُورَةِ الأنْس، فمن ذلك أنَّ جِبرِيلَ كان يأتي النبي عليه السلام إذَا نَزَل بالوَحيِ في صورة دِحْيَةَ الكَلْبِيِّ ومنه نبأ الخَصْم إذ تَسَوَّرُوا المِحْرابَ، لأنَّهُمَا ورَدَا على دَاودَ وهُما مَلَكانِ في صورَة رَجُلَين يَخْتصِمَانِ إليه(١)، ومنه أنَّ الملائِكةَ أَتَتْ إبراهيم في صورة الضِّيفان وكذلك أَتَتْ لوطاً، فلذلك قيل: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاه مَلَكاً لجعَلْنَاه رَجُلاً﴾ .

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولَلَبَسنَا عَلَيهِمْ مَا يَلْبِسُون﴾ .

يقال لَبَستُ الأمْرَ عَلَى القوم أَلْبِسُه إذا شَبَّهتُه عَلَيهِم، وأَشكَلْتُه عليهم، وكانوا هم يَلْبِسُونَ عَلَى ضَعَفَتِهِمْ في أمر النبي ﷺ فيقولون: إنما هذا بشر مثلكم فقال لو أنزلنا ملكاً فرأَوْا هُمُ المَلَكَ رَجُلاً لكان يَلْحَقُهُمْ فيه من اللبس مثل ما لحق ضعفتهم منهم.

وقوله: ﴿فَحَاقَ بالَّذينَ سَخِروا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِه يَستَهزِئُونَ﴾ .

الحَيْقُ في اللغَةِ ما يشتمل على الإنسان من مكروه فَعَلَهُ، ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَحِيقُ المكرُ السيىء إلَّا بأَهْله﴾(٢)، أي لا ترجع عاقبةُ مَكْرُوهِهِ إلَّا عليهم.

وقوله عزّ وجل: ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِه الرَّحمَةَ لَيَجْمَعنَّكُمْ إلَى يَوم القِيَامَةِ﴾ .

اللَّه عزّ وجلّ تفضل على العباد بأن أمهَلَهُم عِنْدَ كفرهم وَإِقْدَامِهِم على

---

(١) يتقاضيان وقصتهما في سورة ص آية ٢١ وما بعدها.

(٢) سورة فاطر ٤٣.

كَبائِرِ مَا نَهاهُم عَنْه بأَن أَنْظَرهُم وَعَمَّرهم وَفَسَح لَهُم لِيَتُوبُوا، فذلك كَتْبُه الرحمةَ على نفسه، فأما ﴿لَيَجمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَة﴾ فهو احتجاج على المشركين الذين دفعوا البعث، فقال عزّ وجلّ: ﴿لَيَجمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوم القيامة﴾[أي] إلى اليوم الذي أنكرتموه، كما تقول قد جمعت هؤلاءِ إلى هؤلاءِ، أي ضممت بينهم في الجَمع.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾.

ذكر الأخفش أن «الذين» بدل من الكاف والميم[1]، المعنى ليجمعن هؤلاءِ المشركين الذين خسروا أنفسهم إلى هذا اليوم الذي يجحدونه ويكفرون به، والذي عندي أن قوله: ﴿الذين خَسرُوا أَنْفُسَهم﴾. في موضع رفع على الابتداءِ[2]، وخبره ﴿فهم لا يؤْمنون﴾، لأن «لَيَجْمَعنَّكم» مشتمل على سائر الخلق، على الذين خسروا أنفسهم وَغَيْرِهم، وهذه اللام في ليجمعنَّكم لام قسم، فجائز أن يَكون تمامُ الكَلَامِ كَتَبَ ربكُمْ عَلَى نَفْسِه الرحمةَ، ثم استأنف فقال لَيَجْمَعَنَّكُمْ، وكأَنَّ المعنى: واللَّه ليجمعنكم، وجائز أن يكون ليجمعنكم بدلاً من الرحمة مُفَسِّراً لها، لأنه لما قال كتب ربكم على نفسه الرحمة فَسَّر رحمته بأنه يُمْهلهم إلى يوم القيامة، ويكون في الإمهال ما فسرنا آنفاً.

وقوله: ﴿وَلَه مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ والنَّهارِ﴾.

هذا أيضاً احتجاج على المشركين لأنهم لم يُنْكِرُوا أَنَّ مَا استقر في الليل والنَّهارِ للَّه، أي هو خالقه وَمُدَبِّره، فالذي هو كذلك قادر على إحياءِ الموتى، ثم زَادَ في الاحتجاج والبيان فقال عزّ وجلّ:

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ﴾.

---

(١) أي في ليجمعنكم، والقاعدة العامة في الإبدال من ضمير الحاضر لا تجيزه.

(٢) هذا رأي له خاصة، ولا يوافقه جمهور النحويين لوجود الفاء في الخبر.

أي خالق السموات والأرض.

فإن قال قائل فقوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾(١) معناه انشقت فكيف يكون الفَطْرُ في معنى الخَلْق والانفطار في معنى الانشقاق؟ فإنهما يَرْجِعَان إلى شيءٍ واحد، لأن معنى فطرهما خَلقهما خلْقاً قاطعاً، والانْفِطَارُ والفُطُورُ تقطع وتَشققٌ.

وقوله: ﴿وَهو يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾.

ويُقْرَأ «ولا يَطْعَمُ»، والاختيار عند البصراءِ بالعربية، وهو يُطْعِمُ وَلَا يَطعَمُ بفتح الياءَ في الثاني. قالوا معناه: وهو يرزق ويُطْعِم ولا يَأْكل لأنه الحي الذي ليس كمثله شيءٌ، ومن قرأ ولا يُطْعَمْ فالمعنى أنه المولى الذي يَرْزُق وَلَا يُرْزَقُ، كما أن بعض الْعَبيدِ يَرْزُق مولاه. والاختيار في «فاطِر» الجرُّ لأَنَّه مِن صفة اللَّه جلّ وعزّ، والرفع والنصب جائزان على المدح للَّه جلّ وعزّ والثَّناءِ عليه، فمن رفع فعلى إضمار هو. المعنى هو فاطر السموات والأرض، وهو يُطعِم ولا يُطعم، ومن نصب فعلى معنى أذكر، وأعني بهذا الاحتجاج عليهم، لأن من فطر السموات والأرض وأنشأ ما فيهما وأحكم تدبيرهما وأطعم من فيهما فهو الذي ليس كمثله شيءٌ.

وقوله: ﴿مَنْ يُصْرَفْ عنه يَومئذٍ فَقدْ رَحِمه﴾.

أي من يَصْرِفْ اللَّهُ عنه العذاب يومئذ - يعني يوم القيامة الذي ذكر أنهم يجمعون فيه، وتُقْرأ أيضاً من يُصرَف عَنْهُ يومئذ فقد رَحِمه، أي من يُصْرَف عنه العذابُ يومئذ.

وقوله: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً، قُلِ اللَّهُ شَهيدٌ بَيْنِي وبَيْنَكُمْ﴾.

---

(١) الانفطار - ١.

والشاهد هو الْمُبَيِّن لدَعْوَى المدعِي، فأمر اللَّه جَلَّ ثنَاؤه نبيَّه بأن يحتج عَلَيْهم باللَّه الواحِد الذي خلق السموات الأرض وخلق الظلمات والنور، وخلقهم أطواراً على ما بَيَّن في كتابه، وأمر أن يعْلِمهم أن شهادة اللَّه بأنه واحد، وَإقامةَ البراهين في توحيده أكبر شهادةً، وأن القرآن الذي أتى به يشهد له بأنه رسوله فقال: ﴿قل اللَّهُ شهيدٌ بَيْني وَبَيْنَكُمْ﴾، الذي اعترفتم بأنه خالق هذه الأشياء:

﴿وَأُوحِيَ إليَّ هذا الْقُرْآنُ لأنذرَكُمْ به﴾.

ففي الإنذار دليل على نبوته، لأنه لَمْ يَأْت أحدٌ بمثله، ولا يأْتي بمثله لأن فيه أخبارَ الأمم السَّالفة، جاءَ بها عليه السلام. وهو أُمِّيٌّ لا يقرأُ الكُتُبَ، وأنبأَ بما سيكون، وكان ما أنبأ به حقًّا، ثم قال: ﴿واللَّه يَعْصمُك من النَّاس﴾(١) وكان ﷺ مَعْصُوماً منهم، وقال: ﴿ليُظهِرَهُ عَلَى الدِّين كُلِّه ولو كره المشركون﴾(٢) فأظهر اللَّه دين الإسلام على سائر الأديان بالحجة القاطعة، وغَلَبَة المسلمين على أكثر أقطار الأرض وقال في اليهود. وكانوا في وقت مبعثه أعزَّ قومٍ وأمتنه(٣): ﴿وضربت عليهمُ الذِّلةُ والمسكَنةُ﴾(٤)، فَهُمْ أذلَّاءُ إلى يوم القيامةِ. فأنبأ اللَّه في القرآن بما كان وما يكون، وأتى به مُؤَلَّفاً تأْليفاً لم يَقْدرْ أحَد مِن العرب أن يأْتيَ بسورة مثله، وهو في الوقت الذي قيل لهم ليأْتوا بسورة [من مثله] خُطَباءُ شعراءُ لم يكن عندهم أوْجَزَ من الكَلام المنثور، والموزون، فعجزوا عن ذلك.

وقوله: ﴿الذينَ آتيناهُمُ الكِتَابَ يَعرِفُونَه كَمَا يَعرِفُونَ أَبنَاءَهُم﴾أي يَعرفون محمداً ﷺ أنه نَبيٌّ كما يَعرفُونَ أَبنَاءَهُم، ويُروَى عن عمرَ بنِ الخطابِ أنهُ قال

---

(١) سورة المائدة الآية ٦٧. (٢) سورة التوبة آية ٣٣ والصف، آية ٩ والفتح. آية ٢٨.

(٣) أمنع قوم ـ أعاد الضمير على اللفظ ولم يكونوا أعزة بل كانوا أثرياء.

(٤) سورة البقرة ٦١.

لعَبد اللَّهِ بنِ سَلَام: يا أَبا حمـزة: هل عـرفت محمداً كمـا عرفت ابنـك؟ قال نَعَم، لأن اللَّه بعثَ أَمِينه في سَمائه إلى أَمِينِه في أَرضِه بِنعتِهِ فعرفْتُه، فأَمّا ابني فما أَدري ما أَحدَثَتْ أُمُّه. فقال صدقت يا حمزة[1].

وقوله: ﴿الذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُم﴾.

رفع على نعت ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ وجائز أَن يكـون على الابتـداءِ. ويكون ﴿فَهُم لَا يُؤْمِنُونَ﴾ خَبَره.

والـذين خسروا أَنفسهم الأَشبـه أَن يكون ههنـا يعني بِه أَهـل الكتـاب؛ وجائز أَن يكون يعني به جملة الكفار من أَهل الكتاب وغَيرِهم.

وقوله: ﴿ثم لَم تكُنْ فتنتُهُم إلا أَنْ قَالُوا﴾.

إنْ شِئْتَ نصبت «فِتْنَتَهم» على خَبـرِ يَكنْ، ويكـون أَنْ قَـالـوا هـو الاسم وأُنث «تكن» وهو[2] ﴿إلَّا أَنْ قَالُوا﴾ لأَن «أَن قالوا» ههنا هو الفتنة. ويجوز أَن يكون تأْويل «أَنْ قَالوا» إلا مَقَالَتُهم. ويجوز رفع الفتنة وتأْنيث «تكن» ويكون الخبر «أَن قالوا» والاسم فِتْنَتهُم. ويجوزُ ثم لَم يَكُنْ فتنتَهُم إلا أَن قالوا، فتذكر «يكن» لأَنه معلق بـأَنْ قَالُـوا، ويجـوز ثم لم يكن فتنتهم بـاليـاءِ ورفـع الفتنـة، لأَن الفتنـة والافتتانِ فِي معنًى واحد.

وتأْويل هـذه الآية تـأْويل حسن في اللغـة لطيف لا يفهمـه إلا من عرف معـانيَ الكـلام وتَصَـرُّفَ العـربِ فِي ذلـك، واللَّه جـلّ وعـزّ ذَكَـرَ في هـذه

(١) هو عبد اللَّه بن سلام بن الحرث ـ من ذرية النبي يوسف عليه السلام ـ كـان حليف النواقـل من الخزرج ـ وكان من بني قينقاع ـ كان اسمه الحصين فسماه النبي ﷺ عبد اللَّه، أسلم حين دخل النبي المدينة، وروى عنه عدد من الصحابة كما روى عنه أبناه محمد ويوسف، وفيه نزلت الآية ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾ والآية: ﴿قل كفى باللَّه شهيـداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ ـ ووقف بجانب عثمان في محنته ومات سنة ٤٣ هـ.

انظر: الإصابة ت ٤٧٢٥.

(٢) اسم يكن: أي وهو يعود على المصدر في «أن قالوا».

الأَقاصِيصِ التِي جَرتْ في أَمر المُشْرِكِينَ وهم مُفْتَتِنُونَ بشِركِهم. أَعلم اللَّهُ أَنه لم يكن افتتانهم بشركهم، وإِقَامتُهم عليه إلا أَن تَبرأُوا مِنه وانْتَفَوا مِنْه، فَحَلَفُوا أَنهم ما كانوا مشركين.

وَمِثْلُ ذَلِكَ في اللغة أَنْ ترى إِنْسَاناً يُحِب غَاوِياً[1]، فإذا وقع في هَلَكَةٍ تَبرأَ منه، فتقول له ما كانت محبتك لفلان إلا أَنِ انْتَفَيتَ مِنْهُ.

ويجوز ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا﴾ على جرِّ رَبّنَا على النعتِ والثناءِ لقوله «وَاللَّهِ». ويجوز ﴿واللَّهِ ربَّنَا﴾ بنصب رَبَّنَا، ويكون النصب على وجهين، على الدعاءِ، قالوا واللَّه يا ربنَا ما كنَا مشركين. ويجوز نصبه على أَعني: المعنى أَعني رَبنا، وأَذْكُر ربنا، ويجوز رفعه على إضمار هو، ويكون مَرفُوعاً عَلَى المَدحِ. والقراءَةُ الْجَر والنَّصبُ، فأَما الرفع فلا أَعلَمُ أَحداً قرأَ به.

وَقَوله: ﴿[وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهم] أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهوه﴾.

«أَكِنةً» جمع كِنان وهو الغِطاءُ، مثلُ عِنَان وأَعِنَّة، فأَما ﴿أَن يفقَهوه﴾ فمنصوب على أَنه مَفْعولٌ له، والمعنى وجَعَلْنَا عَلى قُلوبِهم أَكِنةً، لكراهة أَن يفقهوه فلما حذفت اللام نصبت الكراهة، ولما حذفت الكراهة انتقل نصبها إلى أَنْ[2].

وقوله: ﴿وَفي آذَانِهِم وَقْراً﴾.

الوقر ثقل السمع [وهو] بالفتح[3]، يقال في أُذنه وَقْر، وقد وُقِرَتْ الأُذن توقَر[4]، قال الشاعر:[5]

---

(١) إنساناً يحب شخصاً ضالاً ليس على طريق الهدى.

(٢) إلى المصدر المضاف إليه.

(٣) قرأ طلحة بكسر الواو.

(٤) في القاموس وقر كوجل ونصر ووفر كعنى.

(٥) أي تصاممت عن هذا الكلام، وأنا صحيح الأذن أسمعه والبيت للمثقب العبدي وبعده:

وَكَــلامٍ سَــيِّــئٍ قــد وقــرت　　أُذُنــي مــنــه ومــا بــي مِــنْ صَمَمَ

والوِقْر ـ بكسر الواو ـ أن يحمل البعير أو غيره مقدار ما يطيق، يقال عليه وِقْرٌ، ونَخْلَةٌ موقِرٌ وَموقرةٌ بالكسر أكثر، وموقِر مِثْل مرضِعٌ، أي ذات وِقْر، كما أن تلك ذات رَضاعٍ. وإنما فعل بهم ذَلك مجازَاة لهم بإقامتهم على كُفْرِهِم، وليس المعنى أنهم لم يَفْهَموه ولم يَسمَعوه، ولكنهم لَما عَدَلُوا عَنْه وصَرَفُوا فِكْرهم عَما هم عَلَيه، في سوءِ العاقبة كانوا بمنزلة من لم يعلم ولم يسمع.

وقوله: ﴿وَإِنْ يَرَوا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾.

أي كل علامة تَدلهم على نبوتِكَ، ثم أعلم اللَّه عزّ وجلّ مقدارَ احتجاجِهِم وجَدَلِهم وأنهم إنما يستعملون في الاحتجاج أن يقولوا هذا أساطير الأولين، ويقولون افترى على اللّه كذباً، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنهم ليس يعَارِضُونَ ما احتَجَّ بِه عَلَيهم من الحق، حيث قيل لهم: ﴿فَأْتوا بسورَةٍ مِن مِثلِهِ﴾[1]، وحَيثُ شَق لهم القمرَ، وحيث أنزل على نبيه عليه السلام ﴿واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ الناسِ﴾[2]. فما أتى أَحَدٌ بسورةٍ ولا قدَرَ على ضَرِّ النبي ﷺ ولا على قَتْلِهِ، وأنْبأَ عزّ وجلّ بما سيكون في كتابِهِ فَوُجِدَ ذلكَ أجمَعُ. فقال اللَّه عزّ وجلّ:

﴿حتى إِذَا جَاءُوك يُجادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِين﴾.

واحدها إِسطارٌ، وأُسطُورةٌ. وتأْويل السَّطْر في اللغة أَنْ تَجعَل شيئاً مُمتَدًّا

= فتصامَمتُ لكيما لا يرى　　جاهلٌ أني كما كان زعم

انظر اللسان (زعم).

(١) سورة البقرة آية ٢٣.

(٢) سورة المائدة آية ٦٧.

مؤلفاً، فمن ذلك سَطرُ الكتاب، يقال: سَطرٌ وَسُطَر، فمن قال سطر جمعه أسطار، قَال رُؤبةُ[١].

إني وأسطارٍ سُطِرنَ سَطْراً   لقائِلٌ: يا نَصرُ، نَصراً نَصْراً

وجمع أَسْطَار أَسَاطير، فعلى هذا ـ عِنْدي ـ أَساطير الأولينَ.

ومن قال سَطَرٌ. فجمعُه أَسْطُرٌ، وجمعُ الجمع أَسَاطِرَةٌ، وأَسَاطير قال الشماخ في جمع سَطْر:[٢]

كما خط عبرانية يمنية   بتيماءَ حَبَرٌ ثم عرَّض أسطرَا

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَهُم يَنْهَوْنَ عَنْه وَيَنْأَونَ عَنْهُ﴾.

أي عن النبي ﷺ أَنْ يُتَّبَع، ويَنْأَونَ عنه، أي يتَبَاعَدُونَ عنه، يقال: نأَيْتُ عن الشَّيْءِ أَنأَى نأْياً، إِذَا بَعُدت عنه، والنُّؤى حاجز يُجعَل حول البيت لَئِلَّا يَدخُلَهُ الماءُ من خَارِجٍ، تحفَر حَفِيرَةٌ حولَ البَيتِ فيجْعَلُ تُرَابُها على شَفِيرِ الحَفِيرةِ، فيمنَعُ الترابُ الماءَ أن يدخل من خارِجٍ، وهو مأْخُوذٌ مِنَ النَّأيِ أي مباعِدٌ للماءِ من البيْتِ.

وقال بعضهم: إنه يعنى به بعض أهل النبي ﷺ، أي وهم ينهون عن أَذى النَّبِيِّ ﷺ ويَتَباعَدُونَ عَنْهُ، أي لا يَتّبعُونَهُ. والكلامُ مُتَّصِلٌ بذكر جَماعَةِ أَهل الكتاب، والمشركين.

---

(١) الديوان ١٧٤، مجاز أبي عبيدة ٢ ـ ٢٣٠، الخزانة للشاهد ١١٧ جـ ٢ ـ ١٩٠ شواهد الكشاف (ط السلفية) والطبري ٢٧ ـ ٩ وكان رؤبة أراد الدخول إلى نصر بن سيار وهو والي خراسان فمنعه حاجبه، وكان يسمى نصراً أيضاً، ويروى البيت. يا نصر نصر نصراً ـ نصر الأولى لابن سيار والثانية للحاجب، أي يا نصر الوالي. نصر الحاجب منعني، ونصرا بمعنى أنصرني.

(٢) الحبر والحبر ـ بفتح الباء وكسرها ـ واختلف أيهما أفصح وهو عالم، وأحد أحبار اليهود ـ أنظر اللسان (حبر ـ عرض) وعرض الأسطر بهمها ولم يبينها.

والقول الأول أَشْبَهُ بالمعنَى.

وقوله: ﴿وَلَوتَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾.

القراءَة ـ أكثرها بالفتح والتَّفْخِيم[1]، والإمالة حسنة جَيِّـدَةٌ، وهي مذهب أبي عمرو. أعني كسر الألف من[2] «النَّـارِ»، وإنما حَسُنَتْ الإمـالة في قـوله: ﴿كمثـل الحِمَارِ يحمـل أسفاراً﴾[3]، وأَصحَـابُ النَّارِ، لأن الـراءَ بعـد الألف مكسورة، وهي حرف كأنه مُكَرَّرٌ في اللسان، فصارت الكسرة فيه كالكسرتين.

ومعنى ﴿وُقِفُوا﴾ على النَّار يحتمل ثلاثة أَوجُهٍ ـ جائز أَن يكونوا عَـايَنُوهـا، وجائز أَن يكونوا عليها وَهِيَ تَحتَهُم، والأَجود أَن يكـون معنى وقفوا على النـار أُدخِلُوها فَعَرَفوا مقدارَ عَذَابِهَا، كمـا تقول في الكـلام: قد وَقَفْتَ على مـا عندَ فُلانٍ، تريد قد فهمته وتَبَيَّنْتَهُ.

﴿فَقَالُوا يَا لَيتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا ونكونُ مِنَ المؤْمِنِينَ﴾.

أَكثر القراءِ بالرفع في قوله: وَلَا نُكَذِّبُ [بآيَاتِ رَبِّنَا] ويكون المعنى أَنَّهم تمنَّوا الرَّدَّ، وضَمِنُوا أَنهم لا يُكَذِّبُونَ، المعنى: يا ليتنا نرد، ونحن لَا نكـذِّبُ، بآيات ربنا رُدِدنا أَم لم نرد، ونكونَ من المؤمنين، أَي قَد عَايَنَّا وَشَاهَـدنَا مَـا لَا نُكَذِّبُ مَعَه أَبداً.

قال سيبويه مِثلُهُ دَعني ولا أَعودُ، أَي وأَنا لا أَعودُ تـركْتَنِي أَو لم تَتْرُكْني، ويجوز الرفع على وجه آخر، على معنى يا ليتَنَا نرد، ويا ليتنا لا نكَذِّبُ بآيـات رَبِّنَا، كأَنهم تَمَنَّوا الرد والتوفيق للتصديق، ونَكونُ مِنَ المؤمِنينَ الرفـع والنصب أيضاً فيه جَائِزَانِ، فأَما النَّصبُ فعلى يا ليتنا نـرد وتكون يـا ليتنا نـرد ولا نكذب

---

(١) في كلمة النار تفتح النون ولا ترقق الراء.

(٢) إمالتها.

(٣) سورة الجمعة آية ٥.

على الجواب بالواو في التمني كما تقول ليتك تصير إلينا ونكرِّمَكَ[1]، المعنى لَيتَ مَصِيرَكَ يَقَعُ، وَإكْرَامَنَا، ويكون المعنى: لَيتَ ردَّنا وقع وأن لا نُكذِّبَ، أي إن رُدِدْنا لم نكذبْ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبلُ﴾.

أي بل ظهر للذين اتَّبَعُوا الغُوَاةَ ما كان الغواةُ يخفون عنهم من أمر البعث والنُّشُورِ. لأن المتَّصِلَ بهذا قولُه عزّ وجلّ: ﴿وَقَالُوا إنْ هِيَ إلَّا حَيَاتُنَا الدنْيَا وَمَا نَحن بمَبعُوثِينَ﴾.

فأنكروا البعث ليُجرِّئوا على المعاصي.

﴿وَلَو رُدوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْه﴾.

قال بعضهم لَو رُدوا ولم يُعَاينوا العَذَاب، لعَادُوا، كأنه يَذْهب إلى أنَّهم لَم يُشَاهِدوا ما يضطرهم إلى الارتِدَاع، وهذا - غَلَّهُ - بيّنٌ. لأن هذا القول منهم بعد أن بُعِثوا وعَلِمُوا أمْرَ القِيَامَةِ وَعَايَنُوا النَّارَ، فالمعنى أن أكثر من عايَنَ مِنَ اليَهودِ والمشركين قَدْ عَلِمَ أنّ أمْرَ اللَّهِ حَق فرَكَنَ إلى الرَّفَاهِيةِ، وأن الشيء متأخر عنه إلى أمدٍ كما فَعَل إبليس الذي قد شاهد من بَراهين اللَّه ما لا غاية بعده، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنهم لَوْ رُدُّوا لعَادُوا لأنّهم قَدْ كَفَرُوا بَعْدَ وُجُوبِ الحُجَّةِ عَلَيْهم.

وقال بعض المفسِّرين: ان النبي ﷺ سئل فقيل له: ما بال أهْل النار عملوا في عُمْرٍ قصيرٍ بعَمل أهل النار فَخُلِّدُوا في النَّارِ وأهلُ الجنة عملوا في عمر قصير بعمل أهل الجنَّةِ فخلدوا في الجنَّةِ، فقال: إن الفريقين كان كل واحدٍ مِنهمَا على أنه لو عاش أبداً عَمِل بذلك العَمَل.

وقوله: ﴿قَدْ خَسِر الَّذِينَ كذَّبُوا بلِقَاء اللَّه حَتَّى إذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَة بَغْتَةً﴾.

(١) أي هي واو المعية، وهي قراءة عاصم.

كلُّ ما جاءَ فُجَاءَة فقد بَغَتَ، يقال قد بَغَتَهُ الأمر يَبْغَتُه بغْتاً وبَغتةً، إذا أتاه فُجاءَةً، قال الشاعر:(١)

ولكنهم مـاتـوا ولم أَخْشَ بغتـةً ... وأَفْـظَعُ شيء حين يَفْجَؤُكَ البَغْت

وقوله: ﴿يَا حَسْرَتَنَا عَلَى ما فَرَّطْنَا فِيهَا﴾.

إن قـال قـائـل: مـا معنى دُعَـاءِ الحَسْـرَةِ، وَهِيَ لَا تعقـل ولا تجيب؟ فالجواب عن ذلك أَنَّ العربَ إذا اجْتَهـدتْ في الإخْبارِ عنْ عَـظِيمٍ تقع فيـه(٢) جعلته نداءً، فلفظه لفظ ما ينبَّه، والمنبَّه غَيرُهُ، مثل قَوله عزّ وجلّ: ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾(٣)، و [قوله]: ﴿يَا وَيْلَتَا أأَلد(٤) وَأَنَا عَجُوزٌ﴾(٥) و [قوله]: ﴿يَا وَيْلَنَا من بعثنا من مَرْقَدِنَا هَـذَا﴾(٦).. فهذا أَبلغ من أَن تقـول: أنا حَسِرٌ عَلَى العباد، وأَبلغ من أن تقول: الحسرة علينا في تفريطنا.

قـال سيبويـه: «إِنَّكَ إذا قلت يـا عجباه، فكـأَنك قلت احضُـرْ وتعال يـا عجبُ فإنه مِنْ أَزْمَانِكَ، وتأْويلُ «يا حَسْرتَاهُ» انتَبهُوا على أَننا قد خسرنا» وهـذا مثله في الكلام في أَنك أَدْخلْتَ عليـه يا للتنبيـه، وأَنت تريـد الناس قولك: لَا أَرَيَنَّكَ هَهُنَا، فلفظُك لَفْظُ النَّاهِي نفسه، ولكنه لمّـا علم أَن الإنسان لا يحتـاج أَن يلفظ بنهي نَفْسِه دَخل المخَاطَبُ في النَّهيِ فصار المعنى: لا تكـونَنَّ ههنا،

---

(١) هو يزيد بن ضبة، شاعر إسلامي نسب لأمه ضبة، لأن أباه «مقسماً» مات وهـو صغير، وهـو من موالي ثقيف. أنظر الأغاني ٦ ـ ١٤٦، (ساسي) والكامل ٥٢٠، واللسان (بغت).
يـريد أن أحبتـه فارقـوه حين لم يكن يتوقـع فراقهم، وقـد كانت هـذه المفاجـأة شـاقـة عليـه، والمفاجآت دائماً شاقة على الناس.

(٢) أمر عظيم يحدث لها.

(٣) الزمر آية ٥٦.

(٤) في الأصل آلد، وهي غير قراءة عاصم. ـ والألف فيها بدل من ياء المتكلم.

(٥) سورة هود آية ٧٢.

(٦) سورة يس آية ٥٢.

فإنك إِذَا كُنْتَ رأيتُكَ، وكذلك يَا حَسْرتَنَا، قد علم أن الحسْرَةَ لا تُدْعَى، فوقع التنبيه للمخاطبين.

ومعنى: ﴿فَرَّطْنَا فِيها﴾: قَدَّمْنَا العَجْزَ.

وقوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾.

أي يحملون ثِقل ذُنوبهم، وهذا مَثلٌ. جائز أن يكون جُعِل ما ينالهم من العذاب بمنزلة أثقل ما يُحَمَّل، لأن الثِّقل قد يستعمل في الوِزْرِ، وفي الحال، فَتقُول في الحال قد ثقل عليَّ خطاب فلان، تأويله قد كَرهتُ خِطَابَه كراهةً اشْتَدَّت عَلَيَّ، فتأويل الوزر الثقل من هذه الجهة، واشتقاقه من الوزر[1]، وهو الجَبَل الذي يَعْتَصِم به الملك والنبي، أي يُعينُه، ومنه قوله [تعالى]: ﴿وَجَعَلْنَا مَعهُ أَخَاهُ هَرُونَ وَزِيراً﴾[2]. سأل مُوسَى رَبَّه أن يجعل أخاه وزيراً له، وكذلك قوله [تعالى]: ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

أي بِئس الشَّيءُ شيئاً أي يَحْملونه، وقد فسرنا عمل نعم وبئس فيما مضى من الكتاب[3]، وكذلك ﴿سَاءَ مَثَلاً القَوْمُ﴾[4]، [أي] مثل القوم.

وقوله: ﴿فَإِنَّهُم لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾.

ولا يُكْذِبُونك، ومعنى كذَّبْتُه قُلت لَه كذبْتَ، ومَعْنى أكذبتُهُ ادَّعيت أنَّ ما أتى به كذِبٌ[5]، وتفسير قوله: ﴿لا يُكذِّبُونَكَ﴾، أي لا يَقْدِرُونَ أن يقولوا لك فيما أَنْبأْتَ به مِمَّا فِي كُتُبِهُمْ كذبت. ووجه آخر: إنهم لا يكذبونك بقلوبهم، أي يَعْلَمُون أنك صادقٌ.

---

(١) الوزر كما في القاموس الجبل المنيع وكل معقل والملجأ والمعتصم.

(٢) الفرقان ٣٥.

(٣) انظر الجزء الأول.

(٤) الأعراف آية ١٧٧.

(٥) نسبته للكذب.

﴿ولكنَّ الظَّالِمِين بِآياتِ اللَّه يَجْحَدُون﴾.

لأنهم إنما جحدوا براهين اللَّه جلّ وعزّ وجائز أن يكون فإنَّهم لا يُكذِّبُونك، أي أنت عندهم صادق، لأنه ﷺ كان يُسَمَّى فيهم الأمين قبل الرسالة، ولكنهم جحدوا بألسنتهم ما تشهد قلوبهم يكذبهم فيه.

ثم عَزَّى اللَّه نبيه وصَبَّرهُ بأن أخبره أنّ الرسلَ قبلَه قد كَذبتهم أُمَمٌ فقال:

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا، وأُوذُوا حَتَّى أَتاهُم نَصْرُنا وَلاَ مُبَدِّلَ لَكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾.

أي إذ قال اللَّه لرسوله: ﴿وَاللَّه يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1]، و [إذ] قال: لِيُظْهِرَهُ علَى الدِّينِ كُلِّه، فَلا مُبدِّلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ أي لا يخلف اللَّه وعده ولا يغلب أولياءَه أَحَدٌ.

ثم أعلم اللَّه عزّ وجلّ رسُوله أنه[2] يأتي من الآيات بما أحب، وأنه ﷺ بشر لا يقدر على الإتيان بآية إلا بما شاءَ اللَّه من الآيات فقال:

﴿وإن كانَ كَبُر عَلَيْكَ إعْرَاضُهُمْ﴾.

أي إن كان عَظُمَ عليك أن أَعْرضُوا إذ طَلبُوا منك أنْ تُنزِّلَ عليهم ملَكاً، لأنهم قالوا: ﴿لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾[3] ثم أعلم اللَّه جلّ وعزّ أنهم لو نُزِّلتْ عليهم الملائِكةُ وأتاهم عظيم من الآيات ما آمَنُوا.

وقوله: ﴿فإنِ اسْتَطَعْتَ أنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ﴾.

---

(١) المائدة ـ ٦٧.

(٢) أي اللَّه سبحانه وتعالى.

(٣) آية ٨ من هذه السورة ولم تكمل الجملة بذكر جواب الشرط في كلامه، والمعنى العام للآية أنه إذا كان قد شق عليك إعراضهم وما طلبوا من الآيات فافعل ما تستطيع، وحقيقتهم أنهم لن يؤمنوا حتى ولو جئتهم بما طلبوا.

والنفق الطريق النافذ في الأرض، والنافقاءُ ممدود أَحَـدُ جِحَرَةِ اليَـرْبُوع يَخْـرِقُـهُ من بـاطن الأَرْض إلى جلدَة الأرض فـإذا بَلَغَ الجلدة أَرَقَّهـا حتى إن رابَـهُ[1] دَبِيبٌ رفع بـرأسه هـذا المكان وخـرج منـه. ومن هـذا سُمِّيَ المنـافق منافقاً، لأنه أبطن غير ما أَظهر، كالنافقاءِ الذي ظاهـرهُ غَيْرُ بَيِّنٍ، وبـاطنه حَفْـر في الأَرْض.

وقوله: ﴿أَوْ سُلَّماً في السَّمَاءِ﴾.

والسُّلَّم مشتق من السَّـلامَةِ، وهـو الشيءُ الذي يسلمـك إلى مصعـدك. المعنى فإن استطعت هذا فافعل، وليس في القرآن فَٱفعَل[2] لأنه قد يحذف ما في الكلام دليل عليه، ومثل ذلك قولـك: إن رأيت أن تمضي معنا إلى فـلان، ولا تذكر فٱفعل.

فأعلم اللّه نبيَّه ﷺ أنه لا يستطيـع أنْ يأتي بـآية إلا بـإذن اللّه. وإعلامـه النبي هـذا هـو إعْـلام الخلق أُنهم إنمـا اقتـرحـوا هم الآيــات[3] وأعلم اللّه جلّ وعزّ أنـه قادر على أن يُنْـزِلَ آيَّة آيـة، وأنه[4] لـو أُنزلت المـلائكة وكلمهم الموتى ما كانوا ليؤْمنوا إلا أن يشاءَ اللّه.

وقوله: ﴿وَلَو شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الهُدَى﴾.

فيـه غير قـوْل، فأَحـدُها أنـه لو شـاءَ اللّه أن يَطْبَعَهُم عَلى الهـدى لفعل ذلـك، وقول آخر: ﴿ولو شـاءَ اللّه لجمعهم على الهدى﴾[أي] لـو شـاءَ لأَنْـزَل عليهم آيـة تَضْطرُّهم إلى الإيمـان كقولـه جـلّ وعزّ: ﴿إنْ نَشَـأْ نُنَـزِّلْ عَلَيْهِمْ مِن

---

(١) كلمة غامضة في المخطوطات، وهذا أقرب ما تحمل عليه.

(٢) أي جواب الشرط غير مذكور في القرآن في هذه الآية ولكنه مفهوم من السياق.

(٣) أي هم الذين اقترحوا هذه المعجزات، ولو تحققت ما آمنوا.

(٤) ضمير الشأن.

السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[1] فإنما أَنْزَل اللَّه الآيات التي يُفكر الناس مَعها، فيؤْجَرُ ذو البَصَر، ويثاب على الإيمان بالآيات، ولو كانَتْ نَارٌ[2] تنزل على من يكفر أو يُرْمَى بحَجَرِ من السَّماءِ لان كل واحد.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾.

أي الذين يسمعون سَماعَ قَابِلِينَ، وجَعَلَ من لم يَقْبَل بِمَنْزلَة الأَصَمّ، قال الشاعر:

أَصَمُّ عَمَّا سَاءَه سَمِيعُ

﴿والمَوتَى يَبعَثُهم اللَّهُ﴾.

أي يحييهم ﴿ثم إليه يُرْجَعُون﴾.

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً﴾.

أي آية تجمعهم على الهُدَى.

وقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْه﴾.

يجوز ولا طائرٌ بالرفع على العطف على موضع دابّة، التأْويل وما دابّة في الأَرض ولا طائرٌ، والجرّ أَجود وأكبر على معنى وما من دابَّة وَلاَ طَائرٍ. وقال﴿يطير بجناحيه﴾ على جهة التوكيد، لأَنك قد تقول للرجل: طِرْ في حاجتي أي أَسْرع، وجميع ما خلق اللَّه عزّ وجلّ فليس يخلو من هاتين المنزلتين، إمَّا أَنْ يَدِبَّ أَو يَطيرَ.

﴿إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾.

[أَي] في الخلق والموت والبعث.

---

(١) الشعراء آية ٤.

(٢) كان تامة أي لو وجدت نار.

وقوله :﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُم إِنْ أَتَاكُم عَذَابُ اللَّهِ أَو أَتَتْكُمْ السَّاعة﴾ .

الساعة اسم للوقت الذي يُصْعَقُ فيه العباد، واسم للوقت الذي يُبْعَثُ فيه العباد، والمعنى إن أتتكم الساعة التي وُعِدْتُم فيها بالبَعْثِ والفناءِ، لأَنَّ قبلَ البعث موتَ الخلق كله.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾.

أي أتدعون هذه الأصنَام والحجارةَ التي عبدتموها من دون اللَّه، فاحتج اللَّه عليهم بما لا يَدْفَعُونَه، لأنهم كانوا إذا مَسَّهُمُ الضّرُّ دعوا اللَّه.

وقال النحويون في هذه الكاف التي في قوله: ﴿ أَرَأَيتَكُمْ ﴾ غيرَ قَولٍ:

قال الفراء لفظها لفظ نصبٍ، وتأويلها تأويل رفع، قال: ومثلها الكاف في قوله: دُونَك زيداً، قال: الكاف في موضع خفض، وتأويلها تأويل الرفع، لأن المعنى خذ زيداً.

وهذا لم يقله من تقدَّم من النحويين، وهو خطأٌ لأن قولك أرأيتكَ زيداً ما شأْنه! تصير «أرأيت» قد تعدت إلى الكاف وإلى زيد، فيصير لـ (رأيتَ) اسمان[١]، فيصير المعنى أرأيت نفسك زيداً ما حاله. وهذا محال[٢].

والذي يذهب إليه النحويون الموثوقُ بعلمهم أن الكاف لا موضع لها، وإنما المعنى أرأيت زيداً ما حاله. وإنما الكاف زيادة في بيان الخطاب. وهي المعتمد عليها في الخطاب، اعلم أنك تقول إذا كانت الكاف زائدة للخطاب، للواحد الذكر: أرأيتكَ زيداً ما حَالُه بفتح التاءِ والكاف، وتقول للمؤنث أَرَأَيتَكِ زيداً ما حاله يا امرأة، وتفتح على أصل خِطابِ الذكر، وتكسر الكاف لأنها قد صارت آخر ما في الكلمة والمبيِّنة عن الخطاب، وتقول

(١) يصير لها فاعلان. هما التاء والكاف.

(٢) ناقش ابن هشام في المغني رأي الفراء وبين خطأه، وصحح أن الكاف حرف خطاب وأنه رأي سيبويه (المغني جـ ١ /١٥٦).

للاثنين أرأيتكُما زيداً مَا حَالُه وأَرَأيتَكُم زيداً ما حاله ـ للجماعة، فَتُوحَّد التَّاءُ، فكما وجب أن توحدَها في التثنية والجمع وجب أن تذكرها مع المؤنث، فإذا سَأَلْتَ النسوة قلت أَرَأَيْتَكُنَّ زيداً ما حَالُه. وتثنية المؤنث كتثنية المذكر في كل شيء، فإنْ عَدَّيتَ الفاعِلَ إلى المفعول[1] في هذا الباب، صارت الكاف مَفْعُولَه، تَقُولُ: رَأَيتِنِي عالماً بِفُلَانٍ، فإذا سألت عن هذا الشَّرطِ قُلْتَ للرجل: أرأيتَكَ عَالِماً بِفُلَانٍ، وتقول للاثنين على هذا: أرأيتاكما عالمين بفلانٍ، وللجميع أرأيتموكم عَالِمينَ بفلان، لأن هذا في تأويل أرأيتم أنفُسَكُم. وتقول للمرأة: أرأيتِكِ عالمةً بفلانٍ ـ بكسر التاءِ والكاف ـ وتقول للاثنين أرأيتُما كما عالمين بفلان وللجماعة أرأيْتَكُنَّ عالمات بفلان فعلى هذا قياس هذين البابين[2].

وقوله: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾.

«بل» استدراك، وإيجابٌ بَعد نفي، تقول: مَا جَاءَ زَيدٌ بل عَمْرٌو فأعلمهم اللّه جلّ وعزّ أنهم لا يدعون في حال الشدائد إلا إيَّاهُ، وفي ذلك أعظم الحجة عليهم، لأنهم قد عبدوا الأصنام.

وقوله: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾.

المعنى فيكشف الضر الذي من أجله دَعَوْتُمْ، وهذا على اتساع الكلام، مثل سَل القَريَةَ: المعنى سَلْ أَهْلَ القرية.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾.

«وتنسون» ههنا على ضربين: جائز أن يكون تَنْسَوْنَ تَتْرُكُونَ، وجائز أن يكون المعنى إنكم في ترككم دعاءَهم بمنزلة من يَسْهُونَ.

---

(١) وهو من خصوص هذه الأفعال. نقول ـ رأيتني وحسبتني ولا يجوز ضربتني وكلمتني، وهذا تعبير يخالف أرأيتك وقل أرأيتكم.

(٢) باب أرأيتكم، وباب رأيتني.

وقوله :﴿وَلَقَد أَرسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالبأْسَاءِ والضَّرَّاءِ﴾ .قِيلَ البـأْسَاءُ الجُـوعُ، والضرَّاءُ النقصُ في الأمـوال والأنفس. والمعنى أن اللَّه جلّ ثناؤه أعلم نبيّه أنه قد أَرْسَل الرسلَ قبله إلى قوم بلغوا من القسوة إلى أن أُخِذُوا بالشدة في أَنْفُسِهم وأَمْوَالِهم ليخضعوا ويَـذِلُّوا لأَمْـرِ اللَّه، لأَنَّ القُلوبَ تخْشَعُ، والنفوسَ تضْرَعُ عند ما يكون[1] من أمر اللَّه في البـأْساءِ والضـراءِ. فَلَمْ تخْشَعْ ولم تَضْرَعْ[2].

وقال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾.

ومعنى لعـل ترج، وهـذا الترجي للعبـاد، أَخَذَهُمُ اللَّه بـذلك ليكـونَ ما يَرجُوه العبادُ منه بالتضرع، كما قال عزّ وجلّ في قصة فرعون: ﴿لَعَلَّهُ يَتذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[3] قال سيبويـه: المعنَى إذهبا على رجـائكما، واللَّه عـالم بما يكـون وراءَ ذلك.

وقوله :﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنا تَضَرَّعُوا﴾ .

المعني فهَلاَّ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضرعُوا.

﴿وَلكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: أي أقاموا على كفرهم.

وقوله :﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كلِّ شَيْءٍ﴾.

أي فتحنا عليهم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ كان مغلقاً عليهم من الخير.

﴿حَتَّى إذا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾.

أي حتى إذا ظَنُّوا أَنَّ كل مَا نَزلَ بهم لم يكن انْتِقَـاماً مِنَ اللَّه جـلّ وعزّ، وأنهم لَمَّا فُتحَ عليهم ظَنُّوا أن ذلك باسْتِحْقَاقِهِمْ ﴿أَخذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾.

أي فاجأهم عذابُنَا من حيثُ لا يَشْعُرُون.

---

(١) عندما يحدث.

(٢) لم تخشع تلك القلوب، أي أخذوا بالشدة ليخضعوا فلم يخضعوا.

(٣) سورة طه آية ٤٤.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فإذا هم مُبْلِسُونَ﴾.

«المبلس» الشديد الحسرة، واليائس الحزين.

وقوله: ﴿فقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِين ظَلَمُوا والْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين﴾.

حَمِدَ اللَّه عزّ وجلّ نفسه على أن قطع دَابِرَهُم، واسْتَأْصَل شأْفَتَهُمْ[١]، لأنه جلّ وعزّ أرسل إليهم الرُّسُلَ، وأنْظرَهُمْ بَعْدَ كُفْرِهِمْ، وَأَخَذَهُمْ بِالْبَأْسَاءِ والضَّراءِ، فبالغ جلّ وعزّ في إنْذَارِهِمْ وإمْهَالِهِمْ، فحَمِدَ نَفْسَهُ، لأنه محمودٌ في إمْهَالِهِ مَنْ كفَرَ بِهِ وانتظارِهِ تَوْبَتَه.

وقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّه سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَه غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ به﴾.

أي بسمعكم، ويكون ما عطف على السمع داخلاً في القصة إذ كان معطوفاً على السمع[٢].

وقوله: ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾.

أي «يُعْرِضُونَ». أعلم اللَّه جلّ وعزّ أَنَّه يُصَرِّفُ لهم الآيات، وهي العلامات التي تدل على توحيده، وصحة نبوة نَبِيِّهِ ﷺ ثم هم يُعْرضون عما وضح لهم وظهر عندهم.

وقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾.

الْبَغْتَةُ الْمُفَاجَأَةُ، والجهر أو يَأْتِيهِمْ وَهُمْ يَرَوْنَه.

﴿هَلْ يُهْلَكُ إلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾.

---

(١) الشأفة القرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب، أو إذا قطعت مات صاحبها، واستأصل اللَّه شأفته أذهبه كما تذهب تلك القرحة، أو معناه أزاله من أصله.

(٢) أولى أن يكون الضمير للمذكور، أي يأتيكم بهذا كله.

أي هَـلْ يُهْلَك إلاّ أَنْتُمْ ومَن أَشبَهَكُمْ، لأنكم كفـرتم مُعَـانِـدين، فقـد علمتم أنكم ظالمون.

وقوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِين إلاّ مُبَشِّرين وَمُنذِرِينَ﴾.

أي ليس إرْسَالُهم بأن يأتوا الناس بما يَقْتَـرِحُون عليهم من الآيـات وإنما يـأتـون من الآيـات بمـا يُبيِّن اللّه [بـه][1] بـراهينهم، وإنمـا قصـدُهم التبشيـرُ والإنذارُ.

وقوله: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لكُمْ عِندِي خزائنُ اللّهِ﴾.

هذا متصل بقوله: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّه﴾. فأعلمهم النبي ﷺ أنَّـه لا يملك خزائِنَ اللّه الَّتِي بِهَا يَـرزُقُ ويُعْطِي، و[أنه][2] لا يعلم الْغَيْبَ فيُخْبِرَهُمْ بِمَا غَابَ عَنْهُ مِمَّا مضَى، وما سَيَكُونُ إلاَّ بِوَحْيٍ من اللّهِ جلّ وعزّ.

﴿ولَا أَقُولُ لكمْ إنِّي مَلَكٌ﴾.

أي الْملَك يشاهِدُ مِن أُمورِ اللّه عزّ وجلّ ما لا يُشَـاهِدُهُ الْبشـرُ، فأَعْلَمهُمْ أنه يتبعُ الوحْي فقال: ﴿إنْ أتبعُ إلاَّ ما يُوحى إليَّ﴾.

أي مـا أَنْبأْتكم بـه مِنْ غيبٍ فيما مضى، وفيمـا سيكُون فهـو بـوحي من اللّه، فَـأَمَّا الإنْبـاءُ بما مَضى، فـأَخبارٌ بقصصِ الأُمَمِ السَّـالِفةِ، والأخبَـارُ بمـا سيكــونُ كقـولــه: ﴿غُلِبَتِ الــرُّومُ. في أَدْنَى الأرْضِ وَهُمْ مِن بَعــدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. في بِضْعِ سِنِينَ﴾[3].

فوجد من ذلك ما أنبأ به، ونحو قوله: ﴿واللّهُ يَعْصِمُكَ مِـن النَّـاسِ﴾[4]

---

(١) زيادة لا بد منها.

(٢) زيادة للإيضاح.

(٣) الروم آية ٢ ـ ٤.

(٤) المائدة ٦٧.

فاجتهدوا في قَتْله، فلم يَصِلُوا إلَى ذلك. وقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّين كُلِّهِ﴾(١) وما يُرْوى مِن الأخبَار عنه بما يَكُونُ أكثَرُ من أن يُحْصَى.

وقوله: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾.

قوله: ﴿وَأَنذِرْ به﴾، أي بالقُرْآن، وإنما ذكر الذين يخافون الحشر، دُونَ غَيْرهم وهو ﷺ منذرٌ جميع الْخلْقِ، لأن الَّذِين يَخافُونَ الْحَشرَ الحجةُ عليهم أوجبُ، لأنهم أفْهمُ بِالْميعاد. فهم أَحَدُ رَجُلَيْنِ، إمَّا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فيؤدي حقَّ اللَّهِ في إِسْلَامِهِ، وإما رَجُلٌ مِنْ أهلِ الْكِتَابِ، فأَهْلُ الْكِتَابِ أجمعُونَ مُعْتَرِفُونَ بأن اللَّه جَل ثَنَاؤُه خَالِقهمْ، وَأَنهُمْ مَبْعوثون.

وقوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِه وَلِيٌّ لَا شفِيع﴾.

لأن النصارى، واليهود ذكرت أنها أبناءُ اللَّه وأَحِبَّاؤُه، فأعلم اللَّه أنه لا ولي له إلاَّ المؤمنون، وأنَّ أهلَ الكُفْر ليسَ لهم منْ دُون اللَّهِ ولي وَلَا شَفِيعٌ.

وقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِين يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

كان قوم من المشركين أرادوا الحيلة على النبي فقالوا لَوْ باعَدْت عَنك هَؤُلاءِ السِّفْلة والْعَبِيدَ لجَلَسَ إليك الكبراءُ والأَشْرَافُ. وكانوا عَنَوْا بالذين قَدَّرُوا أن يباعِدَهم النبي ﷺ صُهَيْباً وخَبَّاباً، وعمَّار بنَ يَاسرٍ وسلمانَ الفارسي وبلالاً، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ، أن أَمْرَ الدِّين هو المقَدَّم، ونهاه أَنْ يُبَاعِدَ هَؤُلَاءِ، وَأَعْلَمَهُ أنهم يُرِيدُون ما عند اللَّه فَشهِدَ لهم بصحة النيات وأنهم مُخْلِصُونَ في ذلك للَّهِ، فقال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾، أي يُرِيدُونَ اللَّهَ وَيَقْصِدُونَ الطُّرقَ التي أَمَرهم بقصدها وإنما قَدَّرُوا بهذا أن يُبَاعِدَهُم فتكونَ لهم حُجّة عَلَيْهِ. واللَّه قد أعلم

(١) التوبة ـ ٣٢ والصف ـ ٩.

في قصة نوح أنه اتَّبَعَ نُوحاً مَنْ كانَ عندهم مِن أَرَاذِلهم، فقال: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ واتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾[1]، وقالوا: ﴿مَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

جوابُ ﴿ولا تَطْرُدُ﴾، وقوله «فتطردهم» جواب ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ، وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ - فَتَطْرُدَهُمْ﴾.

ومعنى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾.
أي اخْتَبَرْنا وابْتَلَيْنا، ﴿لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾.
أي ليكُونَ ذَلك آيةً أَنَّهم اتَّبَعُوا الرَّسُولَ وَصَبَرُوا على الشِّدَّة، وهم في حال شديدة.

وقوله: ﴿وإِذا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنا﴾، أي الذين يُصَدِّقُون بِحُجَجِنا، وبراهيننا ﴿فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾.

سمعت أبا العباس محمد بن يزيد يذكر أن السلام في اللغة أربعة أشياءَ فمنها سَلَّمْتُ سَلاماً ـ مصدر[3] سَلَّمْتُ، ومنها السلام جمع سلامة[4]، ومنها السلام اسم من أسماءِ اللَّه تعالى، ومنها السلامُ شجر[5]، ومنه قوله:

إِلَّا سلامٌ وَحَرْمَلُ[6].

ومعنى السلام الذي هو مصدر سَلَّمْتُ، أنه دعاء للإِنْسَانِ أن يَسْلَم من

(١) سورة الشعراء ١١١.
(٢) سورة هود آية ٢٧.
(٣) اسم مصدر.
(٤) اسم جنس جمعي كورق وورقة.
(٥) شجر السلم.
(٦) الحرمل حب السمسم، ولم أقف على بقية البيت ولا على قائله.

الآفـات في دينه ونفسـه، وتـأويله التَّخَلُّصُ. و «السَّـلاَمُ اسمٌ من أَسْمَـاءِ اللَّه» تأْويله ـ واللَّه وأعلم ـ ذُو السَّلاَمِ أي هو الذي يملك السلام الذي هـو تخليصٌ من المكروه، فأمـا السَّلامُ الشَّجَـر فهو شَجَر عِظَامٌ قـوِيٌّ أَحْسَبُه سُمِّيَ بِـذلك لسلاَمَتِهِ مِنَ الآفاتِ.

والسِّلام الْحِجَارَةُ الصُّلْبَةُ سميت بذلك لسلامتهـا من الرخـاوة، والصُّلْح يُسَمَّى السِّلْمَ والسَّلْم والسَّلَمَ، سمي بهذا لأن معناه السلامة مِنَ الشَّرِّ. والسَّلْمُ دَلْوٌ لَهَا عُرْوَةٌ وَاحِدَةٌ نحو دَلْوِ السَّقَائِينَ، سُميتْ الدَّلْوُ سَلْماً لأنهـا أَقَلُّ عُـرًى من سائر الدِّلاءِ، فَهِيَ أَسْلَمُهَا من الآفاتِ والسُّلَّمُ الذي يرتقى عليه سُمي بهذا لأنه يُسَلِّمُك إلى حَيْثُ تُرِيدُ، والسُّلَّمُ السَّبَبُ إلى الشَّيءِ، سُمي بهذا لأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى غَيْرِهِ، كما يُؤَدِّي السُّلَّم الَّذي يُرْتَقَى عَلَيْهِ.

وقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفسِهِ الرَّحْمَـةَ أنه مَنْ عَمِـلَ مِنكُمْ سُوءاً بجهـالة ثم تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌرحيم﴾.

بفتحهما جميعاً، ويجوز أَن يكونَ «إنه ـ فإنَّـه» بكسرهمـا جميعاً ويجـوز فتح الأُولى وكسر الثانية، ويجـوز كسر الأُولى وفتـح الثانيـة. فأمـا فتح الأُولى والثـانيـة فعلى أَن مـوضـع أَن الأُولى نصب، المعنى: كتب ربكم على نفسـه الْمَغْفِـرَةَ، وهي بَدَلٌ مِنَ الـرَّحْمَةِ، كـأنه قـال: كتب رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الـرحمةَ وهي المغفرةُ للمذْنِبِينَ التائبين، لأَن معنى أَنه ﴿غفورٌرحيم﴾ المغفرة منه، ويجوز أَنْ تكـون الثـانيـة وقعت مؤكـدة لـلأُولى، لأَن المعنى: كتب ربكم أَنَّـهُ﴿غَفُورٌ رحيم﴾ فلمـا طال الكـلام أُعيد ذكـر إنَّ. فأَمـا كسرهمـا جميعـاً فعلى مـذهب الحكاية(١)، كأنَّه لما قال﴿ كتب رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِـهِ الرحمة﴾ قال: ﴿إِنَّـهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سـوءاً بِجَهالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غفُور رَحِيمٌ﴾ بالكسر.

---

(١) استئناف لتوضيح الجملة السابقة.

وجعلت الفاءُ جواباً للجزاءِ وكُسِرَتْ إنَّ دخلت على ابتداءٍ وخبرٍ، كأنك قلت فهو غفُورٌ رَحِيمٌ. إلا أَن الكلام بإنَّ أَوكدُ. وَمَنْ كسرَ الأُولَى فعل ما ذكرنا من الحكاية، وَإذا فتح الثانية مع كسر الأُولى. كان مَعناها المصدَرُ، والخبرُ محذُوفٌ. المعنى إِنَّه مَن عَمِل كذا وَكذا فمغفرةُ اللَّه له، ومن فتح الأُولى وكسرَ الثَّانِيةَ فالمعنى رَاجعٌ إلى المَصْدَرِ، وكأَنَّكَ لَم تَذْكُر إنّ الثانية، المعنى كتب ربكم على نفسه أَنه غفورٌ رَحِيمٌ.

ومعنى ﴿كتب﴾ أوجَبَ ذَلِكَ إيجاباً مؤكَّداً، وجائز أَن يكون كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وإنما خوطب الخلقُ بما يعقلون، فهم يعقلون أَنّ توكيد الشيء المؤخّر إنما يحفظ بالكِتَابِ، ونحن نشرح ذلك في موضعه شرحاً أَوكد من هذا إنْ شَاءَ اللَّهُ.

ومعنى ﴿يعملون السوءَ بجهاله﴾، أي ليس بأَنهم يجهلون أَنَّه سُوء. لو أَتى المسلم ما يجهل أَنه سوءٌ لكان كمن لم يتعمد سوءَاً، ولَم يُوقع سوءاً.

وقولك عمل فلان كذا وكذا بجهالة يحتمل أَمرين، فأَحَدُهما أَنه عمله وهو جاهل بالمكروه فيه، أَي لم يعرف أَن فيه مكروهاً، والآخر أَقدم عليه على بصيرة، وَعَلِمَ أَن عاقبته مكروهة، فآثر العَاجِلَ فجعل جاهلاً، فإنه آثر القليل على الراحة الكثيرة والعافية الدائمة.

فهذا معنى: ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُم سُوءًا بِجَهَالَةٍ﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سبِيل المُجرمِين﴾.

يقرأ بالتاءِ والياءِ، فمن قرأ بالتاءِ فلأَن السبيل الطريق، وَهُو يُذكَّر ويؤَنْثُ، ويجوز وجه ثالث: ولتَستَبينَ سبيلَ المُجرِمِينَ ـ بنصب السبيل ـ، لأَن المعنى ولتستبين أَنت يا محمد سبيلَ المجرمين، فإن قال قائل أَفلم يكن النبي ﷺ مُستبيناً سبِيلَ المجرمين، فالجواب في هذا أَن جميع ما يخاطب به

المؤْمنون يخاطب به النبي ﷺ. فكأنه قال ولتستبينوا المجرمين ، أي لتَـزْدَادُوا استِبَـانَةً لهـا، ولم يحتج أن يَقُـولَ ولتَستبين سبيل المؤْمنين[١] مـع ذكـر سبيـل المجرمين، لأن سبيل المجرمين إذا استبانت فقـد بانت معهـا سبيل المؤْمنين، وجـائـز أن يكـون المعنى: ولتستبين سبيــلُ المجــرمين ولتستبيـن سبيــلُ المؤْمنين[٢] . إلا أن الذكر[٣] والخطاب ههنا في ذكر المجرمين فَذُكِرُوا وتُرِكَ ذِكر سبيل المؤْمنين، لأن في الكلام دَليلاً عليها كما قال عزّ وجـلّ: ﴿سَرَابِيــلَ تَقِيكُمُ الحَـرَّ﴾[٤] ولـم يقُلْ تقيكم البـردَ، لأن الساتـرَ يَستُـر منَ الحَـرِ والبَـردِ، ولكن جرى ذكر الحر لأنهم كانوا في مكانهم أكثرَ مُعَانَاةً له مِن البرد.

وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُون مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

كانوا يعبدون الأصنام، وقالوا ﴿ما نعبدهم إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلى اللَّهِ زُلْفَى﴾[٥]، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنه لا يُعبَدُ غيرُه.

وقوله: ﴿قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُم﴾.

أَي إنما عَبَدْتُموهَا على طَرِيقِ الهَوَى لا على طريق البيّنَةِ والبُرهان.

وقوله: ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذَنْ﴾.

معنى إِذَن معنى الشرط، المعنى قَدْ ضَلَلْتُ إِنْ عَبَدْتُها.

وقوله: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ المُهْتَدِينَ﴾.

أي وما أنا من النبيين الذين سلكوا طريق الهدى[٦]

وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾.

---

(١) ط المجرمين وهو خطأ.

(٢) أي معنى الآية ـ نفصل الآيات لتستبين كل من السبيلين.

(٣) سياق الحديث.

(٤) سورة النحل ـ ٨١.

(٥) سورة الزمر آية ٣.

(٦) أي إن اتبعت أهواءكم أكون ضالاً ولا أكون من المهتدين.

أي على أمرٍ بيّن، لا مُتبعٌ هَوًى.

﴿وَكَذَّبتُمْ بِهِ﴾ هـذه الهاءُ كنـاية عن البيـان[1]، أي وكذبتم بـالبيان، لأن البينة والبيان في معنى وَاحدٍ، ويكون ﴿وكذّبتم به﴾ أي بمـا أتَيْتُكُمْ به، لأنـه هو البيان.

وقوله .﴿مَاعِنْدِي ما تَسْتَعْجِلون به﴾.

والذي استعجلوا به الآيات التي اقْتَرَحُوهَا عَلَيه. فأعلم ﷺ أن ذلك عند اللَّه، فقال:

﴿إنِ الحكْمُ إلا للَّهِ يَقُص الحَق وَهوَ خَيْر الفَاصِلِينَ﴾ .

هذه كتبت ههنا بغير ياءٍ على اللفظ، لأن الياءَ أُسقطت لالتقـاءِ الساكنين كما كَتَبُوا. .﴿سَنَـدْعُ الزبَـانِيَةِ﴾[2] بغير واو. وقرئت:﴿يَقُصُّ الحقَّ﴾[3]، وقرأ ابن عبـاس «يقضي بـالحق»، إلا أنَ القُـرَّاءَ لا يقـرأون «يقضي بـالحق» لمخـالفـة المصحف.

و «يقضي الحق» فيه وجهان: جائز أن يكون الحق صفة للمصـدر، المعنى يَقْضِي القَضَاءَ الحق، ويجوز أن يكـون يقضي الحق يَصنَع الحق، أي كـل ما صنَعَه عزّ وجلّ فهو حق وحِكمةٌ، إلا أنّ ﴿وَهُوَخَير الفَاصِلين﴾ يـدل على معنى القضاءِ الذي هو الحكم، فأما قضى في معنى صنع فمثله قول الهُذَلِيِّ.

وعليْهمـا مَسـرُورتـانِ قضـاهمـا   داود، أو صَنَـع السَّـوابـغ تُبَّـعُ[4]

---

(١) الها في به.

(٢) سورة العلق آية ١٨.

(٣) وهي قراءة عاصم.

(٤) من عينية أبي ذؤيب الهذلي في رثاء بنيه الخمسـة. انظر المفضليـة ٧٨، وديوان الهذليين ١٩، واللسان (صنع)، والقرطبي ٢ ـ ٨٧ ـ ومواضع أخرى منه.

أي صنعهما داود، ومن قرأ ﴿يَقُصُّ الحقَّ﴾ فمعناه أن جميع ما أنبأ بـه وأمر به فهو من أقاصيص الحق.

وقوله: ﴿وَعِنْدَه مَفَاتِيح الغَيبِ لَا يَعْلَمُها إلَّا هُوَ﴾ .

معنى مفاتح الغيب، أي عنده الوصلةُ إلى علمِ الغَيْبِ، وكل مَا لَا يُعْلَمَ إذا اسْتُعلِمَ يقال فيه افتَحْ عَليَّ[1].

قوله: ﴿ويَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾.

المعنى: أنَّه يَعْلَمُها سَاقِطَة وثَابتَةً، وأنْتَ تَقُول: مَا يجيئـك أحدٌ إلا وأنَـا أعْرِفه، فليس معناه إلا وأنا أعرفه في حال مَجيئه فقط.

ويجـوز ﴿ولا حبَّةٍ﴾ ويجـوز ولا حبَّةٌ. فمن رفـع فعلى ضربين، جـائـز أنْ يكـونَ على معنى ما تسقط ورقـةٌ وَلَا حبـةٌ في ظلمـاتِ الأَرضِ ولا رَطبٌ وَلَا يَابسٌ ﴿إلا في كتَابٍ مبين﴾.

و﴿في كِتَابِ مُبِينٍ﴾ ههنا على معنيين يَتَصرَّف[2]، ويجوز أن يكون معنى ﴿فِي كِتَـابِ مُبِينٍ﴾ أن يكون اللّه أثبت ذلـك في كتـاب من قبـل أن يُخْلَقَ كمـا قال: ﴿مَا أَصَـابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأرضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَـابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾[3]، فأعلم أنه قد أثبت ما خلق من قبل خلقه.

وقوله عز وجل: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ ﴾ .

أي يُنِيمُكَمْ فيتوَفى نفوسَكم التي بها تميزون كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿اللَّه يَتوفى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِها والتي لم تمت في منامها﴾[4].

ومعنى: ﴿يَبْعَثكُمْ فِيه﴾.

---

(١) أي عرفني.

(٢) أي يجري الكلام فيه على وجهين.

(٣) سورة الحديد ـ ٢٢.

(٤) سورة الزمر آية ٤٢.

أي ينبهكم من نومكم فيه في النهار.

﴿لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى﴾.

أي يَبْعَثُكُمْ من نومكم إلى أَنْ تَبلُغُوا أَجالكُمْ.

وقوله :﴿وَهوَ القَاهِرُ فَوقَ عِبَادِه وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾.

الحفظة الملائكة، واحِدُهم حَـافِظٌ والجمع حَفَـظَةٌ. مثل كـاتِبٍ وَكَتَبَة، وفَاعِل وفَعَلَة.

وقوله: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ تَوفَّتْهُ رُسُلنَا ﴾.

أي هؤلاءِ الحَفَظَةُ لِأَنه قَال: ﴿ويُرْسِل عليكم حَفَظَةً﴾.

﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُون﴾.

أي لا يَغْفُلون ولا يَتَـوانَوْنَ، ومعنى التَفْـرِيطِ في اللغَةِ، تقـدمة العجـز، فالمعنى أنهم لا يعجزون.

وقوله :﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِن ظُلُمَاتِ البَرِّ والبَحْرِ﴾.

يجوز في القراءَة يُنْجِيكم بالتخفيف. لقوله: ﴿لَئِنْ أَنْجيتنَا﴾[1]. و ﴿لئن أَنْجَانا﴾[2] والأَجود يُنَجيكُمْ بالتَشْدِيد للكَثْرةِ.

ومعنى﴿ظُلُماتِ البَرِّ والبَحَرِ﴾ شَدَائِـد البَرِّ والبَحْـرِ، والعَرَبُ تَقـول لِليـومِ الـذي تلقى فيه شِـدَّةً يَوْمٌ مُـظْلِم، حتى إنهم يقولـون يـوم ذُو كـواكب أي قـد اشْتَدتْ ظُلْمَتُه حتى صَارَ كالليل، قال الشاعر[3].

---

(١) سورة يونس ـ ٢٢.

(٢) سورة الأنعام ـ ٦٣.

(٣) في شواهد الكشاف الشطر الثاني هو: إذا كان يوماً ذا كواكب أشنعا ـ وقال الشيخ المرزوقي أن الاستفهام للوعيد أو للتقرير. وقدر اسم كان محذوفاً أي إذا كان اليوم يوماً، أو هـو ضمير يعـود

بني أَسَدٍ هل تعلمون بلاءَنا إذا كان يومٌ ذو كواكبَ أَشْهب

وأنشدوا:

فِدًى لبني ذُهْلِ بنِ شيبان ناقتي إذا كان يوماً ذا كواكب أشنعا[1]

ومعنى: ﴿ظلمات البر والبحر﴾ شدائدهما.

وقوله: ﴿تَدْعُونَه تَضَرُّعاً وخُفْيَةً﴾.

بالضم والكسر في «خُفْية»، والمعنى تدعونه مُظْهِرين الضَّراعةَ، وهي شدة الفَقْر إلى الشَّيءِ والحَاجة، وتدعُونَه خُفيةً أي تدعونه في أنفسكم تُضْمِرُون في فقركم وحاجاتكم إليه كما تضمرون.

وقوله: ﴿لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

أي في أيِّ شدة وقَعتَم قُلْتُم: لَئِن أنجيتنا مِنْ هَذِهِ لنكونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ.

فأَمَر اللّه عزّ وجلّ ـ أَنْ يسأَلهم على جهة التوبيخ لهم والتقرير بأنه ينجيهم ثُمَّ هُمْ يُشركُون مَعه الأَصنَامَ التي عَلِمُوا أَنَّهَا مِن صَنْعَتِهِمْ، أنها لا تنفع ولا تضر، وأنه قادر على تعذيبهم فقال: ﴿قلْ هوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمَ عَذَاباً مِنْ فَوقِكُمْ﴾.

نحو الحجارة التي أَمْطَرَهَا على قوم لُوط، ونحو الطوفان الَّذي غرَّقَ به قَومَ فِرعَوْن.

﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُم﴾.

= على البلاء ـ وكنى بالكواكب عن ظلمة اليوم أو عن السيوف ـ والظلمة تنشأ من الغبار. والبيت من شواهد سيبويه. والمراد أظلم حتى ظهرت الكواكب.

(۱) لم أقف على قائله.

نحو الخسف الذي نال قارُون ومَن خسِف بِهِ.

﴿أو يَلبِسَكُم شِيعَاً﴾.

معنى ﴿يَلبِسَكُم﴾ يخلط أمركم خَلْطَ اضطراب، لا خلط اتفاق يقال لَبَسْتُ الأمر أَلْبِسُه لم أبيّنه، وخلطت بعضه بِبَعض ويقال: لِبستُ الثوبَ أَلْبَسُه.

ومعنى شِيعاً: أي يجْعَلكم فِرَقاً، لا تكونون شيعة وَاحدةً فإذا كنتم مختلفين قاتل بعضكم بعضاً، وهو معنى قوله ﴿ويذِيق بعضَكم بأْسَ بَعضٍ﴾.

ويروى أن النبي ﷺ سأل اللّه جلّ وعزّ ألَّا يَبْتَلِيَ هذه الأُمة بعذاب يَستأْصِلُها به، وَأَلَّا يُذيق بعضها بأْسَ بَعضٍ، فأَجابَه في صرف العذاب، ولم يُجِبْهُ في ألا يذيق بعضها بأْسَ بعض وأن لا تختلف.

﴿وكذَّبَ بِه قوْمُك وَهُوَ الْحَقُّ قل لستُ عَلَيْكم بِوَكيلٍ﴾.

أي إنما أدعوكم إلى اللّه وإلى شريعته، ولم أومَر بحربكم ولا أخذكم بالإيمان كما يؤخذ الموكل بالشّيءِ يُلزمُ بُلُوغ آخره.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿لِكُلِّ نبأ مسْتَقَرٌّ﴾.

أي لأخذكم بالايمان على جهةِ الحَرْب، واضْطِرَارِكم إليهِ ومُقَاتلتكم عَليه، مُسْتقرٌّ، أي وَقْتٌ.

﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُون﴾.

جائز أن يكون وعدهم بعذاب الآخرة، وجائز أن يكون وعدهم بالحربِ، وأخذهم بالإيمان شاءُوا أو أَبَوْا، إلَّا أنْ يُعْطِيَ أَهْلُ الكِتاب الجزية[1].

---

(١) أي يأخذهم بالحرب حتى يعطوا الجزية أو يسلموا.

وقوله: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِين يَتَّقُون مِنَ حِسَابِهِم مِن شيءٍ ولكِن ذِكْرَى﴾.

أي وما عليك أيُّها النبي وعلى المؤْمنين من حسابهم أي من كفرهم، ومُخالفتِهم أمرَ اللَّهِ.

﴿وَلَكِنْ ذِكْرَى﴾.

أي ولكن عليكم أن تُذكِّرُوهُم.

وذكرى يجوز أن يكون في موضع رفع ونصب، فمن نصب فالمعنى ولكن ذكرُوهم ذِكْرَى، ومن رفع فعلى وجهين، أحدُهما ولكن عليكم أن تُذَكِّرُوهم[1]، كما قال: ﴿إنْ عَلَيْكَ إلاَّ البلاغ﴾[2]. وجائز أن يكون: ولكن الذين تأمرون به ذكرى[3].

﴿لعَلَّهُمْ يَتَّقُون﴾.

أيْ لِتُرجَى مِنْهم التَّقْوى.

وقوله: ﴿وَذَكِّر به أن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَت﴾.

معنى تُبْسل ـ بِعَمَلِهَا [تكون] غير قادرة على التخلُّص، والمسْتَبْسِلُ المُسْتَسْلِمُ الذي يعلم أنه لاَ يقدرُ عَلى التخلُّص، قال الشاعر:[4]

وَإبْسَالي بَنِيّ بغير جُرْمٍ بَعَوْنَاهُ وَلا بِدَمٍ مُرَاقِ

أي إسلامي إيَّاهُم، وقيل «أنْ تُبْسَل» تَرْهَنَ، والمعنى واحدٌ ويقال أسدٌ

(١) أي في عنقكم تذكيرهم ـ فهي مفعول مطلق.

(٢) الشورى ٤٨.

(٣) أي هي خبر لمبتدأ محذوف.

(٤) لعوف بن الأحوص الباهلي ـ كان أسلم أبناءه لرجل من بني قشير رهينة في دم رجل منهم ثم ندم على ذلك ـ وبعوناه ـ بالعين المهملة أي جنيناه ـ أي انه أسلمهم من غير أن يكون هو أو أحد منهم ارتكب جريمة ـ انظر شواهد الكشاف ٨٣.

بَاسِل، وشُجَاعٌ بَاسِـلٌ، وتأْويلُه أن معـه من الإقْدام ِ مـا يستبسل[1] لـه قِرنُـه. ويُقَالُ هذا بَسْلٌ عَلَيْكَ أي حَرامٌ عَليك فجائز أن يكون أَسَدٌ بَاسِلٌ من هذا، أي لا يُقْدَرُ عَلَيه، ويقـال أعط الرَّاقِيَ بسلَتَـه، أي أُجرَتَـهُ، وإنما تـأْويله أنه عمـل الشيءَ الذي قد استبسل صَاحِبُه مَعه.

وقوله :﴿ونُردعَلى أعقابِنَا بَعدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾.

أي نـرجع إلى الكفـر، ويقال لكـل من أَدبَرَ قَـدْ رَجَعَ إلى خلف ورَجَـعَ القَهْقَرى.

وقوله : ﴿كَالذِي استَهْوَتْه الشيَاطِينُ فِي الأَرض ِ﴾.

أي كالذي زَينَتْ له الشّياطِين هواه[2].

وقوله : ﴿حَيرَانَ﴾.

منصوب على الحال، أي كالذي إستهوته فِي حَال ِ حَيرتِه.

وقوله :﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونه إِلَى الهُدَى﴾.

قيل في التَّفْسِيرِ يُعنى بهذا عبد الـرحمن بن أَبي بكر،﴿إِئْتِنا﴾ أي تابِعنافي إيماننا.

﴿وأَمِرنا لِنُسلِمَ لِربِّ العَالَمِين﴾.

أي يدعونه ويقولون له ﴿أَمرِنا لنُسلِمَ لرَبِّ العَالمِين﴾. العـرب تقول أَمَـرْتُك بأَنْ تفعل، وأَمَرتُك لِتفْعَل، وَأَمَرْتُك بأَنْ تَفْعَلَ، فمن قال أَمَرتُك بأن تفعَل فالباءُ لـلإلصاق، المعنى وقـع الأَمر بهـذا الفِعل ِ، ومن قـال أَمَرتُـك أَنْ تفعل فعلى حـذف الباءِ، ومن قـال أمرتـك لتفعَل فقـد أُخبر بـالعِلَّةِ التي لها وقـع الأَمـر. المعنى أُمِرْنا للإسلام.

---

(١) يستسلم.

(٢) ملكت عليه هواه.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾.

فيه وجهان أحدهما أن تكون أمرنا لأن نسلم ولأَنْ نُقيم الصلاة ويجوز أن يكون محمولاً على المعنى، لأن المعنى أُمِرنا بالإِسْلَامِ. وبإقامة الصلاة، ومَوضِع أَنْ نصبٌ، لأن الباءَ لما سقطت أفْضى الفعل فنصب. وفيه وجه آخر، يجوز أن يكون محمولاً على قوله: ﴿يَدْعُونه إلى الهُدى آئْتِنا﴾ ﴿وأن أقيموا الصلاة﴾. أي ويدعونه أن أقيموا الصلاة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فيكُون﴾.

نصب «يوم» على وَجهين، أحدهما على معنى واتَّقُوهُ ويَوْمَ [يَقُولُ] فيكون نسقاً على الهاءِ، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَاتَّقُوا يوْماً لا تجزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً﴾[1] والأجوَد أن يكون على معنى وأذكر يقول كن فيكون، لأن بعده.. ﴿وإذْ قال إبْرَاهِيمُ لِأَبيهِ آذَرَ﴾ وفيه وجه ثالث وهو العطف[2] على السموات والأرض. المعنى وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق وخلق يوم يقول كن فيكون.

فإن قال قائل: إنَّ يوْم القِيَامَةِ لم يَأْتِ بَعْدُ. فإن مَا أنبأنا[3] اللَّه بكونه فحقيقته واقع لا محالة.

وقوله: ﴿كُنْ فَيكُون﴾.

قال بعضهم: المخاطبة ههنا للصُّورِ المعنى ويوم يقول للصور كن فيكون، وما ذكر من الصور يدل عليه.

وقيل إنَّ قولُه «كن» فيه أسماءُ جميع ما يخلق في ذلك الوقت المعنى:

(١) سورة البقرة آية ٤٨، ١٢٣.

(٢) ط المعطوف.

(٣) جواب الشرط ـ أي إن قال فإجابته أن ما أنبأنا به.

«وَيَوْمَ يَقُولُ للشَّيءِ كُن فيكونُ» وهذا ذُكِرَ لِيَدل على سرعة أَمر البَعْثِ والسَّاعة، كأنه قال: ويوم يقول للخلق مُوتوا فيموتُون وانْتَشِرُوا فينْتشِرُون. كأَنَّه يَأْمُر الحيَاة فتكون فيهم، والموت فيحلْ أَوَّلاً يفنى جميع الخلْقِ.

وقيل ﴿ويوم يقول: كُنْ فَيَكُون﴾ ﴿قولُهُ﴾ أي يأْمر فيقع أَمْرُه، و ﴿الحقُّ﴾ من نعتِ ﴿قوْلُه﴾[١] كما تقول: قد قلت فكانَ[٢] قولك، فالمعنى ليس أَنك قلت فكان الكلام، إنما المعنى أَنّه كان ما دَلَّ عليه القول. وعلى القول الأول قد رُفِعَ ﴿قوله﴾ بالابتداءِ و ﴿ الحق﴾ خبر الابتداءِ.

وقوله: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾.

يجوز أَن يكون نصب «يوم» على ﴿وَلَهُ المُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّور﴾ مُبَيّناً عن قوله: ﴿يوم يقول: كن فيكون﴾، ويجوز أَن يكون منصوباً بقوله ﴿الحق﴾، المعنى و﴿قَوْله الحقُّ يَوْمَ يُنفخُ في الصُّورِ﴾، فإن قال قائل: للَّه الملك في كل وقت، فلم خُصَّ يَوْمُ القِيامة، ويَوم ينفخُ في الصُّورِ.؟ فالجواب في هذا أَنه في اليوم الذي لا يظهر فيه من أَحدٍ نفع لأحدٍ ولا ضَرٌّ. كما قال: ﴿والأمر يَوْمَئِذٍ للَّه﴾[٣] والأمر في كل وقت للَّه جلّ وعزّ.

وقالوا في الصُّورِ قَولَيْن: قيل في التفسير: إن الصُّورَ اسمٌ لقَرْنٍ يُنفخُ فِيهِ وقيل: الصور جمع صورة[٤]، وكلاهما جائز، وأَثبتُها في الحديث والرواية أَن الصور قرنٌ، والصور جمع صورة: أَهل اللغة على هذا[٥].

---

(١) أي يوم يقول كن فيحدث قوله الحق الذي لا يتخلف.

(٢) ط مكان. ويوم يأمر فيحدث أمره الحق.

(٣) سورة الانفطار ١٩.

(٤) لم يقله أحد «قبل أبي عبيدة، ولم يجر الناس على رأيه. لوجود ما يعارض مثل ﴿فإذا نقر في الناقور﴾.

(٥) إسم جنس جمعي لصورة، أي ينفخ في صور الآدميين.

وقوله :﴿وإذْقَالَ إبرَاهِيم لأَبِيهِ آذَرَ﴾.

بالنصب والضم، فمن قرأ بالضم فعلى النداءِ[١]، المعنى يا آذَر أتتَخِذ أصناماً آلهةً. وليس بين النسَّابِيَنِ خِلافٌ أن اسم أَبي إبراهيم «تارِح» والذي في القرآن يَدُل على أن: اسمه آذرُ، وقيل آذرُ عندهم ذمٌّ في لُغتِهم، كأنه: وَإذ قال إبراهيم لأَبيهِ يا مخطىء أتتَّخِذُ أَصناماً. وَإذا كان كذلك فالاختيار الرَّفعُ. وجائز أَن يكون وصفاً له، كأَنه قال: وإذ قال إبراهيمُ لأَبِيهِ المخطئ، وقيل آذرُ اسمُ صنم، فإذا كان اسم صَنمٍ فموضعُه نصبٌ على إضمار الفِعْلِ كأنه قال وإذ قال إبراهيم لأبيه أَتتخِذُ آذرَ إلهاً؟ أَتتخذ أَصناماً آلهة؟.

وقوله عزّ وجل :﴿وكذلِك نُرِي إبرَاهِيم مَلكُوت السَّموات والأَرض ﴾.

أَي وَمِثلُ مَا وصَفْنا من قِصَّةِ إبراهيم من قوله لأَبيه ما قال نُريه ملكوت السمواتِ والأَرضِ، أَي القدرة التي تقوى بها دلالته على توحيد اللَّه جلّ وعزّ. وتقول في الكلام لِمَن فعل بك خيراً أَو شراً كذلك أَجزيك.

ومعنى قوله :﴿وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ﴾.

أَي نريه ملكوت السموات والأَرض لما فعل، ولِيَثْبُت على اليقين، والملكُوت بمنزلة الملك، إلا أَن الملكوت أَبلغ في اللغة من الملك، لأَن الواو والتاءَ تزادان للمبالغة، ومثل الملكوت الرَّغبُوت، والرَّهَبُوت، وَوَزْنه من الفعل فَعَلُوت وفي المثل رَهَبُوتي خَيْرٌ مِنْ رَغبُوتي، وهذا كقولهم، أَو فرقاً خيراً من حُبٍّ، وَمن روَى رَهَبُوتِي خيرٌ من رحمُوتِي فمعنى صحيح[٢]. يحقق من اللسان أَن تكون له هيبة ترهب بها خير من أَن يُرْحَم.

---

(١) الضم في «آذر» ـ أي وإذ قال إبراهيم لأبيه: يا آذر.

(٢) رهبوتي أو رهبوت خير من رحموت، أي لأن يرهبك الناس خير من أن يرحموك ـ أو لأن يرهبوك خير من أن يرغبوا أي يطمعوا فيك. وجملة «فرق خير من حب» بهذا المعنى.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فلمّا جَنَّ عَلَيْه اللَيْلُ رَأى كَوْكَباً﴾.

يقال جَنَّ عليه الليلُ وأَجَنَّهِ الليلُ إذا أظلمَ حَتَّى يَستتِر بظلمته ويقال لكل ما سَتَر قَدْ جَنَّ، وقد أَجَنَّ، ويقال جَنَّه الليلُ، ولكن الاختيار جَنَّ عليه الليل وأَجَنَّه الليلُ.

وقيل إنَّ قومَ إبراهيم كانوا يعبدون الأصنامَ والشمسَ والقمرَ والكواكِبَ[١]، فلما بلغ إبراهيم المبلغ الذي يجب معه النظر، وتجب به على العبد الحجة، نظر في الأشياءِ التي كان[٢] يَعبُدُها قومُه فلما رأى الكوكب الذي كانوا يعبدونه، قال لهم هذا رَبِّي أي في زعمكم، كما قال اللّه جلّ وعزّ: ﴿أَيْنَ شركائي الذين كنتم تزعمون﴾[٣] فأضافهم إلى نفسه حكايةً لقولهم.

﴿فلمَّا أَفَلَ﴾.

أي فلما غاب، يقال أَفَلَ النَّجمُ يأْفِل ويَأْفُلُ أُفولاً، إذا غَابَ:

﴿قال لا أُحِبُّ الآفِلين﴾.

أي لا أُحب من كانت حالته أن يطلع ويَسِير على هيئةٍ يُتبيَّن معها أنه محدَثٌ منتقل من مكان إلى مكان، كما يَفْعَلُ سائرُ الأشياءِ التي أجمعتم معي على أنها ليست بآلهة، أي لا أتخِذُ ما هذه حالُه إلٰهاً، كما أنكم لا تتخذون كلَّ ما جرى مجرى هذا من سائر الأشياءِ آلِهة، ليس أنه جعل الحجة عليهم أنَّ ما غاب ليس بإله، لأن السماءَ والأرض ظاهرتان غيرُ غائِبَتَيْنِ وليس يُدَّعَى فيهما هذه الدعْوَى. وإنما أرادَ التَّبيين لهم القريب[٤]، لأَن غَيْبُوبَتَهُ أَقْربُ ما

---

(١) ط ـ والكوكب، أي كوكباً معيناً كانوا يعبدونه.

(٢) في الأصل كانوا.

(٣) سورة القصص آية: ٦٢.

(٤) الأولى أن يكون التعبير أراد التبين القريب لهم.

نُناظرون به فيما يظهر لهم، كما قال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشمسِ مِنَ المَشْرِق فَأْتِ بِهَا مِن المَغْرِبِ﴾(١).

وقد قيل إنه قال هذا وهو ينظر لِنفْسِه، فكأنه على هذا القول بمنزلة قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى﴾(٢). وإبراهيم قد أنبأ اللَّهُ عنه بقوله(٣)، ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّه بِقلْبٍ سَلِيم﴾(٤)، فلاشك أنه سليمٌ من أن يكون الشك دَخَلَه في أمر اللَّه. واللَّه أعلم.

وجائز أن يكون على إضمار القول، كأنه قال: ﴿فلمَّا جَنَّ عَلَيْه اللَّيلُ رَأَى كَوْكباً قالَ هَذا رَبِّى﴾، كأنَّه قال: تَقُولُون هذا ربي، أي أنتم تقولون هذا رَبِّي، كما قال جلَّ وعزّ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْراهِيمُ القَواعدَ مِنَ البَيْتِ وإِسمَاعِيلَ رَبَّنا تَقَبَّل مِنَّا﴾(٥).

المعنى يقولان تقبل منا. واللَّه أعلم بحقيقة هذا.

والذي عندي في هذا القول أنه قال لهم: تَقُولونَ هذا رَبِّي، أي هذا يُدَبِّرني، لأنه فيما يُرْوَى أنهم كانوا أصحاب نجوم، فاحتج عليهم بأن الذي تزعمون أنه مُدَبِّرٌ إنما يرى فيه أثر مُدَبِّر لا غير.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَما رَأَى الشَّمسَ بَازِغَةً﴾ و. . ﴿ فَلمَّا رأى القَمَرَ بازغاً﴾.

يقال قد بَزَغَ القمرُ إذا ابتدأ في الطلوع، وكذلك الشمس. والحجة في الشمس والقمر كالحجة في الكوكب.

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٨.

(٢) سورة الضحى: ٧ ـ أي انه كان حائراً ثم اهتدى.

(٣) هذا تفنيد للقول السابق ـ وفي ط بأنه قال.

(٤) سورة الصافات آية: ٨٤.

(٥) سورة البقرة: ١٢٧ ـ أي قائلين ذلك.

واحتج الذين قالوا انه قال ﴿هَذَا رَبِّي﴾ على وجه الظن والتفكُّر بقوله: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكونَنَّ مِنَ القَوْمِ الضَّالِينَ﴾.

وهذا لا يوجب ذلك. لأن الأنبياءَ تسأل اللَّه أن يُثَبِّتَهَا على الهدى وتعلم أنه لولا هدايَة اللَّه ما اهتَدَتْ، وإبراهيم يقول: ﴿واجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾(١).

وقوله: ﴿إنِّي وَجَّهْت وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطر السَّمَوات والأَرْضَ حَنِيفاً﴾ أي مَائِلاً إلى الإسلام ميلاً لا رجوع مَعَهُ، والحنف أن يكون في القدم ميل، وهو أن تميل إبهام القدم إلى إبهام القدم، فتقبل هذه القدمُ على هذِه القَدم، ويكون ذلك خِلْقَةً. والحنيف الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت فيه.

ومعنى ﴿وَجَّهْتَ[وَجْهِيَ]﴾ أي جعلت قصدي بعبادتي توحيدي اللَّه عزّ وجلّ.

وقوله جلّ وعلا: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾.

المعنى حَاجُّوه في اللَّه، فقال: ﴿أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ﴾.

ومحاجّتهم إياه كانت - واللَّه أعلم - فيما عبَدُوا مع اللَّه عزّ وجلّ من الكواكب والشمس والقمر والأصنام، فقال: ﴿أَتُحاجُّونِّي في اللَّهِ﴾.

أي في توحيد اللَّه.

﴿وَقَدْ هَدَانِي﴾.

وقد بيّن لي ما به اهتديت.

﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾.

أي هذه الأشياء التي تعبدُونها لا تَضُرُّ ولا تنفع، ولا أخافها.

﴿إلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شيئاً﴾.

(١) سورة إبراهيم اية: ٣٥.

إلا أن يشاءَ أن يعذِّبني بذَنْبٍ إن كان مني. وموضعُ «أن» نَصْبٌ، أي لا أخاف إلا مشيئة اللَّه.

﴿وكيْفَ أخَافُ ما أشْرَكْتُمْ وَلَا تَخافُونَ أنكُمْ أشْرَكْتم باللَّهِ مَا لَم يُنَزِّلْ بِهِ عليكم سُلْطاناً﴾.

أي ولا تخافون أنتم شِرْكَكُمْ باللَّه ما لم[1] يُنزِّلْ بِهِ عليكم سلطاناً، أي حُجَّةً بيِّنَةً.

﴿فَأَيُّ الفَرِيقَينِ أحَقُّ بالأَمْنِ﴾.

أيْ أحَقُّ بأن يأْمَنَ من العذاب، المُوحِّد أمِ المُشْرك وقوله: ﴿الذِينَ آمَنُوا وَلَم يَلْبِسُوا إيمَانهمْ بِظُلْم، أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ﴾.

قالوا جائز أن يكون هذا قول اللَّه ﴿أُولئِكَ لَهم الأَمْنَ﴾ غير حكاية عن إبراهيم، وجائز أن يكون إبراهيم قال ذلك.

وقوله: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَن﴾.

داود وسليمان نسق على نوح، كأنه قال: وهدينا داود وسليمان وجائز أن يكون من ذرية نوح، وجائز أن يكون من ذرِّيَّة إبرَاهِيمَ، لأَنَّ ذِكْرَهُما جميعاً قد جرى.، وأسماء الأنبياء التي جاءَت بعد قوله: ﴿ونُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ﴾ نسق على نوح، إلا أن الْيَسَع يُقَال فيه اللَّيْسَع واليَسعَ، بتشديد اللام وتخفيفها.

وقوله: ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَإِخوَانِهِمْ﴾.

أي هدينا هؤُلاءِ، وهدينا بعض آبائهم وَإِخْوَانِهِمْ.

ومعنى قوله: ﴿وَاجْتَبَيْناهُمْ﴾.

مثل اخترناهم، وهو مأْخوذ من جبيت الماءَ في الحوْضِ إذا جمعته.

---

(١) أي إشراككم مخلوقاً لم ينزل به حجة.

وقوله: ﴿ فَإِنْ يَكفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ ﴾.

[أي] الذين قد كفَروا، ويكفرون، مِمَّن أرسلت إليه.

﴿فَقَدْ وَكَّلْنا بها قَوْماً لَيْسُوا بهَا بكافرين ﴾.

أي قد وَكَّلْنا بالإِيمان بها، وَقِيلَ في هذه ثلاثة أَقْوال.

قيل يعني بذلك الأَنبياءَ الذين جرى ذكرهم آمنوا بما أَتى به النبي ﷺ في وقت مَبعثِهم، وقيل يعني به الملائكة، وقيل أَيضاً يعني به مَنْ آمَنَ مِنْ أَصحاب النبي وأَتباعه، وهو واللَّه أعلم يعني به الأَنبياءَ الذين تقدموا لقوله تبارك وتعالى:

﴿أُولئَكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّه فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهْ﴾.

أي الأنبياء الذين ذكرناهُمُ الذين هدى اللَّه فبهداهم اقتده أي إصْبِرْ كَمَا صَبَرُوا، فإن قومهم قد كذبوهم فصبروا على ما كذبوا وَأُوذُوا، فاقْتَدِ بِهِمْ.

وهذه الهاء الَّتي في «اقتَدِهْ» إنما تثبت في الوقف، تبين بها كسرة الدال، فإن وَصَلْتَ قلتَ «اقتدِ»[1] ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ﴾.

قال أبو إسحق: والذي آختارَ من أَثِقُ بعلمه أَن يُوقَف عند هذه الهاء، وكذلك في قوله﴿هَاؤُمُ اقْرأُوا كِتابِيَهْ﴾[2] و ﴿[إنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ] حسابيَهْ﴾ وكذلك ﴿لم يَتَسنَّه﴾[3] وكذلك ﴿وما أَدْراكَ ما هيهْ﴾[4] وقد بينا ما[5] في « يتسنَّه » في سورة البقرة.

وقوله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِه إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ عَلى بَشَر مِنْ شيءٍ﴾.

---

(١) هاء السكت ـ وهي جائزة هنا.

(٢) سورة الحاقة: ١٩، ٢٠.

(٣) سورة البقرة آية: ٢٥٩.

(٤) سورة القارعة آية: ١٠.

(٥) جـ ١، ص ٢٤٣ ـ الآية ﴿فانظر إلى طعامك وشرابك لم يَتَسَنَّهْ﴾.

معناه ما عظَّموا اللَّه حقَّ عَظَمَته إذ جحدوا تنزيله، وذلك أن جماعة من اليهود ـ من منافقيهم ـ جاءُوا وهم يعاندون النبي ﷺ يجادلونه ويصُدُّون عنه، وكان سِمَتُهم سِمَةَ الأَحْبَارِ، وكانوا يتنعَّمُونَ ولا يتعبدونَ، فأَعلمهم النبي ﷺ أن في التوراة أن اللَّه جلَّ وعزّ لا يحب الحَبْرَ السَّمِين، فجحدوا التوراة، وقالوا: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّه عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾، فقال اللَّه عزّ وجلّ:

﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكِتَابَ الَّذِي جَاءَ به مُوسَى نوراً وَهُدًى للنَّاسِ تَجْعَلُونَه قَرَاطِيسَ تُبْدُونها وَتُخْفونَ كثِيراً﴾.

يُظهرون ما يُحبون من ذلك ويُخفون كثيراً.

﴿وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾.

أي عُلِّمتمْ على لسان محمد ﷺ ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ ولا آباؤُكُمْ قُلْ اللَّه ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.

يقال لكل من كان في عمل لا يجدي إنما أَنت لاعب.

وقوله: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

تقرأ بالتاء والياء جميعاً في ﴿لِتُنْذِرَ﴾ المعنى أنزلناه للبركة والإنذار، ومعنى أُم القرى أي أَهل أُم القرى، و «مَنْ حَوْلَهَا» عطف عليهم[1]، وأُم القرى مكة سميت أُمَّ القُرى لأَنها كانت أَعظم القرى شأْناً.

وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن افْترى عَلى اللَّهِ كَذباً، أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْه شَيءٌ﴾.

جاءَ في التفسير أَنه يعني به مسيلمة، وَصَاحِبَ صَنْعَاءَ، لأَنهما ادعيا النبوة.

(١) أي عطف على أهل أم القرى. . وهو ناظر للمعنى.

﴿ومن قال سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ الله﴾.

موضع «من» جرٌّ. المعنى: ومن أظلم ممن افترى ومن قال سَأُنزِلُ مثل ما أنزل اللَّه، وهذا جواب لقولهم: لو نشاءُ لقلنا مِثلَ هَذَا.

وقوله: ﴿ولَوْ ترىَ إِذْ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ المَوْتِ﴾.

جواب «لو» محذوف، المعنى: ولو ترى إذ الظالمون فِي غَمَرات المَوْتِ لرأيت عذاباً عظيماً، ويقال لكل من كان في شيءٍ كثير: قد غَمرَ فُلاناً ذلك، ويقال قد غمر فُلَانَاً الدَّيْنُ، تأْويله: قد كثر فصار فيما يعلم بمنزلة ما يُبْصَرُ قَدْ غَمَرَ وَغَطَّى من كثرتِه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿والمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾.

(أي) عليهم بالعذاب.

ومعنى.... ﴿أَخرِجُوا أَنْفَسَكُمْ﴾.

فيه وجهان ـ اللَّه أعلم ـ.

يقولون ﴿أخرجوا أنفسكم﴾: فجائز أن يكون كما تقول للذي تعذِّبهُ لأُزْهقَنَّ نفسك، ولأُخرجَنَّ نَفْسك ـ فهم يقولون ـ واللَّه أعلم.

أخرجوا [أَنفسكم] على هذا المعنى[1].

وجائز أن يكون المعنى خلِّصُوا أَنفسكم. أي لستم تقدرون على الخلاص[2].

﴿اليَوْم تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ﴾.

أي العذاب الذي يقع به العذاب الشديد..

(١) أي ذوقوا العذاب ولتزهق أنفسكم أي موتوا.

(٢) هو أمر للتحدي، أي لستم قادرين على إخراج أنفسكم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

أَمَّا معنى «فرادى» فكل وَاحِدٍ مُنْفَرِدٌ مِن شريكه في الغَيِّ وشَقِيقِهِ[1].

ومعنى: ﴿ كَمَا خلقْناكُمْ أَولَ مَرَّةٍ ﴾.

جاءَ في التَّفْسِير: عُرَاةً غُرْلاً، والغُرْلُ هُمُ الغُلْف[2]. والذي تحتمله اللُّغة أَيضاً. كما بدأْناكم أَول مَرَّةٍ، أَي كان بعثكم كخلقكم.

وقوله: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾.

الرفع أَجود، ومعناه لقد تقطع وصْلُكم. والنصب جائز.

المعنى: لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم.

وقوله: ﴿ إنَّ اللَّه فَالِقُ الحَبِّ والنَّوَى﴾.

أَي يشق الحبة اليابسة الميتة والنواة اليابسة فيُخْرِجُ مِنها ورقاً أَخضَر، وهو معنى، ﴿يُخْرِجُ الحيَّ مِنَ المَيِّتِ﴾.

أَي يخرج النبات الغضَّ الطرِيَّ الخَضِرَ من الحب اليابس، ﴿ومُخْرِجُ المَيِّتَ مِن الحَيّ﴾.

ويخرج الحب اليابس من النَبات الحيّ النَّامي.

احتج اللَّه جلّ ثناؤه عليهم بما يُشَاهدُونَ من خَلْقِه لأَنَّهم أَنكرُوا البعث فأَعلمهم أَنه الذي خلق هذه الأَشياءَ وأَنه قادر على بعثهم.

وقوله: ﴿فَأَنَّى تُؤْفكونَ﴾.

أَي فمن أَين تصرفونَ عن الحقِّ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾.

---

(١) منفرد من شريكه وشقيقه.

(٢) جمع أغلف ـ الذي لم يختن.

مَعنى الإِصباح والصبح واحد، جائز أَن يكون خـالِقُ الإِصباح وجـائز أَن يكون معناه شاقُّ الصبح، وهو راجع إِلى معنى خالق الصبح .

وقوله : ﴿ وَالشَّمْس والقَمَرَ حُسْبَاناً ﴾ .

النصب في الشمس والقَمَر هي القراءَة. والجر جائزِ على معنى وجاعـل ﴿الشمس والقمرحسباناً﴾، لأَن في جاعـل معنى جَعَلَ، وبه نصبتَ ﴿سكناً﴾ ولا يجوز جَاعِلُ اللَّيلُ(١) سكناً، لأَن أَسماءَ الفاعلين إذا كان الفعـل قد رفـع أُضيفت إِلى ما بعدها لاَغَيْـر تقول هذا ضارِبَ زَيْدٍ أَمْسِ .

فـإِجمـاع النحـويين أَنـه لا يجـوز في زيـد النَّصْب، وعلى ذلـك أَكثـر الكـوفيين، وبعض الكوفيين يجيـز النَّصْبَ. فإِذا قلت هـذا مُعْطِي زَيْـدٍ درهماً فنصب الدِّرْهَمَ محمول على أَعطى .

وقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُستَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ .

الأَكثر في القراءَة «مُسْتَقَـر» بفتح القاف، وقد قرئت بكسرها و﴿مُسْتَوْدَعٌ﴾ بـالفتـح لا غيـر. وأَمـا رفـع مستقـرٌّ ومستـودعٌ فعلى معنى لكم مستقرٌّ ولكم مستـودعٌ، ومن قرأَ بـالكسر، فمستقـرٌّ ومُسْتَـوْدَع فعلى(٢) معنى فمنكم مستقرٌّ ومنكم مستـودَعٌ. وتـأْويـل مستقـر أَي مستقرّ في الرحم ومستـودَع أَي منكم مستودع في أَصلاب الرجال، وعلى هذا أَيضاً فمستَقَرٌّ بفتح القاف، ومستودَعٌ، أَي فلكم مستَقَـرٌّ ولكم في الأَصلاب مستـودَعٌ(٣) وجـائـز أَن يكـون فمستقِـرٌّ - بالكسر - ومستـودَع [أَي] فمنكم مستقر في الأَحيـاءِ ومنكم مستودَع أَي مستقـر في الـدنيا مـوجود، ومستـودَع في الأَصلاب لم يخلق بَعْـدُ. وجائـز أَن يكـون

(١) لا يجوز رفع الليل على أنه فاعل.

(٢) في الأصل على بدون فاء.

(٣) مصدر ميمي أو اسم مكان. .

فمستقِرٌّ بالكسر، ومستودَعٌ فمنكم مستقر في الأحياءِ ومنكم مستودع في الثَّرى.

وهذه الأقوال كلها قد قبلت واللَّه أعلم بحقيقة ذلك

وقوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً ﴾.

قال أهل اللغة أصل كلمة[1] ماء ماه إلَّا أن الهمزة أُبدلت من الهاءِ لِخفَاءِ الهاءِ، والدليل على ذلك قولهم أمواه في جمعه، ومياه، ويصَغَّر مُوَيْه، قال الشاعر:

سقى اللَّه أمواهاً عرفت مكانها جُرَاباً وملكوماً وبذَّرَ والغَمْرَ[2]

وقوله: ﴿فأَخْرَجْنا منه خَضِراً﴾ معنى خَضِر كمعنى أَخْضَر، يقال اخْضر فهو أَخضر وخضِر، مِثل اعورَّ فهو أَعْوَر وعَوِر.

وقوله: ﴿ وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنوانٌ دَانِيَةٌ ﴾.

[قِنْوانٌ] جمع قِنْو مثل صِنْو وصِنْوَانٌ، وإذا ثَنَّيتَ القِنْو فهما قِنْوانِ يا هذا بكسر النون، والقنْوُ العِذْق بكسر العين وهي الكباسة، والعَذْق النخلة، ودانية أي قريبة المتناوَل، ولم يقل ومنها قنوان بعيدةٌ. لأن في الكلام دليلاً أن البعيدة السحيقة من النخل قد كانت غير سحيقة، واجتُزِئ بذكر القريبة عن ذكر البعيدة، كما قال عزَّ وجلّ: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ﴾ ولم يقل وسرابيل تقيكم البرد. لأن في الكلام دليلاً على أنها تقي البرد لأن ما يستر من الحر يستر من البرد.

---

(١) في الأصل «كل ماء» وظاهر أنه تحريف.

(٢) هو كثير عزة، وجراب ـ بضم أوله ـ وملكوم وبذر كلها آبار بمكة يدعو لأهلها بالسقيا ـ وبذر ـ فعل ـ مشدد العين مفتوح الفاء وهذا الوزن قليل أو نادر في العربية للأسماء ـ ذكر صاحب اللسان ستة أسماء على هذا الوزن منها اسم عبراني وهو شلم لبيت المقدس، وبقم اسم أعجمي لشجر ـ انظر اللسان (بذر) وانظر الخزانة ٢ ـ ٣١٠، وسيبويه ٢.

وقوله: ﴿وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ﴾.

عطف على قوله خضِراً، أي فأخرجنا من الماءِ خَضراً وجَنَّاتٍ من أعناب والجنة البستان، وإنما سمي البستان جنة، وكل نبت متكاثف يستر بعضه بعضاً فهو جنَّة، وهو مشتق من جننت الشيءَ إذا سترته، ومن هذا قيل للترس مِجَنٌّ لأنه يستر.

وقوله: ﴿وَالزَّيْتُونَ والرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغير مُتَشَابِهٍ﴾.

أي في الطعم وفيه ما يشبه طعمُ بعضِه طعْمَ بَعْضٍ.

وَقرَنَ الزيتُونَ بالرمان لأنهما شجرتان تعرف العرب أنَّ ورقهما يشتمل على الغصن من أوله إلى آخره، قال الشاعر:[1]

بورك الميت الغريب كما بورك نَضْرُ الرُّمَّانِ والزيتون

ومعناه أن البركة في ورقه واشتماله على عوده كله.

وقوله: ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾.

يقال ثمرة وثَمَرٌ وثِمَارٌ، وثُمُر جمع ثِمارٍ، فمن قرأ إلى ثُمُره بالضَّم أراد جَمْعَ الجَمْعِ، وإن شئت قُلْت إلى ثمْرِه فخففت لثقل الضَّمةِ.

﴿وَيَنعِهِ﴾.

اليَنعُ النَّضْجُ، يقال يَنَعَ الشجرُ وأَينع إذا أَدرك. قال الشاعر:[2]

(١) في اللسان ـ (برك) لأبي طالب بن عبد المطلب وعبارته: «. . . كما بورك نضح الرمان والزيتون». وفي مختار الأغاني ٣٨٢/٦ «غصن الريحان» ـ وهي قصيدة ليست قصيرة، ومسافر أخو أبي معيط شقيق له، أمهما آمنة بنت أبان بن كليب بن ربيعة ـ وهما أخوان لأعمامهما آبي العاص وإخوته من بني أمية، لأن أبا عمرو ـ والد مسافر ـ تزوج آمنة هذه بعد أبيه، فأولاده منها أخوة لأعمامهم. وكنيته مسافر أبو أمية، وهو والد أم المؤمنين السيدة أم سليمة وهو أحد أزواد الراكب ـ وله شعر غير كثير، وكان يناقض عمارة بن الوليد، وكان قد خطب هند بنت عتبة، وخرج إلى النعمان ليعينه، ثم عاد فلقيه أبو سفيان فأخبره أنه تزوج هنداً ـ فحزن ومات وانظر ترجمته في الأغاني.

(٢) ينسب البيت للأحوص ـ وقال الأخفض راوية الكامل: الصحيح أنها ليزيد يصف جارية. =

فـي قبــاب حــول دَسْكَــرَةٍ   حــوْلَهـا الــزيتـون قَـدْ يَنَعَـا

قال أبو عبيدة البيت ليزيد بن معاوية أو للأحوص.

احتج اللَّه عليهم بتصريف ما خلق ونقْلِه من حال إلى حال، بما يعلمون أنه لا يقدر عليـه المخلوقونَ، وأنـه كذلـك يبعثهم لأنهم كانـوا يُنكِرُونَ البَعْثَ فقال لهم: ﴿إن في ذلكم لآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

فأعلمهمْ أن فيما قص دليلاً لمن صَدَّق.

وقوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الجِنّ﴾.

المعنى أنَّهم أطـاعـوا الجنَّ فيمـا سـولت لهم من شِــرْكِهِمْ. فَجَعَلُوهم شركاءَ للَّه عـزَّ وجلّ وكـان بعضهم ينسب إلى الجن الأفعال التي لا تكـونُ إلَّا للَّه عزّ وجلّ فقال: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾.

فالهاء والميم إن شئت كانت عائدة عليهم، أي فجعلوا للَّه الذي خلقهم شركاءَ لا يخلقون. وجائز أن تكون الهاءَ والميم تعودان[1] على الجن، فيكون المعنى: وجعلوا للَّه شركاءَ الجن واللَّه خلق الجن. وكيف يكون الشريـك للَّه المحدَثَ الذي لم يكُنْ ثُمَّ كَانَ.

فـأما نصب الجن فمن وجهين أحـدهما أن يَكـون الجن مفعـولاً فيكـون المعنى وجعلوا للَّه الجن شـركاءَ، ويكـون الشركـاء مفعـولاً ثـانيـاً كمـا قـال: ﴿وَجَعَلُوا المَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً﴾[2].

وجائز أن يكون الجن بَدَلاً من شُرَكَاءَ، ومفسراً للشركاءَ.

وقوله: ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾.

= انـظر الكامـل ١/ ٢٢٧ (تجاريـة) وهو في اللسـان ـ ينع ـ بـدون نسبة، وفيـه (دسكـر) منسـوبـاً للأخطل.

(١) في الأصل تعود، وهو كما سيأتي ـ وهو يعني الهاء والميم في خلقهم.

(٢) سورة الزخرف: ١٩.

كثيراً ـ يستعمل حروف الضمير ويعيد الضمير عليها مفرداً.

معنى خرقوا اختلقوا وَكَذَبُوا، وذلك لأنهم زعموا أن الملائكة بنات اللَّه، وزعمت النصارى أن المسيح ابنُ اللَّه، وذكرت اليهود أن عزيرَ ابنُ اللَّه، فأعلم جلّ ثناؤه أنهم اختلقوا ذلك بغير علم، أي لم يَذكُرُوه[1] عَنْ عِلْمٍ، وإنما ذكروه تكذباً.

وقوله: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ﴾.

[أي] براءته من السوءِ، ومعنى سبحانه التَّبْرِئَة عَنْ كُلِّ سُوءٍ، لا اختلاف بين أهل اللغة في معنى التسبيح أنَّ التبرئة للَّه جلّ وعزّ.

وقوله: ﴿بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.

أي هو خالق السموات والأرض.

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَه وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾.

أي من أين يكون له وَلَدٌ، والولد لا يكون إلا من صَاحِبَةٍ.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

فاحتج جلّ وعزّ في نَفْيِ الْوَلَد بأنّه خَالق كُلِّ شيءٍ، فليس كمثله شيء، وكيف يكونُ الولدُ لمن لَا مِثْلَ له، فإذا نسب إليه الولَدُ فَقَدْ جُعِلَ لَهُ مِثلٌ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وهُو يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾.

أعلم عزّ وجلّ أنه يُدْرِك الأبصارَ، وفي هذا الإعْلَام دَليلُ أن خَلْقَهُ لا يُدْرِكُونَ الأَبْصَارَ، أي لا يَعْرفونَ كيف حَقيقَةُ البَصَر، وما الشيء الذي صار به الإنسانِ يُبْصرُ بعَيْنَيه دُونَ أَنْ يُبْصِرَ من[2] غيرهما من سائر أعضائه، فأعلم أَنْ خَلْقاً مِنْ خَلْقِهِ لَا يُدْرِك المخلوقون كنهه، ولا يحيطون بعلمه، فكيف به عزّ وجلّ:

---

(١) لم يذكروا هذا الذي أذاعوه واختلقوه.

(٢) دون أن يكون أبصاره من خلال أعضاء أخرى.

فالأبصار لا تحيط به ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾ .

فأما ما جاءَ من الأخبار في الرؤية وصح عن رسول اللّه فغير مدفوع .

وليس في هذه الآية دَلِيلٌ عَلَى دفْعِه، لأن معنى هذه الآية معنى إدراك الشيء، والإحاطة بحقيقته . وهذا مذهب أهل السنة والعِلْمِ والحديث .

وقوله : ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ .

أي قد جاءكم القرآن الذي فيه البيانُ والبصائرُ .

﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾ .

المعنى فلنفسه نَفْعُ ذَلِكَ .

﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ .

أي فَعَلَى نَفْسه ضَرَرُ ذلك، لأن اللّه جلّ ثناؤه غَنِي عن خَلْقِه .

وقوله : ﴿وَمَا أَنَا عَليكم بِحَفِيظٍ﴾ .

أي لستُ آخذُكم بالإيمان أَخْذَ الحفيظ والوكيل، وهذا قبل الأمر بالقتال، فلما أُمر النبي ﷺ بالقتال صار حفيظاً عليهم ومسيطِراً على كل من تَوَلَّى .

وقوله :﴿ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآياتِ ﴾ .

أي وَمِثْلَ ما بيَّنَّا نُبَيِّنُ الآيَات .

وموضعُ الكاف نَصبٌ . التي في أول كذلك . المعنى ونصرف الآيات في مثل ما صرفناهما فيما تُلِيَ عَلَيكَ .

وقوله : ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾ .

فيها خمسة أوجه، فالقراءَة دَرَستَ . بفتح الدَّال وفتح التاءِ ومعناه وليقولوا قرأت كُتُبَ أهل الكتاب وتقرأ أيضاً دَارَسْتَ، أي ذاكرت أهل

الكتاب. وقالَ بعضهم: ﴿وليقولوا دَرَسَتْ﴾ أي هذه الأخبارَ التي تَتْلُوهَا عَلَينا قديمةٌ قد دَرَسَتْ، أي قد مضت وامَّحَتْ، وذكر الأَخْفَشُ دَرُستْ بضم الراءِ ومعناها «دَرَسَتْ» إلا أن درُست بضم الراءِ أشد مبالغة[١]، وحَكَى دُرِسَتْ بكسر الراءِ أي قرئت.

وقوله: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

إن قال قائل: إنما صُرِّفَت الآياتُ ليقولُوا دَرَسْتَ[٢]، فالجواب في هذا أن السبب الذي أَدَّاهُمْ إلى أَنْ يقُولُوا دَرَسَتَ هُوَ تلاوة الآيات، وهذه اللام يسميها أهل اللغة لام الصيرورة، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً﴾[٣] فهم لم يلتقطوه يطلبون بأخذه أن يعاديهم ولكن كانت عاقبة أمره أن صار لهم عدواً وحَزَناً. وكما تقول: كتب فلان هذا الكتاب لِحَتْفِهِ[٤]، فهو لم يقصد بالكتاب أن يُهْلِكَ نَفْسَه، ولكن العَاقِبَةَ كانت الهلاكَ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا﴾.

أي لو شاءَ اللّه لجعلهم مؤمنين، وقيل لو شاءَ اللّه لأنزل عليهم آية تَضْطَرهم إلى الإيمان، وقال بعضهم ﴿لَوْشَا اللهُ مَا أَشْرَكُوا﴾.

أي لو شاءَ لاستأصلهم فقطع سبب شركهم.

وقوله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

نُهُوا في ذلك الوقت قبل القِتالِ أَن يَلْعَنُوا الأَصْنَامَ التي يَعْبُدهَا المشركُونَ.

---

(١) لأن فعل يدل على أن ذلك صار سجية وفطرة في الشيء.

(٢) الجملة في معنى الاستفهام، أي هل صرفت الآيات لهذا.

(٣) سورة القصص ـ ٨.

(٤) لهلاكه.

﴿فَيَسُبُّوا اللَّهُ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾.

أي فَيَسُبُّوا اللَّه ظلماً، وقال بعضهم فيسبوا اللَّه عُدُوًّا. وعُدُوًّا ههنا في معنى جماعة، كأنه قيل: فيسبوا اللَّه أعداءً.

وعُدُوًّا منصوب في هذا القول على الحال. وعَدْواً منصوب على المصدَرِ[1] على إرادة اللام، لأن المعنى فيعتدون عَدْوَاً، أي يظلمون ظُلماً، ويكون بإرادة اللام [أي فيسبوا اللَّه للظلم] وفيها وجه آخر. فيبسوا اللَّه عُدُواً - بضم الدال - وهو في معنى عُدُوّا! ويقال في الظلم عَدَا فلان عَدْواً وعُدُوّاً، وعُدُواناً، وعَدَاءً. أي ظلماً جاوز فيه القدْرَا.

وقوله تعالى عزّ وجلّ: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾.

فيه غير قول: أنه بمنزلة ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ فذلك تزيين أعمالهم، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِم﴾[2].

وقال بعضهم: ﴿زَيَّنَّا لكل أمةٍ عَمَلَهُمْ﴾ أي زَيّنَ لِكلِّ أُمةٍ العَمل الذي هو فرض عليهم. والقول الأول أجودُ. لأنَّهُ بمنزلة ﴿طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلوبهم﴾. والدليل على ذلك، ونقض هذا[3] قوله: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرآهُ حَسَناً، فإن اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[4].

وقوله: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾.

أي اجتهدوا في المبالغة في اليمين.

﴿لَئِنْ جَاءَتْهُم آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾.

---

(١) على الأول تقديره يسبونه عادين، وعلى الثاني يسبونه لأجل العدو، فهو مفعول له، أو مصدر. أي يعدون بسببه عدواً.

(٢) النساء - ١٥٥.

(٣) الدليل على صحة القول الأول ونقض الثاني.

(٤) سورة فاطر - ٨.

وإنما حلفوا على ما اقترحُوا هُمْ[1] من الآيات، وإنما قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً﴾[2] إلى قوله: ﴿والملائكةِ قَبيلاً﴾[3]. أي تأتي بهم كفيلاً، أي يَكْفُلون.

فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنّ الآيَاتِ عِنْدَ اللَّهِ.

ويروى أن المؤمنين قالوا: لو أُنْزِلَ عليهم آيةٌ لعلهم كانوا يؤمنون، فقال اللَّه عزّ وجلّ:

﴿قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّها إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

أي وما يُدريكم، أي لَستُم تعلمون الغيبَ، فلا تدرون أنهم يؤمنون، كما تقول للرجل إذا قال لك: افْعَل بي كذا وكذا حتى أَفْعَل كذا وكذا مما لا تعلم أنه يفعله لا محالة: ما يدريك[4]. ثم استأنف فقال: ﴿أنها إذا جاءَت لا يؤمنون﴾[5]. هذه هي القراءَة، وقرئت أيضاً ﴿أَنَها إِذَا جَاءَت لَا يؤمنون﴾.

وزعم سيبويه عن الخليل أن معناها لعلها إذا جاءَت لا يؤمنون، وهي قراءَة أهل المدينة، وقال الخليل: إنها كقولهم إيت السوق أنَّك تشتري شيئاً، أي لعلك.

وقد قال بعضهم إنها «أنَّ» الَّتِي على أصل الباب، وجعل «لا» لَغْواً، قال: والمعنى وما يُشْعِرُكم أنها إذا جاءَت يُؤْمِنُونَ كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَحَرامٌ عَلى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[6].

---

(١) أي على آيات خاصة اقترحوها على النبي ﷺ مثل التي ذكرها المؤلف.

(٢) سورة الإسراء الآيات ٩٠ وما بعدها.

(٣) أول الآية: ﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كِسَفاً أو تأتي باللَّه والملائكة قبيلاً﴾ وبعدها: ﴿أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه﴾.

(٤) أي تجيبه بقولك ما يدريك.

(٥) تابع في هذا أبا عبيدة والمبرد وانظر انباه الرواة ٣ ـ ٢٤٣.

(٦) سورة الأنبياء ـ ٩٥. والمعنى أنهم يرجعون.

والقول الأوَّلُ أقوى وأجودُ في العربية والكسرُ أَحَسَنُها وأجودها. والذي ذكر أَنّ «لا» لَغْوٌ غَالِطٌ، لأَن ما كان لغواً لا يكون غير لغو(١).

من قرأ: إنها إذا جاءَت ـ بكسر إنَّ ـ فالإجماع أن «لا» غير لغو، فليس يجوز أَن يكون معنى لفظةٍ مرَّةً النفي ومرة الإيجاب. وقد أجمعوا أن معنى أن ههنا إذا فتحت معنى لعل، والإجماع أولى بالإتباع.

وقد بينْتُ الحجَّة في دفع. ما قاله من زعم أن لا لغو.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْأَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ المَلاَئِكَةَ وَكلَّمَهُمْ المَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيءٍ قُبُلاً مَا كَانوا لِيُؤْمِنُوا إلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

هذا جواب قول المؤمنين:(٢) لعلهم يؤمنون.

فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنهم لا يؤمنون، وهذا كإعْلام نوح: ﴿أَنَّـهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾(٣).

ومعنى ﴿قُبُلاً﴾ جمع قبيل، ومعناه الكفيل. ويكون المعنى: وحَشَرْنا عَلَيْهِم كلَّ شيء قبيلاً قبيلاً. ويجوز أن يكون قُبُلٌ جمعَ قبيل، ومعناه الكفيل، ويكون المعنى: لو حشرنا عليهم كل شيءٍ ونجعل لهم بصحة ما نقول ما كانوا ليؤمنوا، ويجوز أن يكون «قُبُلًا» في معنى ما يقابِلهم، أي لَوْ حَشَرْنَا عليهم كل شيء فقابَلهمْ.

ويجوز وحشرنا عليهم كل شيء قِبَلاً أيْ عِيَاناً، ويجوز قُبْلاً على تخفيف قُبُل وكل ما كان على هذا المثال فتخفيفه جائز، نحو الصُّحف والصحْفُ والكُتب والكتْبُ، والرسُل والرسْل.

---

(١) لا تكون لغواً في مكان وأصيلة في مكان آخر.

(٢) في الأصل أنهم لعلهم.

(٣) انظر الآية ـ ٣٦ من سورة هود.

ومعنى إلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ أي إلا أَنْ يَهْدِيَهُمْ اللّه، وجائز أن يكون نُنَزِّلُ عليهم آية تضطرهم إلى الإيمَانِ.

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكلِّ نَبيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإنْسِ والجِنِّ﴾.

أي وكما جعلنا لك ولأُمَّتِك شياطين الجن والإنس أعداءً كذلك جَعَلْنَا لِمَنْ تَقَدَّمَكَ من الأنبياءِ وأُمَمِهم. و «عَدُوًّا» في معنى أعداءِ، و «شياطين الإنْسِ وَالجِنِّ» منصوب على البَدلِ مِنْ عَدُو، ومُفَسِّراً له، ويجوز أن يكون «عَدُوًّا» مَنْصُوباً على أنه مفعول ثان. المعنى وكذلك شياطين الجن والإنس أعداءِ للأنبياءِ وأممهم.

﴿يُوحِي بَعْضُهم إلى بعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُروراً﴾.

الزخرف في اللغة الزينة.

والمعنى أن بعضهم يُزَيِّن لبعض الأعمالَ القبيحة، و«غروراً» مَنْصوب على المصدَر، وهذا المصدرُ محمول على المعنى، لأن مبنى إيحاءِ الزخْرف من القول معنى الغرور، وكأنه قال يَغرونَ غُروراً.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلوهُ﴾.

أيْ لَوْ شاءَ اللّه لَمَنَع الشَّيَاطِينَ من الوَسْوَسَةِ للإنْس والجِنِّ ولكن اللّه يمتحن ما يعلم أنه الأَبْلغ في الحكمة والأَجْزل في الثواب والأَصْلَحُ للعبَادِ.

وقوله: ﴿ولِتَصْغَى إليْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنونَ بالآخِرَةِ﴾.

معنى «لِتَصغى» لتمِيلَ، أي وليَصِيرَ أمرهم إلى ذلك.

ويجوز، وَلِتَصْغَى إليْهِ أفْئِدَة.

يقال صَغَوْت أَصْغَى مثل محوتُ أَمْحى، وإنما جاز أَصغَى وكان ينبغي أن يكونَ أَصْغُو لموضع الغَيْن، لأنها تفتح هي وأخواتها. وهو أن يفعُل ويفْعِلُ

يصير معها في كثير من الكلام يفعَل نحو صبَغ يصْبَغ وأصله يصبُغ، وهو يقال ومِثْلُ ذهَبَ يذهبُ، كأنه كان يَذْهُب، ويقال صَغَيْتُ أَصْغَى أيضاً، وصغيْتُ، أصغَى شاذ[1]، وأصْغَيْتُ أُصْغِي جَيِّدٌ بَالغٌ كثيرٌ وأفْئِدَة: جمع فؤاد، مثل غراب وأغربة.

ومعنى: ﴿ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴾.

جائز أن يكون وليعملوا ما هم عاملون من الذنوب، يقال قد اقترف فلان ذنباً، أي قد عمل ذنباً.

ويجوز «ولْيقْتَرفُوا» أي ليختَلِقُوا ولْيَكْذِبُوا، وهذه لَام أَنْ، المعنى ولأنْ يَرْضَوْه ولْيَقْتَرِفُوا على أن اللام لامُ أمر[2] ومعناه معنى التهدُّدِ والوعيدِ، كما تقول افْعَل ما شِئت، فلفظه لفظ الأمر ومعناه معنى التهدُّدِ.

وقوله: ﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾.

أَعْلَمَ اللَّه عزّ وجلّ - أن أكثرهم من الذين اتبعوا أكابِرَهم لَيْس عند أنفسهم أنهم على بصائر، وأنهم إنما يَظُنون، ومنهم من عانَدَ، ومن يعلم أن النبي حق.

فإن قال قائل: كيف يعذَّبون وهم ظانّون، وهل يجوز أن يعَذَّبَ من كفر وهو ظَانٌّ، ومَنْ لم يكفر وهو على يقين؟ فالجواب في هذا أن اللَّه جلّ ثناؤه قد ذكر أنه يعذِّبُ على الظَّنِ، وذلك قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوات والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً، ذَلِكَ ظَن الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ للذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾[3] والحجة

---

(١) في القاموس: صغا يصغو، ويصغي صغواً، وصغى كرضى صغياً وصغياً - والشذوذ في أصغى - وعينه حرف حلق - لأن صغا المفتوح العين واوي وليس يائياً.

(٢) في ط ليقترفوا فقط.

(٣) سورة ص - ٢٧.

في هـذا أنهم عُذِّبـوا عَلى هذا الـظن، لأنهم اتبعوا أَهْـواءَهم وتركـوا التمـاس البصيرة من حيث يجب واقتصروا على الظن والجهل.

وقوله: ﴿إنَّ رَبَّكَ هُو أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَن سَبِيلِه﴾.

موضع «مَنْ» رفع بالابتداءِ، ولفظها لفظَ الاستفهام.

المعنى: إنَّ ربك هو أعلم أي الناس يَضِل عن سبيله، وهذا مثل قوله: ﴿لِنَعْلَمَ أَي الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً﴾(١).

وقوله عز وجلّ: ﴿فَكُلُوا ممَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْه﴾.

معنـاه كلوا مما أَخْلَصْتُم ذبحـه للَّه، والمنْعُ من الميْتَـةِ دَاخِلٌ في هـذا، وليس بين النـاس اختلاف في أن المشـركين ناظـروا المسلمين، فقالـوا لهم: تتركون ما سبقكم اللَّه إلى إماتَتِه وتأْكلون ما أَمَتُّم أَنْتُمْ فأَعلم جلّ وعزّ أن الميتةَ حرام وأَن ما قصِدَ بِتَزكِيته اتِّبَاعُ أَمْرِ اللَّه عزّ وجلّ فذلك الحَلالُ، فقال: ﴿ومَا لَكُمْ أَلَّا تأْكُلُوا مما ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْه﴾.

وَمَوْضِعُ «أَنْ» نَصْبٌ لأَنَّ «في» سقـطت فـوَصَـل المَعْنَى إلى «أَنْ» فَنَصَبَها. المعنى أَي شيءٍ يقع لكم في أن لا تأْكلوا.

وسيبويه يجيز أَنْ يكُونَ موضع «أَنْ» جرًا وإن سَقَطتَ «في»، والنصْبُ عنده أَجود.

قال أَبو إسـحق: ولا اختلافَ بين الناسِ في أَن الموضع نصْبٌ.

﴿وَقَدْ فَصَّل لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾.

وحُـرِّمَ جميعـاً، أَي فصـل لكم الحـلالَ مِن الحـرامِ، وأَحَـلَّ لكمْ في الاضطرار ما حَرَّمَ عليكم.

---

(١) سورة الكهف ـ ١٢.

فموضع «ما» نصب في قوله: ﴿إلّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إلَيْه﴾.

ومعنى ما اضْطُرِرْتم دعَتْكمُ شِدَّةُ الضَّرورَةِ، أي شِدَّة المَجَاعةِ إلى أكله.

﴿وَإنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

اي إن الذين يُحِلُّون المَيْتة ويُنَاظِرونكم في إحلالها، وكذلك كل ما يضلونَ فيه، إنما يتَّبعون فيه الهوى والشهوة ولا بَصِيرةَ ولا علمَ عندهم.

وقوله: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾.

جاءَ في التفسير أن ظاهرهُ الزِّنَا، وباطنه اتخاذ الأخدان والأصدقاء على جهة الريبة. والذي يدُل عليه الكلام أن المعنى ـ والله أعلم ـ اتركوا الإثم ظَهراً، أو بَطْناً، أي لا تقربوا ما حرَّم الله عليكم جَهْراً ولا سِرًّا.

وقوله: جلّ وعزّ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرَ اسمُ اللَّهِ عَلَيْه﴾: أي مِمَّا لَمْ يُخْلَصْ ذَبْحُه لله عزّ وجلّ.

﴿وإنه لَفِسْقٌ﴾ ومعنى الفِسْق الخروجُ عن الحق والدِّين، يقال فسقت الرطبة، إذا خرجت عن قشرتها.

﴿وَإنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إلى أوْلِيائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾.

أي يُوَسوِسُ الشيطانُ لوَلِيِّه فيُلْقي في قلبه الجدال بالباطِل، وهو ما وصفنا من أنَّ المُشْركين جادلوا المسلمين في الميتة.

﴿وإنّ أطَعْتُموهُمْ إنكُمْ لمُشْرِكُونَ﴾.

هذه الآية فيها دليل أنَّ كل مَنْ أحَلَّ شيئاً مما حرَّمَ الله عليه أو حرَّم شيئاً مما أحل الله له فهو مُشرِكٌ. لو أحل مُحِل الميتةَ في غير اضطرار، أو أحل الزنا لَكان مُشركاً بإجماع الأمَّةِ، وإن أطاع الله في جميع ما أمر به، وإنما سمي مُشْرِكاً لأنه اتبع غير الله، فأشرك بالله غيره،

وقوله: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَه نوراً يَمْشِي بِه في الناسِ كَمَنْ مَثَلُه فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾.

جاءَ في التفسير أنه يعني به النبي ﷺ وأبو جهل بن هشامٍ فالنبي ﷺ هُدِيَ وأُعْطِيَ نُورَ الإسْلامِ والنُّبوَّة والحكمَـة، وأبو جهـل في ظلمات الكفـر. ويجوز أنْ تكون هذه الآية عامـةً لكل من هـداه اللَّه ولكل من أَضَلَه اللَّهُ. فـأعلم اللَّه جلّ وعزّ أن مَثَـل المُهْتدِي مَثَـلُ الميتِ الذي أُحْيَى وجُعِـلَ مستضيئاً يمشي في النـاس بنور الحكمـة والإيمان، ومثـل الكـافـر مثـل من هـو في الظلمـات لا يتخلصَ منها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾.

موضع الكـاف نصبٌ معطوفـة على ما قبلهـا، وهو قـوله: ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـافِـرِينَ مَـا كَـانُوا يَعْمَلُونَ﴾، المعنى مثـل ذلـك الـذي قصصنـا عليـك زُيِّنَ لِلْكَافِرينَ عملُهم، وكذلك جعلنـا، أي ومثلَ ذلـك جعلنا في كـل قريـة أكابِـرَ مُجْرميها ليمكروا فيها، لأن الأكـابر مـا هم فيه من الـرياسـة والسَّعةِ أدعى لهم إلى المكـر والكفر، والـدليل على ذلـك قولـه: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّه الـرِّزْقَ لعبـادِهِ لبغَوْا في الأَرْض﴾[١] وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُـونَ النَّاسُ أُمَّـةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَـا لِمَنْ يَكْفُرُ بالرَّحمن لِبُيُوتِهِم سُقُفاً مِنْ فِضَّة﴾[٢].

ومعنى: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بأَنْفُسِهِمْ﴾.

أي ذلك المكر يحيق بهِمْ، لأنهم بمكرهم يُعَذَّبُونَ.

وقوله: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾.

هـذه الهاءُ والميم تعـودان[٣] على الاكـابـر الـذين جَـرَى ذِكْـرُهُمْ لأنهم

(١) الشورى ـ ٢٧.

(٢) الزخرف ـ ٣٣.

(٣) في الأصل يعود أي كلمة هم، وتقدم مثل هذا.

قالوا: لَن نُؤمِنَ حتى نُعْطَى منَ الآيَاتِ مثل ما أُعْطِيَ الأَنْبِياءُ، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنه أعلم من يصلح، فقال جلّ وعزّ: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى العَالَمِينَ﴾[1].

وقوله: ﴿اللَّه أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَته﴾.

أي هو أعلم بمَن يخْتَصُّ للرسالة.

وقال بعضهم لا يبلغ في تصديق الرسل إلا أن يكونوا قبل مَبعثهم مُطَاعِين في قَوْمِهِمْ، لأن الطعن كان يتسع عَلَيْهِم، ويقال إنما كانوا أكابرَ ورؤساءَ فاتُّبِعُوا.

﴿سَيُصِيبُ الَّذِين أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

أي هم وإن كانوا أكابرَ في الدنيا سيصيبُهم صغارٌ عِنْد اللَّه أي مَذَلَّةٌ، و «عِند» متصلةٌ بِسيُصِيبُهم عند اللَّه صغار. وجائز أن تكون «عند» متصلة بصغار فيكون المعنى سيصيب الذين أَجْرَمُوا صَغَارٌ ثابت لهم عند اللَّه.

ولا تصلح أن تكونَ «من» محذوفة من «عِنْدَ» إنما المحذوف «في» من «عند» في المعنى إذا قلت: زيد عند عمروٍ والمعنى زيد في حضرة عمرو[2].

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ﴾.

يروى عن ابن مسعودٍ أنه سأل النبي ﷺ: وهَل ينشرح الصدر، فقال نعم، يدخل الْقَلْبَ النُّورُ، فقال ابن مسعودٍ: هل لذلك من علم قال نعم، التجافي عن دَارِ الغُرُورِ، والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل الموت.

---

(١) الدخان ـ ٣٢.

(٢) يريد أن المحذوف من هذا الظرف هو «في» وليس «من».

﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾.

يُروى عن ابن عباس أنه قال: الْحَرَجُ موضع الشجر الملتف، فكأن قلبَ الكافرَ لا تَصِلُ إليه الحكمةُ، كما لا تصل الراعيةُ إلى الموضع الذي يلتف فيه الشجر. وأهل اللغة أيضاً يقولونه: الشجر الملتف يقال له الْحَرَجُ[1]. والحرجُ في اللغة أضيق الضيق والذي قال ابن عباس صحيح حَسَنٌ. فالمعنى عند أهل اللغة أنه ضيق جدًّا.

ويجوز حَرِجاً - بكسر الراءِ - فمن قال حَرِجٌ فهو بمنزلة قولهم: رجل دَنِفٌ[2]، لأن قولك دَنَف ههنا وَحَرَجٌ ليس من أسماءِ الفاعلين. إنما هو بمنزلة قولهم: رَجُلٌ عَدْل أي ذو عَدْل.

وقوله: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ﴾.

ويَصَّاعَدُ أيضاً، وأصله يَتَصَاعَدُ ويَتَصَعَّدُ، إلَّا أَنَّ التَّاءَ تدغم في الصَّاد لقربها منها.

ومعنى ﴿كأنما يصَّعَّد في السماءِ﴾- واللَّه أعلم - كأنه قد كلف أن يَصْعَد إلى السماءِ إذَا دُعِيَ إلى الإسلام مِنْ ضِيق صَدْرِهِ عنه، ويجوز أن يكون - واللَّه أعلم - كأنَّ قلبه يصعد في السماءِ نُبُوًّا على الإسلام واستماع الحكمة.

﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

أي مثل قصصنا عليك يجعل اللَّه الرجس على الذين لا يؤْمنون.

وَالرِّجْسُ اللعنةُ في الدنيا والعذابُ في الآخرة.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

---

(١) في القاموس الحرج جمع حرجة لمجتمع الشجر.

(٢) الدنف السقم والضنى، ودنف سقم.

أي للمؤْمنين دار السلام، وقال بعضهم: السلام اسم من أسماءِ اللَّه، ودليله: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾[1]. ويجوز أن تكون سميت الجنة دار السلام لأنها دارُ السّلامة الدائمة التي لا تنقطع.

وقوله: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَر الْجِنِّ ﴾.

المعنى ـ واللَّه أعلم ـ فيقال لهم: ﴿يَا مَعْشَر الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإنْسِ ﴾.

المعنى قد استكثرتم ممن أضللتموهم من الإنس.

﴿وَقَالَ أولِيَاؤُهُمْ مِنَ الإنْسِ : رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْض ﴾.

جاءَ في التفسير أن استمتاع الإنس بالْجِن أَنَّ الرَّجُلَ كان إذا سافر سفراً فخاف أو أصابَ صيداً، قال أَعُوذُ بِربِّ هذا الوادي، وبصاحب هذا الوادي يعني به الجِنَّ، واستمتاعُ الجِنِّ بالإنس أَنَّ الإنْسِي قد اعترف له بأَنَّه يقدر أن يدفع عنه.

والذي يدل عليه اللفظ ـ واللَّه أعلم ـ هو قبول الإنس من الجن ما كانوا يُغْوُونهم به لِقَوْله: اِسْتَكْثَرْتُم مِنَ الإنْسِ. فأَما من كان يقول هذا أعني يستعيذ بالجنِّ فقليل.

﴿قال النارُ مَثْوَاكُمْ﴾.

الْمَثْوَى الْمُقَامُ.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

منصوب على الحال، المعنى: النار مُقَامُكم في حال خُلُودٍ دائم.

وقوله: ﴿إلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.

معنى الاستثناء عندي ههنا ـ واللَّه أعلم ـ إنَّما هو من يوم القيامة، لأن

---

(١) سورة الحشر ـ ٢٣ ـ ويكون المعنى لهم دار اللَّه ـ أي الجنة ـ.

قوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً﴾ هو يوم القيامة، فقال خالدين فيهـا مُذْ يُبعثـون إلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ مِن مِقْدَارِ حَشْـرِهِمْ من قبورِهم، ومقـدارِ مدَّتِهم في محـاسبتهم، وجائز أن يكون إلا ما شـاءَ اللَّه أن يعذبهم بـه من أصناف العـذاب، كما قـال جلّ وعزّ: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ. خالِدِينَ فِيها مَا دَامَتِ السَّمَوات وَالأَرْضُ إِلاَّ مَـا شَاءَ رَبُّـكَ﴾[1]، فيجوز واللَّه أعلم إلا مـا شـاءَ ربـك من مقـدار حشـرهم ومحاسبتهم ويجوز أن يكون إلا ما شاءَ ربك مما يزيدهم من العذاب.

وقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾.

أي هو حكيم فيما جعله من جزائهم، وحكيم في غيره.

وقـوله: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ والإِنْسِ أَلَمْ يَـأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّـونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾.

فقال: ﴿رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ وإنما المرسل من الإنس دون الجنِّ، فإنما جاز ذلك لأن الجمـاعة تعقـل وتخاطب، فـالرسـل هم بعض من يعقل، وهـذا كقولـه: عزّ وجلّ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَـا اللؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾[2] وَإِنَّمـا يخرجُ ذَلـك مِنَ الْمِلْح. أي البحر الذي ليس بعذب، فقال منهما لأن ذكرهما قَدْ جُمِعَ، فهذا جائز في اللغـة، في كـل مـا اتِّفَقَ في أصله كمـا اتفقت الجِن مـع الإنس في بـاب التمييز[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾: فَزَعَمَ سيبـويه أَنَّ موضِعَ ذلك رفع، المعنى: الأمر ذلك لأنه لم يكن ﴿رَبُّكَ مُهلكَ القُرى بظُلْمٍ﴾.

وقال بعضُهُم: يجوز أن يكون موضعها نصباً، المعنى: قيل ذَلك[4] لأنه

(١) سورة هود ـ ١٠٦ ـ ١٠٧.

(٢) الرحمن ٢٢.

(٣) نودي الجن والإنس معاً في الآية فجمعهما الخطاب، وكل منهما مميز.

(٤) على هذا التقدير يكون «ذلك» نائب فاعل مرفوعاً أيضاً، ولكنه يريد أنه مفعول لفعل محذوف مثل فعل ربك ذلك.

لم يكن ربُّك مُهْلِكَ القرى بظلم، والمعنى يخرج على جميع القولين لأن المعنى يدل على أَمْر الإرسال، فكأنه ـ والله أعلم ـ ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرُّسل أَمْر عَذَاب مَنْ كذَّبَ بها لأنه لم يكن مهلك القرى بظلم، أي لا يهلكهم حتى يبعث إليهم رسولاً، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾(١).

وقوله: ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾.

مَوضع الكاف نصب، المعنى ﴿ويستخلفْ من بعدكم ما يشاءُ﴾ مثل ما أنشأكم.

يقال: أنشأَ اللَّه الخلق إذا خلقه وأبدأه، وكل من ابتدأ شيئاً فقد أنشأه، ومن ذلك قولك فأنشأَ الشاعر يقول، أي ابتدأ من نفسه، والنشَأُ الصغارُ من الأولادُ، قال نُصَيبٌ:(٢)

وَلَوْلَا أَن يقال صَبَا نُصَيبٌ ... لقلت بنفسي النَّشَأُ الصِّغَار

ولهذا يقال للصغار نَشءٌ حَسَنٌ، ونُشُوءُ حَسَن، أي قد ظهر له ابتداء حَسَنٌ.

وقوله: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾.

ومكاناتكُمْ، المعنى اعملوا عَلَى تمكنكم. ويجوز أن يكون المعنى اعملوا على ما أنتم عليه، ويقال للرجل إذا أمرته أن يثبت على حال: على مكانتك يا فلان، أي أثبت على ما أنت عليه.

---

(١) سورة الإسراء آية ١٥.

(٢) البيت في اللسان «نشأ» ونصيب هو ابن رباح ـ كان أسود اللون عبدا لرجل من كنانة من الودان، وهو من فحول الشعراء الاسلاميين، ذو فصاحة ـ وتقدم في النسيب ولم يشبب بغير امرأته، وكان عفيفاً كبير النفس، مدح عبد العزيز بن مروان، فأعطاه ألف دينار فك بها نفسه واتصل بعده بسليمان بن عبد الملك ـ وله في معجم الأدباء أشعار تنسب أيضاً إلى مجنون ليلى وله=

فإن قال قـائل فكيف يجـوز أن يَأْمُـرَهُمْ النبيُّ ﷺ أَنْ يُقِيمُوا على الكفـر فيقول لهم: ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾، فإنما معنى هذا الأَمْرِ المبَالغة في الوَعِيدِ، لأنَّ قوله لهم: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالمونَ﴾.

قد أعلمهم أن من عمل بعملهم فـإلى النار مصيـرُه، فقال لهم: أقيمـوا على ما أنتم عليه إن رضيتم العذاب بالنار.

والحـامي الـذي حَمَى ظهـرَه أَنْ يُـرْكَب، ﴿وَأَنْعَامٌ لَا يَـذْكُـرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾.

فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أَنَّ ذَلِكَ افتَرَاء، أي يفعلون ذلك افتـراءً عليه، وهـو منصوب بقوله: ﴿لَا يَذْكُرُونَ اسمَ اللَّهِ﴾.

وهذا يسميه سيبـويه مَفْعُـول لَهُ. وَحَقِيقَتُـهُ أن قولـه: لَا يَذْكُـرونَ بمعنَى يَفْتَرُون، فكأنه قال يفترون افتراءً.

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُون هَذِهِ الأَنْعَام خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا ومُحَرَّم عَلى أَزْواجِنَا﴾.

وكأَنَّهُ إِذَا جَعَلُوا لأَصْنَـامِهِمْ مما في بـطون الأنعام شيئـاً جَعَلُوهُ مَا يَكُـون ذَكَراً مَوْلُوداً حيًّا يَأْكُله الذُّكْرَانُ خَاصَّةً، ولا يجيزون أن يأْكلَ النسـاءُ شيئاً، فـإن كان ذكراً ميتاً اشترك فيه الرِّجَالُ والنساءُ، وهو قوله عزّ وجلّ:

﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيه شُرَكَاءُ﴾[1].

ثم قال: ﴿خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا﴾.

فهو على ضربين: أجودهما أن يكـون أَنثَ الْخَبَرَ، وجعـل معنى «ما»[2] التأْنيث لأنها في معنى الجماعة، كأنهم قالوا جَمَاعَةً مَا فِي بُطُون هذه الأَنعـام

ترجمة في بغية الوعاة ـ انظر المعجم ١٩ /٢٢٨ وما بعدها.

(١) تكن بالتاء قراءة، وقراءة عاصم: وأن يك ميتة.

(٢) «ما» في. . ﴿وقـالوا مـا في بطون هـذه الأنعام. . .﴾.

خالصةٌ لـذكورنـا، وَيُرَدُّ ﴿وَمُحَرَّمٌ﴾ على لفظ ما[1]، وقـال بعضهم أنَّه لتـأنيث الأنعـام، والذي في بـطون الأنعـام ليس بمنـزلـة بعض الشيءِ، لأن قـولـك: سَقَطَتْ بعض أَصَابعه «بعض أصابع» إصْبَعٌ وهي واحدة منها، والذي في بطون الأنعام: مَا في بَطْنِ كل وَاحِـدَةٍ غيرُهـا، وَمَنْ قال يجـوز على أن الجملة أنعام فكأنه قال: وقالوا الأنعام التي في بطون الأنعام خَالِصَةٌ لذكورنا.

والقولُ الأَوّل الذي شرحنا أَبْيَن، لقوله ﴿ومحَرَّمٌ﴾، لأنه دليل على الحمل المعنى في «ما» عَلَى اللفظ[2].

وقرأ بعضهم ﴿خالصةٌ لِذكورنا﴾، فهو عندي ـ واللَّه أعلم ـ ما خَلصَ حَيًّا، ويجوز وإن يَكُنْ مَيْتَةً بالياءِ، والتاءَات[3]، ونَصْبَ ميتة.

المعنى وإن تكن تلك الحمول التي في البطون ميتةً، ومن قرأ وإن يكن فعلى لفظ مـا، المعنى إن يكن ما في البـطن ميتـة، ويجـوز «وإِنْ تكن مَيْتَـةٌ» بالتاءِ ورفع الميتة، ويكون «تَكُنْ» بمعنى الحدوث والوقوع كـأنَّه وإن تَقَـعْ مَيْتَةٌ وإن تَحْدُثْ مَيْتَةٌ.

وقوله: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾.

المعنى ـ واللَّه أعلم ـ سيجزيهم جزاءَ وصفهم الذي هو كذِبٌ.

وقوله عـزّ وجلّ: ﴿سَفَهاً بِغَيْرِعِلْمٍ﴾، سفهاً منصوب على معنى الـلام أَي للسفـه، مثل فعلت ذلـك حذرَ الشـر، ويجوز أن يكـون منصوبـاً على تـأويـل المصدرَ، لأن قتلهم أولادهم قد سَفِهوا فيه، فكـأنه قـال: سفِهُوا سَفْهـاً، فقال

---

(١) محرم ذكر على لفظ «ما» أي ما في بـطونها محـرم.

(٢) دليل على أن «مـا» محمـولـة على اللفظ.

(٣) ميتة. وليس ميتاً ـ الياء في يكن والتاءات في ميتة.

عزّ وجلّ: ﴿قَدْ خسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفهَاً بِغيْرِ عِلْم، وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُم اللَّهُ افْتِرَاءً [عَلَى اللَّه]﴾.

وقد فسرنا نصب افتراءً.

ومعنى الافتـراءِ ههنا الكـذب. ثم احتج اللَّه عليهم ونَبَّـه على عظم مَـا أَتَوْه فِي أَنْ أَقْدَمُوا على الْكَذِب على اللَّه وأَقْدَمُوا على أن شَـرَّعُوا من الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ فقال:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ﴾.

فكأنه قال افتروا على اللَّه وهو المحدث للأشياءِ الفاعل ما لا يقـدر أَحدٌ على الإتيـان بمثله، فقـال عـزّ وجـلّ:

﴿وهو الذي أَنشـأَ (أَي ابتدع) جنَّـاتٍ مَعْرُوشـاتٍ﴾، والْجَناتُ الْبَسَاتِينُ.

﴿وَغَيرَ مَعْرُوشَات﴾.

ومعنى المعروشات ههنا الكروم.

﴿والنَّخلَ والزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ﴾.

في حال اختلاف أُكْلِهِ. وهذه مسأَلة شديدة في النحو إلَّا على من عرف حقيقتها، لأَن للقائل أَن يقول كيف أنشـأَهُ في حَال اختـلاف أُكله وهو قـد نشأَ من قبلِ وقُوعِ أَكْلِهِ. وأُكْلُه ثمره فالجـواب في ذلك أَنـه عزّ وجـلّ قدَّرَ إنشـاءَه بقوله: ﴿وهو خالِقُ كل شيءٍ﴾.

فأَعلم عزّ وجلّ أَنه المنشــئُ له في حال اخْتلافِ أُكلِهِ، ويجوز أَنشأَه ولا أَكل فيه مختلفاً أُكُلُه، لأَن المعنى مُقَدِّراً ذلك فيه، كمـا تقول: لتـدخُلُن منزل زيـد آكلين شاربين، المعنى تـدخلون مُقَدِّرِينَ ذلـك، وسيبويـه دل على ذلـك وبيَّنه في قوله: مررت بـرجل معـه صقر صـائداً بـه غداً، فنصب صـائداً على الحال، والمعنى مُقَدّراً الصيد.

ومعنى ﴿مُتَشَابِهـاً وغَيْرَ مُتَشَـابِه﴾.

على ضربين، فأحدهما أن بعضه يشبه بعضاً، وبعضه يخالف بعضاً ويكون أن يكون مُتَشَابِهاً وغيرَ مُتشابه، أَنْ تكُونَ الثِّمَارُ يُشْبِه بعضها بعضاً في النظر وتختلف في الطعوم.

وقوله: ﴿ كُلُوا مِنْ ثَمرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾.

ثَمَرَ جمعُ ثَمَرَةٍ، ويجوز مِن ثُمُرِهِ، ويكون الثُّمُر جمعُ ثِمَار فيكون بمنزلة حُمُر جمع حمارٍ. ويجوز من ثُمْره.. بإسكان الميم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وآتوا حَقَّه يَوْمَ حَصَادِه﴾.

يجوز الْحَصَادُ والحِصَادُ، وتقرأ بهما جميعاً، ومثله الجداد والْجِدادَ لِصِرَام النَّخل[1].

اختلف الناسُ في تأْويل وآتوا حقهُ يَوْمَ حَصادِهِ، فقيل إنَّ الآية مكيَّةٌ. وروي أن ثابت بن قيس بن شماس[2] صَرَمَ خَمْسَمائَةِ نَخْلة ففرَّق ثِمَارَها كُلَّه ولم يُدْخِلْ مِنْهُ شَيْئاً إلى مَنْزِله، فأنزل اللَّه ـ عز وجل ـ: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا ﴾.

فيكون على هذا التأْويل أن الإنسان إذا أعطى كلَّ ماله ولم يوصل إلى عياله وأَهله منه شيئاً فقد أَسْرَفَ، لأنه جاءَ في الخبر: ابْدَأْ بِمَنْ تعُول.

وقال قومٌ إنها مَدَنية، ومعنى ﴿وآتوا حقَّه يوم حَصَادِهِ﴾، أَدُّوا مَا افْتُرِضَ عليكم في صَدَقَتِهِ، ولا اختلاف بين المسلمين في أمر الزكوات أن الثمار إذا

(١) الجد، والجدد. والجداد. صرام النخل، وأجدت النخلة حان أن تجد. وصرام النخل ـ جزه وحصد تمره.

(٢) أنصاري خزرجي، خطيب الأنصار ـ يكنى أبا عبد الرحمن أو أبا محمد، بشره رسول اللَّه ﷺ بالجنة، وشهد بدراً وما بعدها من الغزوات وقتل يوم اليمامة، ورآه أحد المسلمين في منامه يذكر له مكان درعه ويعرفه بدين عليه، ويطلب عتق رقيق له. ونفذت وصيته من الخليفة أبي بكر. انظر الإصابة ت ٩٠٤، والاستيعاب ص ١٩٢.

حصدت وجب إخراج ما يجب فيها من الصدقة فيما فرض فيه الصدقة، فعلى هذا التأويل يكون: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ أي لا تُنْفِقُوا أموالكم وصَدَقاتِكُمْ على غير الجهة التي افْتُرِضتْ عليكم، كما قال المشركون: «هذا ليس كائناً» وحرموا ما أحل اللَّه، فلا يكون إسرافٌ أَبْيَنَ من صرف الأموال فيما يُسْخِط اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ومِنَ الأَنْعَام حَمُولَةً وَفَرْشاً﴾.

نسق على الجنات، المعنى وهو الذي أنشأ جناتٍ، وأنشأ من الأنعامِ حَمُولةً وَفَرْشاً والحَمولة الإبل التي تُحَمَّلُ[1]. وأَجْمَعَ أهل اللغة على أن الفَرْشَ صغارها.

وقال بعض المفسرين: الفرشُ صغارُ الإبلِ وإن البقر والغَنم من الفرش الذي جاءَ في التفسير، يدل عليه قوله:

﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾: وقوله:

﴿وَمِنَ الإِبِلِ[2] اثْنَيْنِ وَمِن الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾.

فلما جاءَ هذا بدلاً من قوله ﴿حَمُولَةً وَفَرْشاً﴾ جعله للبقرِ والغنم مع الإبل.

وقوله: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكَمُ اللَّهُ﴾.

أي لا تُحَرِّمُوا ما حَرَّمْتُمْ مما جرى ذكره.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾.

في خُطُوات ثلاثة أوجه: ضمُّ الطاءِ وفتحُها وإسْكانُها. ومعنى خُطُوَاتِ الشيطانِ طُرُق الشيطان، قال بعضهم تَخَطِّي الشَّيطانِ الحلالَ إلى الحرام. والذي تدل عليه اللغة أن المعنى لا تسلكوا الطريقَ الذي يُسَوِّلُه لَكُمُ الشيطانُ.

---

(١) أي التي تحمل، فيكون فعولة بمعنى مفعول. ولذا جاز أن تلحقه التاء.

(٢) ثمانية أزواج بدل من حمولة، ومن الضأن وما عطف عليه بيان للأزواج الثمانية.

وقوله: ﴿ثَمَـانِيَـةَ أَزْوَاجٍ﴾.

بَدَلٌ من ﴿حَمولَةَ وَفرْشاً﴾ والزوج في اللغة الواحد الذي يكون معه اخر:

﴿مِن الضأْنِ اثْنَيْنْ﴾.

والضَّأْنُ جمع ضائن وضَأْن، مثل تاجر وتَجْر.

﴿وَمِن الْمَعزِ اثْنَيْنِ، قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْن أَمَّا اشْتَمَلتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْـنِ﴾.

هذا احتجاج عليهم. بَيَّن اللَّه عزّ وجلّ بِهِ فِرْيَتَهمْ وَكذِبَهمْ فيما ادَّعَوْه مِنْ أنَّ مَا فِي بُطونِ الأَنْعَامِ حلال للذكور ومحرم على الإناث وما حرَّمُوا مِنْ سائر مـا وَصَفْنَا، فقيـل لهم آلذَّكـرَيْنِ حرَّمَ فـإن كان حـرَّمَ من الغنَمَ ذُكُـورَهَـا فكـل ذُكُورِها حـرام، وإن كان حـرَّم الأُنثيين فكل الإنـاثِ حَرَامٌ، وإن كـان حرَّمَ مـا اشتملت عليه أَرحام الأنثيين فقد حرم الأَوْلاَدَ، وكلُّهَا أَوْلاَدٌ فَكُلُّها حَرَامٌ.

وكذلك الاحتجاج في قوله: ﴿وَمِنَ الإِبل اثْنَيْنْ وَمِن البَقَر اثْنَيْنْ﴾.

فقيل لهم ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾.

أي فسـروا مـا حـرمتم بعلم، أي وأَنتم لا علم لكـم لأَنكم لا تُؤْمِنُـونَ بِكِتَابٍ.

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾.

أي هل شاهـدتم اللَّه قد حـرم هذَا[1] إذ كنْتُـمْ لَا تُؤْمِنُـونَ برسـول. ثم بيَّن ظُلْمَهُم فقال:

﴿فَمَنْ أَظلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

وقد بَيَّن الاحتجاجُ أَنهم لا يؤْمنـون بِنَبِيّ ولا يَدَّعُـون أَن نبياً خبَّـرهم عن اللَّه أَنَّ هذا حرام، ولا أَنَّهم شاهدوا اللَّه قد حَرَّمَ ذلك. ثم قال:

(١) بمعنى قال لكم ذلك مشافهة. وسمعتموه منه.

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً . . .﴾.

فأعلمهم ﷺ أَنَّ التحريم والتحليل إنما يَقْبَلُه بالوَحي أَو التّنزيل فقال: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فيما أُوحِيَ إِلَيَّ مُحرَّماً على طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ: إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَو دَماً مَسْفُوحاً﴾.

والمسْفُوح المصْبُوب، فكأَنه إذا ذَبحوا أَكَلُوا الدَّمَ كما يأْكلونَ اللحمَ.

﴿أَو لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾.

والرِّجْسُ اسم لما يُسْتَقْذرُ، وللعذاب.

﴿أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾.

أي رُفِعَ الصَّوْتِ على ذَبْحِهِ باسمِ غَيْرِ اللَّهِ، وكانوا يذكرون أَسماءَ أَوْثانَهم على ذَبَائحهم. «فَفِسْق» عطف على لَحْمِ خِنْزِيرِ، المعنى إلا أَن يكون المأْكول ميتةً أَو دَماً مسْفُوحاً أَو لحمَ خِنْزِيرٍ أَو فِسْقاً. فسُمِّيَ ما ذكر عليه غير اسم اللَّه فِسْقاً، أي خُرُوجاً مِنَ الدِّينِ.

﴿فَمَنَ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ﴾.

أَيْ دَعَتْه الضَّرُورةُ إلى أَكْله فَأَكَلَه غيرَ باغٍ، أَي غير قاصد لتحليل ما حرَّم اللَّه.

﴿وَلَا عَادٍ﴾.

أَي ولا مُجَاوِزٍ للقَصْد وقَدْرَ الحاجة. و«العَادِي» الظالِمُ.

﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

أَي يغفر لمن لم يَتَعَدَّ. فأما إعراب آلذَّكَرَيْنِ: فالنَّصْبُ بحرَّمَ.

وَتَثْبُتُ(١) أَلف المعرفة مع أَلف الاستفهام لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر،

---

(١) تدغم وتندمج.

لأنه لو قيل أَلذكرين حرَّم بألف واحدة لالتبس الاستفهام بالخبر، وقد يجوز مع أم حذف الألف لأن أم تدل على الاستفهام لأنه لو قيل ألرجلَ ضربت أم الغلامَ لَدَلَّتْ «أمْ» على أنَّ الأول[١]، داخل في الاستفهام.

وقد أجاز سيبويه أن يكون البيت على ذلك وهو قوله:

لعمرك ما إدري وإن كنت داريا　　شعيث بن سهم أم شعيث بن منقر[٢]

فأجاز أن يكون على أشعيثُ بن سهم، ولكنَّ القراءة بتبيين الألف الثانية في قوله: ﴿آلذَّكَرَيْنِ﴾.

وقوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾.

يُعْنَى بِهِ الإبل والنعامُ، لأن النعام ذوات ظفر كالإبل.

﴿وَمِنَ البَقَرِ والغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾.

فقال بعض الناس: حُرِّمَتْ عليهم الثُّرُوب[٣]، وأُحل لهم ما سواها مما حملت الظهور.

﴿أو الحَوَايَا﴾.

وهي المبَاعرُ واحدها حَاوِية وحاوِيَاءُ وحَوِيَّة.

﴿أو مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾.

نحو شحمِ الأَلية. وهذا أكثرُ القولين[٤]، وقال قوم حُرِّمَتْ عَليهم الثُّروبُ، وأُحل لهم ما حملت الظهور وصارت الحوايا أو ما إختلط بعظم إلا ما حملت الظهور فإنه غير محرم، و«أوْ» دخلت على طريق الإباحة، كما قال جَلّ وعزّ:

---

(١) أي الرجل.

(٢) تقدم ٨١ ج ١.

(٣) الثرب: شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء. يجمع على ثروب وأثراب وأثارب.

(٤) أي وصار تقدير الجملة هكذا.

﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُم آثِماً أو كفوراً﴾[1]، فالمعنى كل هؤلاءِ أهْلٌ أن يُعصَى، فأعصِ هذا، وأعصِ هذا و «أو» بليغة في هذا المعنى، لأنك إذا قلت: لا تطع زيداً وعمراً فجائز أن تكون نهيتني عن طاعتهما معاً في حال إن أطعتُ زيداً على حِدَتِه لم أكُنْ عَصيتُكَ، وإذا قلتَ: لا تطعْ زيداً أو عمراً أو خالداً، فالمعنى أن هؤلاءِ كلهم أهلٌ ألَّا يُطاعَ فلا تطع واحداً منهم ولا تطع الجماعة.

ومثله جالس الحسن أو ابن سِيرين أو الشَّعبي، فليس المعنى أني آمرك بمجالسة وَاحدٍ منهم، ولكن مَعْنَى «أوْ» الإباحة. المعنى كُلُّهم أهلٌ أن يُجَالَس، فإن جالست واحداً منهم فأنت مصيب وإن جالست الجماعة فأنت مصيب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿سَيَقُولُ الَّذِين أَشْرَكُوا: لو شاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنا وَلَا آباؤُنا﴾.

زعم سيبويه أن العَطْفَ بالظاهر على المضمر المرفوع قبيح، يستقبح قمت وزيدٌ، وقام وزيدٌ، فإن جاءَت «لَا» حَسُنَ الكلامُ فقلت: [لا] قمتُ ولَا زيدٌ، كما أنَّه إذا أكد فقال قمت أنت وزيد حَسُن، وهو جائز في الشعر[2].

فأما معنى الآية فإن اللَّه جلّ ثناؤه أخبر عنهم بما سَيَقولُونَه، وقولهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أشْرَكْنَا﴾ جَعَلُوا هَذَا القَوْلَ حُجةَ فِي إقامَتهمْ عَلى شِركِهِمْ، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنْ ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِين مِنْ قَبْلِهِمْ حَتى ذاقُوا بَأْسَنا﴾.

والحُجَّةُ عَليهم في هذا أنَّهُم إذا اعْتَقَدُوا أنَّ كُلَّ مَنْ كان على شيءٍ، والأشياءُ تجري بمشيئة اللَّه تعالى ـ فهو على صَوابٍ فلا مَعنى إذن ـ على قولهم ـ للرِّسَالةِ والأنبياءِ، فيقال لهم: فالذين على دين يخالفكم، أليس هو على ما شاءَ اللَّه، فينبغي ألَّا تَقُولُوا إنهمْ ضالُّونَ، وهو عزّ وجلّ يَفْعَلُ مَا يَشاء،

(١) سورة الإنسان ـ ٢٤ ـ وهي فيهما للتنويع.

(٢) لا يجوز العطف على ضمير الرفع المتصل إلا بعد فاصل، وقد جاء في الشعر بلا فاصل وهو ضعيف.

وهو قادر على أن يَهْدِيَ الخلْق أجمَعين، وليس لِلعِباد على اللَّه أن يَفْعَل بهم كلَّ مَا يَقْدِرُ عَليهْ، فقال عزّ وجلّ:

﴿قُلْ فلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغةُ، فَلَوْ شاءَ لَهَدَاكُمْ أجْمَعِينَ﴾.

فحجته البالغة تَبْيينهُ أنَّهُ الواحدُ وإرْسَالُه الأنبياءَ بالحجج التي يعجز عنها المخلوقون:

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ﴾.

زعم سيبويه أنها «ها» ضمت إليها «لُمَّ» وجَعلتا كالكلمة الواحدة. فأكثر اللغات أن يقال هَلُمَّ للواحد والاثنين والجماعة. بذلك جاءَ القرآن نحو قولهم: ﴿هَلُمَّ إلَيْنَا﴾[1].

ومعنى ﴿هَلُم شُهَدَاءَكم﴾ أي فهاتوا شهداءَكم، وقربوا شهداءَكم، ومن العرب من يثني ويجمع ويؤنِّث، فيقول للذكر هَلُمَّ، وللاثنين هلما وللجماعة هَلُمُّوا، وللمرأَة هَلُمِّي وللاثنتين هلما، وللنسوة هَلْمُمْنَ.

وفتحت [الميم] لأنها مُدْغمة كما فتحت رُدَّ في الأمر لالتقاءِ الساكنين، ولا يجوز هَلُمُّ إلينا للواحد بالضمِّ. كما يجوز في رُد الفتح، والضم والكسر، لأنها لا تتصرف.

وقوله: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾.

فـ «مَا» في مَوْضِع نصب إنْ شِئْتَ بأتْلُ، والمعنى تعالوا أتْلُ الذي حرَّمَ ربكم عليكم، وجائز أن تكون «ما» منصوبة بحرم، لأن التلاوة بمنزلة القول، كأنه قال: أقول أي شيءٍ حرم ربكم عليكم، أهذا أم هذا، فجائزٌ أنْ يكون الذي تَلاهُ عَلَيْهم قَوْله: ﴿إلَّا أنْ يَكُونَ مَيْتَةً أوْ دَماً مَسْفُوحاً﴾، ويكون ﴿ألَّا تُشرِكُوا﴾ منصوبة بمعنى طرح اللام أي، أبين لكم الحَرامَ لئلاَّ تُشْرِكُوا بِه شَيْئاً، لأنهم

(١) سورة الأحزاب آية ١٨ ﴿والقائلين لإخوانهم هلم إلينا﴾

إِذَا حَرَّمُوا مـا أَحَـل اللَّه فقـد جَعَلُوا غيـرَ اللَّه ـ في القَبُـول منـه ـ بمنـزلـة اللَّه جلّ وعزّ فصَارُوا بِذلك مُشْرِكينَ.

ويجـوز أَنْ يَكونَ ﴿أَلاَّ تُشْركُوا﴾ مَحْمُـولاً على المعنى، فيكـون: «أَتْـلُ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشرِكُوا به شيئاً، فالمعنى أَتْلُ عَلَيْكُم تَحْرِيمَ الشِّرْكِ بِهِ.

وجـائز أَن يكـون على معنى أُوصِيكم ﴿أَلاَّ تُشْرِكوا بِهِ شيئاً﴾ لأَن قـولـه: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ محمولٌ على معنى أُوصيكم بالوالدين إحساناً.

وقوله: ﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم مِنْ إِمْلاَق ﴾.

أَي لاَ تَقْتُلُوا أولادكم من فَقْرٍ، أَي من خَوْفِ فَقْرٍ[1].

﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الفَواحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَن ﴾.

بدل من الفواحش في موضع نصب.

المعنى لا تَقْرَبُوا ما ظهر من الفواحش وما بطن، جاءَ في التفسيـر أَنَّ مَا بَطنَ منها الزِّنَا، وما ظهر اتخاذُ الأَخْدَان وَالأَصدقاءِ على جهـة الريبـة، وظاهـر الكلام أَن الذي جرى من الشرك باللَّه عزّ وجلّ وقتل الأَولاد وجميـع ما حـرموه مما أَحَلَّ اللَّهُ[2] عزّ وجلّ فَوَاحِشُ، فقال: ولا تَقْـربُوا هـذه الفَوَاحِشَ مُـظْهرين ولاَ مُبْطِنِينَ، واللَّه أَعلم.

وقوله: ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ ﴾.

يدل على أَن معنى ﴿ أَلاَّ تُشرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبَالْوَالِدَيْن إِحْسَاناً ﴾.

وقوله: ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ اليَتيم إلا بالَّتِي هِيَ أَحْسَن ﴾.

قال بعضهم: التي هي أَحسن رُكُوبُ دابَّتِه واستخدام خادِمه، وليس في

---

(١) من فقر واقع، لا مـن فقر متوقع، بخلاف ما جاء في الاية الأخرى خشيـة إملاق، فـذلك فقـر مخشي لا واقع.

(٢) ما حرمه اليهود على أنفسهم من الأطعمة.

الظاهر أَنَّ هذا هو المراد، وإنما التي هي أَحسن حفظ مـاله عليـه[١]، وتَثْمِيرُه بما وُجِدَ إليه السبيل،

وقوله: ﴿حَتَّى يَبلُغَ أَشُدَّهُ﴾.

«حتى» محمـولة على المعنى، المعنى احْفَـظُوه عليه حتى يبلغ أَشُـدَّهُ، أي فإذا بلغ أَشده فادفعوه إليه.

وبلوغ أَشُـدِّه أن يؤنَس منه الـرُّشْدُ مَـعَ أَنْ يكونَ بـالغاً، وقـال بعضهم: حتى يَبْلُغْ أَشُدَّه، حَتَّى يَبْلُغَ ثمانيَ عَشْرة سَنةً، ولسْتُ أَعْرفُ مَا وَجْهُ ذلك بـأَنْ يبلغَ قبلَ الثماني عشرة وَقد أُنِسَ منه رشدٌ! فدفْعُ مالِه إلَيه واجب.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿ وإِذَا قُلتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾.

أَي إذا شَهِدْتم أَوْ حَكَمْتُم فاعْدِلوا، ولو كان المشهودُ عليه أَوْ لَهُ ذا قربى.

وقوله: ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ تَماماً عَلى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾.

الأَكثـر في القراءَة بفتـحَ النـون[٢]، ويجـوز «أَحْسنُ» على إِضْمـارِ على الذي هو أَحسنُ. فأَما الفتـح فعلى أن «أَحسنَ» فعلٌ مـاض مبني على الفتح. وأَجاز الكوفيون أَن يكون في مـوضع جَـرٍّ، وأَن يكون صفـةً الَّذي، وهَـذَا عند البصـريين خَـطَأٌ فـاحشٌ[٣]، زعم البصـريــون أَنهم لا يعـرفــون «الَّـذِي» إلا مَوْصُولَةً، ولا تُوصَفُ إلاَّ بَعْدَ تَمَام صلتها، وقد أَجمعُ الكوفِيُّـونَ مَعَهُمْ على أَنَّ الوَجْهَ صِلتُها، فيحتاجون أَن يثبتوا أَنها رفعت موصولة ولا صلة لها، فأَما دخول «ثم» في قوله: ﴿ثمَّ آتَيْنا﴾ وقد علمنـا أَن ثم لا يكون الـذي بَعْدهَـا أَبداً مَعناه التَّقْـدِيمِ، وقد علمنـا أَن القرآن أُنـزل مِن بعْدِ مـوسى، وبعد التـوراة. فقال:

---

(١) في الأصل حفظ ما له عليه هي أحسن وتثميره، الخ.

(٢) من أحسن أي جعلها فعلاً.

(٣) لأن الموصول لم يتم بذكر الصلة.

﴿ثمَّ آتَيْنا مُوسَى الكِتَابَ﴾ فإنما دخلت ثم في العطف على التلاوة[١]،

والمعنى قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ، أَتْلُ عليْكم أَلَّا تَقْتلُوا أَوْلادَكم، ولا تقتلوا النفس التي حرم اللَّه، ثم أَتلو ما آتاه اللَّه موسى.

ومعنى ﴿على الذي أَحسن﴾ يكون على[٢] «تماماً على المحسن» المعنى تماماً من اللَّه على المحسنين، ويكون ﴿تَماماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ أي على الذي أَحْسَنَه مُوسَى مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ واتِّبَاع أَمْرِه، ويجوز تماماً على/ الذي هُوَ أَحْسنُ الأَشْياءِ.

و «تمام» منصوب مفعول له، وكذلك وتفصيلاً لكل شيء، المعنى آتيناه لهذه العلة أي للتمام والتفصيل.

وقوله: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾.

والمبارَكُ ما يأْتي من قِبَلِهِ الخيرُ الكثيرُ، وهو من نعت كتاب ومن قرأ «أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكاً» جاز ذلك في غير القراءَةِ، لأَن المصحف لا يُخَالَفُ البَتَّةَ.

وقوله: ﴿فَاتَّبِعُوهُ واتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

أَيْ لِتَكونُوا رَاجِينَ للرَّحْمَةِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾.

قال بعضهم: معناه أَنْزَلْنَاهُ لئلَّا تَقُولُوا إِنما أُنزِلَ الكتابُ أي أَنزلناه لتنْقَطِعَ حُجتُهمْ، وإِنْ كانت الحجَّةُ للَّه عزّ وجلّ، لأَن الكتُبَ التي أُنْزِلَتْ قبلَ النبي ﷺ قد كانت فيها الحجَّةُ، ولم يكن اللَّه عزّ وجلّ: لِيَتْركَ خَلقَه سُدًى بغير حجة، ولكن في تنزيل الكتاب والنبي ﷺ غاية الحجة، والزيادة في الابَانةِ.

---

(١) أي الانتقال من كلام لآخر بقطع النظر عن الزمن.

(٢) على هذا التقدير.

وقال البَصْريُّون: معناه أنـزلناه، كـراهةَ أن تقـولوا، ولا يُجيـزون إضمار «لا» لَا يقولون جئتُ أنْ أُكْرِمَك، أي لئلا أكرِمَك، ولكن يجوز فعلت ذلـك أن أكرِمَك، على إضمـار محبة أن أكـرمك، وكـراهة أن أكـرمكَ، وتكـون الحال تنبـئ عن الضمير. فالمعنى: أنـزل الكتاب كـراهة أن يقـولـوا: إنمـا أنـزلت الكتُب على أصحاب موسى وعيسى.

﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾.

المعنى: وما كنا إلَّا غافلين عن تلاوة كتبهم[١].

﴿أَوْ تَقُولُوا﴾: المعنى أو كراهة أن تقولوا.

﴿لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾.

وإنما كانوا يقولون ﴿لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ لأنهم كانوا مُدِلِّين[٢] بـالأذهان وحُسْنِ الأفْهَـام، وذلـك أنهم يحفـظونَ أشعـارهم وأخبــارهم وآثـارهم، وهم أُمِّيُّونَ لا يَكْتُبونَ.

وقوله: ﴿ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنَ رَبِّكُمْ ﴾.

أي فقد جاءكم ما فيه البيان وقطعُ الشُّبُهَاتِ عَنْكُمْ.

وقوله: ﴿ هَل يَنْظُرُونَ إلَّا أَنْ تَأْتِيَهُم المَلائِكَةُ ﴾.

أي إلا أَنْ تَأْتِيهم ملائكةُ الموْتِ.

﴿أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ﴾.

أو يأْتي إهْلاَكُ رَبِّك إيّاهم وانْتِقامُهُ مِنْهُم، إمّا بعذَاب عاجل أو بالقيامة، وهذا كقولنا: قَدْ نَزَلَ فُلانٌ ببَلَد كَذَا وكَذَا، وقد أَتَاهُمْ فُلانٌ أي قَدْ أَوْقَع بِهِمْ.

وقوله: ﴿ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾.

---

(١) ليس في الآية ما يفيد الحصر ـ ولكن «إن» المخففة واللام في خبرها تفيدان التوكيد.

(٢) متباهين متفاخرين.

نحو خروج الدابة: أو طلوع الشمس منْ مغربها.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانها لَمْ تكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾.

أي لا يَنْفَعُها الإِيمَانُ عِند الآية التي تضطَرّكم إلى الإيمان، لأن اللّه جلّ ثناؤه قال: ﴿ إِنَّما تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُم تَعْمَلُون﴾[1] وبعث الرسل بالآيات التي تُتَدَبَّر، فيكون للمؤمِنِ بها ثوابٌ ولو بعث اللّه على كل من لم يؤمن عذاباً، لاضطر الناس إلى الإيمان به: وسقط التكليف والجزاء.

وقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾.

قال بعضهم: هذه نزلت قبل الحرب، أي ليس عليك قِتَالُهم إنما أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ.

ومعنى﴿وَكَانُوا شِيَعاً﴾ أي كانوا مُتَفَرّقِينَ فِي دِينِهِمْ.

يعنى به اليهود والنصارى، لأن النصارى بَعْضُها يكفر بعضاً وكذلك اليهودُ، وهم أيضاً أَهْلُ التوراة، وبعضهم يكفر بعضاً، أعني اليهود تكفر النصارى، والنَّصارى تكفر اليهودَ.

وفي هذه الآية حَثٌّ على أن تكون كلمةُ المسلمين واحدة، وأن لا يتفرَّقُوا في الدين وأن لا يبتدعوا البدَعَ ما استطاعُوا.

فقوله: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾.

يدل على أَن مَن فَرَّقَ دِينَه مِن أَهْلِ مِلةِ الإِسْلَامِ وابْتَدَعَ البِدَعَ فقد صَارَ بِهِ مِنْهُمْ[2].

ومعنى شَيَّعْتُ في اللغة اتَّبَعْتُ. والعرب تقول: شاعكم السِّلْمُ وأشاعكم

(١) سورة التحريم آية: ٧.

(٢) صار يعمل التفريق والابتداع منهم.

السِّلْمُ، ومَعْنَاهُ: تَبِعكُمْ السِّلْمُ، قال الشاعر:[1]

أَلا يــا نَـخْـلةً مــن ذَاتِ عــرقٍ بَــرود الـظل شــايَعَـكِ الــظلام

وتقول: آتيتك غـداً أو شِيَعَهُ [أيّ] أو اليـومَ الذي يتبعـه، فمعنى الشيعة الـذين يتبع بعضهم بعضـاً، ومعنى الشِّيـعُ الفـرقُ التي كـل فـرقـة منهم يتبـع بعضهم بعضاً وليس كلهم متفقين.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿مَن جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَه عَشرُ أَمْثَالِها﴾.

القراءَة: فلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا، والمعنى فله عَشْرُ حَسَنات أمثالها وكمـا يجوز عندي خمسةُ أثواباً، ويجـوز فله عَشْرُ مِثْلِهـا في غير القـراءَة فيكون المثـل في لفظ الـواحد وفي معنى الجميـع، كما قـال: ﴿إنكم إذاً مِثْلُهمْ﴾[2]، ومن قال أمثالها فهو كقوله: ﴿ثمَّ لا يكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[3] وإنما جاءَ على المثل التوحيدُ، وَأَنْ يكـون في معنى الجميع، لأنـه على قدر مـا يشبه بـه، تقول مـررت بقوم مِثلكم، وبقوم أمثالكم.

---

(١) لم يعـرف قائله وجـاء في الخزانـة في شرح الشـاهد الثـالث والستين وقـال: أنشـده ثعلب في أماليه، وصاحب الجمل في باب النداء. وفسر شاعكم بأنه بمعنى تبعكم. أما النخلة فقد تكون كناية عن المرأة، وذات عرق موضع بالحجاز، وقد يكون أراد نخلة حقيقية ذكرها لحبه المكـان الذي هي به، وبرود الظل ترشح لهذا، أي المكان الذي تظله هـذه النخلة بارد لـطيف الهواء، ويروى البيت برواية أخرى ومعه أبيات ذكرها صـاحب الخزانـة أيضاً على أنـه نوع من الكنـاية المستحبة عن المرأة:

ألا يــا نــخــلة مــن ذات عــرق عــليــك ورحـمــة الــلّه الــســلام

ســألت النــاس عنــك فخبــروني هَنــاً مــن ذاك تـكـرهــه الـكــرام

ولــيس بــمــا أحــل الــلّه بــأس إذا هــو لــم يـخــالـطه الـحــرام

وهو يتهمها فكنى عن الرفث بكلمة «هن» أي سألت الناس فأخبروني بسوء سيرتها.

(٢) سورة النساء ١٤٠.

(٣) سورة محمد الآية ٣٨.

فأما معنى الآية فإنه من غامض المعاني التي عند أهل اللغة لأن المجازاة على الحسنة من اللّه جلّ ثناؤه بدخول الجنة شيء لا يُبْلَغُ وصفُ مِقْداره، فإذا قال: عَشْرُ أَمْثالها، أو قال: ﴿مَثَلُ الَّذين يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كلِّ سُنْبُلَةٍ مائةُ حبةٍ﴾[1].

مع[2] قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرضاً حَسَناً فيضاعِفَه له أَضْعَافاً كثيرة﴾[3]، فمعنى هذا كله أن جزاءَ اللّه جلّ ثناؤه على الحسنات على التضعيف للمثل الواحد الذي هو النهاية في التَّقدير في النفوس، ويضاعف اللّه ذلك بما بين عشرة أضعاف إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

وأجمع المفسرون على قوله: ﴿وَمَنْ جَاءَ بالسَّيِّئَةِ فلا يُجْزَى إلَّا مِثْلَهَا﴾ - لأن السيئة ههنا الشرك باللّه.

وقالوا: ﴿من جاءَ بالحسنة﴾: هي قول لا إله إلا اللّه، وأصل الحسنات التوحيد، وأسوأ السيئات الكفر باللّه جلّ وعزّ.

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدانِي رَبِّي إِلَى صِرَاط مُسْتَقِيم﴾.

والصراط الدين الذي دلني على الدِّين الذي هو دين الحق، ثم فسر ذلك فقال:

﴿دِيناً قِيَماً﴾.

والقيم هو المستقيم، وقرئت ﴿ديناً قَيِّماً﴾ وقِيَمَ مصدر كالصغر والكبر، إلا أنه لم يقل «قِوَمٌ» مثل قوله: ﴿ لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾[4] لأن قولك قام قيماً

---

(١) سورة البقرة ٢٦١.
(٢) في الأصل وقوله.
(٣) سورة البقرة ٢٤٥.
(٤) سورة الكهف الآية: ١٠٨.

كأنه على قَوْمَ أو قِوِمَ ، فلما اعتل فصار قام اعتل قِيَمٌ، فأمَّا حِوَلٌ فهو على أنه جار على غير فعل. وأما نصب ﴿ديناً قيماً مِلةَ إبراهيمَ﴾. فمحمول على المعنى، لأنه لما قال: هَدَاني إلى صراطٍ مستقيم، دل على عَرَّفَنِي ديناً قِيماً، ويجوز أن يكون على البدل من معنى هدَاني إلى صراط مستقيم، المعنى هداني صراطاً مستقيماً، دِيناً قِيماً، كما قال جلّ وعزّ: ﴿ وَيَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقِيماً﴾[1] و ﴿ملة إبراهيم﴾ بدل من ﴿دِيناً قِيَماً﴾ و ﴿حنيفاً﴾ منصوب على الحال من إبراهيم، المعنى هداني وعرفني ملة إبراهيم في حال حنيفيته، وهو ههنا لإبراهيم حسَن منه لغيره.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

وقد فسرنا معنى الحنيفية وأنها الميل إلى الإسلام ميلًا لا رجوع معه.

وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾.

قالوا: النسك الذَّبْحُ، والنُّسكُ مَا يُتقرَّبُ به إلى اللَّه جلّ وعزّ، ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾.

الياء ياء الإضافة، فتحت لأن أصلَها الفتح، ويجوز إسكانها إذا كان ما قبلها متحركاً. يجوز ﴿مَمَاتِي﴾ وإن شئتَ قرأت «مَمَاتِيَ اللَّه» بفتح الياء، وإنْ شئْتَ أسْكنْتَ فأمَّا يَاءُ محيايَ فلا بُدَّ من فتحها لأن قبلها ساكن.

ومعنى الآية أنه يخبر بأنه إنما يتقرب بالصلاة وسائر المناسك إلى اللَّه جلّ وعزّ لا إلى غيره، كما كان المشركونَ يذبحون لأصنامهم. فأعلم أنه اللَّهُ وحده بقوله: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وبذَلك أُمِرْتُ﴾.

وقوله: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّه أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كلِّ شَيْءٍ﴾.

أي هو ابتدع الأشياءَ كلها لا يقدر أُحد على ابتداع شيءٍ منها.

---

(١) سورة الفتح الآية: ٢.

وقوله: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾.

أي لا تؤخذ نفس آثمة بإثم أُخرى، لا يؤخذ أَحَدٌ بذنب غيْره.

وقوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ﴾.

قيل خلائف الأَرض أُمة محمد ﷺ لأَن النبي ﷺ خاتم النبيين فأُمَّتُه قد خلفت سائر الأُمم، وقال بعضهم: خلائف الأرض يخلف بعضكم بعضاً.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ ﴾.

فدل بهذا أَنه فضَّل بعضَ الناس ليختبرهم فيما رزقهم وهو جلّ ثناؤه عالم بما يكون منهم قبل ذلك، إلا أَنه اختبرهم ليظهر منهم ما يكون عليه الثواب والعقاب.

وقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾.

إن قال قائل: كيف قيل سريع العقاب. وعقابَه إنما يكون في القيامة، وإن كان بعضُه قد وقع في الدنيا؟ فإنما ذلك لأَن أَمرَ الساعة سريعٌ، لأَن كلَّ ما زالِ وإن تَطَاوَلَ فهو بمنزلة ما لم يُحَسَّ سُرْعَةً، وكذلك قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوهُوَ أَقْرَبُ﴾(١)، وكذلك قوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَه بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾(٢).

---

(١) سورة النحل آية: ٧٧.

(٢) المعارج الآيتان: ٦، ٧.

سورة الأعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ: ﴿المصّ﴾.

قد فسرنا هذه الحروف في أول سورة البقرة، إلَّا أنا أعدنا ههنا شيئاً من تفسيرها لشيءٍ في إعرابها، والذي اخترنا في تفسيرها. قولُ ابن عباس أنَّ ﴿المص﴾ معناه أنا الله أعلم وَأفصلُ وقال بعض النحويين موضع هذه الحروف رفع بما بعدها، قال: ﴿المص كتاب﴾، كتاب مرتفع بالمص، وكأن معناه المص حروف كِتَابٍ أُنزل إليك، وهذا لو كان كما وصف لكان بعد هذه الحروف أبداً ذكر الكتاب؛ فقوله: ﴿الـم اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾[1]؛ يدل على أن ﴿الم﴾ لا مرافع[2] لها على قوله، وكذلك: ﴿يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾[3]، وكذلك: ﴿حم عسق كَذَلِكَ يُوحَى إِلَيْكَ﴾[4]، وقوله: ﴿حم والكتاب المبين إنا أنزلناه﴾[5].

فهذه الأشياءُ تدل على أن الأمر على غير ما ذكر، ولو كان كذلك أيضاً لما كان ﴿ألم﴾ مكرراً، ولا ﴿حم﴾ مكرراً[6].

---

(١) أول سورة آل عمران.

(٢) هكذا بالأصول والظاهر أنه يريد لا مرفوع لها أي لا خبر لها أو لعلها لا موقع لها من الإعراب.

(٣) أول سورة يس.

(٤) أول سورة الشورى. وقراءة حفص: «يُوحي».

(٥) أول سورة الدخان.

(٦) كان يجب ـ لو كان المراد أن هذه حروف الكتاب ـ أن يكتفي بذكرها مرة واحدة. وهو استدلال =

وقد أجمع النحويون على أن قوله عزّ وجلّ ﴿كتاب أُنْزِلَ إليك﴾ مرفوع بغير هذه الحروف، المعنى هذا كتاب أُنزلَ إليك، وهو مُجْمِعٌ مَعَهُم على أَنَّ ما قَالُوه جائز فيجب اتباعُهم من قولِهِ وَقَوْلِهِمْ، ويجب على قائل هذا القول التثبيت على مخالفتهم، ولو كان كما يصف لكان مُضمِراً اسمين[1] فكان المعنى الم بعض حروف كتاب أُنزل إليك، فيكون قد أُضمر المضاف وما أُضيف إليه، وهذا ليس بجائز[2].

فإن قال قائل قد يقول ألف. با. تا. ثا[3]. ثمانية وعشرون حرفاً، وإنما ذكرت أربعة فمن أين جاز ذلك، قيل قد صار اسم هذه ألف. با. تا. ثا، كما أنك تقول: الْحَمْدُ سَبْعُ آياتٍ فالحمد اسم لجملة السورة، وليس اسم الكتاب آلم، ولا اسم القرآن «طسّم». وهذا فرقٌ بَيْنٌ.

وهذه الحروف كما وصفنا حروف هجاء مَبْنِيَّةٌ على الوقف، وهي في موضع جُمَلٍ، والجملة إذا كانت ابتداءً وخبَراً فقط لا موضع لها. فإذا كان معنى كهيعص، معنى الكاف كافٍ، ومعنى الهاء هادٍ، ومعنى اليَاء والْعَيْن مِنْ عَلِيم ومعنى الصاد من صَدُوقٍ، وكان معنى «آلم» أَنا أَعْلَمَ، فإنما موضعها كموضع الشيء الذي هُوَ تأْويل لَهَا[4]. ولا موضع في الإعراب لقولك: أَنا اللَّه أعلم، ولا لقولك؛ هو هاد، وهو كاف، إنما يرتفع بعض هذا ببعض، والجملة لا موضع لها.

= غير قوي، فقد كررت في القرآن أدلة كثيرة.

(١) لكان المحذوف مضافين.

(٢) انظر مدى تحامل الزجاج ـ ففيما عدا الدليل الأول أدلته خطابية، وليس المراد في قوله تعالى واسأل القرية أن يسأل كل أهل القرية ـ بل أن يسأل بعض أهل القرية، فالمراد: واسأل بعض أهل القرية ولم يعبه أحد، وهنا المراد، تلك بعض أحرف الآيات. ولا يلزم أن يطرد التقدير في جميع فواتح السور، بل يجوز هذا التقدير حيث أمكن.

(٣) أي حروف الهجاء.

(٤) موضع هذه الحروف موضع الجمل التي جاءت هي في موضعها.

وقوله: ﴿ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ﴾.

فمعنى الحرج الضيق. وفيه وجهان، أحدهما أن يكون لَا يَضِق صدْرُكَ بالإبلاغ ولا تخافن، لأنه يروى عن النبي ﷺ أنه قال: رب إني أخاف أن يثلغوا[1] رأسي فيجعلوه كالخبزةِ، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنه في أمان منهم، فقال: ﴿وَاللَّهُ يَعصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[2]، وقال: ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾.

أي فلا يَضِيقَنَّ صَدْرُكَ من تَأْدِيَةِ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ.

وقيل أيضاً: فلا تَشُكَّنَّ فيه.

وكلا التفسيرين له وجه، فَأَمَّا تأويل فلا تَشُكَّنَّ، وتأويل ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[3]، وتأويل: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[4] فإن ما خوطب به ﷺ فهو خطاب لأمتِهِ، فكأنه بمنزله «فلا تشكُّوا ولا ترتابوا».

وقوله: ﴿لِتُنْذِرَ بِهِ﴾.

معناه التقديم، والمعنى واللَّه أعلم ـ كتاب أُنزل إليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين، فلا يكن في صدرك حرج منه.

﴿وَذِكْرَى﴾ يصلح أن يكون في موضع رفع ونصب وَجَرٍّ فأما النصب فعلى قولك: أُنْزِلَ لِتُنْذِرَ به وذكرى للمؤمنين، أي ولتذكر به ذكرى، لأن في الإنذارِ مَعنى التذكير.

---

(١) ثلغ رأسه كمنع: شدحه.

(٢) سورة المائدة الآية: ٦٧.

(٣) سورة البقرة آية: ١٤٧.

(٤) سورة يونس: ٩٤.

ويجوز أن يكون وَهُوَ ذكرى للمؤمنين كقولك وهو ذكر للمؤمنين.

فأما الجر فعلى معنى لِتُنْذِرَ، لأن معنى «لِتُنْذِرَ» لأن تُنْذِرَ فهو في موضع جر. المعنى للإنذار والذِّكرَى. فأما ذِكْرَى فمصدرٌ فيه ألف التأنيث، بمنزلة دعوت دعوى، وبمنزلة رَجَعْتُهُ رُجْعَى. واتَّقَيْتُ تقوى، إلا أنه اسم في موضع المصدر.

وقوله: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

أي اتَّبِعُوا القرآن، وَمَا أُتِيَ به عن النبي ﷺ لأنه مما أُنزل عليه لقوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[1].

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾.

أي لَا تَتَوَلَّوْا مَنْ عَدَلَ عن دين الحق، ومن ارتضى مذهباً من المذاهب، فالمؤْمن وليُّ المؤْمِن،

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾.

ما زائدة مُؤَكِّدَة، المعنى قليلاً تذكرون، وفي تذكرون وجهان في القراءة: قليلاً مَا تَذَّكَّرون - بالتشديد - في الذال، والمعنى: قليلاً ما تتذكرون، إلا أن التاءَ تدغمُ في الذال لقرب مكان هذه من مكان هذه.

ومن قرأ «تَذَكَّرُونَ»[3] فالأصل - أيضاً - تتذكرون، إلَّا أنه حذف إحدى التاءَين، وهي التاءُ الثانية لأنهما زائدتان، إلا أن الأولى تدل على معنى الاستقبال فلا يجوز حذفها، والثانية إنما دَخَلَتْ على معنى فعلت الشيءَ عَلَى تمهُّل، نحو تَفَهَّمْتُ وَتَعَلَّمْتُ، أي أحدثت الشيءَ على مَهَلٍ، وتدخل على

---

(١) سورة الحشر: ٧.

(٢) سورة التوبة: ٧١.

(٣) هذا هو الوجه الثاني.

معنى إظهار الشيءِ والحقيقة غيره، كقولك تقيَّسْتُ أي أظهرت أني قَيْسِيٌّ[1].

فإنما المحذوف من تتفعلون الثانيـة، لأن الباقي في الكلمـة من تشديـد العين من تفعل يدل على معنى الكلمةِ، ولو حـذفت تاءَ «استقبال» لبـطل معنى الاستقبال[2].

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهلَكْنَاها﴾.

المعنى وكم من أهل قرية أهلكناهم، إلا أن أهل حذف لأن في الكـلام دليلًا عليه.

وقوله: ﴿فجَاءَها بَأْسُنَا بَيَاتاً﴾.

محمول على لفظ القرية، ولو قيل فجاءَهم لكان صواباً.

وقوله: ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾.

قال بعض النحويين: المعنى وهم قائلون[3]، والواو فيمـا ذكر محـذوفة وهذا لا يحتاج إلى ضمير الواو، ولو قلت: جاءَني زيـد راجلًا أو وهـو فارس، أو جاءَني زيد هو فارس لم تحتج إلى واو، لأن الذكر قد عاد إلى الأول.

ومعنى «بَيَاتاً»: ليلًا، يقال بـات بياتـاً حسناً، وبيتـةً حسنَة، والمصـدر في الإصابات بيتاً. والبيت بيت الشعر وكذلك بيت المدَرِ، وإنما أصل تسميته من أنه يصلح للمبيت، ويقال لفلان بيتة وليلة وَبَيْتُ ليلة، أي ما يكفيه من القـوت في ليلة.

ومعنى ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾.

أي أو جـاءَهم بـأسنـا نهـاراً في وقت القـائلة، يقـال قِلتُ من القـائلة،

---

(١) أي من قبيلة قيس أي انتسبت إليها.

(٢) المادة «قبل» زيد عليها الألف والسين والتاء، وثلاثتها زيادة واحدة فلا يجوز حذف حرف منها.

(٣) والتقدير حينئذ: بياتاً أو وهم قائلون، وهو أوضح من رأي الزجاج.

فالمعنى إنهم جاءَهم بأسنا غفلة، وهم غير متوقعين له، إما ليلاً وهم نائمون، أو نهاراً وهم قائلون كأنهم غافِلون.

وأو ههنا دخلت على جهة تصرف الشيءِ ووقوعِه، إما مرَّة كذا، وإما مرةً كذَا، فهي في الخبر ههنا بمنزلة أو في الإباحة، تقول جالس زيداً أو عمراً، أي كلُّ واحدٍ منهما أهلٌ أنْ يُجَالِسَ، وأو ههنا أحسن من الواو، لأن الواو تتضمن اجتماع الشيئين، لو قلت: ضربت القوم قياماً وقعوداً، لأوجَبَتِ الواو أنك ضربتهم وهم على هاتين الحالتين، وَإذَا قلتَ: ضربتهم قياماً أو ضربتهم قعوداً، ولم تكن شاكًا، فإنما المعنى أنك ضربتهم مرة على هذه الحال، ومرة على هذه الحال[١].

وموضع «كم» رفع بالابتداءَ، وخبرها أهلكناها، وهو أحسن من أن تكون في موضع نصب، لأن قولك زيدٌ ضربْتُه أجْوَدُ[٢] من زيداً ضربتُه. والنصب جَيِّدٌ عربي أيضاً مثله قوله جلّ وعزّ: ﴿إنَّا كُلَّ شْيءٍ خلقنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٣].

وقوله: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهمْ إذ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إلا أنْ قَالُوا إنَّا كُنَّا ظَالِمِين﴾.

المعنى ـ واللَّه أعلم ـ أنهم لم يحصلوا مما كانوا ينتحلونه من المذهب والدّين ويدعونه إلَّا عَلَى اعتراف بأنهم كانوا ظالمين، والدعوى اسم لما يَدَّعِيه، والدَّعوى يصلح أنْ تكونَ في معنى الدُّعَاءِ لو قلت: اللهم أشركنا في صالح دعاءِ المسلمين ودعوى المسلمين جاز، حكى سيبويه ذلك وأنشد:[٤]

---

(١) للتنويع.　(٢) لأنه جملة اسمية، أما زيداً ضربته فجملته فعلية.

(٣) سورة القمر ٤٩، والرفع هنا ضعيف موهم، لأن كل شيء «نكرة»، فيكون موقع «خلقناه» ههنا صفة، فيكون التقدير: وكل شيء مخلوق لنا بقدر، وهذا يوهم أن هناك شيئاً مخلوقاً لغير اللَّه.

(٤) في اللسان (دعا) وفي كتاب سيبويه ٢ ـ ٢٢٨ أن البيت لبشر ابن النكث ـ قال سيبويه: وأما الدعوى فهو ما ادعيت، وأورد الآية وشطر البيت جميعاً ـ وكذلك أورد الأعلم الشنتمري الشعر وقال إنه بناء الدعاء على دعوى، كما قالوا الرجعى في معنى الرجوع والذكرى في معنى الذكر.

وَلَّــت ودَعْــوَاهَــا كثيـر صَخَبُــه

وموضع «أنْ» الأحسن أن يكـون رفعاً، وأن تكـون الدعـوى في موضـع نصب، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿مَا كانَ حجتَهم إلا انْ قَالُوا﴾[1] ويجوز أن يكون في موضع نصب، ويكون الدعوى في موضع رفع إلا أن الدعوى إذا كانت في مـوضع رفـع فالأكثـر في اللفظ «فما كـانَتْ دَعْوَاهمْ» كـذا وكذا، «إلا أن»، لأنَّ الدعوى مؤنثة في اللفظ، ويجوز كان دعواه باطلاً وباطلة.

وقـوله عـزّ وجلّ: ﴿والْوَزْنُ يَوْمَئِـذ الحقُّ فمنْ ثقُلَتْ مَوَازينـه فَأُولئـك هُمُ الْمُفْلِحُون﴾.

اختلف الناس في ذكر الميزان في القيامـة، وجاءَ في بعض التفسيـر أنه ميزان له كِفَّتَان، وأن الميزانَ أُنْزِلَ إلى الدنيا ليتعامـل الناس بـالعدل وتـوزن به الأعمـال، وقال بعضهم: الميـزانُ العدلُ[2]، وذهب إلى قـولك هـذا في وزن هذا، وإن لم يكن مما يوزنُ، وتأويله أنه قد قام في النفس مساويـاً لغيره كمـا يقوم الوزن في مِـرآةِ العَيْنِ. وقال بعضهم: الميـزانُ الكتابُ الـذي فيه أعمـال الخلق، وهذا كلُّه في باب اللغة ـ والاحتجاج سائغ، إلا أن الأَوْلَى مِنْ هذا أن يُتَّبَعَ مَا جَاءَ بالأسانيد الصحـاح. فإن جـاءَ في الخبر أنـه ميزانٌ لـه كِفَّتَان، من حيثُ يَنقُلُ أهلُ الثقة، فينبغي أن يُقْبَلَ ذَلِكَ. وقد روي عن جرير عن الضحاك أن الميزانَ الْعَدْلُ، واللَّه أعلم بحقيقة ذلك، إلا أن جملة أعمال الْعِبَادِ مَوْزُونَةٌ على غاية الْعَدْلِ والحَقِّ، وهو قوله:

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[3].

---

(١) سورة الجاثية الآية ٢٥.

(٢) أي الميزان معناه العدل، وإذن فمعنى نضع الموازين نقيم العدل بين الناس.

(٣) ولعل الأقرب في الميزان أنه التقدير والاحصاء ـ بمعنى تحصى حسنات الشخص وسيئاته وتقدر ثم يجزى على هذا الاساس. فهذا وزن.

وقد فسرنا المفلح فيما تقدم.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ مكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِش﴾

معنى التمكين في الأرض التمليك والقدرة.

ومعنى المعايش يحتمل أن يكون ما يعيشون به، ويمكن أن يكونَ الوصلةَ إلى ما يعيشون به.

وأكثر القراءِ على ترك الهمْزِ فِي معايش، وقد رَوَوْهَا عَن نَافِعٍ مَهْمُوزَةً. وجميعُ النحويين البصريين يزعمون أن همزها خطأ، وذكروا أن الهمز إنما يكون في هذه الياء إذَا كانت زائدة نحو صحيفة وصحائف، فأما مَعَايش فمن الْعَيْش، الياءُ أصلية وصحيفة من الصُّحُف لأن الياءَ زائدة، وإنما همزت لأَنَّهُ لاَ حَظَّ لها في الحركة، وقد قَرُبَتْ من آخر الكلمة وَلَزِمَتْهَا الْحَرَكَةُ فَأَوْجَبُوا فيها الهمزَ، وإذا جَمَعْتَ مَقَاماً قلت مَقَاوِمَ.

وأنشد النحويون:

وإني لقوام مقاوم لم يكن جرير ولا مولى جرير يقومها[1]

وقد أجمع النحويون على أن حكوا مصائِب في جمع مصيبة، بالهمز، وأجمعوا أن الاختيار مصاوب، وهذه عندهم من الشاذ، أعني مصايب، وهذا عندي إنما هو بدل من الواو المكسورة[2]، كما قالوا في وسادة: إسادة، إلاَّ أن هذا البدل في المكسورة يقع أولاً كما يقع في المضمومة، نحو﴿أُقِّتَتْ﴾[3] وإنما هو من الوقت والمضمومة تبدل في غير أول نحو أدْؤُر، يقولون أَدْؤُ فحملوا المكسورة على ذلك.

---

(١) تقدم ص ٢٠٦ ج ١.

(٢) إبدال شاذ، إذا الواو متحركة بعد حرف مد.

(٣) في سورة المرسلات: ﴿وإذا الرسل أقتت﴾.

ولا أعلم أحداً فَسَّرَ ذَلِكَ غيري، وهـو أحسن من أن يجعل الشيءُ خـطأً إذا نطقت به العرب وكان لـه وجه من القيـاس، إلا أنه من جنس البـدل الذي إنما يتبع فيه السماع، ولا يجعل قياساً مستمراً.

فأما ما رواه نافع من معائش بالهمز فلا أعرف له وجهاً، إلا أن لفظَ هذه الياءِ التي من نفس الكلمة أُسْكِنَ في معيشـة فصار على لفظ صحيفـة، فحمل الجمع على ذلك، ولا أحب القـراءَة بالهمـز إذ كَانَ أَكْثَـرُ النَّاسِ إنَّمـا يَقْرَأُونَ بترك الهمز، ولو كان ممـا يهمزُ لجـاز تحقيقه وتـرك همزه، فكيف وهـو مما لا أصل له في الهمز؟ وهو كتـاب اللَّه عزّ وجـلّ الذي ينبغي أن يمـال فيه إلى مـا عليه الأكثر لأن القراءَة سنة فالأَوْلى فيها الاتباع، والأَولى اتباع الأكثر.

وزعم الأَخفش أَنَّ مصـائب إنمـا وقعت الهمـزة فيهـا بـدلاً من الـواو[1] أُعلَّت في مصيبـة، وهذا ردِيءٍ. لا يلزم أن أَقـول في مقام مقـائِم وفي معونـة معائن.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَـوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَـا لِلْمَلَائِكَـةِ اسْجُدُوا لآدمَ﴾.

زعم الأَخفش أن «ثم» ههنا في معنى الواو، وهذا خطأ لا يجيزه الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعربيته، إنما ثمَّ للشيءِ الذي يكون بعد المذكور قبله لا غير، وإنما المعنى في هذا الخطاب ذكر ابتداءُ خلق آدم أولاً، فإنما المعنى إنا بدأنا خلق آدم ثم صورناه، فابتداء خلق آدم التراب، الدليل على ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿إنَّ مثلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَاب﴾.

فبـدأَ اللَّه خلق آدم ترابـاً، وبدأ خلق حـواءَ من ضلع من أَضـلاعـه، ثم

(١) بدلاً من الواو المعلولة في مصيبة أي التي أعلت. لأن الفعل صاب يصوب.

وقعت الصورة بعد ذلك، فهذا معنى ﴿خلقناكم ثم صورناكم﴾. أي هذا أصل خلقكم. ثم خلق اللّه نطفاً ثم صُوِّرُوا. فثمَّ إنما هي لما بعدُ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَة اسْجُدُوا لآدَمَ﴾.

أي بعد الفراغ من خَلْق آدمَ أُمِرَتِ الملائكَةَ بالسجود.

وقوله: ﴿إلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِين﴾.

استثناء ليس من الأول، ولكنه[1] ممن أُمِرَ بالسجـود، الدليـل على ذلك قوله.

﴿ما مَنَعك ألَّا تَسْجُدَ إذْ أَمَرْتُك﴾.

فدل بقوله: ﴿إذ أمرتك﴾ أنَّ إِبْلِيسَ أُمِرَ بالسجود مع الملائكة، ومعنى ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ الْغَاءُ «لا»[2]، وهي مؤكدة، المعنى: ما منعك أن تسجد فمسألته[3] عن هذا واللّه قد علم ما منعه، توبيخ له وَلْيُظْهِرَ أنه معاند، وأنه ركب المعصية خلَافاً[4] للّه، وكل من خالف اللّه في أمره فلم يَرَهُ وَاجِباً عليه كافرٌ بإجماع، لو ترك تارك صلاةً قال إنها لا تجب كان كافراً بإجماع الأُمة، فأعلم اللّه جلّ ثناؤه أن معصية إبليس معصية معانَدَة وكفر، وقد أعلم اللّه أنه من الكافرين فقال: ﴿إلا إِبْلِيسَ أَبَى واسْتَكْبَرَ وَكانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

فَالْفَصْلُ بين معصية إبليس ومعصيةِ آدمَ وحَوَّاءَ أَنَّ إبليس عاند وأقام ولم يتب، وأن آدم وحواءَ اعترفا بالذنب وقالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وإِلا تَغْفِرْ لنا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِين﴾[5].

(١) أي إبليس.

(٢) أي «لا» زائدة.

(٣) سؤاله عن عدم السجود.

(٤) مخالفة وعصياناً.

(٥) ثم إنهما عصيا نسيانا لا معاندة.

ومثـل «أَلَّا» في قولـه: ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ قـوله: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهلُ الْكِتَـابِ﴾ (أَي) لأَن يعلم أَهل الكتاب، وقول الشاعر:

أَبى جودُه «لَا» البخل واستعجلت به «نعم» من فتى لا يمنع الجوعَ قاتله[1]

قالوا معناه أَبى جودُه البخلَ.

وقال أَبو عمرو بنُ العلاءِ: الرِّوَايَةُ أَبى جوده البخل.

واستعجلت به «نَعَمْ»، والذي قاله أَبو عمرو حسن، المعنى أَبى جوده «لا» التي تُبخِّل الإِنسان، كـأَنه إِذا قيـل: لا تسرف ولا تبـذر مالـك أَبى جودُه «لا» هذه، واستعجلت به «نعم»، فقال: نعم أَفعل ولا أَترك الجودَ.

وهـذان القولان في البيت همـا قولا العلمـاء، وأَرى فيه وجهـاً آخر وهـو عندي حسن. أَرى أَن تكون «لا» غير لغو، وأَن يكون البخل منصوباً بـدلاً من «لا». المعنى أَبى جودَه البُخْلَ واستعجلت به «نعم».

وموضع «ما» في قولـه: ﴿مَا مَنَعَـكَ أَلا تَسْجُدَ﴾ رفـع، المعنى أَي شيء منعك في السجود، فلم يقل منعني كذا وكذا فأَتى بالشيء في معنى الجواب، ولفـظه غير جـواب، لأَن قولـه: ﴿أَنَا خَيـرٌ مِنْهُ﴾ في معنى منعني من السُّجـود فَضلى عَلَيْه. ومثل هذا في الجواب أَن يَقـول الرجـل كيف كنت، فَيَقولُ: أَنـا صالح، وإِنما الجواب كنت صالحاً، ولكن المعنى أَنه قد أَجابه بما احتاج إِليه وزاده أَنه في حال مسأَلته إِياه صالح فقال اللَّه عزّ وجلّ:

---

(١) البيت في اللسان «لا». والخصائص ٢ / ٣٥، وشواهد المغني ٢١٧.

ذكر يونس أن أبا عمرو كان يجر «البخل» ـ أي بإضافة «لا» إليه ـ وقد أشكل إعرابه على الشراح ـ وأقربها جر البخل ونصب «قاتله» على الحال أو على أنه مفعول به أي لا يمنع الجود ممن يريد قتله، والرواية إذن «لا يمنع الجود قـاتله» أما روايـة «الجوع» فغـامضة. ومعنى «لا البخـل» لا الدالة على البخل وفسر السيوطي البيت بأنه مدح لشخص كـريم، يأبى لـه جوده أن يقـول «لا» التي تستعمل للبخل، واستعجلت به كلمة «نعم» أي سبقت «لا» ـ كقول الشاعـر:

واستعجلونا وكانوا من صحابتنا

﴿فاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾.

لأنه قد استكبر بهذا الجواب فأعلمه اللَّه أنَّه صاغرٌ بهذا الفِعْل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

أي أخِّرني إلى يَوم البَعْثِ، فلَم يُجب إلى الإنْـظَارِ إِلَى يَـوْمِ البعث بعينه، وأُعْلِمَ أنه منظور إلى يوم الوقْت المعْلُوم.

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

في قوله: ﴿أغويتني﴾ قولان. قال بعضهم: فبما أَضْلَلْتَنِي وقـال بعضهم: فبما دَعَوْتني إلى شيء غَوِيت به، أي غويتُ من أَجْل آدم.

﴿لأَقْعُدنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

ولا اختـلاف بين النحويين في أن «على» محـذوفة، ومن ذلـك قولـك: ضُرِبَ زيد الظهْر والبَطْنَ.

وقـوله: ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْـدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وعَنْ أَيْمَـانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهم﴾.

معناه - واللَّه أعلم - ثم لآتينَّهمْ في الضَّلَال من جميع جهاتهم، وقيل من بين أيديهم أي لأَضِلنهم في جميع مـا يُتوَقَّـعُ، وقيل أيضـاً: لأُخوِّفنَّهم الفقـرَ، والحقيقةُ - واللَّه أعلم - أي أَنْصَرِفُ لهم في الإضلال في جميع جهاتهم.

وقوله: ﴿قَالَ اخْرُجْ منْهَا مَذْؤوماً مَدْحُوراً﴾.

معنى مَـذْءُومٍ كمعنى مَـذْمُـومٍ، يُقـالُ: ذَأَمْتـه أَذْأَمـه ذَأْمـاً، إذَا رَعَبْتَـه وَذَمَمْتَه[1].

ومعنى ﴿مَدْحُوراً﴾. مُبْعَداً من رحمة اللَّه.

(١) رعبـه - كمنعه - خـوفه - فـرعب، وذأمـه - كمنعـه أيضاً: حقـره وذمـه وطـرده، فـإبليس هنـا ذم باللعنة، وطرد من الجنة.

وقوله: ﴿لَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾.

هذه اللام لام القسمِ تدخلُ توطئة للأمر.

﴿لَأَملأَنَّ﴾.

والكلام بمعنى الشرط والجزاء، كأنه قيل: من تبعك أُعَذِّبه، فدخلت اللام للمبالغة والتوكيد[١]، ولام لأملأن لام القسمِ ولام «من تبعك» توطئة لها[٢]، يجوز في الكلام: واللّه من جاءَكَ لأَضْربنَّه، ولا يجوزُ: واللّه لَمَنْ جَاءَكَ أضربه[٣]، وأنت تريدُ لأضربنه، ولكن يجوز: واللّهِ لمنْ جاءَكَ أَضْرِبْهُ تريد لأَضْرِبَنَّه[٤]، وقال بعضهم في قوله: ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي لأُغوِيَنَّهُمْ فيما أُمِرُوا به.

وقوله: ﴿وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾ أي لأُغوينَّهم فيما نُهُوا عَنْه والذي أظنه ـ واللّه أعلم ـ على هذا المذهب: أني أُغويهم حتَّى يُكَذِّبُوا بأُمور الأمم السالِفةِ وبِالبَعْث، كما ذكر في هذا، ومعنى: ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾. أي لأُضِلَّنَّهُمُ فيما يَعْمَلُونَ، لأنَّ الكسب يقال فيه: ذَلِكَ بِمَا كسبتْ يَداكَ، وإن كانت اليدان لم تجنيا شيئاً، إلا أنه يقال لكل ما عمله عامل كَسَبَتْ يَدَاكَ، لأَنَّ اليَدَيْن الأَصلُ في التصرف فجعلتا مثلاً لجميع مَا عُمِلَ بغيرِهِمَا، قال اللّه عزّ وجلّ ذَلِكَ بِمَا كَسَبَتْ يَدَاكَ[٥]، وقال: ذلك بما كسبت أَيْديكم[٦]، وقال:

---

(١) اجتمع الشرط والقسم ـ فاللام في «لأملأن» في جواب القسم.

(٢) اللام في «لمن تبعك» لام القسم. موطئه للام في لأملأن.

(٣) لأن توكيده هنا واجب.

(٤) لأن المذكور جواب الشرط، وجواب القسم محذوف مقدر فيه التوكيد ولهذا جزم المضارع، والأولى دائماً حذف جواب المتأخر من الشرط والقسم.

(٥) لا توجد آية بهذا اللفظ ولكن يوجد: ﴿ذلك بما قدمت أيديكم﴾ (آل عمران) ١٨٢.

(٦) لا توجد آية بهذا اللفظ. ولكن في القرآن: ﴿بما كسبت أيدي الناس﴾: سورة الروم الآية ٤١، ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ سورة الشورى الآية ٣٠.

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾[1] ثم فسَّر فقال: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مالُهُ ومَا كَسَبَ﴾.

وقوله: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ﴾.

هذا الاختيارُ، أَعْنِي ذكر أَنْتَ، تقول إذهب أَنْتَ وزيدٌ، ولو قلت: إذهب وزيد كان قبيحاً[2].

وقد فسَّرناهُ فيما سَلَف:

وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجرَةَ﴾.

قال بعضهم: هي السُّنْبلَةُ، وقيل هي شَجرةُ الكَرْمِ.

وقوله: ﴿فَتكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

الأَجود أَن يكون. «فتكونا» في موضع نصب على جوانب الأَمر بالفاءِ. أي فإنكما إن قربتماها كنتما من الظالمين. ويجوز أَن يكونَ في موضع جزم عطفاً على قوله: وَلَا تَقْرَبَا فَتكُونَا، أَي فلا تكونا من الظالمين.

وقوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾.

تدل واللَّه أَعلم على مَعْنى قوله:

﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾.

ويجوزُ مَلِكين، لأَنّ قوله: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجرَةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾[3] يدل على مَلِكَيْن وأحسبه قد قرئ به، فتدل - واللَّه أَعلم - على أَن القول إنما كان وسوسة من إبليس. والأَجود أَنْ يكون خطاباً[4]، لقوله: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصحينَ﴾[5].

---

(١) لا تدل اليد هنا على الكل لأنه ذكر بعدها «وتب».

(٢) أي ممنوع، وإنما ينصب المعطوف هنا مفعولاً معه حيث لا فاصل بعد ضمير الرفع.

(٣) سورة طه آية ١٢٠.

(٤) جهراً وليس وسوسة، لأنه تقاسم وإياهما، والمخالفة لا تكون وسوسة.

(٥) على هذا «وسوس» بمعنى همس وزين.

أي فَحَلَفَ لَهما:

﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾.

أي دَلَّاهُمَا فِي المعصية بأن غرهما.

﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾.

أي ظهرت لهما فروجُهُمَا، وإنما السَّوْءَةُ كناية عن الفَرْجِ، إلَّا أنَّ الأصلَ - في التسمية السَّوءَةُ.

وقوله عزّ وجَل: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ﴾.

مَعْنى طَفِقَا أَخَذَا في الفِعْل، والأكثر طَفِقَ يَطْفَقُ. وقَدْ رُوِيَتْ طَفَق يطفِقُ، بكسر الفاءِ.

وقِيلَ: كان ورقُ الجنَّةِ ذلك ورقَ التِّين، ومعنى يَخْصفَانِ، يجعلانِ وَرَقَةً على ورَقَة، ومنه قيلِ للخَصَّافِ الذي يَرْقَع النَّعْلَ: هو يخصِفُ، قال الشاعر:(١)

أو يخصف النعلَ لهْفِي أيَّةً صَنَعَا

وَيَجُوزُ يَخْصِفَانِ وَيخصِّفَان، والأصل الكسر في الخاءِ، وفتحها وتشديدُ الصَّادِ(٢)، ويَكون المعنى: يَخْتَصِفَانِ.

وفي هذه الآية دليل على أن أَمْرَ التكشُّفِ وإظهَارَ السوءَة قبيح من لَدُنْ(٣)

---

(١) هو الأعشى من عينيته التي تقدمت أبيات منها، وهو يتحدث عن زرقاء اليمامة، وقبله:

ما نظرت ذات أشفار كنظرتها حقاً كما نطق الذئبي إذ سجعا

وصدره: قالت أرى رجلاً في كفه كتف

وكذبوها بما قالت فصبحهم ذو آل غسان يزجى الموت والشرعا

انظر الكامل جـ ٢ / ٣١.

(٢) يخصفان مثل يخطف ويهدي.

(٣) أي منذ عهده.

آدم. ألا ترى أنه ذكر عظم شأنها في المعصية فقال: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا﴾.

وأنهما بادرا يستتران لقبح التكشف.

وقوله: ﴿وُورِيَ عَنْهُمَا﴾.

يجوز فيه أُورِيَ، لأنَّ الواوَ مَضمومَةٌ، إنْ شِئْتَ أَبْدلتَ منها همزة، إلَّا أن القراءَة تُتَّبَعُ في ذلك. والقراءَةُ المشهورةُ وخط المصحف ﴿وُورِيَ﴾ بالواو.

ومعنى إلَّا أنْ تكونَا مَلَكَيْنِ، وقوله: ﴿ذاقَا[الشَّجرَةَ]﴾.

يدل على أنهما ذاقاها ذَوْقاً ولم يُبالِغَا في الأَكْلِ.

وقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً﴾.

ويقرأ وَرِيَاشاً.

والرِّيشُ اللباس. العرب تقول: أَعْطَيْتُه بريشتِهِ، أي بكسوته، والريش، كل ما سَتَر الرَّجُلَ في جِسْمِه ومعيشتِه، يقال: تَرَيَّشَ فلان أي صار له مَا يَعيشُ به، أنشد سيبويه وغيرُه[1].

فريشي منكمو وهواي معكم وإن كانت زيارتكم لماما

﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾.

برفع اللباس، فمن نصَبَ عطفَ به على الرِّيش يكون المعنى: أنزلنا عليكم لباس التقوى، وَيَرْفَعُ خيراً بِذَلِكَ[2]، ومن رفع اللباسَ فَرَفْعُه على ضربين: أحدهما أن يكون مبتدأ ويكون ذلك من صفته، ويكون ﴿خَيْرٌ﴾ خبرَ الابتداء. المعنى ولباس التقوى المشارُ إليه خَيْرٌ.

ويجوز أن يكون. ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ مرفوعاً بإضمار «هو» المعنى [هو]

(١) تقدم جـ ١ ص ٨٨.

(٢) أي يكون خيراً والمبتدأ ذلك. أي ذلك اللباس أفضل.

لباس التّقوى: أي وستر العورة لِبَاسُ المتَّقِينَ،ثم قال: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ ويكـون(١) على أن لباس التقوى مرفوعٌ بالابتداءِ، ويكون «ذَلِكَ» خَيْرٌ يرتفع به «خَيْرٌ» على أنه خير ذلك(١). ويكون ذلك بمنزلـة «هو» كـأنه ـ واللّه أعلم ـ ولبـاس التقوى هـو خير، لأن أسمـاءَ الإشارة تقـرب فيمـا يعـود من الـذكـر من المضمـر(٢)، والوجهان الأَوَّلاَنِ أَبينُ في العربية.

وقوله: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُه مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾.

«حيثُ» في مـوضوع جـر إلا أنهـا بُنِيَتْ على الضَّمِّ، وأَصلهـا أَن تكـون موقوفةً، لأَنها ليست لمكانٍ بعينه وأن ما بعدها صلة لها، لَيْسَتْ بمضافة إليه.

ومَنَ العَربِ من يقول. . [و] «من حَيْثَ خَرَجْتَ»(٣) فيفتح لالتقاءِ الساكنين، ومنهم من يقـول مِن حَوْثُ خَـرجتَ. ولا تقـرأ بهـاتين اللغتين لأَنهمـا لم يقـرأ بواحد منهما ولا هما في جودة حَيْثُ المبنيّةِ على الضَّمِّ.

وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(٤).

«جَعَلْنَا» في اللغة على ضُرُوب، منها جعلتُ بعض الشيءِ فـوق بَعْض، أي عملته وهَيَّأْتُه على هذه الصِّيغَة، ومنها جَعلَ زيدٌ فُلاناً عاقِلاً، تأْويله: سماه عَاقِلاً، ومنها جَعلَ يَقُولُ كذا وكذا، تأْويله أنه أَخذ في القول.

فأما مَعْنَى الآيةَ فعلى ضربين ـ واللّه أَعلم ـ.

أَحدهما أَن يكون الكفارُ عُوقبوا بأَن سُلِّطَتْ عليهم الشَّيَاطين تزيدهم فِي غَيِّهم عُقُوبةً على كُفْرِهِمْ كما قَالَ عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَـرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيـاطِينَ عَلَى

---

(١) أي هذا وجه آخر. جعل فيه «ذلك خير» جملة مخبر بها عن لباس التقوى.

(٢) الخبر إذن جملة، وذلك هي الرابط.

(٣) ذلك رابط تقوم مقام الضمير.

(٤) سورة الأعراف. آية ٢٧.

الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[1]، أي تَحْمِلُهُمْ على المعاصي حَمْلاً شَدِيداً، تَزعجهم في شدّةِ الغَيّ.

ويجوز إِنَّا جعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ، أي سوينا بين الشياطين والكافرين في الذهاب عن اللَّه. كما قال: ﴿المُنَافِقُونَ والمُنَافِقَاتُ بعْضُهُم منْ بَعْضٍ﴾[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾.

معنى الفاحشة ما يشتد قبحه من الذنوب.

﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آباءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾.

فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أنه لا يأمر بالفحشَاءِ لأن حكمتَه وجميعَ ما خلق تدل على أنه لَا يفعلُ إلاَّ المُسْتَحسَنَ، فكيف يأْمُرُ بالفحشاءِ. وقد احتج عليهم في غير هذا الموضوع بما قد بينّاهُ في سورة الأنعام.

وقوله: ﴿قلْ أَمَرَ رَبِّي بالقِسْطِ﴾.

أي بالعَدْلِ، فكيف يأْمُرُ بالفَحشاءِ من يُعْلَمُ أنه لا يفعل إلا الحكمة، ولا يثبتُ إلا العدلَ مِنْ أَمْرِه، فإذا كان يأْمر بالعدل ـ والعدْلُ ما قام في النفوس أنه مستقيم لا ينكره مميز ـ فكيف بالفحشاءِ، والفحشاء ما عظم قبحه. ثم وبَّخَهُم فقال:

﴿أَتقُولُونَ عَلى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

أي أَتَكْذِبونه.

وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِد﴾.

أي وَقْتَ كُلّ صَلَاةٍ اقصدوه بصلاتكم.

---

(١) سورة مريم ٨٣.

(٢) سورة التوبة ٦٧.

﴿وادْعُوه مُخْلِصِين لَه الدِّينَ﴾.

أي مخلصين له الطاعة. احتج عليهم في إنكارهم البعث، وهو متصل بقوله:

﴿فِيهَا تَحيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرجُونَ﴾. فقال:

﴿كمَا بَدَأَكُمْ تعُودُونَ﴾.

أي فليس بعثكم بأشدَّ من ابتدائكم.

وقوله: ﴿فَرِيقاً هَدَى، وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ﴾.

معناه إنه أضَلَّ فَرِيقاً حَقَّ عليهم الضلالة. ثم قال:

﴿إنَّهُمُ اتخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّه﴾.

ولو قُرِئَتْ أَنَّهم اتَّخَذُوا الشياطين لكانت تجوز(١)، ولكن الإجماع على الكَسْرِ.

وقوله: ﴿وَيَحْسَبُونَ أنهمُ مُهْتَدُونَ﴾.

يدل على أن قوماً ينتحلون(٢) الإسلامَ ويزعمونَ أن من كان كافراً، وهو لَا يعلمُ أنه كافر فليس بكافرٍ مُبْطِلُون(٣) لأمر نِحْلتِهِمْ، لأن اللَّه جلّ ثناؤه قد أعلمنا أنهم يَحْسَبُون أنهُمْ مهتدون، ولا اختلاف بين أهل اللغة في أن الحُسْبَانَ ليس تأويله غيرَ مَا يُعْلم من معنى حسب(٤).

والدليل على أن اللَّه قد سماهم بظنهم كَفَرةً قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا خلقْنَا السَّمَاءَ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُما بَاطِلاً، ذَلِكَ ظَنُّ الذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ للذين كفَرُوا مِنَ النارِ﴾(٥) فأعلم أنهم بالظنِ كافِرونَ، وأنهم معذبون.

---

(١) أي بتقدير لأنهم اتخذوا.

(٢) «ينتحلون» نعت لقوم، أي ان أي قوم يعقلون ذلك مبطلون.

(٣) خبر «إن قوماً».

(٤) أي هم يظنون أنهم مهتدون وليس الأمر كذلك.

(٥) سورة ص آية ٢٧.

وقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

هذا أَمْرٌ بالاسْتِتَارِ في الصلوات، وكان أهلُ الجاهليّة يطوفون عُراةً، ويَقُولون: لا نطوف حول البيتِ في ثياب قَدْ أَذْنَبْنَا فِيهَا، وكانت المرأة تطوف عُرْيَانَةً أيضاً إلا أنها كانت تشُدُّ في حَقْوَيْها أشياءَ من سُيورٍ مقطعة، تُسَمِّي العرب ذلك الرهْط، قالت امرأة تطوف وعليها رهط:(١)

اليَوْمَ يَبْدو بعضُه أو كُلُّه ... فما بدا منه فلا أُحِلُّه(٢)

تعني الفرجَ، لأن السيور لا تسترُ سَتْراً تامًّا.

فأمر اللَّه بَعْدَ ذِكرِه عقوبةَ آدم وحواءَ في أن بَدَتْ لهما سوءاتُهما، بالاستتار في وقت كل صلاة، بعد أن أعلم أن التعرِّيَ وظُهُورَ السوءَةِ مكروه من لدن آدم، وقوله بعقب الاستتار:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾.

لأنهم ادَّعَوْا أنَّ اللَّه جلّ ثناؤه قد حرم عليهم شيئاً مما في بطون الأنعام، وحرم عَلَيْهم البَحِيرَةَ والسائبة، وكانوا يزعُمونَ فيما يأتون من الفحشاءِ كالتعرِّي وما أشبَهَهُ - أن اللَّه جلّ ثناؤه - أمرهم بذلك فأمرهم اللَّه بالاستتار، وأن يأكلوا ما زعموا أنَّ اللَّه عزّ وجلّ حرمَه مما لم يحرّمه، وأن يشربوا مما

---

(١) الرهط جلد يشق من أسفله ليمكن المشي فيه، تلبسه الأطفال والحيض، أو جلد يشق سيوراً.

(٢) كان قوم من العرب يطوفون بالبيت عرايا، ويطوف النساء ليلاً أو يلبسون «رهطاً» حتى جاء الإسلام فحرم ذلك، وهذه المرأة تتحدث عن فرجها، تقول: إنها مع ما يبدو من فرجها عفيفة وما بدا من سوءتها لا تحله، بل هي مع هذا محافظة على عفتها. وصاحبة الشعر هي أسماء بنت مخربة أم أبي جهل والحرث، وتزوجت عبدالله بن ربيعة بن المغيرة فولدت له عياشاً - واختلف في إسلامها، واختار ابن حجر أنها أسلمت وماتت في خلافة عمر. وذكر مع هذا البيت بيتاً آخر: هو:

كم من لبيب عاقل يضله ... وناظر ينظر ما أعله

انظر الإصابة جـ ٤/٢٣٢، ٥٥ من تراجم النساء، ويقال ان الآية نزلت فيها.

والبيت في معاني الفراء جـ ١ - ٧٧ والطبري ٨/١٠٤، ١٠٩.

زعموا أن اللَّه جلّ وعزّ حرم عليهم شربه، لأن ألبان البحيرة والسائبة كانت عندهم حراماً.

وقوله: جلّ وعزّ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ﴾.

والإسراف أن يَأْكُلَ مَا لَا يَحِلُّ أَكْلُه مما حرمَ اللَّه تعالى أَنْ يُؤكَلَ شَيءٌ منه، أو تأكل مما أُحل لك فوق القصد ومقدار الحاجة، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنه لا يحب من أسرف، ومن لم يُحْبِبْهُ اللَّه عزّ وجلّ فهو في النار. ثم قَرَّرَهم وَوَبخهم فقال:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّه الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾.

أي من حرم أن تلبسوا في طَوَافِكُمْ مَا يَسْتُرُكُمْ.

﴿والطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾.

أي ومن حرم الطيبات مما رزق اللَّه، أي من حرم هذه الأشياءَ التي ذكرتم أنها حرام.

ثم قال عزّ وجلّ:

﴿قُلْ هِيَ لِلَّذين آمَنوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ﴾.

وتقرأ خالصةً وخالصةٌ يومَ القيامة.

المعنى أنها حلال للمؤمنين، وقد يَشْرَكُهُمْ فيها الكافرون.

أعلم عزّ وجلّ أَنَّ الطَّيبَات تَخْلُصُ للمؤمنين في الآخرة ولا يَشْرَكُهُمْ فيها كافر.

فأما إعراب «خَالصَةٌ» فهو أَنَّهُ خبر بعد خبر، كما تقول: زيد عاقِلٌ لَبيبٌ. فالمعنى قل هي ثابتةٌ للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصةٌ يومَ القيامة، ومن قرأ خالصةً جعل خالصة منصوباً على الحال، على أن العامل في قولك في الحياة الدنيا في تأويل الحال. كأنك قلتَ: هي ثابتة للمؤمنين مستقرة في الحياة الدنيا خالصةً يوم القيامة.

وقوله: ﴿وأَنْ تُشْرِكُوا باللَّه مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً﴾.

موضع أَن نَصْبٌ: المعنى حرم اللَّه الفواحش تَحريمَ الشِّرك.

ومَعْنَى ﴿لَمْ يُنَزِّلْ بِه سُلْطَاناً﴾: أي لم ينزل به حجَّةً.

وقوله عزّ وجلّ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: أي وَقْتٌ مؤقَّتٌ.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

المعنى: ولا يستقدمون ساعة، ولا أَقل من ساعة، ولكن ذُكِرَتِ الساعة لأَنها أَقلُّ أسماءِ الأَوقات.

وقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾.

آدم لا ينصرفُ لأَنه على قدر أَفْعَل وهو معرفة، وهو مشتق من أُدَمَةِ الأَرْض، وهو وجهها، فسمي بما خلق منه، واللَّه عزّ وجلّ أَعلم.

وقوله: ﴿إما يأْتينَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾.

هذه «إِن» التي للجزاء، ضمَّتْ إِليها ما. والأَصل في اللفظ «إِنْ ما» مفصولة، ولكنها مدغمة، وكتبتْ على الإِدغام، فإِذا ضُمَّتْ إن إلى ما، لزم الفِعْلَ النونُ الثَّقِيلةُ أَو الخفيفة، وجواب الجزاءِ في الفاءِ، أَي في قوله: ﴿فَمَن اتَّقى وأَصْلَحَ﴾.

فإنما تلزم «مَا» النونُ لأَن ما تدخل مؤكِّدة فتلزمها النون كما تلزم اللامَ النُّونُ في القَسمَ إذا قلت: واللَّه لَتَفْعَلنَّ، فما توكيد، كما أَنَّ اللام توكيد، فلزمت النونَ كما لزمت لامَ القسم.

وقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افتَرَى عَلى اللَّه كَذِباً﴾.

أيُّ ظُلْم أَشنع من الكذب على اللَّه.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ يَنالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتَابِ﴾.

أَي ما أَخبر اللَّه جلّ ثناؤه من جزائهم نحو قوله: ﴿فأَنْذَرتُكُمْ نَاراً

تَلَظَّى﴾[1] ونحو قوله: ﴿يَسْلُكْهُ عَذَاباً صُعُداً﴾[2] ونحو قوله: ﴿إِنَّ المُنَافِقِينَ في الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[3]،ونحو: ﴿إِذِ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ والسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ. فِي الحَمِيمِ﴾[4]، فهذه أَنْصِبَتُهُمْ من الكتاب على قدر ذُنُوبهم في كفرهم.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾.

زعم سيبويه ـ والخليل ـ أن «حَتَّى» و «إِمَّا» و «إِلَّا» لا تجوز فيهن الإمالة. لا يجيز: ﴿حتى إذا جاءَتهم﴾ ولا يجيز «أَمَّا»، ولا «لا إله إِلَّا اللَّهُ»[5]، هذا لحنٌ كله، وزعم أن هذه أَلفات الفَتح لأَنَّها أَواخر حروف جاءَت لمعنًى، فَفُصِلَ بينها وبين أَوَاخر الأَسماءِ التي فيها الأَلف نحو حُبْلَى وهدى، إِلّا أَن حتى كُتبَتْ بالياءِ، لأَنها على أربعة أَحرف، فأَشبهت سكرى. و«إِمَّا» الَّتِي للتخيير شبهت بإن التي ضمت إليها «ما» مثل قوله: ﴿إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ، وإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِم حُسْناً﴾[6]، كُتِبَتْ بالأَلف لما وصفنا، و «إِلَّا» أَيضاً كُتبت بالأَلف لأَنها لو كُتِبَتْ بالياءِ لأَشبهت إِلى.

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾.

فيه ـ واللَّه أَعلم ـ وَجْهان:

يكون: حتى إذا جاءَتهم ملائكة الموت يتوفونهم سألوهم عند المعاينة، فيعرفون عند موتهم أَنهم كانوا كافرين، لأَنهم ﴿قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدعونَ مِنْ دُونِ اللَّه قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾.

أَي بطلوا وذهبوا.

---

(١) سورة والليل الآية ١٤.

(٢) سورة الجن ١٧.

(٣) سورة النساء الآية ١٤٥.

(٤) سورة غافر ٧١ ـ ٧٢.

(٥) لا يجوز إمالتها، وإمالتها لحن.

(٦) سورة الكهف الآية ٨٦.

ويجوز - واللَّه أعلم - أن يكون: حتى إذا جاءتهم رسلنا ملائكة العذاب يتوفونهم، فيكون ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ في هذا الموضع على ضربين، أحدهما يتوفونهم عذاباً، وهذا كما تقول: قد قتلت فلاناً بالعَذاب وإن لم يمت. ودليل هذا القول قوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَأْتِيه المَوْت مِنْ كلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بميِّت﴾[1].

وجائز وهو أضعف الوجهين أنهم يتوفون عدَّتهم واللَّه أعلم.

وقوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾.

لأنهم ضل بعضهم بأتباع بعض.

﴿حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا﴾.

أي تداركوا، وأدغمت التاءُ في الدال، فإذا وقفت على قوله «حتى إذا» لم تبتدئ حتى تَأْتِيَ بألف الوصل، فتقول: ادَّارَكوا فتأتي بألف الوصل لسكون الدال فيها.

ومعنى تداركوا اجتمعوا.

وقوله ﴿جميعاً﴾ منصوب على الحال، المعنى حتى إذا تداركوا فيها مجتمعين.

﴿قالَتْ أُخرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاَءِ أَضَلُّونَا﴾.

أي قالت أُخراهم: دعتهم أولاهم فاتبع الآخِرُ الأَوَّلَ. فأعلم التابعونَ أن المتبوعين أَضَلُّوهُمْ بأن دَعَوْهم إلى الضلال، والمعنى قالت أُخراهم يا ربنا هؤلاءِ أضلونا، لأولاهم، تعني أُولاهم[2].

وقوله: ﴿فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ﴾.

---

(١) سورة إبراهيم الآية ١٧.

(٢) قالت أخراهم مشيرة إلى أولاهم يا رب هؤلاء أضلونا، وقوله تعني أولاهم أي تعني بكلمة هؤلاء الإشارة إليهم.

أي عذاباً مُضاعَفاً لأن الضعف في كلام العرب على ضربين أحدهما المثل، والآخر أن يكون في معنى تضعيف الشيءِ.

﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾.

أي للتابع والمتبوع لأنهم قد دخلوا في الكفر جميعاً، أي لكل عذاب مضاعف، فمن قرأ: ﴿وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ بالتاءِ.

أي ولكن لا تعلمون أيها المخاطبون ما لكل فريق منكم من العذاب، ومن قرأ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُون ـ بالياءِ، أي ولكن لا يعلم كل فريق مقدار عذابِ الفريق الآخر.

ويجوز ـ واللّه أعلم ـ ولكن لا تعلمون يا أهل الدنيا مقدار ذلك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآياتنا واسْتَكبَرُوا عَنْهَا﴾.

أي كذَّبُوا بحججنا وأعلامِنَا[1] التي تدل على نبوة الأنبياءِ وتوحيد اللّه.

﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾.

أي لا تَصْعَدُ أرواحهم ولا أعمالهم، لأن أعمال المؤمنين وأرواحهم تصعد إلى السماءِ، قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[2].

ويجوز لا تُفْتَح ولا تُفَتَّحُ بالتخفيف والتشديد، وبالياءِ والتاءِ.

وقال بعضهم: لا تفتح لهم أبواب السماءِ، أي أبواب الجنة، لأن الجنة في السماءِ، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ﴾.

فكأنه لا تفتح لهم أبواب الجنة ولا يدخلونها ﴿حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ﴾.

---

(١) جمع علم أي إخباراتنا.

(٢) سورة فاطر الآية ١٠.

فالخياط الإبرة، وسمها ثقبها.

المعنى لا يدخلون الجنة أبداً.

وسئل ابن مسعود عن الجَمَلِ فقال هو زوج الناقة. كأنه إستجهل من سأله عن الجمل.

وقرأ بعضهم الجُمل، وفسَّروه فقالوا قَلسُ(1) السفينة.

وقوله عزّ وجلّ ﴿وكذلك نجزي المجرمين﴾، أي ومثل ذلك الذي وصفنا نجزي المجرمين.

والمجرمون ـ واللَّه أعلم ـ ههنا الكافرون، لأن الذي ذكر منْ قصتهم التكذيبُ بآيات اللَّه، والاستكبار عنها.

﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّم مِهَادٌ﴾.

أي فراش من نار.

﴿وَمِنْ فوقِهِمْ غَوَاشٍ﴾.

أي غاشية فوق غاشية من النار.

وقوله: ﴿وَكَذلك نَجْزي الظَّالمينَ﴾.

والظالمون ههنا الكافرون.

وقوله «غَوَاشٍ» زعم سيبويه والخليل جميعاً أن النون ههنا عوض من الياءِ، لأن غواشيَ لا تنصرف، والأصل فيها غَوَاشيْ، بإسكان الياءِ(2). فإذا ذهَبَت الضَّمَّةُ أُدْخَلْتَ التنوين عوضاً منها، كذلك فسر أُصحاب سيبويه، وكان سيبويه يذهب إلى أن التنوين عوَضٌ من ذهاب حركة الياءِ، والياءُ سقطت لسكونها وسكون التنوين. فإذا وقفت فالاختيار أن تقف بغير ياءٍ، فتقول

---

(1) الحبل الضخم الغليظ.

(2) في الوقف، والفتح في حال الوصل.

غَوَاشٍ، لتدل أن الياءَ كانت تحذف في الوَصْل. وبعض العرب إذا وقف قال غَواشي، بإثبات الياءِ، ولا أرى ذلك في القرآن لأن الياءَ محذوفة في المصحف، والكتاب[1] على الوقف.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذينَ آمَنُوا وعملُوا الصَّالحات، لَا نُكَلِّفُ نفْساً إلا وسْعها﴾.

أي عملوا الصالحات بقدر طاقتهم، لأَن معنى الوسع ما يقدر عليه.

وقوله: ﴿أُولئك أَصْحَابُ الجنَّة هُمْ فيها خَالدُونَ﴾.

أُولئك رفع بالابتداءِ، وأَصحاب خبر، وهم والجملة خبر الذين، ويرجع على الذين أَسماءِ الإشارة، أَعني أُولئك.

قوله: ﴿وَنَزَعْنا مَا فِي صُدُورهِمْ من غل﴾.

قال بعضهم: ذهبت الأَحقاد التي كانت في قلوبهم، وحقيقته - واللَّه أَعلم - أنه لا يحسد بعضُ أَهل الجنَّة بعضاً في عُلوِّ الرُّتبة، لأَن الحسدَ غلٌّ.

وقوله تعالى: ﴿تجْرِي من تحْتهُمُ الأَنْهارُ﴾.

في معنى الحال، المعنى ونزعْنا ما في صدورهم من غل في هذه الحال، ويجوز أَن يكون «تجري» إخباراً عن صفة حالهم، فيكون تجري مستأْنفاً.

ومعنى ﴿هَدَانا لهذا﴾.

أي هدانا لما صيرَنا إلى هذا، يقال: هديت الرجل هداية وهدى وهدْياً، وأَهْدَيت الهَدْيَة فهي مُهداة، وأَهديت العروس إلى زوجها وهديْتُها.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَنودُوا أَنْ تلكُمُ الجَنَّةُ﴾.

---

(١) أي الكتابة والرسم.

في موضع نصب، وهَهُنا الهاءُ مضمرة[1]، وهي مخففَة من الثقيلة[2].
والمعنى نودوا بأنه تلكم الجنَّةُ.

والأجود ـ عندي ـ أن تكون أن في موضع تفسير النداءِ[3]، كان المعنى، ونودوا أن تلكم الجنة، أي قيل [لهم]: تلكم الجنَّة، وإنما قال: تلكم، لأنهم وُعدوا بها في الدنيا، فكأنه قيل: هذه تلكم التي وعدتم بها. وجائز أن يكون عاينوها فقيل لهم من قبل دخولها إشارة إلى ما يـرَوْنَه: تلكم الجنَّة، كما تقول لما تراه: ذلك الرجل أخوك. ولو قلت: هذا الرجل لأنه يراك جاز، لأن هذا وهؤلاءِ لما قرب منك، وذاك وتلك لما بَعُدَ عنك، رأيته أو لم تره.

وقوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الجنَّة أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾.

معنى «أن» ههنا إن شئت كان مفسراً لما نادى به أصحاب الجنة، والمعنى أي قد وجدنا، ويجوز أن تكون أن الشديدة وخففت، المعنى أنه قد وجدنا، قال الشاعر:

في فتية كسيوف الهند قد علموا   أن هالك كل من يحفى وينتعل[4]

وقوله: ﴿قَالوا نَعَمْ﴾.
وفي بعض اللغات قالوا نَعِمْ في معنى نَعَمْ ـ موقوفةُ الآخر ـ لأنها حرف جاءَ لمعنى.

---

(١) في هذا الموضع هاء ضمير الشأن مضمرة بعد أن.
(٢) أن هنا مخففة من الثقيلة والتقدير أنه أي الحال والشان.
(٣) وهو جيد لأن «أن» المفسرة تأتي بعدما فيه معنى القول دون حروفه.
(٤) تقوم شرح البيت، والاستشهاد هنا غير جيد، لأن أن في البيت سبقت يعلم التي يأتي بعدها أن المخففة، أما في الآية فهي مسبوقة بما فيه معنى القول دون حروفه.

وقوله: ﴿فأَذَّن مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّه عَلَى الظَّالمينَ﴾.

ويجوز أَنَّ لَعْنَةَ اللَّه على الظَّالمين، وقد قرئ بهما جميعاً والمخففة مخففةٌ من الشديدة، ويجوز أن تكون المخففة في معنى أي الخفيفة التي هي تفسير، كأنها تفسير لما أَذَّنُوا فيه.

وقوله: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْساهُمْ كَمَا نَسُوا لقاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾.

أي نتركهم في عذابهم كما تركوا العمل للقاءِ يومهم [هذا].

ومعنى: ﴿وَمَا كانُوا بآيَاتِنَا يَجْحَدُون﴾.

و «كجحدِهم» و«ما» نسقٌ على «كما» في موضع جر(١).

وقوله: ﴿هُدَى وَرَحْمة لقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(٢).

هدى في موضع نصْبٍ، أي فصلناه هادياً وذا رحمة. ويجوز هدى ورحمةٌ لقوم يؤمنون على الاستئناف، المعنى هو هُدًى ورحمةٌ لقوم يؤمنون.

وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ تَأْوِيلَه﴾.

معناه هل ينظرون إلا ما يؤول إليه أمرهم من البعث، وهذا التأويل والله أعلم - هو قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ اللَّهُ﴾(٣)، أي ما يعلم متى يكون البعث، وما يؤول إليه إلا الله: ﴿والراسِخُونَ في العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾(٣) أي آمنا بالبعث - والله أعلم -.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ﴾.

﴿يومَ﴾ منصوب بقوله: ﴿يقول﴾: و ﴿الذين نسوه﴾ على ضربين:

---

(١) ما مصدرية والمعنى ننساهم جزاء نسيانهم وجحدهم.

(٢) نص الآية: ﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة..﴾ الخ وفي الأصل: وهدى ورحمة، وهو خطأ.

(٣) سورة آل عمران الآية ٧.

جائز أن يكون صاروا في الإعراض عنه بمنزلة من نُسِيَ وجائز أن يكونوا نسوه وتركوا العمل له والإيمانَ به.

وقوله: ﴿أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾.

«أو» نسق على قوله ﴿من شفعاءَ﴾، كأنهم قالوا: هل يشفع لنا شافع أو هل نرد.

وقوله عز وجلّ ﴿فنعمل﴾ منصوب على جواب الفاءِ لـلاستفهام. ويجوز أن تنصب أو نُرَدَّ فنعمَلَ، أي إن رددنا استغنينا عن الشفاعة.

وقوله: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾.

ويُغشِّي الليل النهار، جميعاً يقرأ بهما.

والمعنى أن الليل يأتي على النهار فيغطيه، ولم يقل يغشى النَّهارَ اللَّيْلَ، لأن في الكلام دليلاً عليه، وقد جاءَ في موضع آخر: ﴿يكوِّرُ اللَّيْلَ عَلى النَّهارِ، ويُكوِّرُ النَّهارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿والنُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ﴾.

أي خلق النجوم جاريَاتٍ مَجَارِيَهُنَّ بأَمْرِهِ.

وقوله: ﴿وَعَلى الأَعْرافِ رِجَالٌ﴾.

وقوله: ﴿وَنادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ﴾[2].

اختلف الناس في أصحاب الأعراف، فقال قوم: هم قومٌ استوت حسناتهم وسيئاتُهم، فلم يستحقوا الجنة بالحسنات، ولا النار بالسيئات، فكانوا على الحجاب الذي بين الجنة والنار، والأعرافُ أعَالي السُّورِ، ويُقَالُ لكلِّ عَالٍ عُرْف وجمعُه أعْراف.

---

(١) سورة الزمر الآية ٥.

(٢) هذه الآيات موضعها في المصحف قبل ذلك.

ويجوز أن يكون ـ والله أعلم ـ على الأعراف على معرفة ـ أهل الجنة وأهل النار هؤلاءِ الرجال، فقال قوم ما ذكرنا، وإنَّ الله يدخلهم الجنة، وقال قوم أصحاب الأعراف أنْبياءٌ، وقال قوم ملائكة.

ومعرفتهم كُلًّا بِسيماهُمْ يعرفون أصحاب الجنة بأن سيماهم إسْفَارُ الوُجوه والضَّحِكُ والاسْتِبْشَارُ كما قال عزّ وجلّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذ مُسْفِرَةٌ. ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾[1]. ويعرفون أصحاب النار بسيماهم وسيماهم اسوداد الوجوه وَغُبْرَتُها ـ كما قال جلّ وعزّ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وتسود وُجُوهٌ﴾[2]، و ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عليها غَبَرَةٌ ترهَقُها قَتَرَةٌ﴾[3] والقَتَرة كالدُّخَان.

وقوله: ﴿مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وما كنتم تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

هذا ـ والله أعلم ـ خطاب أصحاب الأعراف لأهل النار، وقرئت تستكثرون بالثاءِ.

وأما قوله: ﴿أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾.

يعني أهل الجنة كأنه قيل لهم: يا أهلَ النار أهؤلاءِ الذين حلفتم لَا ينالهم الله برحمة﴾.

﴿ادخُلُوا الجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾.

وإن شئتَ بالفتح لا خوفَ عليكم.

فجائز أن يكون ﴿ادْخُلوا الجنَّةَ﴾ خطاباً من أصحاب الأعراف لأهل

---

(١) سورة عبس آية ٣٨ ـ ٣٩.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٦.

(٣) الغبرة ما يعتري الوجه من تغير واربداد، وزنه فعله كحمرة وصفرة وزرقة، والغبرة أيضاً اسم للتراب، وكذلك الغبرة محركة هي التراب ـ فغبرة الوجوه، وغبرتها بالتحريك تحتمل أن عليها غباراً وأنها متغيرة مسودة.

الجنة، لأن كل ما يقوله أصحاب الأعـراف فَعَنِ اللّه تعالى. وجـائز أن يكـون خطاباً من اللّه عزّ وجلّ لأهل الجنة.

وقوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الجَنَّـةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَـا مِنَ المَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾.

فأعلم اللّه عزّ وجلّ: أن ابن آدم غيرُ مستغن عن الطَّعام والشـراب وإن كان معذّباً.

فأعلمهم أهلُ الجنّة أنّ اللّه حرمها على الكافـرين، يَعْنُون أن اللّه حـرم طعامَ أهل الجنة وشرابَهم على أهـل النار، لأنهم إنمـا يشربـون الحميمَ الذي يُصْهَرُ به مَا في بُطُونِهمْ.

وقوله: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾.

قـال قوم: تضـرعوا تملقـاً، وحقيقته ـ واللّه أعلم ـ أن يَـدْعُوه خـاضعين متعبدين.

وخُفْيةً أي اعتقدوا عبادته في أَنْفُسِكم، لأن الدعاءَ معناه العبادة.

وقوله: ﴿إِنَّهُ لا يُحبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

والمعتدون المجاوزون ما أُمِروا به، وَهُمُ الظَّالمونَ.

وقوله: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفاً وطَمَعاً﴾.

أي ادْعوه خائِفين عذَابه وطـامعين في رحمته، ويـروى عن النبي ﷺ أنه قال: لَنْ يَدْخُلُ الجنة أحدٌ بعَمَلِه، قالوا: ولا أنت يا رسول اللّه، قال ولا أنـا، إلا أن يتَغمدنيَ اللّهُ برحمته.

وقوله: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

إنما قيل قريبٌ لأن الرحمة والغُفْرَانَ في معنًى واحدٍ وكذلـك كل تـأنيث ليس بحقيقي. وقـال الأخفش جائـز أن تكون الـرحمَةُ ههنـا في معنى المَطَر.

وقال بعضهم: هذا ذُكرَ ليفصل بين القريب من القرابة، والقريب من القُـرْبِ، وهـذا غلط، لأن كل مـا قَرُبَ من مكـان أوْ نَسَبٍ فهو جـارٍ على ما يصيبيـه من التأنيث والتذكير.

وقوله: ﴿بُشْرًى بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾.

ونُشْرا أيضاً بضم النون وفتحها ـ وقرأ عاصم بُشْرًى بالياء. فمن قرأ نَشْراً فالمعنى وهو الذي يُنْشِر الرياح مُنْشَرةً نشْراً، ومن قـال نُشْراً فهـو جمع نشـورٍ ونُشُرٍ. ومن قرأ بُشْـراً فهو جمـع بشيرةٍ وبُشُـرٍ كما قـال جلّ وعـزّ: ﴿وَهُوَ الَّـذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرَاً﴾[1].

وقوله: ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾.

أي بين يدي المطر الذي هو رحمةٌ، ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحاباً﴾ أي حتى إذا أقلت الريح سحـاباً، يقـال: أقل فـلان الشيء إذا هو حمله، وفـلان لا يَسْتقلُّ بحَمْلِه.

فالمعنى حتى إذا حملت سحاباً ثقالاً، والسحـاب جمع سحابة،﴿ثِقَالاً﴾ أي ثقالاً بالماءِ.

﴿سُقْنَاهُ لِبَلَد مَيِّت﴾.

ومَيْتٍ جميعاً.

﴿فَأَنْزَلْنَا بِه الماءَ فَأَخْرَجْنَا به مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾.

جائز أن يكون: فأنزلنا بالسحاب الماءَ، فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كلِّ الثَّمَرَاتِ.

الأحسن ـ واللّه أعلم ـ فأخرجنا بالماءِ من كل الثمرات، وجائز أن يكون فأخرجنا بالبلد من كُلِّ الثَّمرات، لأن البَلَدَ ليس يُخَصَّ به ههنا بلَدٌ سوى سائـر البُلْدَانِ.

---

(١) سورة الاعراف. الآية ٥٧.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾.

أي مثلَ ذَلكَ الإخراجِ الذي أَشرنا إليه نُخرج الموتى.

وقوله: ﴿لَعَلكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

لعل ترج، وإنما خوطب العباد على قدر علمهم، وما يرجوه بعضهم من بعض، واللَّه يعلم أيتَذَكّرون أم لا.

وقوله: ﴿لَعَلكُم تَذَكَّرُونَ﴾.

أي لعلكم بما بيَّناهُ لكم تستَدِلُّونَ على توحِيد اللّهِ وأنه يبعث الموتى.

وقوله: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّب يَخْرُجُ نَبَاتُه بِإِذْن رَبِّهِ، وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرجُ إِلَّا نَكِداً﴾.

وقرأها أهل المدينة نكَداً - بفتح الكاف - ويجوز فيه وجهان آخران: إلَّا نَكْداً ونُكْداً - بضم النون وإسكان الكاف ولا يقرأ بالمضمومة، لأنه لم تثبت به رواية في القرآن.

وقوله: ﴿قَالَ الملأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾.

وهم الرؤساء والأشراف، وقال بعضهم يعنى به الرجال.

وقد بينا المَلأَ فيما سبق من الكتاب(١).

وقوله: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

هذه الواو واو العطف. دخلت عليها أَلف الاستفهام، فبقيت مفتوحة، وقد بينا أمرها في الكتاب.

وقوله: ﴿في الفُلْكِ﴾.

والفلك السفينة، يكون الفلك واحداً، ويكون جمعاً.

---

(١) جـ١ ص ٣٢٥.

وقوله: ﴿قَوْماً عَمِينَ﴾.

أي قد عَموا عن الحق والإيمان.

وقوله: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً﴾.

المعنى: لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه، وأرسلنا إلى عادٍ أخاهم هوداً، وقيل للأنبياءِ أخوهم وإن كانوا كفرة، يعني به أنّه قد أتاهم بَشَرٌ مثلُهم من وَلَدِ أبيهم آدمَ، وهو أرْجح[1] عليهم. وجائز أن يكون أخاهم لأنه من قومهم ليكون أفهمَ لَهُمْ بأن يأخذوا عن رجل مِنْهُمْ.

وقوله: ﴿إِنَّا لَنَراكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾.

السفاهة خِفَّةُ الحلم والرأي، يقال ثوبٌ سفيه إذَا كان خفيفاً.

وقوله: ﴿وَإِنَّا لَنظُنُّك مِنَ الكَاذِبِينَ﴾.

وكفروا به ظانينَ لَا مُسْتيْقنين.

وقوله: ﴿يا قَوْمِ لَيْسَ بي سَفَاهَةٌ﴾.

هذا موضع أدب للخلق في حسن الجوار وفي المخاطبة، أنه دفع ما نسبوه إليه من السفاهة بأن قال ليس بي سفاهة، فدفعهم بنفي ما قالوا فقط.

وقوله: ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

أي الذي أُنبئكم به مِنْ عند اللَّه، لأنه أمَرَهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّه جلّ وعزّ وتوحيده:

وقوله: ﴿وَاذْكُروا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكم في الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾.

وَخُلَفَاءَ جمع خليفة على التذكير لا على اللفظ، مثل ظَريف وَظُرَفَاءَ.

---

(١) أوجب في الحجة على من كفر منهم.

وجائز أن يجمع خلائف على اللفظ، مثل طريفة وَطَرَائف.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَزَادَكُمْ في الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾.

في التفسير أَنَّه كان أَقْصَرُهُمْ، طولُهُ ستُّونَ ذِرَاعاً وَأَطْوَلهُمْ مائة ذِراع.

وقوله: ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾.

معناه نِعَمَ اللّه، واحدها إِلًى، قال الشاعر[1]:

أَبيضُ لا يَـرْهَـبُ الـهـزَال ولا يقـطعُ رِحْمـاً، وَلَا يـخُـونُ إِلًّا

ويجوز أن يكون واحدها إلْيٌ وإلًى.

وقوله: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً﴾.

أي أرْسَلْنَا إلى ثَمُودَ أخاهم صَالِحاً.

وثمودُ في كتاب اللّه مصـروفٌ وغيرُ مصـروف. فأما المصروف فقـوله: ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُوداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِثَمُودَ﴾[2]، الثَّاني غَيْـرُ مصـروفٍ، فـالـذي صرفه جَعَلَهُ اسماً للحيّ، فيكونُ مُـذَكَّراً سمي بـه مُذَكَّـرٌ وَمَنْ لم يصرِفْـه جعله اسْماً للقَبيلة.

وقوله: ﴿مَـا لَـكُـمْ مِـنْ إِلَـهٍ غَـيْـرُهُ﴾.

وتقرأ غَيرِه، فمن رفع فالمعنى ما لكم إله غيـرُهُ، ودخلت «مِنْ» مؤكدةً، ومَنْ جَـرَّ جعله صفةً لإلَـهِ. وأجاز بعضهم النصبَ في غَيْـر وهو جـائز في غيـر القرآن، على النصب على الاستثناءِ وعلى الحـال من النكـرة، ولا يجـوز في القرآن لأنه لم يقرأ به، وأجاز الفراء.. ما جاءَني غيرَكَ بِنَصْبِ غير، وهذا خطأٌ

---

(١) هو الأعشى يمدح سلامة ذي فائش، من قصيدته: إن محلاً وإن مـرتحلاً- أي لا ينقض عهـداً - الديوان. ١٧٥، واللسان - إلى - والمرتضى ١/ ٢٨ وشواهد المغني ٢٣٨ (ط بيروت) والطبري ٥/ ١١٧، ومجاز أبي عبيدة ١/ ٢٧١ والخزانة ٤/ ٣٨١.

(٢) سورة هود الآية ٦٨.

بيّن، إنما أنشد الخليل وسيبويه بيتاً أجازا فيه نصبَ غير، فاستشهـد هو بـذلك البيت واستهواه اللفظ في قولهما إنَّ الموضعَ موضِـعُ رفع. وإنمـا أُضيفت غير في البيت إلى شيءٍ غير متمكن فبنيت على الفتح كما يبنى يوم إذَا أُضِيفَ إلى إذْ على الفتح[1].

والبيت قول الشاعر:

لم يَمْنعَ الشرب منها غيرَ أن نطقت[2] حمـامـة في غُصُـون ذاتِ أَوْ قَـال

وأكثرهم ينشده غيرَ أن نطقت، فلما أضاف غير إلى «أَنْ» فتح غيـر، ولو قلت: ما جاءَ في غيرَك لم يجز. ولو جاز هذا لجاز ما جاءَني زيداً.

وقوله: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

دعاهم إلى التوحيد ودلهم على نُبُوَّتِهِ بالناقة فقال:

﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾.

[آية] انتصب على الحال، أي انظروا إلى هَذه النَّاقَةِ آيةً أي عَلامَةً.

وقـد اختلف في خبـرهـا، فقيـل في بعض التفسيـر: إنَّ المـلأ من قـوم صالح كانوا بين يديه فسألوه آية وكانت بين يديه صفاةٌ ـ وهي الصخرة ـ فأخرج اللَّه منها ناقة معها سَقْبُها أي وَلَدُها.

وجاءَ في بعض التفسير أنـه أخذ نـاقة من سـائر النـوق، وجعل اللَّه لهـا

---

(١) يومئذ ليست مبنية عند جمهور النحويين البصريين، وإنما هي ظرف منصوب.

(٢) هو أبو قيس بن رفاعة من الأنصار، يصف ناقتـه بالحـدة ورهافـة الحس، فقد همت أن تشـرب فسمعت حمامة تهتف في شجرة مقل فتركت الشرب والأوقال جمع وقـل كجبل وهـو شجر قـال في القاموس: الوقل شجر المقل ـ بضم الميم ـ أو ثمره أو يابسـه، وأما رطبـه فبهش اهـ ـ وقيل هي الحجارة أو ما بقي من جذوع الشجر بعد تقليمه ـ والشـرب ـ بالضم ـ مصـدر، وبالكسر الحظ من الماء. والمقل شجر الكندر (كفلفل) يتدخن به ويستعمل عقاراً لأدواء كثيرة.

أنظر الخزانة الشاهد ٢٣٧، وشواهد الكشاف (حرف اللام).

شِرْباً[1] يوماً وَلَهُمْ شربُ يومٍ. وذُكِرَتْ قصتُه في غير هذا الموضع فقال: ﴿هَـٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُوم﴾[2] فكانت تشرب يوماً ثم تُفْجِجُ[3] يوماً آخر في وادٍ فلا تزال تحتلب ولا ينقطع حلَبُها ذلك اليوم.

فجائز أن يكون أمْرُ خروجها من الصخرة صحيحاً، وجائز أن يكون أمر حلبها صحيحاً. وكل منهما آية معجزة تدل على النبوة. وجائز أن تكونَ الرّوَايَتَانِ صحيحتَيْنِ فَيُجْمَعُ أنها خرجت من صخرة وأن حَلْبَهَا على ما ذَكَرْنَا. ولم يكن ليقول: قد جاءَتكم بينة من ربكم فتكون آيةً فيها لبس.

وقوله: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَاد﴾.

أي لما أهلكهم وورثكم الأرض.

﴿وَبَوْأَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾.

أي أنزلكم، قال الشاعر:[4]

وبُوِّئَتْ في صميم معشرها ... فَتَمَّ في قومها مَبَوَّؤُهَا

أي أُنزلت من الْكَرَم في صميم النسب.

وقوله: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ﴾.

يقال: نَحَتَ يَنْحِتُ، ويقال أيضاً نَحَتَ يَنْحَتُ، لأن فيه حرفاً من حروف الحلق.

ويروى أنهم لطول أعمارهم كانوا يحتاجون أن ينحتوا بيوتاً في الجبال،

---

(١) الشرب ـ بالكسر ـ الماء والحظ منه، والمورد، ووقت الشرب.

(٢) سورة الشعراء الآية ١٥٥.

(٣) من أفجج بمعنى أحجم.

(٤) هو ابن هرمة. اللسان (بوأ) ومجاز أبي عبيدة ١ ـ ٢١٨ وشواهد المغني ٢٧٩، قيل انه ذكر له أن قريشاً لا تهمز فأنشأ هذه القصيدة مهموزة كلها أولها:

إن سليمى والله يكلؤها ... ضنت بشيء ما كان يرزؤها

وهذا البيت من شواهد المغني والقصيدة جيدة ـ ويكلؤها يحفظها ويرزؤها ينقصها.

لأن السقوفَ والأَبنية كانت تبلى قبل فناءِ أعمارهم.

وقوله: ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾.

أَي جاوزوا المقدَارَ في الْكُفْر.

﴿فَأَخَذَتهُمُ الرَّجْفَةُ﴾.

والرجفة: الزلزلة الشديدة.

ويروى أنه لما قال لهم: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أيامٍ﴾[١] أصبحوا في أَول يوم مصفرّة وُجُوهُهم، وفي اليوم الثاني محمرة وجوههم وفي اليوم الثالث مسودَّةً وجوههم، وفي اليوم الرابع أَتاهم العذاب.

ويقال إن ابتداءَ عقرهم الناقة كان في يوم الأَربعاءِ، وأَخذهم العذاب في يوم السبت.

وقوله: ﴿فَأَصْبَحُوا نَادمينَ﴾[٢].

[أَي] في وقت لا ينفعهم الندم.

وأَصْبَحُوا جَاثِمِينَ. في اليوم الذي أَخذتهم فيه الرجفة.

ومعنى ﴿جَاثِمِينَ﴾ قد خمدوا من شدة العذاب.

وقال بعضهم أَصبحوا كالرماد الجاثِم.

وقوله: ﴿وَلُوطاً إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾.

أَي وأَرسلنا لوطاً إِذ قال لقومه، وقال الأَخفش ويجوز أَن يكون منصوباً على واذكر لوطاً إِذ قال لقومه. والوجهُ أَن يكون معطوفاً على الإِرسال.

وقال بعض أَهل اللغة: لوط مشتق من لطتُ الحَوْضَ إِذا مَلَّسَته بالطِّين. وهذا غلط. لأَن لوطاً من الأَسماءِ الأَعجمية ليس من العربية، فأما لطت

---

(١) سورة هود آية ٦٥.

(٢) سورة الشعراء ١٥٧. وذكرت للمناسبة بين التعبيرين.

الحوض وهذا أَلوط بقلبي من هذا، فمعناه أَلصق بقلبي. واللِّيطُ القِشرُ. وهذا صحيح في اللغة. ولكن الاسم أَعجميٌّ كإبراهيم وإسحق، لا نقول إنه مشتق من السُّحْقِ وهو البعدُ. وهو كتاب اللّه الذي لا ينبغي أَن يقدم على تفسيره إلاَّ برواية صحيحة وحجة واضحة[1].

وقوله: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِن أَحَد مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

هذا دليل أَن فاحشة اللواط لم يفعلها أَحد قبل قوم لوط.

وقد اختلف الناس في حَدِّ اللُّوطِيّ، فقال بعضهم هو كالزاني.

وروي أَن أَبا بكر حرق رجلاً يقال له الفجاءَة بالنار في اللواط[2].

وقال بعضهم: يجب أَنْ يقتلَ مُحْصَناً أَو غير مُحْصَنٍ، لأَن اللّه تبارك وتعالى قتل فاعليه بالحجارة.

فخاطبهم لوط فقال: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾. وقال في موضع اخر: ﴿إنكمْ لتأْتون الفاحشة﴾[3].

والفاحشة الشيءَ الغليظ القبيح.

وقوله: «وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ ﴾.

يجوز أَن يكون «جواب» مرفوعاً. ﴿وَمَا كان جوابُ قومه إلا أَن قالوا﴾ والأَجود النصب وعليه القراءَة[4].

---

(١) سبق للمؤلف أن ذكر اشتقاق آدم من أديم الأرض، وذكر اشتقاق هذه الأسماء لا لبيان أنها أطلقت لهذا السبب ولكن لبيان الصلة بينها وبين أصل الكلمة، والنحويون يفعلون ذلك في الأسماء غير العربية ـ وليس هذا تفسيراً للقرآن وإنما هو بيان لما تدل عليه حروف اللغة.

(٢) أحرق أبو بكر الفجاءة السلمي في حرب الردة، لأنه ارتد وحارب المسلمين وتفاجر في عدائه لهم. ويقال إنه قال عند موته وددت أني لم أحرقه.

(٣) سورة العنكبوت الآية ٢٨.

(٤) لأن المصدر المؤول من «أن» والفعل أحق أن يكون مبتدأ ـ كقوله تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم﴾.

﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

أي يتطهرون عن عملكم.

وقوله: فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾.

في التفسير أن أهله ابنتاه.

﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ».

قيل في الغابرين ههنا قولان. قال أهل اللغة: من الغابرين من الباقين، أي من الباقين في الموضع الذي عذبوا فيه، وَأَنْشَدَ أبو عَبَيْدَة معمر بن المثنى.

فما ونى محمدٌ مذ أن غفر ... له الإله ما مَضَى وَمَا غَبَرَ[1]

أي ما بقي.

وقال بعضهم: ﴿من الغابرين﴾ أي من الغائبين عن النجاة.

وكلاهما وجه. والله أعلم.

وقوله: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً﴾.

مَدْيَنُ لا ينصرف لأنه اسم للقبيلة أو البلدة، وجائز أن يكون أعجمياً.

وقوله: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالميزَانَ﴾.

قال بعض النحويين؛ لم يكن لشعيب آية إلا النبوة، وهذا غلط فاحش. قال قد جاءَتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل فجاءَ بالفاءَ جواباً للجزاء، فكيف يقول: قد جاءَتكم بينة من ربكم ولم يكن له آية إلا النبوة، فإن كان مع النبوة آية فقد جاءَهم بها. وقد أخطأ القائل بقوله: لم تكن له آية، ولو ادَّعَى مُدَّع النبوة بغير آية لم تُقْبَلْ منه، ولكن القول في شعيب أن آيته كما قال بيِّنَةٌ. إلا

---

(١) من رجز العجاج، وهما في مجاز أبي عبيدة ١ - ٢١٩، والطبري ١١ - ١٩٨ (بولاق)، والقرطبي ٧ - ٢٤٦، ١٣ - ١٣٢.

ان اللّه جلّ ثناؤه ذكر بعض آيات الأنبياءِ في القرآن وبعضهم لم يذكر آيته، فمن لم تذكر آيته لا يقال: لا آية له. وآيات محمد النبي ﷺ لم تذكر كلها في القرآن ولا أكثرها.

وقوله: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾.

البَخْسُ النقْصُ والقِلَّة، يقال بخست أبخس بالسين، وبخصت عيْنَه بالصاد لا غير مثل فقأت عينيه.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾.

أي لا تعملوا فيها بالمعاصي وَبخِس الناس بعد أنْ أصلحها اللّه بالأمر بالعدل وإرسال الرُّسُل.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾.

أي بكل طريق.

ومعنى توعدون أي توعدون من آمن بشعيب بالعذاب والتهدُّد يقال: وعدته خيراً، ووعدته شرًّا، فإذا لم تذكر واحداً منهما. قلت في الخير وعدته وفي الشر أوعدته.

وقوله: ﴿وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

أي عن الطريق التي آمن[1] اللّه من آمن بها.

﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾.

أي وتريدون الاعوجاج والعدول عن القصد. يقال في الدين وفيما يعلم إذا كان على غير استواء عوج بكسر العين وفي الحائط والعود عَوَج بفتح العَيْن.

(١) آمنه منحه الأمن من العذاب، أي من صدق بها جعله اللّه في مأمن من العذاب.

وقوله: ﴿وَاذْكُروا إِذْ كُنْتُم قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ﴾.

جائز أن يكون ﴿فكثركم﴾ جعلكم أغنياءَ بعد أن كنتم فقراءَ، وجائز أن يكون كان عددهم قليلاً فكثرهم، وجائز أن يكونوا غير ذوي مقدرة وأقدار فكثرهم، إلا أنه ذكرهم بنعمة اللَّه عليهم كما قال: ﴿فاذكروا آلاءَ اللَّه﴾ أي نعم اللَّه.

وقوله: ﴿قَالَ المَلأُ الَّذينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجُنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُن في مِلَّتِنا﴾.

المعنى: ليكونن أَحَدُ الأَمْرين، ولا تُقارُّ على مخالفتنا[1]

وقوله: ﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾.

أي أتعيدوننا في ملتكم وإن كرهناها. فإن قال قائل: كيف قالوا لشُعَيب: أو لتعودُن في ملتنا، وشعيب نَبِيٌّ ففيه قولان[2].

أحدهما: لما أشركوا الذين كانوا على مِلَّتهم قالوا: أو لتعودُنَّ في مِلَّتِنا[3]. وجائز أن يقال: قد عادَ عليَّ من فلان مكروه وإن لم يكن سبقه مكروه قبل ذلك وإنما تأويله أنه قد لحقني منه مكروه.

وقوله: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

اختلف الناس في تأويل هذه، فأولى التأويلات باللَّفْظ أن يكون: مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيها إلا أن يشاءَ اللَّه عزّ وجلّ لأنه لا يكون غير ما يشاءَ اللَّه. وهذا مذهب أهل السنة، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وما تشاءُون إلا أن يشاءَ اللَّه﴾[4]. والمشيئة في اللغة بيِّنة لا تحتاج إلى تأويل.

---

(١) لا ندعك تستقر على هذه المخالفة، لا نتركك ولأنها دنك.

(٢) يريد أن شعيباً لم يكن وثنياً من قبل فكيف يقال له «لتعودن».

(٣) حين حملوا قوماً على الشرك وجعلوهم وثنيين معهم.

(٤) سورة الإنسان آية ٣٠.

فالمعنى: ما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يكون اللَّه عزّ وجلّ قد سبق في علمه ومشيئته أنا نعود فيها. وتصديق ذلك قوله:

﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شيءٍ عِلماً﴾.

ثم قال: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾.

وفي موضع آخر: ﴿وما توفيقي إلَّا باللَّه عليه توكَّلتُ﴾[1].

وقال قوم: وما يكون لنا أن نعود فيهَا إلا أن يشاءَ اللَّه رَبُّنا: أي فاللَّه لا يشاءُ الكفر، قالوا: هذا مثل قولك: لَا أُكلِّمك حتى يبيضَّ الفأر ويَشيبَ الغُرابُ، والفأْرُ لا يبيض، والغراب لا يشيب. قالوا فكذلك تأويل الآية.

قال أبو إسحق: وهذا خطأ لمخالفته أكثر[2] من ألف موضع في القرآن لا تحتمل تأويلين، ولا يحدث شيءٌ إلا بمشيئته وعن علمه. إما أن يكونَ عَلِمَهُ حادثاً فشاءَه حادثاً، أو عَلِمَهُ غيرَ حادثٍ فشاءَه غيرَ حادث. ولا يجوز لما مُكِّنَ الخلق من التصرف أن يُحدثَ الممتنعَ موجوداً[3]، ولا يكون ما علمه أنَّه يُوجَدُ ممتنعاً. وسنةُ الرَسول عليه السلام تشهد بذلك ولكن اللَّه تبارك وتعالى غيب عن الخلق علمه فيهم، ومشيئته من أعمالهم فأمرهم ونهاهم، لأن الحجة إنما تثبت من جهة الأمر والنهي، وكل ذلك جائز على ما سبق في العلم وجرت به المشيئة، قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا تَسقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلا يَعْلَمُهَا﴾. الآية[4].

فسقوط الورقة منسوب إليها وهو خلقه فيها كما خلقها، وكذلك إلى آخر الآية.

---

(١) سورة هود الآية ٨٨.

(٢) في الأصل أقل من ألف ولا معنى له.

(٣) يجعل الممتنع موجوداً.

(٤) سورة الأنعام - ٥٩.

وقـال: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَـاحْـذَروه﴾(١)، ومـا في النفـوس من الخواطر الجائلة والهم الجائل والعزم الجـائل فيهـا. فلا يجـوز عدم مـا علمه كائناً فيها، ولا يجوز كون ما علمه معدوماً.

فحذّرهم مخالفةَ ظاهز أمره ونهيـه لأن عليهم السمعَ والطّاعةَ لـلأمر إذا أُمِرُوا به، وهم جـارون على ما عَلِمَ منهم أنَّهم يختـارون الطاعـة، ويختارون المعْصِيَـة، فلا سبيـل إلى أن يختاروا خـلاف ما علم أنهم يختـارونه. وإنْ لم يكن الأمر على ما قلنا وجَب أن يكون قولهم: علم اللّه أفعال العبَادِ قبل كونها إنما هو علم مجاز لا علم حقيقة.

واللّه تعالى عالم على حقيقة لا مجاز، والحمد للّه.

وقال قوم ـ وهو بعد القول الأول قريب ـ: إن المعنى. وما يكون لنـا أن نعود فيها إلا أن يشاءَ اللّه ربُّنا. أي قد تبرأْنَا من جميع ملَّتِكُمْ فما يكون لنا أن نعود في شيءَ منها إلاَّ أن يشاءَ اللّه وجهاً من وجوه البر الـذي(٢) تتقربـون [به] إلى اللّه، فيأمرنا به، فنكونَ بهذَا قد عُدْنا.

قال أبو إسحق: والذي عندي ـ وهـو إن شاءَ اللّه الحقُ ـ القـول الأول، لأن قوله: ﴿بعْدَ إِذْ نجَّانا اللَّهُ مِنْها﴾، إنما [هو] النجاة من الكفر وأعمال المعا... لا من أعمال البر.

وقوله: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُل شَيْءٍ عِلْمَاً﴾.

«علمـاً» منصـوب على التمييـز.

وقوله: ﴿رَبنَا افْتحْ بيْنَنَا وَبَيْن قَوْمِنَا بِالحَقِ﴾.

أَهل عُمان يسمُون القاضي الفاتح والفتاح.

---

(١) البقرة ـ ٢٣٥.

(٢) في الأصل الذين.

وجائز أن يكون افتح بيننا وبين قومنا بالحق، أي أظهر أمْرِنَا حتَّى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف، فجائز أن يكون يسألون بهذا أن ينزلَ بقومهمْ من العذاب والهلكة ما يظهر به أن الحق مَعَهُمْ.

وقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَة﴾.

هي الزلزلة الشديدة.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثمينَ﴾.

أي أجْسَاماً مُلْقاة في الأرض كَالرَّمَاد الجَاثِم».

وقوله: ﴿كأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾.

[أي] كأن لم ينزلوا فيها. قال الأصمعي: المَغَاني المنازِلُ التي نزلوا بها، يقال غَنينا بمكان كذا وكذا، أي نَزَلْنَا به. ويكون ﴿كأَنْ لمْ يَغْنَوْا فيها﴾ كأن لم ينزلوا كأن لم يعيشوا فيها مستغنين، كما قال حاتم طيٍّ:(١)

غنينا زمانـاً بـالتصَعْلك والغنَـى ... فكـلاً سقاناه، بكأسيهمـا الدهـرُ
فما زادنـا بغيـاً على ذي قـرابـة ... غِنانَا ولا أَزْرَى بـأَحْسَابِنَا الفَقْرُ

والعرب تقول للفقير الصعلوك.

وقوله: ﴿فتولَّى عنهم﴾.

أي حين نزل بهم العذاب تولى عنهم.

﴿وقال يا قَومِ لَقدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبي ونَصحْت لكُم، فكَيفَ آسى على قوْمٍ كافرين﴾.

---

(١) الأغاني ١٧ ـ ٣٧٦، دار الكتب. ونقل شارحه من ديوانه البيتين هكذا

عنينا زماناً. . . ... كذا الدهر في أيامه العسر واليسر
لبسنا صروف الدهر ليناً وغلظة وكلاً ... سقاناه بكأسيهما العصر

ورواية أبي الفرج في البيت الأول هي العصر، وليس الدهر كما ذكر الزجاج.

معنى آسى أَحْزَن ـ أي كيف يَشْتد حُزني.

يقال: أَسِيتُ عَلى الشَّيءِ آسَى أَسىً إذا اشتدَ حزنُك عَليْه.

قال الشاعر:(١)

وانْـحَـلَـبَـتْ عينـــاه مِـــن فـــرْطِ الأَســـى

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا أَرْسَلنا فِي قَرْيةٍ مِن نبيٍّ﴾.

يقال لكل مدينة قرية، وإنما سمِّيَتْ بأنه يجتمع فيها الناس، يقال قريت الماءَ في الحوضِ إذا جمعته فيه، فسمَيْتْ قريةً لاجتماع الناس فيها، ومكَّةُ أم القرى، لأن أهل القُرَى يُؤمونها أي يقصدونها.

وقوله: ﴿إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بالبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾.

قيل: البَأْسَاءِ كل ما نالهم مِن شِدَّة في أَموَالهم، والضَّـرَّاءُ ما نـالهم من الأمراض، وقيل: الضراء ما نالهم في الأموال، والبأساء ما نالهم في أَنْفسهم.

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾.

أي يَخْضعون، والأَصْلُ يتَضَرعُون، فأدغمت التاءِ في الضادِ.

وقوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكانَ السَّيِّئَةِ الحَسَنَة حَتَّى عَفَوْا﴾.

أي كَثُروا وَكَثُرَتْ أَمْوالهم.

وقوله: ﴿قدْ مَسَّ آبَاءَنا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾.

فأخذهم اللَّه ليعتبـروا ويُقْلعُوا عن الكفـر وتكذيب الأنبيـاءِ، فقالـوا مسّ

---

(١) هـو العجاج في ديـوانه ٢٠، وشـواهد الكشـاف، والكامـل ١ ـ ٣٥٢ (تجارية) ومعاني القـرآن للفراء ٢ ـ ٣٢٣، وقبله:

يـا صاح هـل تعرف رسمـاً مكـرسـاً ... قـال نـعـم أعـرفـه، وأبـلسـا

وانحلبـت عـينـاه مـن فـرط الأسـى

وأورده كذلك اللسان (كرس) ـ والمكرس الذي بعـرت فيه الإبـل وبولت فـركب بعضه بعضـاً ـ وأبلس صمت من الحزن ـ ثم فاضت عيناه بالدمع كالدلو.

اباءَنا مثلُ هذا، أي قد جرت عادة الزمان بهذا، وليست هذه عقوبة، فبين اللَّه تأولهم بخَطئِهِمْ، وقد علموا أن الأممَ قد أُهْلِكتْ بِكُفْرِهِم قَبْلَهُم.

وقوله: ﴿فَأَخَذْنَاهم بَغْتَةً﴾ أي فجأة ﴿وهُمْ لَا يَشعرُون﴾.

فهـذا ما أخبـر اللَّه تعالى بـه عن الأمم السالفـةِ لتعتبرَ أُمَّــةُ محمـد ﷺ فقال:

﴿ولَوْ أن أهْـل القـرى آمَنُـوا وَاتَّقَـوْا لفتَحنـا عَلَيْهِم بَـرَكَـاتٍ من السَّمَـاءِ وَالأَرْض﴾.

أي أتـاهم الغيث من السماءِ، والنَّبـاتُ من الأَرض. وجعل ذلـك زاكيـاً كثيراً.

وقوله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى أَنْ يأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً﴾.

أي ليـلاً، [أي] أفَأَمِنت الأَمـةُ التي كذبت النبي محمـداً ﷺ أن يـأْتيهم بأْسنا بياتاً. أي ليلاً.

﴿وَهُمْ نَائمُونَ﴾.

يقال نام الرجل ينام نوماً فهو نـائم. وهو حسن النِيمـةِ، ورجل نُـومةٌ إِذا كان خَسِيساً لا يؤبه له، ورَجُلٌ نُوَمة إذا كان كثير النوم، وفلان حسن النِّيمة أي حسن هيئة النوم، والنِّيمُ ـ الفرو، والفاءَ في قـوله: أَفَـأَمِنَ، والواو في قـوله أَوَ أَمِنَ، فتحت لأنها واو عطف وفاء عطف دخلت عليها أَلف الاستفهام.

وقوله: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

يقال لكل من كـان في شيء لا يُجْدي أو في ضـلال: إنما أنت لاعب، وإنما قيل لهم: ﴿ضُحىً وَهُمْ يَلْعَبُون﴾. أي وهم في غير ما يجدي عليهم.

وقوله: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾.

أي وأمنوا عذاب اللَّه أن يأتيهم بغتة وهم لا يشعرون.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهم بِذُنُوبِهِمْ﴾.

وتقرأ «نَهْدِ» بالنُّونِ، فمن قرأ نهدي بالنون فمعناه أَوَلَمْ نُبَيِّنْ. لأن قولك: هديته الطريق معناه بَيَّنْتُ له الطريق.

ومن قرأ بالياءَ كان المعنىٰ أو لم يُبَيّنِ اللَّه لهم أنه لو يشاء أَصَابَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ.

وقوله: ﴿ونَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾.

ليس بمحمول على أَصَبْنَاهم.

المعنى ونحن نطبع على قلوبهم، لأنه لو حمل على أَصَبْنَاهمْ لكان ولطبعنا، لأنه على لفظ الماضي، وفي مَعْنَاهُ.

ويجوز أن يكون محمولاً على الماضي، ولفظه لفظ المستقبل كما أن لو نشاءَ معناه لو شئنا.

وقوله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بما كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الكَافِرِينَ﴾.

وهذا إِخبار عن قوم لا يُؤْمِنُونَ. كما قال جلّ وعزّ:

﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمن﴾(١)، وكما قال للنبِيِّ ﷺ:

﴿قُلْ يا أَيُّها الكَافِرُونَ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُد﴾(٢).

فهذا إِخبار من اللَّه جَلّ وعزّ أَنَّ هَؤُلَاءِ لَا يُؤْمِنُون.

---

(١) سورة هود ـ ٣٦.

(٢) سورة الكافرون ١ ـ ٣.

وقال قوم: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذبُوا مِنْ قَبْلُ..﴾ أيْ لَيْسُوا مؤمنين بتكذيبهم، وهذا ليس بشيءٍ، لأن قوله: كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلوبِ الكَافِرِينَ.. يَدُلَ على أنهم قد طُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ.

وموضع الكاف في «كذلك»[1] نصْبٌ. المعنى مثل ذلك يطبعَ اللَّه على قُلوبِ الكافِرين.

وقوله: ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لفَاسِقِينَ﴾.

هذه «إن» تدخل واللامَ على معنى التوكيد واليمين[2]. وتدخل على الأَخْبَار. تقول: إن ظننت زيْداً لَقَائِماً.

وقوله: ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾.

أي بالآيات التي جاءَتهم، لأنهم إذا جاءَتهم الآيات فكفروا بها فقد ظلموا أَبْين الظُّلْم، لأنَّ الظلم وضعُ الشيء في غير مَوْضِعِه، فجعلوا بدل وجوب الأيمان بها الكفر، فذلك معنى قوله ﴿فظَلموا بِهَا﴾.

وقوله: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَن لَا أَقُول عَلى اللَّه إلا الحَق﴾.

وتقرأ حقيق عَلَيَّ أن لا أَقُول. ومن قرأ حقيق عَلَيَّ أن لا أَقُول فالمعنى واجب عَليَّ تركُ القول على اللَّه إلا بالحقِّ.

وقوله: ﴿قال إن كُنْتَ جِئْتَ بآيةٍ فَأْتِ بِهَا إن كُنْت منَ الصَّادِقِينَ﴾.

قد أوجب فرعونُ أنّه ليس بآيةٍ كما ادَّعى، لأنه قد أوجَبَ له الصدق إن أتى بآية يعجز عنها المخلوقون.

وقوله ﴿فَألقى عصَاهُ﴾.

---

(١) في الأصل: في ذلك.

(٢) القسم. وهي إن المخففة.

إن شئت قلت: «عَصَا هُو» بالواو. والأَجْوَدُ حَذْفُها، أَعْنِي الواوَ لسكونها وسكون الألف، والهاء ليست بحاجز.

وقوله: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبين﴾.

قال أبو عبيدة وغيره: الثعبان الحية. وقال غيره: الحَيَّـة الذَّكَـرُ[١]. وقال [اللّه] في موضع آخر ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾[٢].

ومعنى ﴿مُبينٌ﴾.

أي مبينٌ أنها حَية.

وقوله: ﴿ ونَزَعَ يدهُ فإِذَا هِي بيضَاءُ للناظِرينَ﴾.

معنى نـزع يـده أظهـرهـا وأبـانهـا، وقـال في مَـوضـع آخـر ﴿وَأَدْخِـل يَـدَكَ في جَيْبِـكَ تَخْـرجْ بَيْضـاءَ﴾[٣]، وفي مـوضـع آخـر ﴿واضمم يَـدَكَ إلى جنـاحك تَخْـرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غيـر سوءٍ﴾[٤]. فهـذا دليل أن معنى نـزع يده إخراجُها من جيبه. وإخراجهـا من جناحِـهِ، وجناح الـرجل عَضُـدُه وقَل جنـاحُ الرجل عِطفُه[٥].

وتـأويل الجنـاحين من الإنسـان أنهمـا كـالجَنَـاحَين من الـطائـر، وهمـا العَضُدانِ.

وقوله :﴿تخْرُج بَيْضاءَ مِن غيْر سُوءٍ﴾.

أي تخرج لونها أبيض حُوريّاً.

---

(١) أي الثعبان هو ذكر الحيات.

(٢) سورة طه الآية ٢٠. أي وهذا يؤيد رأي أبي عبيدة.

(٣) سورة النمل الآية ١٢.

(٤) سورة طه الآية ٢٢.

(٥) يسمى عطف الرجل جناحاً أيضاً ولكن ذلك قليل.

وكان موسى فيما يُرْوَى أَدِمَ[١].

﴿مِنْ غيرِ سُوءٍ﴾.

أي تخرج بيضاءَ بياضاً ليس بِبرص، بياضاً يدل على أنه آية. وكانت عصا موسى إنما تكون حيَّة، عندَ إظهارهَا بهـا الآية[٢]، ثم تعود عصا، كما قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿سَنُعيدُهَا سيرَتَها الأُولَى﴾[٣].

وقوله: ﴿قال للمِلأ حَوْلَهُ إن هذا لسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾[٤].

وفي هذا الموضع[٥] ﴿قال المَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَون﴾.

الملأُ هُمُ الوُجُوهُ، وذوُو الرأْي، وإنما سُمُّوا ملأً أَنهم مُلئوا بما يحتاج إليه مِنهُم، وقرُئَتْ لسَحَّارٌ عَليمٌ.

﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾.

قال فرعون مجيباً لهم: ﴿فمَاذَا تَأْمُرونَ﴾.

ويجوز أن يكون «فمَاذا تأْمُرون» من قول المـلأ، كأَنَّهمْ خاطبوا فرعون ومن يَخُصُّهُ[٦]، وجائز أن يكونَ الخطاب لفرعونَ وحده، لأَنه يقال للرئيس المطاع: ما ترون في هذا، أي ما ترى أَنت وجندُكَ[٧].

و «مَاذا» يصلح أن تكون «ماذا» اسماً واحِداً، ويكون في موضع نصب، ويكون المعنى أي شيء تأْمُرون.

---

(١) من الأدمة وهي سمرة البشرة.

(٢) أي عند ما يظهرها ليبين بها المعجزة - جملة «بها الآية» حال - أي تظهر مبينة المعجزة.

(٣) سورة طه الآية ٢١.

(٤) سورة الشعراء الآية ٣٤.

(٥) في الحديث عن قوم فرعون في هذه السورة.

(٦) من يتصل به ويطلع على خواصه.

(٧) لا داعي لهذا إذا كان الخطاب للعظيم.

ويصلح أن يكون «ذا» في موضع الذي، وتكون ما في معنى رفع، ويكون المعنى ما الذي تأمُرون.

وقوله ﴿أَرْجِهْ وَأَخاهُ﴾.

تفسير أَرْجِهْ أَخِرّهُ، ومعناه أَخِّرْ أَمرَهَ ولا تعجل في أَمرِه بحكم فتكون عَجَلتكَ حجة عليك.

وفي قوله «أَرْجِهْ» ثلاثة أَوْجُه قد قرئ بها. قرأ أَبُو عَمْرُو: أَرجِئْهُ وأَخاه، وقرأ جماعة من القراءِ: أَرْجِهِ وأَخاه، وقرأ بعْضُهمْ أَرْجِهْ وأَخَاهُ ـ بإسكان الهاءِ.

وفيها أوجه لا أَعلمه قرئ بها. يجوز أَرْجِهو وأَخاه، وأَرْجهي، وأَرْجئهي، وأَرجئهو بغير همزٍ. فأَما من قرأَ أَرْجِه بإسكان الهاء فلا يعرفها الحذاق بالنحو، ويَزعُمُون أَن هاءَ الإِضْمارِ اسم لا يجوز إِسكانها. وزعم بعضُ النحويين أَن. إسكانها جائز، وقد رُويت لعمري في القراءَة إِلا أَنَّ التحريك أَكثر وأَجْوَدُ، وزعم أَيضاً ـ هذا أَن هاء التأْنيث يجوز إِسكانها وهذا لا يجوز. واستشهد في هذا بشعر مجهول، قال أَنشدني بعضهم:

لمّا رأى أَلاَّ دَعَهْ ولا شبَعْ مالَ إِلى أَرْطاةِ حِقْف فالطجع[1]

وهذا شعر لا يعرف قائله ولا هو بشيء، ولو قاله شاعر مذكور لقيل أَخطأت، لأَنَّ الشاعِر قد يجوز أَن يخطئ.

---

(١) لمنظور بن حية الأسدي يصف ذئباً طارد ظبية فلم يلحقها فلما يئس من إدراكها أوى إلى شجرة فاستلقى تحتها، وقبله:

يا رُبَّ أباز من العفر صدع تقبض الذئب إليه واجتمع

والأباز الذي يجيد القفر، العفر جمع عفراء وأعفر ـ الظبي يعلوه حمرة، والأرطاة جمع أرطى ـ شجر ـ، وصدع أي شق الفلاة وأسرع في جريه ـ والدعة الهدوء ـ أي لم يجد الذئب أن هناك راحة من الجري ولا لحم يؤكل.

أنظر اللسان (ضجع) وابن يعيش ٩ ـ ٨٢، ١٠ ـ ٤٦، والخصائص ١/٣٦٢.

وأنشد أيضاً آخر أجهل(1) من هذا وهو قوله(2)

لســـت إذن لــزغْـبَــلهْ   إن لــم أُغيّــر بَــكْـلتــي

إن لـــم أُســاو بـالطُول

فجزم الهاءَ في زغبله، وجعلها هاء، وإنما هي تاء في الوصل.

وهذا مذهب لا يعرج عليه.

وقوله: ﴿يأتوك بكل سَاحِرٍ﴾: وَسَحَّارٍ جميعاً قد قرئ بهما.

وقوله: ﴿وَإِنَّكمْ لمِن المُقَرَّبِينَ﴾.

أي لكم مع الأجر المنزلة الرفيعة عندي.

وقوله: ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُم﴾.

أي استدعوا رهبَتَهُم حتى رهبهم الناس.

وقوله: ﴿فَإِذا هِيَ تَلقَفُ مَا يأْفِكُونَ﴾.

وتلقَفُ مخففةٌ ومثقلةٌ، يقال لقفْت الشيء [أَلْقفُه].

ومعنى قوله ﴿يأْفِكون﴾: أي يأْتون بالإفْك وهو الكذب، وذلك أنهم زعَموا أَن حبَالهم وعصيَّهم حيات فكذبوا في ذلك، وإنما قيل أَنَّهُمْ جعلوا الزئبق وصورُوها بصُوَرِ الحيَّات، فاضطرب الزئبق لأنه لا يستقر.

وقوله: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْه مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾(3).

فلمَّا أَلْقى مُوسَى عصاهُ بَلَعتْ عصيَّهم وحِبَالَهم، قال الشَّاعِر(4).

أَنت عصــا مــوسى التي لم تــزل   تــلقــف مــا يَــأْفِكُــه الــسَّــاحِــر

(1) عبير خطأ إذ هو يريد أكثر مجهوليه لا أكثر جهلاً، فبنى «أفعل» من فعل مبني للمجهول.

(2) لم أقف على قائله ـ وهو مجهول كما ذكر المؤلف.

(3) سورة طه. آية ٦٦.

(4) لم أقف على قائله.

هـذا البيت أُنشِد لأَبي عبيـدة، وزعم التَّوَّزي صـاحَبُ أَبي عُبَيْدَة أنـه لا يعرفه. وهو صحيح في المعنى.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا﴾.

يقـال نقِمت أَنْقِمُ، ونقِمْتُ أَنقمُ، والأَجود نَقَمتُ أَنقِمُ والقـراءَة مَا تَنْقِمِ وهي أَفصح اللغتين.

وقوله: ﴿ربَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً﴾.

[أي] يشتمـل علَيْنَـا.

وقوله: ﴿أَتذَرُ مُوسَى وَقَوْمَه لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيذَرَكَ وآلهَتَك﴾.

ويُقْرأ وإِلاَهَتَك. ويجوز ويذرُك وآلهتَـك. فَمن نَصَب «ويذرَك» رده على جـواب الاستفهام بـالواو. المعنى أيكـون منك أن تـذر موسى، وأَنْ يـذَرَك، . ومن قال وَيَذَرُك جَعَلَهُ مستأْنفاً، يكون المعنى: أَتَذَرُ موسى وهويذرك وآلهتك، والأَجود أَن يكون معطوفاً على «أَتَـذَرُ» فكون أَتـذرُ موسى وأَيَـذَرُكَ موسى، أي أَتُطْلِقُ هذا له. وأَما من قـرأَ وآلهتك، فـإِنَّ المعنى أَن فِرعَـوْنَ كانت لـه أَصنام يعبدها قومُه تقرباً إِليه.

وقوله: ﴿قَال عَسَى ربكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾.

«عسَى» طمعٌ وإِشفاق، إِلا أَن ما يطمع اللَّه فيه فهـو واجبٌ، وهو معنى قول المفسّرين: أَنَّ عَسَى من اللَّه واجبٌ.

وَمَعنى: ﴿فَينْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُون﴾.

أَي يرى ذلك بوقوع منكم، لأَن اللَّه جلّ وعزّ لا يجازيهم على ما يعلمه منهم من خطيئاتهم التي يعلم أَنهم عامِلُوهَا لا محـالة، إنمـا يجازيهمْ على مـا وقع منهم.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنا آل فِرْعَونَ بالسِّنِينَ﴾.

السنين في كلام العرب الجدُوبُ، يقال مستهم السَّنَةُ، ومعناه جَدْبُ السنة وشِدَّةِ السنة ونقصْ الثمرات.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكرونَ﴾.

إنما أُخِذُوا بالضرَّاءِ لأن أحوال الشِدَّةِ تُرِقُ القُلُوب وتُرَغِّبُ فيما عند اللَّه وفي الرجوع إليه، ألا ترى إلى قوله جلّ وعزّ:

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ في البحر ضَلَّ مَنْ تَدْعُون إلَّا إِيَّاهُ﴾[١]، وقال جلّ وعز: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا على الإِنسَانِ أَعْرَض وَنَأى بِجَانِبِه وإِذَا مَسَّه الشَّرُ فذُو دُعاءِ عَرِيض﴾[٢].

وقوله: ﴿فإِذَاجَاءَتْهُمُ الحَسنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾.

أي إذا جاءَهم الخِصْبُ قالوا أُعْطِينَا هذا باستحقاق.

﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيئَةٌ﴾.

أي جَدْبُ أو ضُرٌّ.

﴿يطَّيَّروا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾.

المعنى: يتطَيَّرُوا. فأُدغمَت التاءُ في الطاءِ، لأنهما من مَكان واحد من طرف اللسانِ وأُصول الثنايا.

وتفسير قوله: يطَّيَّروا: يتشاءَموا، وإنما قالت العرب الطيرةُ ويتطير فيما يكرهونَ، على ما اصطلحوا عليه بينهم، جعلوا ذلك أمراً يتشامون به فقال عزّ وجلّ: ﴿أَلا إنما طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّه﴾.

---

(١) سورة الإسراء الآية ٦٧.

(٢) سورة فصلت آية ٥١.

المعنى: ألَا إنما الشؤْم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به في الآخـرة لا ما ينالهم في الدنيا، وقال بعضهم: «طَائِرهم» حظهم، والمعنى واحد.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا﴾.

زعم بعض النحويين أن أصل «مهما»: مَا تأْتنابه، ولكن أبدل من الألف الأولى الهاء، ليختلف اللفظ، فما الأُولى هي ما الجزاءُ، وما الثانية هي التي تزاد تأْكيداً للجزاءِ، ودليل النحويين على ذلك أنه ليس شيء من حروف الجزاءِ إلَّا و «ما».. تزاد فيه، قال اللّه جـلّ ثناؤه: ﴿فَـإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَـرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَنْ خَلْفَهُم﴾[1] كقـولـك إن تثقفهم في الحـرب فشَـرِدْهم. وقـولـه: ﴿وَإِمَـا تُعْرِضَنَّ عنهم﴾[2] أيضاً وهذا في كتاب اللّه كثير.

وقالوا: جـائز أن تكـون «مَهْ» بمعنى الكفّ، كمـا تقول مَـهْ أي أكفف، وتكون «ما» الثانية للشرط والجزاءِ، كأنهم قالوا واللّه أعلم ـ أكفف مَا تأْتينا بـه من آية[3].

والتفسير الأول هو الكلام وعليه استعمال الناس. وهذا ليس فيما فيه من التفسير شيءُ لأنه يخل اختلاف هَذين التفسيرين بمعنى الكلام.

وقوله: ﴿ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفان ﴾.

قال الأخفش: الطوفان جمع طوفانـه[4]، وقيل في التفسيـر إن الطوفـان المـطر الذي يُغـرقُ من كثرتـه، قال اللّه جـلّ وعزّ في قصـة نوح: ﴿فَـأَخَذَهُمْ

(١) سورة الأنفال الآية ٥٧.

(٢) سورة الإسراء الآية ٢٨.

(٣) ويتم الكلام عند «مه» بمعنى اكفف، ويقتضي هذا أن تفصل «مه» في الكتابة عن ما.

(٤) اسم جنس جمعي.

الطوفان وهم ظالِمُون﴾[١]. وقيل الطوفان الموت العظيم.

وقوله: ﴿وَالقُمَّلَ﴾.

قال فيه أبو عبيدة هو الْحَنْمَان صِغار القِرْدَان[٢].

واختلف في تفسيره فقال بعضهم هِيَ دَوَاب أَصْغَرُ من الْقَمْل.

﴿وَالدَّمَ﴾.

قيل إن اللَّه جلّ وعزّ: جعل مَاءَهُمْ دَماً، فكان الإسرائيلي يستقي الماءَ عذباً صافياً، فإذا أخذه القبطِيُّ تحوَّلَ دَماً صَافِياً.

وقوله: ﴿آياتٍ مُفصَّلاتٍ﴾.

أي إن بعضها منفصل مِنْ بعض، ويقال إنه كان بين الآية والآية ثمانية أيَّامٍ، وأُرسلت عليهم الضفادِع تَدْخل في ثِيَابِهِمْ وفي طعامِهِمْ.

و﴿آيات﴾ منصوب على الحال، وهي العلامات.

وقوله: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمْ الرِّجْزُ﴾.

والرجز اسم للعذاب.

﴿قالوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عندكَ لئِن كَشَفْتَ عنا الرِّجْز لَنُؤْمِنَن لك وَلنُرْسِلَنَّ معكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

وكانوا قد أخذوا بني إسرائيل بالكد الشَدِيدِ[٣] حتى قالوا لموسى:

﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعدِ مَا جِئْتَنَا﴾.

فيقال إنهم كانوا يستعملون بنى إسرائيل في تلبين[٤] اللَّبِن، وكان

(١) سورة العنكبوت ١٤.

(٢) القردان جمع مفرده قُرَد كصرد، وقراد كغراب، ـ وهو دويبة كالحشرة، والحَمْنُ والحَمنانُ صغار القردان واحدتهما بالتاء.

(٣) العمل الدائب الذي لا هوادة فيه.

(٤) عمل الطين ليصنعوا منه الطوب النيء.

فـرعون وأصحـابه من القبطِ يفعلون ذلـك ببني إسـرائيـل، فلمـا بعث مـوسى أَعطوهم اللَّبِنَ يُلَبِّنُونَه[1] ومنعُوهم التبْن لِيكون ذلِكَ أشق عليهم.

وقوله: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقنَاهمْ فِي اليَمِّ﴾.

وهو البحرِ، وكذلك هو في الكتبِ الأُوَلِ.

﴿وكانُوا عَنْهَا غَافِلِين﴾.

أي كانوا لا يعتبرون بالآيات التي تنزل بهم.

وقوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِين كانوا يُسْتَضعَفون مَشارِقَ الأَرْضِ وَمَغارِبَهَا﴾.

يعني بني إسرائيل، وكان منهم داوُد وسليمان مَلكُوا الأَرْضَ[2]

وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كلِمَة رَبِّكَ الْحُسْنَى﴾.

يعنى ما وعدهم اللَّه به من إهلاكِ عَدوِّهِمْ واستخلافِهِمْ في الأَرْضِ.

﴿وَدَمَّرْنَا مَا كان يَصْنَعُ فِرْعَونُ وَقوْمُه وَمَا كانُوا يَعْرِشُون﴾.

وَيَعْرُشون جَمِيعاً. يقال عرَش يَعْرِش وَيَعْرُشُ، إذا هو بنى.

ومعنى: ﴿يَعْكُفُون عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾.

أي يواظبون عليها ويلازمـونها، يقـال لكل من لـزم شيئاً وواظب عَليْـهِ، عَكفَ يَعْكِف ويعْكفُ. ومن هذا قيل للملازم للمسجد معتكف.

وقوله: ﴿إن هؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هم فيهِ وبَاطِلٌ [مَا كانوا يَعْمَلُونَ]﴾.

﴿مُتَبَّرٌ﴾ مُهلكٌ وَمُدَمـر، ويقال لكـل إناءٍ مكسَّـرٍ متبَّرٌ، وَكُسَـارَتُه[3] يقـال له التِّبْر.

وقوله: ﴿قالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إلٰهاً﴾.

---

(١) أعطوهم الطين ليصنعوا منه الآجر بدون تبن. وتماسكه بدون تبن شاق.

(٢) لم يملك داود ولا سليمان الأرض المصرية، ولكن ملكا أرض فلسطين وهي الأرض التي بارك اللَّه فيها.

(٣) قطعه وفتاته.

أي أغيْرَ اللَّه أطلبُ لكم إلٰهاً: ﴿وهُوَ فَضَّلكُمْ عَلَى العَالَمين﴾.

وقوله: ﴿ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِن آل ِ فِرْعَونَ ﴾.

المعنى: واذكروا إذ أنجيناكم من آل فِرْعَوْن.

﴿يَسُومُونَكم سُوءَ الْعَذَابِ﴾.

معنى يسومونكم يُولُونكم.

وقوله: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىَ﴾: وَوَعَدنا موسى.

﴿ثَلاثِين لَيْلةً وَأَتمَمْنَاها بِعَشْرٍ ﴾.

قيل أمره اللَّه أن يصوم ثلاثين يَوْماً، وأن يعمل فيها بما يُقَـرِبـه إلَى اللَّهِ، وقيل في العَشرِ أُنزلت عَليْهِ التَّوْراة وكُلِّمَ فِيهَا.

وقـال بعضهم لما صـام ثلاثين يـوماً أنْكـرَ خُلُوفَ[1] فِيـهِ فـاسْتَـاكَ بعـود خَرُّوبٍ، فقالت المـلائكة إنـا كنا نَسْتَنْشِـئُ مِن فيـكَ رائحة المسـك فأفسـدته بالسواك. فزيدت عَليـه عَشْرُ ليـالٍ. وقد قـال في موضـع آخر: ﴿وَإِذْ وَاعَـدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَـيْـلَةً﴾[2]. فهذا دليـل أن المواعـدة كـانت أرْبعين ليلةً كـاملة، واللَّه جلّ وعزّ أعلم.

وقوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىَ لأَخيهِ هارون [اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي]﴾.

يجوزهارونَ بـالفتح وهـو في موضـع جر بـدلاً من أخيه، ويجـوز لأخيه هارونُ بضمِّ النُّونِ، ويكون المعنى وقال موسى لأخيه، يا هَارُون ﴿أُخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقاتِنا﴾.

أي للوقتِ الذي وقَّتْنَا له.

﴿وكَلَّمَهُ ربُّه﴾.

---

(١) خلوف فمه: رائحته وهي تتغير عند الجوع.

(٢) سورة البقرة الآية ٥١.

كلم اللّه موسى تكليماً. خصَّه اللّهُ أنه لم يكن بينه وبين اللّه جلّ ثناؤه وفيما سَمِعَ أحَدٌ، ولا مَلَكٌ أسْمَعه اللّهُ كَلامَهُ، فلما سمع الْكَلاَمَ ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾.

أي قد خاطبتني من حيْثُ لا أراك، والمعنى أرِني نفْسَك.

وقوله: ﴿أرِنِي أَنْظُرْ﴾: مجزوم جواب الأمر.

﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾: ولن نفي لما يستقبل.

﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوفَ تَرَانِي﴾.

﴿فَلَما تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾.

أي ظهر وبان.

﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾.

يجوز «دكًّا» بالتنوين، ودَكَّاءَ بغَير تنوينٍ، أي جَعله مَدْقُوقاً مع الأرض، يقال دككت الشيءَ إذا دققته، أدُكه دَكا، والدكَّاءُ والدَّكَّاوَاتُ الروابي التي مع الأرض ناشزة عنها، لا تبلغ أن تكون جبلا.

وقوله: ﴿وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً﴾.

صَعِقاً منصوب على الحال، وقيل إنه خر مَيِّتاً، وقيل خرَّ مَغشيَّاً عليه.

﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾.

ولا يكاد يقال للميت قد أفاق من مَوْته، ولكن للذي غشي عليه والذي يذهب عقله قد أفاق من علته، لأن اللّه جلّ ثناؤه قال في الذين ماتوا: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾[1].

وقوله: ﴿قَالَ سُبحَانَكَ﴾.

---

(١) سورة البقرة الآية ٥٦، أي لم يقل أفاقوا.

أي تنـزيهاً لـك من السوءِ. جـاءَ عن النبي ﷺ، أن قوْلـه «سبحان اللَّه» تنزيه للَّه من السُّوءِ. وأهل اللغـة كذلـك يقُولـون من غير مَعْـرِفةِ بمـا فيه، عن النبي ﷺ ولكن تفسيره يجمعون عليه[1].

وقوله: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِين﴾.

أي أول المؤمنين بأنك لا ترى في الدنيا.

هذا معنى ﴿أَرِني انظرْ إليك﴾ إلى آخره الآية، وهو قول أهل الْعِلْم وأهـل السنة.

وقـال قوم: معنى ﴿أرني انْظُر إليك﴾، أرني أمـراً عظيمـاً لا يُـرَى مِثْلُه في الدنيا مما لا تحتمله بنية مـوسى، قالـوا فأعلمـه أنه لن يـرى ذلك الأمْـر، وأن معنى. ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾: تجلى أمر رَبِّه.

وهذا خطأٌ لا يعرفه أهـل اللغة، ولا في الكـلام دليل أن مـوسى أراد أن يرى أمراً عـظيماً من أمْـرِ اللَّه، وقد أراه اللَّه من الآيـات في نفسه مـا لا غايـة بَعْدَه. قد أراه عصـاه ثعبانـاً مبيناً، وَأَراه يـده تخرج بيضـاءَ من غير سـوءٍ وكان أدم[2]، وفـرَق البحر بعصـاه. فأراه من الآيـات العظام مـا يستغنى بـه عن أنْ يطلُبَ أمْراً من أمر اللَّه عظيماً، ولكن لما سَمِعَ كلام اللَّه قـال: رب أَرِني أَنظر إليك، سمعت كلامك فأنا أحب أن أراك. فأعلمه اللَّه جلّ ثنـاؤه أنه لن يـراه. ثم أمره اللَّه أن يشكره، فقال:

﴿يا مُوسَى إِنِّي اصْطفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾.

أي اتخذتك صفوةً على الناس.

﴿برسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي﴾.

---

(١) أي لا يعرفون اشتقاقه.

(٢) كانت يده بيضاء تتلألأ مع أن لونه أسود.

ولـو كان إنمـا تَبعَ كَـلاَمَ غيـر اللَّه لمـا قـال بـرسـالاتي وبكـلامي ، لأن الملائكة تنزل إلى الأنبياءِ بكلام اللَّه .

وقوله : ﴿ فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِين ﴾ .

ثمَّ أعلَم اللَّه جلّ ثناؤه أنه قد أعطاه من كل شيءٍ يحتـاج من أمْر الـدِّين مع ما أراه من الآياتِ فقال جلّ وعزّ :

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيءٍ مَوْعِظَةً وَتَفصِيلاً لِكُلِّ شَيءٍ ﴾ .

وقيل في التفسير إنهمـا كانـا لوحين . ويجـوز في اللغة أن يقـال للوحين ألواح . ويجوز أن يكون ألواح جمع أكثَر مِنَ اثْنَين .

وقوله : فَخُذْهَا بِقُوَّة ، أي خُذْها بقوةٍ في دينك وَحجَّتِك .

وقوله :﴿وَأمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بأَحْسَنِها﴾ .

في هـذا وجهان ، وهـو نحو قـوله : ﴿الَّـذِين يَسْتَمِعُـونَ القـولَ فَيَتَّبِعـون أَحْسَنَهُ﴾[١] ونحو قوله : ﴿اتَّبعُوا أحسَن مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِنْ رَبِّكُمْ﴾[٢] .

فيحتمل وجْهَيْن : أحَدُهمَا أَنَّهُمْ أمِرُوا بالخَيْرِ ونُهُوا عن الشَّرِ ، وعرِّفوا مَـا لَهُم فِي ذَلِكَ ، فقيلَ ﴿وَأمُرْ قَوْمَك يأخذوا بأَحسَنِها﴾ ويجوز أن يكون نَحوَ ما أُمِرْنا به من الانتصار بعد الظلم ، ونحـو القصَاصِ في الجـرُوحِ إذ[٣] قال : ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَر إن ذلِك لِمَنْ عَزْمِ الأُمورِ﴾[٤] ، ﴿وَلَمن انتصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فأُولئكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيل﴾[٥] فهذا كله حَسَنٌ والعفـو أحسنُ من القِصاصِ والصَبْـرُ أحسن من الانتصار .

---

(١) سورة الزمر آية ١٨ .

(٢) سورة الزمر آية ٥٥ .

(٣) أي من أن العفو خير من القصاص ، وكل جائز .

(٤) سورة الشورى الآية ٤٣ .

(٥) سورة الشورى الآية ٤١ .

وَقوله :﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بغَيْرِ [الحق]﴾ .

أي أجعَلُ جزاءَهم الإِضْلالَ عن هداية آياتي ،ومعنى ﴿يتكَبَّرُونَ﴾ أي انَّهم يرون أنَّهم أفضَلُ الخلقِ وأن لهم من الحق ما ليس لغيْرِهم. وهـذه الصفة لا تكـون إلَّا للَّه جلّ ثناؤه خاصَّـةً لأن اللَّه تبـارك وتعـالى هـو الـذي لـه القـدرَةُ والفضلُ الذي ليس مثله، وَذَلِكَ يَسْتحقُ أن يقال له: المتكَبِّر، وليس لأحدٍ أنْ يتكَبر لأن الناس في الحقوق سواءٌ. فليس لأحدٍ مَا لَيْسَ لِغَيـره واللَّه جلّ ثنـاؤه المتكبرُ.

أعلم اللَّه أن هؤلاءِ يتكبرون في الأرض بغير الحق.

وقوله :﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَـا وَإِنْ يَرَوْا سَبيـلَ الرُّشْـدِ لَا يَتَّخِذوهُ سَبِيلاً، وَإِنْ يَرَوْا سَبيلَ الغَي يتَّخِذُوه سَبيلاً﴾ .

وسبيلُ الغيّ هو سبيل الضَّلال، يقال: غوَى الرجل يَغْـوِي غيًّا وهـو غاوٍ إذا ضَلَّ.

وقوله : ﴿ذَلِكَ بأَنَّهُمْ كذَّبوا بآياتِنا﴾ .

«ذَلِـكَ» يصلح أن يكون رفعـاً، أي إن أمْرَهُم ذلـك، ويجـوز أن يكـون نصباً على معنَى فَعَل اللَّهُ بهم ذلك بأنهم كذَّبوا بآياتِنَا.

﴿وَكَانُواعَنْهَا غَافِلِينَ﴾ .

«غـافلين» يصلح أن يكون ـ واللَّه أعلم ـ كـانوا في تـركهم الإيمـان بهـا والنظَرِ فيها والتدبُّر لها بمنزلة الغافلين.

ويجوز أن يكون ﴿وكانوا﴾ عن جوابها غافلين كما تَقول: ما أغْفَلَ فلاناً عما يُرَادُ به.

وقوله :﴿وَاتَّخذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِه مِنْ حَلْيِهِمْ﴾ .

و﴿من حُلِيِّهِمْ﴾ ومن حِلِيِّهِمْ.

فمن قرأ من ﴿حَلْيِهم﴾ فالحَلْيُ اسم لما يُحَسَّنُ به من الذهب والفضة، ومن قرأ ﴿من حُلِيِّهِمْ﴾ بضم الحاءِ - فهو جمع حَلْيٍ على حُلِيٍّ مثل حَقْوٍ وحُقِيٍّ(١)، ومن كسر الحاءِ فقال من حِلِيِّهِمْ - أَتْبَعَ الحاءِ كسر اللام.

ومعنى ﴿من بَعْده﴾ أي من بعد ما جَاءَ الميقات، وخَلفَهُ هارون في قومه، وكان لهم حَلْيٌ يجمعونه في أيام زِينتهم، وكان لِلْقِبَّةِ حَلى عند بني إسرائيل. فقال لهم السامري، وكانَ رجلاً مطاعاً فِيهم ذَا قَدْر، وكانوا قد سألوا موسى أن يجعل لهم إلٰهاً يعبدونه كما رأوا قوم فرعون يَعْبُدُون الأصنامَ. فجمع السامِرِيّ ذلك الحلى، وهو قولهم:

﴿ولَكنَّا حُمِّلنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ القَوْمِ فقَذَفْنَاهَا﴾(٢) أي ألقيناها.

﴿فكذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾(٢) أي وكذلك طرح السّامِريُّ ما كان عندَهُ من الحلى فصاغه في العجل.

فقال [اللَّه تعالى]:

﴿وَاتَّخَذ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً﴾.

والجسد هو الذي لا يعقل ولا يميز، إنما معنى الجَسَد معنى الجثة فقط.

﴿لَهُ خُوَارٌ﴾: أي له صوت.

وقيل له جُوأر - بالحاءِ والجيم - وكلاهما من الصوت، وكان قد عمله، كما تُعْمَلُ هذه الآلات التي تصوِّتُ بالْحَيْلِ، فجعله في بيت وأعلمهمُ أن إلَهَهُمْ وإله موسى عنده. ويقال في التفسير إنَّه سُمِعَ صَوْتُه مرةً واحدةً فقط، فقال اللَّه عزّ وجلّ:

---

(١) الحقو: الكشح والإزار أو معقده كالحقوة والحقاء، ويجمع على أحق وأحقاء وحقي وحقاء.
والحقو الموضع الغليظ المرتفع عن السيل وموضع الريش من السهم.

(٢) سورة طه الآية ٨٧.

﴿أَلم يروا أَنَّه لاَ يُكَلِّمُهُم وَلاَ يَهْدِيَهُمْ سَبيلاً﴾.

أي لا يُبَيِّن لهم طريقاً إلى حجة.

وقوله: ﴿ولما سُقِطَ في أَيْدِيهمْ﴾.

يقال للرجل النادم على مَا فَعَلَ الْخَسِر عَلَى ما فرط منه، قد سُقِطَ في يده وأُسْقِطَ، وقد رُوِيَتْ سُقِطَ في القراءَة، فالمعنى: ولما سقط الندم في أيديهم، كما تقول للذي يحصل على شيءٍ - وَإِنْ كَانَ مما لا يكون في اليد - قد حصل في يده من هذا مكروه، تُشَبِّهُ ما يَحْصُل في القلب وفي النفس بما يرى بالعَيْنِ.

وقوله: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَان أَسِفاً﴾.

﴿غضبان﴾ منصوب على الحال، وهو على مثال فعلان، وله فَعْلى[1] نحو غَضْبَى - لم ينصرف، لأَن فيه الأَلفَ والنُّونَ، كألفي حمراءَ، والأَسف: الشديد الغضب، قال اللَّه جلّ وعزّ: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتقمنا منْهُمْ﴾[2]، أي فلما أغضبونَا.

وقوله: ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾.

يقال عجلت الأَمر والشيءَ سبقته، وأَعجلته استحثثته.

﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾.

بالفتح وإن شئت بن أُمِّ بالكسر، فمن قال ابن أم بالفتح فإنه إنما فتحوا في ابن أم وابنَ عم لكثرة استعمالهم هذا الاسم. وأَن النداءَ كلام محتمل للحذف فجعلوا «ابن» و «أُمّ» شيئاً واحداً نحو خمسة عشر. ومن قال ابن أُمِّ - بالكسر - فإنه أَضافه إلى نفسه بعدَ أَن جعله اسماً واحداً، ومن العرب من

---

(١) أي وله هذا الوزن مؤنثاً ولا يقال لأنثاه فعلانة.

(٢) سورة الزخرف الآية ٥٥.

يقول: يا ابن أُمِّي بإثباتِ الياء، قال الشاعر:[1]

يــا ابـن أمي ويــا شُقَيِّقَ نَـفْسِـي   أَنْـتَ خَـلَّيْـتَـنِـي لِـدَهْـرٍ شَـدِيـدِ

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾.

المعنى اتخذوا العجل إلهاً.

وقوله: ﴿وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

لحقتهم الذلة أنهم رأوا أنهم قد ضلوا وذَلُّوا، والذِّلَّةُ هـو ما أمـروا به مِنْ قَتْـلِ أَنْفُسِهِمْ، وقيل إن الـذِّلَّة أخـذ الجزيـةِ، وأخذ الجـزية لم يقـع في الذين عبدوا العجل، لأن اللَّه جلّ وعزّ تاب عليهم بِقَتْلِهِمْ أَنْفُسَهمْ[2].

وقوله: ﴿ولَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾.

يقـال سكت يسكُتُ سَكْتاً إذا هـو سكن، وسكت يسكتُ سُكُوتـاً وَسَكْتاً إذا قطع الكلام، ويقـال: رجل سِكِّيت بيِّنَ السُّكُـوت والساكـوتةِ إذا كـان كَثِيرَ السكوتِ، وأصاب فلاناً سُكَّـاتٌ إذا أصابـه داء منعه من الكـلام، والسُّكَيْتُ - بالتخفيف والتشديد - الذي يجيء آخِـرَ الْخَيْلُ، وروى بعضهم: «ولمـا سُكِتَ عن موسى الغضبُ» ولا تقرأَنَّ به لأنه خـلاف المصحف، قول بعضهم: ولمـا سكت عن مـوسى الغضبُ معنـاه: وَلَمَّـا سَكَتَ مُـوسَى عن الغضب، على القلب، كمـا قـالـوا: أَدْخَلْتُ الْقَلَنْسُـوَةَ في رَأْسِي، المعنى أدْخلت رأسي في الْقَلَنْسُوَةِ، والقول الذي معناه سكن قول أهل العربية.

وقوله: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا﴾.

---

(١) البيت لأبي زبيد الطائي من قصيدة يرثي بها أخاه، وشقيق تصغير شقيق صغره للرحمة. والبيت في العيني ٤ - ٢٢٢ وابن يعيش ٢ - ١٢، وابن الشجـري ٢ - ١٧٩، والكـتـاب ٢ - ٢١٣ ت هرون. ومن شواهد النحو الشائعة.

(٢) المراد بهذا الحديث بنو إسرائيل جميعاً أي الطائفة التي فعلت ذلك.

معناه واختار موسى من قومه، وكان موسى اختار من اثني عشر سِبطاً من كل سبطٍ ستَّة رجال، فبلغوا اثنين وسبعين رَجُلاً فَخَلَّفَ منهم رَجُلَيْن.

ومعنى اختار قومه، اختار من قومه فحذفت «من» وَوُصِلَ الفعلُ فَنُصِبَ، يقال اخترت من الرجال زيداً واخترت الرجال زيداً.

وأنشدوا:[1]

ومنا الذي اختارَ الرجالَ سماحة وجوداً إذا هب الرياح الزعارع

وقوله: ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُم الرَّجفَة﴾.

وهي الحركة الشديدة والزلزلة الشديدة.

يقال إنه رجف بهم الجَبلُ فماتوا فقال:

﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلكتَهُم مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾.

أي لو شئت أُمتَّهم من قبل أن تأْتيهم بما أَوْجَبَ عليهم الرجفة.

وقوله: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْك﴾.

معناه تُبْنَا إليك.

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ﴾.

أَي كلُّ ما خَلَقْتُه فبرحمتي وفضلي يعيش، فمعناه ورحمتي وَسِعَتْ كل شيءٍ في الدنيا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فسَأَكتُبها للذينَ يَتَّقُونَ﴾.

في الآخرة، أي أُجازيهم بها في الآخرة.

---

(١) البيت للفرزدق من قصيدة ينقض بها عينية على هذا الوزن لجرير ورواية البيت اختير الرجال - أي اختير من الرجال والزعازع واحدها زعزع، وزعزوع، والزعزع وهي الرياح الشديدة - يريد زمن الشتاء والجدب، أي الناس يقصدون أهله للعطاء حين يشح الناس ويجدب الزمان انظر شواهد المغني ص ٣ وديوان الفرزدق ٥١٩.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾.
الأمي هو على خلقة الأُمَّة، لم يتعلم الكتاب فهو على جِبِلَّتِهِ.
وقوله: ﴿الَّذِي يَجِدُونَه مكْتُوباً عِنْدَهُم في التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيل﴾.

وهذا أبلغ [في] الاحتجاج عليهم لأنه إخبار بما في كُتُبهم، والنبي ﷺ لم يكن يكتب ولا قرأ التوراة والإنجيلَ، ولا عَاشَر أهلَهما فإتيانه بما فيهما من آيات اللَّه العظام. ومُحال أن يجيءَ مُدَّعٍ إلى قوم فيقول لهم ذِكْرِي في كتابكم، وليس ذلك فيه. وذكره قد أنبأ من آمن من أهل الكتاب [به].

وقوله: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾.
يجوز أن يكون يأمرهم مستأنفاً.
وقوله: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيبَاتِ﴾.

أي يحل لهم ما حُرِّمَ عليهم من طِيباتِ الطَّعام. ويجوز ﴿وَيُحُلُّ لهم الطيباتِ﴾ أي ما أخذ مِن وجْهِهِ طيِّباً.

﴿ويُحرّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِث وَيَضَعُ عَنْهُمْ إصْرَهُمْ﴾.
والاصر ما عقدته من عَقْد ثقيل.
﴿والأَغْلاَلَ الَّتي كانَتْ عَلَيْهِمْ﴾.

والأغلال تمثيل، ألا ترى أنك تقول: جَعلت هذا طوقاً في عُنُقِك، وليس هناك طوق، وإنما تأويله أنّي قَدْ وَلَّيتُكَ هذا وألزمتك القِيَامَ بِه، فجعلتُ لزومَه لك كالطوق في عنقك.

والأغلال التي كانت عليهم: كان عليهم أنه من قتَلَ قُتِل، لا يُقْبَلُ في ذلك دِيَةٌ، وكان عليهم إذا أصاب جلودَهُم شيءُ من البَوْل أن يَقْرِضُوه، وكان عليهم ألا يَعْمَلُوا في السَّبْتِ. فهذه الأَغْلال التي كانت عليهم.

وقوله: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾.

أي بمحمد ﷺ.

﴿وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾.

اختلف أهل اللغة في معنى قوله: ﴿وَعَزَّرُوه﴾ وقوله: عَزَّرْتُ فُلاناً أُعَزِّرُه وأَعْزُرُه عزْراً، قال بعضهم: معنى عَزَرْتُه رَدَدتُه، وقال بعضهم معنى عَزْرتُه أَغَثْتُه، وقال بعضهم: يقال عَزَرْتُ الرجلَ أَعْزِرُه إذا لمتُهُ، ويقال عزَّرْتُ فلاناً، قال بعضهم عَزَّرْتُ فُلاناً نصرتُه، وقال بعضهم منِعتُ منه، فالمعنى:

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا به وعَزَّرُوه وَنَصَرُوه﴾ معنَى عزَّروه منعوا أعداءه من الكُفْرِ به، وقال بعضهم: عَزَّروه بمعنى نصروه، والمعنى قريب لأن مَنْعَ الأعداء منه نصرته.

ومعنى عزَّرْتُ فلاناً إذا ضَرَبْتُه ضرباً دونَ الحدّ، يمنعه بِضَرْبه إياه عن مُعَاودَةِ مثل عمله.

وقوله: عَزَّرْتُه رَدَدْتُه يجوز أن يكون منه التعزيز، أي فَعَلْتُ به ما يَرُدُّه عَنْ المعْصِيَةِ.

وقوله: ﴿واتَّبَعُوا النُّورَ الذي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾.

أي واتَّبَعوا الحقَّ الذي بيانه في القلوب كبيان النُّورِ في العيون.

وقوله: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالْحَق﴾.

أي يَدْعُونَ الناس إلى الهداية بالحق.

﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾.

أي وبالحق يحكمون.

وقوله: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً﴾.

ويجوز عَشِرة ـ بكسر الشين ـ المعنى قطعناهم اثنتي عشرة فرقة أَسْبَاطاً

من نعت «فرقه»[1] كأنه قال: جَعَلْنَاهم أسباطاً وفرقناهم أَسْبَاطاً فيكون أسباطاً بدلاً من اثنتي عشرة. وهو الوجه.

وقوله: ﴿أُمماً﴾ من نعت أسباطاً.

قال بعضهم: «السِّبْطُ القرن الذي يجيءُ بَعْدَ قَرْنٍ، والصحيح أن الأسباط في وَلَدِهِ إسحاق[2] بمنزلة الْقَبَائِل في وَلَدِ إِسْمَاعِيل» فَوَلَدُ كُلٍّ من وُلِدَ من أولاد يعقوب سبط[3] وَوَلَدُ كُلٍّ من وَلَدِهِ من وَلَدِ إسماعيل قبيلة. وإنما سُمِّيَ هؤلاءِ بالأَسْبَاطِ، وهؤلاءِ بالقبائل، لِيُفْصَلَ بين وَلدِ إِسْمَاعِيلَ وَوَلد إِسْحَاقَ. ومعنى القبيلة من وَلَدِ إسماعيل معنى الجماعة يقال لِكل جماعة مِنْ وَلدٍ قَبِيلَةٌ وكذلك يقال لكل جمع على شيءَ واحد: قبيلٌ، قال اللَّه جلّ وعزّ: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ من حيث لا تَرَوْنَهُمْ﴾[4]، فأما الأَسباط فهو مُشْتَقٌّ من السَّبَطِ، والسُّبَطُ ضرب من الشَّجر تُعْلِفُهُ الإِبِلُ، ويقال للشجرة لها قبائلُ. فكذلك الأَسباطُ من السَّبَطُ. كأنه جَعَلَ إسحاق بمنزلة شجرة، وجُعِلَ إسماعيلُ بمنزلة شجرة.

وكذلك يَفْعَلُ النسابُونَ في النسب يجعلون الوالد بمنزلة الشَّجَرَةِ ويجعلون الأَولاد بمنزلة أغصانها، ويقال: طُوبىَ لِطِرْحِ[5] فلانٍ، وفلانٌ من شجرةٍ صَالِحَةٍ - فهذا - واللَّه أعلم - معنى الأَسبَاطِ والسّبْطِ.

وقوله جلّ ثناؤه: ﴿واسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السبْتِ﴾.

---

(١) قدر فرقة لأن الأسباط جمع سبط وهو مذكر، فقدر تمييز العدد محذوفاً - و «أسباط» نعت له.

(٢) الأسباط هم أبنا يعقوب الأثنا عشر، ويعقوب ابن إسحاق. وكان الأقرب نسبة الأسباط إلى يعقوب.

(٣) في الأصل سبطاً.

(٤) سورة الأعراف الآية ٢٧.

(٥) أي لأولاده - والطرح الثمر والنتاج.

السؤال على ضربين، فأحد الضربين أن تسأل لِتَسْتَخْبرَ عما لاَ تَعْلَمُ لتَعْلَمَ، والضرب الثاني أن تسأل مستخبراً على وجه التقرير، فتقولُ للرَّجُلِ أأنا فعلتُ كذا؟ وأنت تعلم أنَّك لم تفعل، فإنما تسأله لِتُقَرِّرَهُ وَتُوَبِّخَهُ. فمعنى أمر النبي ﷺ أن يسأل أهل الكتاب عن أهل هذه القرية ـ وقد أخبر اللَّه جلّ ثناؤه ـ بِقِصَّتِهَا لِيُقرِّرَهُم بقديم كفرهم، وأن يُعْلِمهُمْ ما لا يُعْلم إلَّا بكتاب أو وَحْي.

﴿إذ يَعْدُون فِي السَّبْتِ﴾.

أي إذ يظلمون فِي السَّبْتِ، يقال [عَدَا] فلانٌ يَعدُو عُدْواناً، وعِدَاءَ وَعَدْواً، وَعُدُوًّا ـ إذَا ظَلَمَ.

وقوله: ﴿إذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾.

حيتان ـ جمع حوتٍ، وَأَكْثرُ ما تُسَمِّي العربُ السمَك الْحِيتَانَ والنينان[1].

﴿إذ يَعْدُون فِي السَّبْتِ﴾.

موضع «إذ» نصبٌ، المعنى سَلْهُم عن عُدُوِّهِمْ في السَّبْتِ، أي سلهم عن وقت ذلك.

﴿إذ تَأتِيهِمْ﴾.

في موضع نصبٍ أَيْضاً بـ«يعدون». المعنى سلهم إذ عَدَوْا في وقت الإتْيانِ.

﴿شُرَّعاً﴾.

أي ظاهرة، وكانت الحيتان تأْتي ظاهرة فكانوا يحتالون بِحَبْسِها في يوم السبت ثم يأْخذونها في يوم الأحد، ويقال إنَّهم جاهروا بأخذها في يوم السبتِ.

---

(١) جمع نون وهو الحوت، وبه سمي يونس عليه السلام ذا النون أي صاحب الحوت.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُمْ﴾.

أي مثل هذا الاختبار الشديد نختبرُهُمْ.

وموضع الكاف نصب بقوله: ﴿نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

أي شددت عليهم المحنة بِفِسْقِهِمْ. ويحتمل ـ على بعد ـ أن يكون: ويوم لا يَسْبِتُونَ لا تأتيهم كذلك[١] أي لا تأتيهم شُرَّعاً، ويكون نَبلوهم مستأْنفة، وذلك القول الأول قول الناس[٢] وهو الجيد.

﴿وَإِذْ قَالَت أُمَّةٌ مِنْهُم لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً﴾.

الأصل لِمَا، ولكن الألف تحذف مع حروف الجر نحو لِمَ وعَمَّ وَبِمَ، قال اللّه تعالى: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾[٣]، ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾[٤].

ومعنى الآية أنهم لاَمُوهُمْ في عظة قوم يعلمون أنهم غير مُقْلِعينَ. هذا الأَغلَبُ عليْهم في العلم بهم.

﴿اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُم عَذَاباً شَدِيداً﴾.

ومعنى «أَوْ» ـ واللّه أعلم ـ أنهم أخبروهم ـ على قدر ما رأوا من أعمالهم ـ أنهُم مُهْلَكُونَ في الدنيا أو معذبونَ في الآخرة لا محالة.

وقوله: ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾.

المعنى قالوا موعظتنا إياهم معذرة إلى ربكم وَلَعَلهُمْ يتقُونَ.

فالمعنى أنهم قالوا: الأمر بالمعْروف وَاجبٌ علينا، فعلينا موعظة هؤلاءِ لعَلهُمْ يتقُونَ، أي وجائز عندنا أن ينتفعوا بالمعذرة.

---

(١) لا تأتيهم على هذه الحالة.

(٢) قول جمهور المفسرين.

(٣) سورة الحجر الآية: ٥٤.

(٤) سورة النبأ الآية: ١.

ويجـوز النصْبُ في «مَعْذِرَة» فيكُـون المعنَى في قوله: ﴿قالوا معذرة إلى رَبِّكم﴾ على معنى يعتذرون مَعْذِرةً[1].

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾.

﴿نَسُوا﴾ يجوز أن يكون في معنى تركوا، ويجوز أن يكون تركهم بمنزلة من نَسِيَ.

وقـوله: ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَـوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَـذْنَا الَّـذِينَ ظَلَمُـوا بِعَـذابٍ بَئِيسٍ﴾.

أي شديد، يقال بَئِس يَبْؤُس بَأْساً إِذَا اشْتَد، وقيل إنَّ القوم كـانوا ثَـلاثَ فِرقٍ، فرقةٌ عملت بالسوءِ، وفرقة نهت عن السوءِ، وفـرقةٌ أمسكت عن النهي، وقيل كانوا فرقتين، فرقة نَهتْ عن السّوءِ وفرقة عملت بالسـوءِ، وبعض الفرقـة التي فيها من نهى عن السوءِ مؤمن غير راض بما فَعَـل أَهلُ السّـوءِ فدخلوا في النجاة مع الذين ينهون عن السوءِ، ونَزَلَ العَذابُ بالذِينَ عَدَوْا في السبت.

وقوله: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ﴾.

العاتي: الشديدُ الدخولِ في الفساد، المتمرد الذي لا يَقْبَلُ موعِظة.

وقوله: ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾.

جائز أن يكونُوا أُمـروا بأن يكـونوا كـذلك بقـول سُمِعَ، فيكـون أبلغ في الآية والنازلة بِهِمْ، وجائز أن يكون «فقلنا لهم» من قولـه: ﴿إِنَّمَا أَمْـرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يقول لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[2].

ومعنى «خَاسِئينَ»: أي مُبْعَدِينَ.

---

(١) الأولى أنهـا مفعول لـه، أي وعظنـاهم لأجل المعـذرة، وعلى تقديـره هي مفعـول مـطلق، أي فليتعذروا معذرة، أو هو مصدر بمعنى الأمر وكلاهما بعيد.

(٢) سورة يس اية ٨٢، أي غيرناهم قردة.

وقال قوم: جائز أن تكون هذه القردة المتولِّدةُ أصلها منهم وقال قوم المسخُ لا يبقى ولا يَتولدُ، والجملة أنا أخْبِرْنَا بأنهُمْ جُعِلُوا قردة، والقِرَدَةُ هي التي نعرفها. وهي أكثر شيءٍ في الحيوان شبهاً بابن آدم، واللَّهُ أعلم كيف كانَ أمْرُهُمْ بعدَ كونِهم قِرَدَة.

وقوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾.

قال بَعضهم: تأذن: تَألَّى[1] ربك ليبعثن عَليْهم، وقيل: إن تأذَنَ أعلم، والعرب تقول: تعلم أن هذا كذا، في معنى اعلم، قال زهير:

تَعلَّمْ أن شر الناس حي ينادي في شعارهمو يسار[2]

وقال زهير أيضاً:

فقلت تَعَلَّمْ أن لِلصيد غِرةً وإلا تضيعها فإنك قاتله[3].

وقوله: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾.

أي من يوليهم سوءَ العذاب.

فإن قال قائل قد جعلوا قِردةً فكيف يبْقَون إلى يوْمِ القِيَامَةِ فالمعنى أن الذكر لليهودِ، فمنهم من مُسخ، وجُعِل منهم القِردة والخَنازيرَ ومن بقي فمعانِدٌ لأمر اللَّه، فهم مُذَلُّون بالقتل، إلا أن يُعْطُوا الجزية، فهم مذَلُّون بها وهم في كل مكان أذَل أهْله، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إِلَّا

---

(١) أي حلف وأقسم.

(٢) من شعر زهير بن أبي سلمى، ويسار راع له، كان الحرث بن ورقاء من بني أسد أغار على بني عطفان واستاق يساراً هذا وإبلا لزهير فهجاهم زهير، فرده الحرث عليه، وكان قومه يريدون قتله، فمدحهم زهير. انظر الأغاني ٣٠٨ جـ ١٠.

(٣) الديوان ـ ص ٧٨.

بَحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾[1] أي إلا أن يعطوا الذِّمَّةَ والعَهدَ.

وقوله: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾.

يقال للذي يجيءُ في أثر قرنٍ خَلْفٌ. والخَلَفُ ما أَخْلفَ عليك بُدَلاً مما أُخذ منك، ويُقَالُ: في هذا خَلَفٌ أيضاً؛ فأمَّا ما أخلف عليك بدلاً مما ذهب منك فهو الخَلَفُ بفتح اللام.

وقوله: ﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى﴾.

قيل إنهم كانوا يَرْتَشون على الحكم، ويحكمون بجورٍ، وقيل إنهم كانوا يرتشون ويحكمون بحق، وكل ذلك عَرَضٌ خسيس.

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا، وإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يأْخُذُوهُ﴾.

فالفائدة أنهم كانوا يذنبون بأخذهم الرِّشِيَ، ويقولوا سيغفر لنا من غير أن يَتُوبُوا، لأن قوله: ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُه يَأْخُذُوهُ﴾ دليل على إصرارهم على الذنب، واللَّه جلّ وعزّ وَعَدَ بالمغْفِرَةِ في العظائم التي توجب النار مع التوبة. فقال:

﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾.

أي فهم ذاكرون لما أُخِذَ عليهم.

وقوله: ﴿والَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ المُصْلِحينَ﴾.

«الذين» في موضع رفع، وفيها قولان، أعني في ﴿إنا لا نُضِيعُ أَجْر المصلحين﴾، قال قوم: إنا لا نضيع أجر المصلحين منهم[2]، وهو الذي نختار

---

(١) سورة آل عمران ١١٢.

(٢) الخبر جملة ليس بها رابط، فاختار هو تقدير محذوف أي «منهم» وذكر الآراء الأخرى بعد

لأن كل من كان غير مؤمن وأصلح فأجره ساقط، قال اللَّه جلّ وعزّ:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾(١)، وقال:

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً﴾(٢).

فالمعنى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بالكِتَابِ﴾ أي يؤمنون به، ويحكمون بما فيه إنا لا نضيع أجر المصلح منهم. والمصلح المقيم على الإيمان المؤدّى فرائضه اعتقاداً وعَمَلاً، ومثله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحسَنَ عَمَلاً﴾(٣). أي لا نضيع أجر من أحسن منهم عمَلاً.

وقال قوم: المصلحون لفظٌ يخالف لفظ الأول، ومعناه معنى الأول فَعَادَ الذكرُ في المعنى وإن لم يكن عائداً في اللفظ، ولا يجيز هؤلاءِ زيد قام أبو عمرو(٤). لأن أبا عمرو لا يوجبه لفظ زيد(٥).

فإن قال قائل: المؤْمن أنا أكرم من اتقى اللَّه، جاز، لأن معنى من اتقى اللَّه معنى المؤمن، فقد صار بمنزلة قولك زيد ضربته، لأن الذكر إذا تقدَّم فالهاءُ عائدة عليه، لا محالة، وإن كان لفظها غير لفظه، لأن ضمير الغائب لا يكون إلا هاءً في النصبِ.

وقوله:﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾.

ذلك. ولا يحتاج الأمر لهذا كله، فإنه إذا كان الخبر «الجملة» عين المبتدأ، نحو﴿قل هو اللَّه أحد﴾ أو كان عاماً يشمل المبدأ كالآية التي ذكرها من سورة الكهف ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾. فلا حاجة لرابط. والمراد لسقوط أجره أنه لا يثاب على صلاحه.

(١) القتال آية: ١.

(٢) الغاشية آيات ٢ ـ ٤.

(٣) الكهف الآية ٣٠.

(٤) لأنه لا عائد، وإذا كان «أبو عمر» كنية زيد. فإن كلمة زيد لا توحي به.

(٥) لا يتضمنه.

مـوضِـع «إذ» نصب. المعنى واذكر ﴿إذ أخـذ ربـك من بني آدم مِن ظهورِهِم﴾.

[من ظهـورهم] بَـدل من قـولـه: ﴿من بني آدم﴾ المعنى وإذ أخـذ ربُّك ذُرِّيَّتِهُمْ وذرياتِهِمْ جميعاً.

وقوله: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلَى﴾.

قـال بعضهم: خلق اللَّه الناسَ كـالـذَّرِ من صلب آدَمَ، وأشهـدَهُمْ على توحيده، وهذا جائز أن يكون جعل لأمثَال الذَّرِ فهْماً تعقل به أمـره، كما قـال: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّها النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾[1]: وكما قال: ﴿وسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾[2]، وكل مولودٍ يُولَدُ على الفطرة معناه أنه يُولَدُ وفي قلبه توحيد اللَّه، حتى يكون أبواه هما اللَّذان يهودانه وينصرانه.

وقـال قوم: معنـاه أنَّ اللَّه جَل ثَنَـاؤه، أخرج بني آدم بعضهم من ظهـور بعضٍ.

ومعنى﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾.

أنَّ كلَّ بالغ يَعْلَمُ أنَّ اللَّهَ واحدٌ، لأن كـل ما خلق اللَّه تعـالى دليل على توحيده، وقالوا لولا ذلك لم تكن على الكافر حجـة، وقالـوا فمعنى﴿أشهدهم على أنْفُسِهِم ألست بربكم﴾ دَلَّهُمْ بخَلْقِه على توحيده.

وقوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾.

هذا نسق على ما قبله، المعنى اتلُ عليهم إذ أخذ ربك من بني آدم.

﴿واتْلُ عَليهْمْ نبَأَ الَّذِي آتَيْناهُ آياتِنَا فانْسَلَخَ منْها﴾.

هذا فيه غيـر قول، قيـل إنه كـان عنده اسم اللَّه الأعـظَم فدعـا به على

(١) سورة النمل.

(٢) لا يتضمنه.

موسى وأصحابه، وقيل إنه أُمَيَّةُ بن أَبِي الصلت، وكان عنده علم من الكتب، وقيل إنه يعني به منافقو أهل الكتَاب.

وقوله: ﴿فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ﴾.

أي الفاسدين الهالكينَ.

وقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لرَفَعْنَاهُ بهَا﴾.

أي لو شئنا أن نحول بينه وبين المعْصِيةِ لفعلْنا، ﴿ولكنّه أخْلَدَ إلَى الأَرْضِ﴾.

معناه ولكنه سكن إلى الدنيا، يقال أَخْلدَ فلان إلى كذا وكذا، وخلد إلى كذا وكذا، وأَخْلدَ أكْثرُ في اللغة، والمعنى أنه سكن إلى لذات الأَرْض.

﴿واتَّبَعَ هَوَاهُ﴾.

أي لم يرفعه بها لاتباعه هواه.

وقوله: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ﴾.

ضرب اللَّه عزّ وجلّ: بالتّارِكِ لآياته والعَادِلِ عنها. أَحسن مثل في أَخَسِّ أَحْوالِه، فقال عزّ وجلّ: ﴿فمَثَلُه كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ إذا كان الكلب لهثان، وذلك أن الكلب إذا كان يلهث فهو لا يقدر لنفسه على ضَرٍّ وَلاَ نَفْع، لأن التمثيل به على أنه يلهث على كل حال حملت عليه أو تركته، فالمعنى فمثله كمثل الكلب لاهثاً ثم قال:

﴿ذَلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآيَاتِنَا﴾.

وقال: ﴿سَاءَ مَثَلاً القَوْمُ﴾.

المعنى: ساءَ مثلاً مَثَلُ القَوْم.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَل﴾.

وصفهم بأنهم لا يُبْصرون بعُيُونِهِم ولا يعقلون بقلوبهم. جَعَلَهُم في

تركهم الحق وإعراضهم عنه، بمنزلة من لا يُبْصر ولا يعقـل. ثم قال جـلّ وعزّ ﴿بَلْ هُمْ أَضلُّ﴾.

وذلك أن الأنعام تُبْصـرُ منافِعَها ومضارَّها فتلزم[١] بعض ما لا تُبصِـرُه، وهؤلاءِ يعلم أَكثَرُهُمْ أنه مُعَاندٌ فيقـدمُ عَلى النَّار.

وقـال جلّ وعـزّ: ﴿فَمَا أَصْبَـرَهُمْ عَلَى النَّـارِ﴾[٢]. أي على عمـل أهـل النار.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ الأَسمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾.

لا ينبغي أن يدعوه أحد بما لم يصف نفسـه [به]، أو لم يسم بـه نَفْسَه، فيقول في الدعاءِ. يا اللَّه يَا رَحْمَـنُ يَا جَوَادُ، ولا ينبغي أن يقول:

«يـا سبحان» لأنـه لم يصف نفسه بهـذه اللفـظة. وتقـول يـا رحيم، ولا يقول: يا رفيق، وتقول يا قوي، ولا تقول يا جَلْدُ.

وقوله: ﴿أَوَ لَمْ يَنْـظُروا فِي ملَكُوت السَّمَـواتِ والأَرْضِ ومَا خَلق اللَّهُ منْ شيءٍ﴾.

أي ألم يَسْتدِلوا بمـا أنبأهُم بـه منّ ملكوت السَّمَـواتِ والأَرْض. ﴿وأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ اقْترَبَ أَجُلهُمْ﴾.

أن إن كانوا يُسَوِّفُونَ بالتوبة فعسى أن يكون قد اقترب أَجَلهُمْ.

فالمعنى: أو لمْ ينظروا فيما دَلَّهم اللَّه جلّ ثناؤه على توحيـده فكفروا بـه بذلك فَلعلَّهُم قد قرُبَتْ آجالُهم فيموتون على الكفر.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنونَ﴾.

---

(١) تفهم أن لهما منفعة في أشياء لا تبصرها فتلزمها.

(٢) سورة البقرة ـ ١٧٥.

وقوله: ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، الطغيانُ: الغلو في الكفر. ويعمهون: يتحيَّرون.

ويجوز الجزمُ والرفعُ في ﴿يذَرُهم﴾. فمن جَزَمَ عطف على موضع الفاء، المعنى من يضلل اللَّه يذرهُ في طغيانه عَامِهاً. ومن قرأ ﴿ويذَرُهُمْ﴾ فهو رفع على الاستئناف.

وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاها﴾.

والساعة ههنا التي يموت فيها الخلق.

ومعنى مُرساها مُثْبَتُها، يقال ـ رسا الشيء يرسو إذا ثبت فهو راس وكذلك جبال راسيات، أي ثابتات. وأَرْسَيْتُه إذا أَثبتُّه.

فالمعنى يسألونك عن الساعة متى وقوعها[1].

وقوله: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾.

أي لا يظهرها في وقتها إلا هو.

ومعنى: ﴿ثَقُلَتْ فِي السمواتِ والأَرْضِ﴾.

قيل فيه قولان، قال قوم: ثقلت في السماوات [والأرض] ثقل وقوعها على أهل السماوات والأَرْضِ[2]. ثم أعلم جلّ ثناؤه كيف وقوعها فقال جلّ وعزّ:

﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾.

أي إلا فجأة.

وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾.

المعنى ـ واللَّه أعلم ـ يسألونك عنها كأنك فَرِحٌ بسؤالهم، يقال تحفيتُ بفلان

---

(١) مرساها إذن مصدر ميمي.

(٢) لم يذكر القول الثاني.

في المسْأَلَةِ إذا سألت سؤالاً أظهرت فيه المحبَّةَ والبربه، وأحْفى فلانٌ بفلانٍ في المسألة، وإنما تأويله الكثرة ويقال حَفِت الدَّابَّةُ تَحْفى حَفىً، مَقْصُورٌ إذا كثر المشي حتى يُؤلمها(١) والحفاء ممدود أن يَمْشِيَ الرَّجُلُ بغيرِ نَعْلٍ.

وقيل: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾، كأنك أكثرت المسألة عنها.

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّما عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾.

مَعْنَى ﴿إنَّما علمُها عندَ اللَّه﴾ لا يعلمها إلا هوَ.

وقوله: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخيرِ﴾.

أي لادّخَرتُ زمن الخِصْبِ لزمن الجَدْب.

وقيل ﴿لو كنت أعلم الغَيبَ﴾ أي لو كنت أعلم ما أُسأل عنه من الغيب في الساعة وغيرها.

وقوله: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾.

أي لم يَلْحَقْني تكذيبٌ.

وقيل أيضاً: وما مَسَّنِيَ السوءُ أي ما بي من جُنُون، لأنهم نسبوا النبي ﷺ إلى الجنون، فقال: ﴿مَا مَسنِيَ السُّوءُ إن أنَا إلا نَذِيرٌ وَبَشِير لقَوْمٍ يُؤْمنون﴾(٢).

ثم بَيَّن لهم ما دَلَّهُم عَلى توحيدِ اللَّه عزّ وجلّ فقال:

﴿هُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾.

يعني آدمَ.

﴿وجَعَلَ مِنْها زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾

﴿فَلَمَّا تَغشَّاهَا﴾.

---

(١) في الأصول: حفي الدابة يحفي. . إذا كثر عليه المشي حتى يؤلمه.

(٢) أي ان «ما» نافية والكلام غير مرتبط بلو.

كناية عن الجماع أحسن كناية.

﴿حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً﴾.

يعني المَني، والحمْل ما كان في البَطْن - بفَتْح الحاءِ - أو أَخْرجَته الشجرة، والحمْلُ بكسر الحاءِ ما يُحْمَلُ.

وقوله: ﴿فمرَّتْ بِهِ﴾.

معنى مرت به استمرت، قعدت وقامت لَمْ يُثْقِلهَا.

﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾.

أي دَنت ولاَدَتُها، لأنه أولَ أمره كان خفيفاً، فلما جُعِل إنساناً ودنت الولاد أَثْقلتْ.

وقوله: ﴿دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾.

أي دعا آدم وحواءُ رَبهمَا.

﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَن مِنَ الشَّاكِرِينَ، فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيما آتَاهُمَا﴾.

يروى في التفسير أنَّ إبليس - عليه اللعنة - جاء إلى حوَّاءَ فقال: أتدرين ما في بطنك، فقالت لا أدري، قال فَلعلَّه بهيمة ثم قال: إن دعوت اللَّه أن يجعله إنساناً أتَسمِينَّه باسمي؟: فقالت نعم فسمته عَبْد الحارِث، وهو الحارث. وهذا يروى في التفسير[1].

وقيل أن آدمَ وحواءَ أَصْلٌ. فضرب، هذا مثلاً لمشركي العرب وَعُرِّفُوا كيف بَدَأَ الخلقَ، فقيل فلما آتاهما اللَّه - لكل ذَكر وأُنْثى - آتاه اللَّهُ ولداً ذكراً أو أنثى - هو خَلَقَه وصوّره[2].

---

(١) وهو بعيد كل البعد، فآدم وحواء لا يشركان باللَّه أحداً.

(٢) وهذا واضح ولعله الصحيح.

﴿جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ﴾ : يعني الذين عبدوا الأصنام .

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ .

الأول هو الذي عليه التفسير، ومن قرأ «شِرْكاً» فهو مصدرُ شَرِكْتُ الرَّجُلَ أشركه شِرْكاً .

قال بعضُهم : كان يَنْبغِي أَنْ يكونَ على قراءَة من قرأ شِرْكاً جعلا لَغيره شِرْكاً، يقول لأنهما لا ينكران أن الأصل اللَّه عزّ وجلّ فالشرك إنما يجعل لغيره، وهذا على معنى جعلا له ذَا شِرْك فحذف ذا مثل ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ .

وقوله : ﴿خُذْ الْعَفْوَ﴾ .

والعفوُ الفضلُ، والعفوُ ما أتى بغير كُلْفَة .

﴿وَأْمُرْ بِالعُرْفِ﴾ .

أي بالمعروف .

﴿وَأَعْرِضْ عن الجَاهِلِينَ﴾ .

وقوله : ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ .

لأدنى حركة تكون، تقول : قد نَزَغْتهُ إذا حرَّكْتهُ .

فالمعنى إنْ نَالَك مِن الشيطان أَدْنى نزغ [أي] وسْوسة .

وقوله : ﴿مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ .

يقال : طُفْت أَطُوفُ، وطاف الخيالُ يَطيفُ .

وقوله : ﴿تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ .

أي تفكروا فيما [هو] أوضح لهم من الحجة .

﴿فإذا هم مُبْصِرونَ﴾ : على بصيرة .

وقوله : ﴿وإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾ .

هـذا معنـاه التَّقْـدِيمُ، المعنى «لا يَسْتَـطِيعُـونَ لَهُمْ نَصْـراً، وَلاَ أَنفسَهُم يَنصُرُون»(١).

﴿وَإِخوَانُهُم يَمُدُّونَهمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقصِرُون﴾.

يعني الشياطين، لأنَّ الكفار أخوانُ الشياطين، والْغَيُّ الْجَهْـلُ، والوقـوع في الحركة. ويقال أقصر يُقصِرُ، وقَصَّرَ، يُقَصِّرُ.

وقوله: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا﴾.

أي هلا اختلقتها، أي هلا أَتَيْتَ بها من نفسك، فأَعْلَمَهُم ﷺ أن الآيات من قِبل اللَّه جلّ ثناؤه.

وقوله: ﴿إِنَّمَا اتَّبِعُ مَا يُوحَى إِليَّ مِن رَبِّي. هَذا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

أي هذا القرآن الذي أَتَيْتُ به بصائرُ من ربكم، واحـدة البصائـر بصيرة، والبصيرة والبصائر طرائق الدَّم(٢)، قال الأَشْعَر الْجُعْفِي(٣).

راحـوا بصـائـرهم على أَكْتَـافِهِمْ ... وَبَصِيـرَتي يَعْـدُو بهـا عَتَـدٌ وَأَيُّ

والبصيرةُ التُّرْس، وجمعها بصائر.

وجميع هذا أيضاً معناه ظهور الشيء وبيانه.

---

(١) يريد أنـه متصل بـالآية التي سبقت وهي: ﴿والذين تدعـون من دونه لا يستـطيعـون نصـركم ولا أنفسهم ينصرون﴾ يعني أن الشياطين التي تغريهم بهذا كالآلهة التي يعبدونها لا يستطيعون عمل شيء لهم ولا لأنفسهم.

(٢) خطوطه وبقعه.

(٣) قـال الآمدي في المؤتلف والمختلف (ص ٥٨) أنـه شاعـر فارس مشهـور وأنه الأسعـر بـالسين لقوله:

فـلا يـدعني قـومي لسعـد بن مـالـك ... إذا أنـا لـم أسعـر عـليـهـم وأثـقـب

أي لا أستحق النسب إليه إذا لم أسعر الحرب، وهو مرثد بن أبي خمـران الحرث بن معـاوية، شاعر جاهلي. وأكثر رواية البيت.. حملوا بصائرهم «على أن البصيرة هي التـرس، أو الدرع، والبيت في اللسان (بصر ـ عقد) وفي مجاز أبي عبيدة ١ ـ ٢٣٨ ـ وروايته: حملوا بصائرهم.

وقوله: ﴿وإِذَا قُـرِئَ القُرْآنُ فاسْتَمِعُوا له وَأَنْصِتُوا﴾.

يروى أن الكلام في الصلاة كان جائِزاً، فكان يدخل الرجلُ فيقول: كم صَلَّيْتُمْ فيقال: صلينا كذا. فلما نـزلت فاستمعـوا له وأَنصِتُـوا حرم الكـلامُ في الصلاة إلا ما كان مما يتقرب به إلى اللّه جلّ ثناؤه. ومما ذكَرَتْـهُ الفقهاءُ نحـو التسبيـح والتهليل والتكبيـر والاستغفار ومـا أشبه ذلـك. من ذكر اللّه جـلّ وعزّ ومسألته العفو.

ويجوز أن يكون فاستمعوا له وأَنْصِتُوا، اعملوا بمـا فيه ولا تجـاوزوا لأن معنى قـول القائـل: سمع اللّه دُعـاءَكَ. تأْويله: أَجـاب اللّه دُعَـاءَك، لأن اللّه جلّ ثناؤه سميع عليم.

وقوله: ﴿بِالْغُدُوِّ والآصَال﴾.

الآصال جمع أُصُـلٍ، والأَصل جمـع أَصيل، فـالآصال جمـع الجمع، والآصال العَشِيَّاتُ.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾.

يعنى به الْمَلَائكة.

﴿ويسبحونه﴾ ينزهُونَهُ عَنِ السُّوءِ، فإن قال قـائل: اللّه جـلّ ثناؤه في كـل مكانٍ، قال اللّه تعـالى: ﴿وَهـوَ اللّهُ فِـي السَّمَوَاتِ وَفِـي الأَرْضِ﴾[1] فمن أين قيـل للملائكـة: عِنْدَ رَبـك، فتأْويله إِنَّـهُ من قَـرُب من رحمـة اللّه وَمِنْ تَفَضُّلِهِ وإِحسانه.

(١) سورة الأنعام من الآية ٣.

سورة الأنفال(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله جلّ وعزّ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾.

﴿الأَنْفَالُ﴾: الْغَنَائِمُ، واحدها نَفَل، قال لبيد:(1)

إن تقـوى ربنـا خيـر نَفَـل وبـإذن الـلَّه رَيْثِـي وَعَـجَـلْ

وإنما يَسْأَلُوا عَنْهَا لأَنَّهَا فيما رُوِيَ كانت حَراماً عَلَى من كَانَ قبلهم، ويُروى أَنَّ الناسَ في غَزَاةِ بَدْرٍ كانوا قليلين، فجعل النبي ﷺ لمن جاءَ بأَسير غُنْماً ومن جاءَ بأسيرين على حسب ذلك، وقيل أيضاً إنه نفل في السرايا فقال اللَّه جلّ وعزّ: ﴿الأَنفَالُ للَّهِ والرَّسُولِ﴾.

وقوله: ﴿كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾.

أي بالحق الواجب، ويكون تأويلهُ: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالحَقِ وَإِنَّ فَرِيقاً من المُؤمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾. كذلك نَنْفُلُ من رأَيْنَا وإن كرِهُوا. لأن بعض الصحابة قال للنبي ﷺ حين جعل لكل مَن أَتى بأُسير شيئاً، قال يبقى أكثر الناس بغير شيءٍ.

(*) كما في سور اخرى كثيرة بضع الزجاج بسم اللَّه الرحمن الرحيم قبل اسم السورة، ولأن هذا غير مطرد، ويختلف بين نسخة وأخرى آثرنا الطريقة المتبعة وهي جعل البسملة بعد عنوان السورة لتكون قبل القراءة مباشرة.

(1) يعني أن تقوى اللَّه خير ما يغتنمه الإنسان، وكل عملي بإذ له وحده. والبيت في ديوان لبيد =

فموضع الكاف في «كما» نصبٌ، المعنى الأنفال ثابتة لك مثل إخْراج ربّكَ إياك مِن بَيْتِك بالحق.

وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾.

معنى ﴿ذات بَيْنكم﴾: حقيقة وصْلِكُم[1]، والبَيْنُ: الوَصْلُ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ أي وصلكم.

فالمعنى: اتَّقُوا اللَّهَ وكُونوا مُجْتَمعينَ على ما أمر اللَّه ورسُولُه، وكذلك اللهم أصلح ذات البَيْن، أي أصلح الحال التي بها يجتمع المسلمون.

وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَه﴾.

أي اقبَلُوا ما أُمِرْتُم بِه في الغنائم وغيرها.

وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

تأويله: إذا ذكِرَت عظمةُ اللَّهِ وقُدْرَتُه، وما خوَّف به مَنْ عصاه، وَجِلَتْ قُلُوبُهُم أي فَزِعَتْ لذلك قال الشَّاعِر:[2]

لعمرك ما أدري وإني لأوجل ... على أينا تعدو المنية أوّل[3]

يقال: وَجِل يَوْجل وَجَلًا، ويقال في معنى يوجَل ياجَلُ ييجل وَيَيْجَلُ،

= ٢/ ١١ - وتفسير الطبري ٩/ ١٠٨ (بولاق) واللسان (نفل) وشواهد الكشاف والقرطبي ٧/ ٣٦١.

(١) الصلاة والروابط التي بينكم.

(٢) هو معن بن أوس المزني. وكان قد طلق زوجهُ وتزوج بأخرى، فغضب أخوها وآلى ألا يكلمه. وكان صديقاً له. فأخذ معن يستعطفه بهذه الأبيات وهي قصيدة جيدة في العتاب - انظرها في الحماسة ٣ - ١٣٢، وقد ادعى عبد اللَّه بن الزبير لنفسه بعض هذه الأبيات أمام معاوية، ثم دخل معن فقرأها - وكان عبد اللَّه مسترضعاً في مزينة، انظر الكامل ١ - ٣٦٤ - ٣٦٥، حـ ٢ - ١٤.

(٣) يريد إنه يؤثر أن يكون هو السابق، وهو شيء لا يعرفه، وهو وجل أن يبقى بعد صاحبه فيذوق مرارة فراقه «أوجل» بمعنى وجل ومؤنثه وجلة ولا يوجد فعلاء له - فهو ليس أفعل تفضيل.

هذه أربع لغَات حكاها سيبويه وأجودُها يَوْجَل، قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿لا تَـوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عليمٍ﴾[1].

وقوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُه زَادَتْهُمْ إيماناً﴾.

تأويل: الإيمـان التصديق، وكـل ما تلى عليهم من عنـد اللّه صدقـوا به فزاد تصديقهم بذلك زيادَة إيمانهم.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ المؤْمِنونَ حَقًّا﴾.

حَقـاً منصـوب بمعنى دلَّت عليـه الجملةُ، والجملة [هي] «أُولئـك هُمُ المؤْمِنُون» حقًّا.

فالمعنى أَحُق ذَلك حقًّا.

وقـوله: ﴿لَهُمْ دَرَجَـات عِندَ رَبِّهِم﴾: أي لهم مَنَـازِل في الرفعـة على قدر منازلهم.

وقوله: ﴿يُجَادِلُونكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَينَ﴾.

وعدهم اللّه جلّ وعزّ في غَزَاةِ بدر أَنَّهُم يظفرون بأهل مكة وبـالعِيرِ وهي الإبل لِكراهَتِهم القِتالَ، فَجادَلوا النبي ﷺ وقالوا إنما خرجنا إلى العير.

وقوله: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾.

[أي] وهم كـانوا في خـروجهم للقتال كـأنهم يساقـون إلى المـوت لِقلَّةِ عدَدهم وأنهم رَجَّالَةٌ[2]، يروى أنهم إنما كان فيهم فارسان فخافوا.

وقوله: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْن أَنَّها لَكُمْ﴾.

المعنى: وآذكروا إذ يعدكم اللّه أن لكم إحدى الطائفتين.

---

(١) سورة الحجر الآية ٥٣.

(٢) مشاة لا ظهور كافية معهم.

﴿أنَّها لكمْ﴾ في موضع نَصْبٍ على البدَل من ﴿إحدى﴾ومثله قوله: ﴿وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مؤمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُم أَنْ تَطَؤُوهُمْ﴾[1] المعنى: ولولا أن تطؤوهم.

وقوله: ﴿وَتَوَدُّون أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوكَةِ تكونُ لكُمْ﴾.

أي تودُون أَنَّ الطائفة التي ليسَت فيها حرب وَلا سِلاح، وهي الإبلِ تكونُ لكم، وذاتُ الشَّوْكةِ ذاتُ السِلاح، يقال: فلان شَاك في السلاح، وشائِك في السلاح وشَاكٌّ في السلاح بتشديد الكاف من الشِّكَةِ، ومثل شاكي قول الشاعر:

فتوسموني إنني ذَاكُمُ شاك سلاحي في الحوادث مُعْلَمُ[2]

وقوله: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَع دَابِرَ الكَافِرِينَ﴾.

أي ظفركم بذات الشوكة أقطعُ لدابرهم.

وقوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾.

لما رأوا أنفسهم في قلة عَدَدٍ استغاثوا فَأَمَدَّهم اللّه بالملائكة.

قال اللّه ـ عز وجل ـ: ﴿إِنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾.

يقال: رَدِفت الرجلَ إذا ركِبْت خَلْفَهُ، وَأَرْدَفته إذا أَرْكَبْته خلفي، ويقال: هذه دابة لا ترادِف[3]، ولا يقال لا تُرْدَفُ، ويقال أَرْدَفْتُ الرَّجُلَ إذا جئتُ بعده، فمعنى ﴿مُرْدِفِين﴾ يأتون فرقة بعد فِرْقة، ويقرأ مُرْدَفِين، ويجوز في اللغة

---

(١) سورة الفتح الآية ٢٥.

(٢) لطريف بن تميم العنبري. شاعر جاهلي من الفرسان. ويروى البيت. فتعرفوني. هو بمعنى فتوسموني، شاك سلاحي، لابسه، وهو مقلوب. شائك في كتاب سيبويه ٣ ـ ٤٦٦، وشرح شواهد الشافية ٣٧٠ شائك. ومعلم. بمعنى ظاهر معروف بعلامتي. يريد أنه شجاع مشهور. وانظر ترجمة طريف في المقتضب ١ /١١٦.

(٣) لا تلحقها دابة أخرى فتكون خلفها.

مَردِّفِين، ويجوز مُرِدِّفين ومُرَدِّفِين. يَجـوز في الراءِ مـع تشديـد الدال: كسـرُها وفتحها وَضمَها، والدال مُشدَّدَة مكسورة على كل حال: قال سيبـويه: الأَصـل مُرْتَدِفِينَ. فأُدغمت التاءُ في الدال فصارت مُرَدِّفينَ، لأَنك طـرحت حركـة التاءِ على الـراءِ، قـال: وإن شئت لم تـطرح حـركـة التـاءِ وكسـرت الـراءَ لالتقـاءِ الساكنين، والذين ضمُّوا الراءَ جعلوها تابعة لضمة الميم.

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى﴾.

أي ما جعل اللَّه المدَدَ إلَّا بشرى.

وقوله: ﴿ إِذ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ﴾.

«إِذْ» مَوْضِعُهـا نصبٌ على معنى ومـا جعله اللَّه إلا بشـرى [في] ذلـك الوقت، ويجوز على أن يكون: اذكروا إذ يغشيكم النعاس.

يقال: نَعَسَ الرجـل يَنْعَسُ نُعَاسـاً وهو نَـاعس، وبعضهم يقول: نَعْسـان ولكنْ لا أَشتهيها.

وَ ﴿أَمَنَةً﴾ منصوب مفعول له(١) كقولك: فعلت ذلك حَذَرَ الشَّرِّ.

والتَّأْوِيل أن اللَّه أَمَّنَهم أَمْناً حتى غشيهم النعاس لِمَا وَعَدهم من النَّصـر، يقال:

قد آمنتُ آمَنُ أَمْناً ـ بفتح الأَلف ـ وَأَمَاناً وأَمَنَةً(٢).

وقوله: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾.

كان المشـركون قد نزلوا على الماءِ وسبقوا المسلمين، ونـزل المسلمون في رَمْلٍ تسوخ فيه الأرجُلُ، وأَصـابت بعضهم الجنابـةُ فوسـوس لهم الشيطانُ بـأن عَدُوَّهم يقـدرون على الماءِ وهم لا يقـدرون على الماءِ، وَخُيِّـلَ إليهم أن

---

(١) أي لأجل أمنكم، فأمنة مصدر أمن.

(٢) المعنى يجعل النوم يستولي عليكم لأجل أمنكم واطمئنان نفوسكم.

ذلك عَوْنٌ من اللّه لعدوهم، فأمطر اللّه المكان الذي كانوا فيه فَتَطَهَّرُوا من الماءِ، واستوت الأرض التي كانوا عليها حتى أمكن الوقوفُ فيها والتصرفُ، وهذا من آيات اللّه جلّ ثناؤه التي تدل[١] على نبوة النبي ﷺ. وأَمْر بدر كان من أعظم الآيات لأن عَدَدَ الْمُسْلِمين كان قليلاً جداً، وكانوا رجَّالةً فأيدهم اللّه، وكان المشركون أَضْعَافَهُم، وَأَمَدَّهُم اللّه بالملائكة، قال بعضهم: كان الملائكة خمسةَ آلاف، وقال بعضهم تسعة آلاف[٢].

وقوله: ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾.

أي وَسَاوِسَهُ وخطاياه.

﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾.

أي يُثَبِّت بالماءِ الذي أنزله على الرَّمْل حَتَّى إسْتَوى، وجائز أن يكون زيّن به للربط على قلوبهم، فيكون المعنى «وَلِيَرْبطَ عَلَى قُلُوبكُمْ وَيُثَبِّتُ» بالربط الأقدام.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ﴾.

«إذ» في موضع نصب على «وَلِيَرْبِطَ إِذْ يُوحِي»[٣] ويجوز أن يكون على «اذكروا».

﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

جائز أن يكون [أنهم] يُثَبِّتُوهم بأشياءَ يلقُونَهَا في قُلُوبِهِمْ تَقْوَى بها[٤].

وَجَائِزٌ أن يكونوا يَرَوْنهم مدَداً، فإذا عاينوا نصر الملائكة ثبتوا.

---

(١) في الأصل والتي.

(٢) في الأصل تسعة ألف.

(٣) أي على هذا التقدير فتكون الآية متصلة إعراباً بما قبلها، وليس بجيد إذ يقتضي الربط في وقت الإيحاء. وتعليقه باذكر يجعله جملة مستأنفة مستقلة وهو أولى.

(٤) تقوى بها قلوبهم.

وقوله: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُم كُلَّ بَنَانٍ﴾.

أباحهم اللَّه قتلهم بكل نوعٍ في الحرب. . وَاحِدُ الْبَنَانِ: بَنَانَةٌ، وَمَعْنَاهُ ههنا الأَصابعُ وغيرها من جميع الأَعضاء.

وإنما اشتقاق البنان من قولهم أَبَنَّ بِالمكان إذا أَقَام به، فالبناءُ بـه يَعْتَملُ كلَ ما يَكُونُ للإِقامة والحياةِ.

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

﴿شاقُّوا﴾. جانبوا،صَارُوا في شِقٍّ غَيْرِ شِقِّ الْمُؤْمِنِينَ، وَمثلُ شَاقُّوا جَانَبُوا وَحَازَبوا وَحَارَبوا.

معنى حَازَبوا صارَ هؤُلاءِ حِزْباً وهؤُلاءِ حِزْباً.

﴿ومن يشَاقِق [اللَّهَ وَرَسولَهُ فَإِنَّ اللَّه شَدِيدُ الْعِقَاب]﴾.

[يُشَاقِقْ] وَيُشَاقّ جميعاً، إلا أَنها ههنا يشاقق، بإظهار التضعيف مع الجزم وهي لغة أهل الحجاز، وغيرهم يدغِم، فإذا أَدْغَمْتَ قلتَ: من يشاقَّ زيداً أُهِنْه، بفتح القاف، لأَن القافين ساكنتان فحركت الثانية بالفتح لالتقاءِ الساكنين ولأَن قبلها أَلفاً، وإن شئت كَسَرْتَ فَقلتَ يشاقِّ زَيْداً، كسرت القاف لأَنَّ أَصل التقاءِ الساكنين الكسر. فإذا استقبلْتَها أَلف ولام اخترت الكَسْر فقلت «وَمَنْ يُشَاقِ اللَّه». ولا أَعلم أَحداً قرأَ بها.

وقوله: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً﴾.

يقال: أَزْحَفْتُ لِلْقَوْمِ إذا ثَبَت لهم، فالمعنى: إذا وَاقَفْتموهم[1] للقتال.

﴿فَلاَ تُولوهُمْ الأَدْبَارَ﴾.

أَي لا تنهزموا حتى تُدْبِرُوا[2].

---

(١) واجهتموهم ووقفتم معهم في موقف واحد.

(٢) لا تستسلموا لدرجة تجعلكم تفرون وتولون الأعداء أدباركم.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُولِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً﴾.

يعني يوم حربهم، إلا متحرفاً. منصوب على الحال ويجوز أن يكون النصب في متحرّف، ومتحيز على الاستثناءِ[1]، أي إلا رجلاً متحيزاً، أي يكون منفرداً فينحاز ليكون مع المقاتلة.

وأصل مُتَحَيِّز مَتَحَيْوِز[2] فأُدْغمت الياءُ في الواو.

وقوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾.

ويقرأ، وَلَكِنِ اللَّهُ قَتَلَهُمْ، فمن شَدَّدَ نَصَبَ لَنَصْبِ إنَّ[3]، وَمَنْ خفف أبطل عملها ورفع قولَه: اللَّهُ بالابتداءِ.

أَضافَ اللَّهُ قتلهم إليه، لأنه هو الذي تَوَلَّى نَصْرَهُمْ، وَأَظْهَرَ فِي ذلك الآيات المعجزات.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾.

ليس هذا نَفْيَ رمي النبي ﷺ ولكن العرب خوطبت بما تعقل.

ويروى أن النبي ﷺ قال لأبي بكر الصديق: ناولني كفًا من بَطْحاءَ[4]، فناوله كفًّا فرمى بها فلم يبق منهم أَحَدٌ - أعني من الْعَدُوِّ - إلَّا شُغِلَ بعينه فأعلم اللَّه - جلّ وعزّ - أن كفًّا من تُراب أَوْ حصًى لَا يَمْلأ عيونَ ذلك الجيش الكثير

---

(١) هو مستثنى على كلتا الحالتين والاختلاف في تقدير المستثنى منه، فعلى الأول هو مستثنى من عموم الأحوال، والتقدير ومن يولهم دبره في حال من الأحوال إلا في حال اتخاذ حرفة لغلبتهم أو حال تحيز لطائفة - مسلمة وعلى التقدير الثاني يكون تركيب الجملة وأي رجل يولهم دبره إلا رجلاً له هذه الصفة.

(٢) لأنها من حاز يحوز، فالفعل واوي العين.

(٣) من شدد «لكن» اللَّه قتلهم نصب لفظ الجلالة اسماً لها، ومن خفف «لكن» كانت مجرد حرف استدراك فيرفع ما بعدها بالابتداء.

(٤) أي ناولني حفنة من تراب هذه البطحاء، أي الأرض التي كانوا عليها.

برَمْية بَشَرٍ، وأنه عزّ وجلّ تولى إيصَال ذلكَ إلى أَبْصَارِهم، فقال عزّ وجل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾. أي لَمْ يُصِبْ رَمْيُكَ ذَاكَ ويبلغْ ذلك المبلغ بكَ، إنما اللَّه عزّ وجلّ تولى ذلك، فهذا مجازُ ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَناً﴾.

أي لينصرهم نصراً جميلاً، ويختبرهم بالتي هي أحسن.

ومعنى يبليهم ههنا يُسْديَ إليْهم.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوَهِّنُ كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾.

بتشديد الهاءِ والنصب في «كَيْدِ» ويجوز الجرّ في ﴿كيد﴾ وإضافة ﴿مُوهِن﴾ إليه. ففيه أَرْبَعة أَوجُه. في النصب وجهان، وفي الجر وجهان. وموضع ذلكم رفعٌ، المعنى الأمر ذلكم وأَنَّ اللَّه، والأَمرُ أَنَّ اللَّه موهن.

وقوله: ﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوه﴾.

موضعِ ذلكم رفع على إضمار الأمر، المعنى: الأَمر ذلكم فذقوه، فمن قال: إنه يَرْفَعُ ذلكم بما عادَ عليه من الهاءِ أو بالابتداءِ وجعل الخبر فذُوقُوه، فقد أَخطأَ من قبل أَنَّ مَا بَعدَ الفاءِ لا يكونُ خبراً لمبتدأ. لا يجوز زيد فمنطلق، ولا زيد فاضربُه، إلا أَن تضمر «هذا» تريد هذا زيد فاضربه، قال الشاعر:(١)

وقائلة خَوْلانُ فانكح فتاتهم ... وأَكرُومَةُ الحيين خلْوٌ كماهِيَا

(١) لم يعرف قائله. وهو من الخمسين التي لم يعرف قائلها من شواهد سيبويه، والمعنى رب قائلة لي تزوج هذه الفتاة من قبيلة خولان، فأجبت: هذه الفتاة الكريمة الأب والأم خلو من الزوج وهي أولى بأن أتزوجها ـ وخولان حي من اليمن أو قبيلة ولهذا يروى البيت: «فانكح فتاتها» وأكرومة بمعنى مكرمة، والحيان قبيلة الأب وقبيلة الأم. وزيادة الفاء هو مذهب الأخفش وانكح خبر، ويجوز على هذا نصب خولان، ومذهب سيبويه ما ذكره المؤلف والبيت من شواهد الكشاف، وفي الخزانة الشاهد ٧٧ ص ٤١٠ / حـ ١ (السلفية).
وابن يعيش ٩٥/٨، وشواهد المغني ١٥٩.

وذكـر بعضهم: أن تكـون في مـوضـع نصب على إضمــار واعلمـوا أن للكافرين عـذاب النار. ويلزم على هـذا أن يقال: زيـد منطلق وعمـراً قائمـاً، على معنى وَاعْلَمْ عمراً قائمـاً، بل يلزمـه أن يقول عمـراً منطلقـاً، لأن المخبر مُعْلِمٌ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجُز إضمارُ أعلم ههنا، لأن كلَّ كلام يُخبَـرُ به أو يستخبـر فيه فأنت مُعْلِمٌ [به]. فاستغنى عن إظهار العلم أو إضماره.

وهذا القول لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ مِنَ النَّحَوِيِّين.

وقوله: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾.

معنـاه: إن تستنصروا فقـد جـاءَكم النصـر، ويجـوز أن يكـون معنـاه إن تستحكموا فقد جاءَكم الحُكْمُ. وقد أتى التفسير بالمعنيين جميعاً.

رووا أن أبا جهل قال يوم بدرٍ: «اللهم أَقْطَعُنَا للرَّحم، وأَفْسَدُنَا للجماعة فـأحنه اليـومَ» فسأل اللَّه أنْ يحكُمَ بحَيْنٌ(١) من كـان كذلـك، فنصر النبي ﷺ ونال الحَيْنُ أبَا جهلٍ وأصحابه، فقال اللَّه جلّ وعزّ:

﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فقد جاءَكم الفتحُ﴾: أي إن تَستَقْضُوا فقد جاءَكم القضاءُ.

وقيـل إنـه قـال: اللهم انصـرْ أَحَبَّ الفِئَتَينْ إليـك، فهـذا يَـدُلُّ على أن معناه: إنْ تَسْتَنْصِروا. وكلا الوجهين جَيّدٌ.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾.

يُعنَى به الذين قالوا: قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا.

فسمـاهم اللَّه جـلّ ثنـاؤه لَا يَسْمَعُـونَ، لأنهمْ اسْتَمَعُـوا استمـاعَ عـداوة وبغضاءَ، فلم يتفهموا، ولم يتفكرُوا، فكانوا بمنزلة من لم يسمَعْ.

وقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ﴾.

---

(١) بموت ونهاية أقطعهم للرحم.

يعنى به هؤُلاءِ الذين يسمعون ويفهمون فيكونون في تـرك القبول بمنـزلة من لم يسمع ولم يَعْقِل.

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّه فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ﴾.

أي لو علم اللَّه فيهم خيراً لأَسمَعَهُم جوابَ كل ما يَسألونَ عَنْهُ.

ثم قال جلّ وعزّ:

﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُون﴾.

أي لـو بَيَّن لَهُم كـلَّ مـا يعتلجُ في نفـوسهم لتـولَّـوْا ـ وَهُمْ مُعْـرضُونَ ـ لمعانَدَتِهِمْ.

وقوله: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

أي لمـا يكون سببـاً للحياة [وهـو] العلم. وجائـز أن يكون [لمـا يكون] سبَباً للحياة الدائمة، في نعيم الآخرة.

ومعنى استجيبوا في معنى أجيبوا. قال الشاعر:

وداع دعـــا يـا من يجيب إلى النــدا فلم يستجبـه عنـــد ذاك مـجيـب[1]

أي فلم يُجبْه.

وقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّه يَحُولُ بَيْن المرْءِ وَقَلْبِهِ﴾.

قيل فيه ثـلاثةُ أقـوال، قال بعضهم يَحُـولُ بينَ المؤمِنِ والكُفْر، ويحـول بين الكـافِر والإيمـان بالمـوت، أي يحول بين الإنسـان ومـا يسـوف بـه نفسـه بالموت، وقيل: ﴿يَحُولُ بَينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ معناه: واعلموا أن اللَّه مع المرءِ في القـرب بهذه المنـزلة. كمـا قـال: جـلّ وعــزّ: ﴿وَنَحْنُ أَقْـرَبُ إِلَيْـهِ مِنْ حَبْـلِ الْوَرِيدِ﴾[2] وقيل إنهم كانوا يفكرُون في كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ وَقِلَّةِ عَدَدِهِمْ فيدخل في

---

(١) تقدم ص ٢٥٥ جـ ١.

(٢) سورة ق الآية ١٦.

قلوبهم الخوفُ، فأعلم اللَّه جلَّ ثناؤه أنه يحول بين المرءِ وَقَلْبِهِ بأن يبدُله بالخوفِ الآمن، ويُبَدِّلَ عَدُوَّهم ـ بظنهم أنهم قادرون عليْه ـ الجُبْنَ والخَوَرَ[1].

﴿واتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾.

أي اتقوا أن يُبَدَلَ الظالمون بنقمة من اللَّه، يُعنى بهذا مَرَدَهُ المنافِقِينَ الذين كانوا يصدُونَ عن الإيمان باللَّه.

وزعم بعض النحويين أَنَ الكلام جزاءُ، فيه طرف من النهي، فإذا قلْتَ: أنزل عن الدّابَّة لا تَطْرَحْك ولا تَطْرَحَنَّك، فهذا جواب الأمر بلفظ النهي، فالمعنى: إنْ تَنْزل عنها[2] لا تطرحك فإذا أتيت بالنُّون الخفيفة أو الثقيلة كان أوْكَدَ للكلام، ومثله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾[3] إنها أمرتْ بالدخول ثم نَهَتْهُم أنْ يُحْطِمَهُم سليمانُ فقالت: ﴿لَا يَحْطِمنكمْ سلَيْمَانُ وجنوده﴾[3]. فلفظ النهي لِسلَيْمانَ، ومعناه للنمْلِ، كما تقول: لا أُرَيَنك هَهنَا، فلفظ النهي لنَفْسِكَ ومعناه: «لا تَكُونَنَّ هَهُنَا فإني أراك».

وقوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾.

المعنى: واذْكُرْ إذ يمكُرُ بك الذِين كفروا. فأذْكَرَه اللَّه جلّ ثناؤه نِعْمَةَ مَا أنْعَمَ عليه من النَّصْرِ والظَّفَرِ يوم بدْرٍ ذلك فقال ﴿وَإِذْ يمكُرُ بكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي اذكر تلكَ الخلال.

﴿ويَمكُرُونَ وَيمكُرُ اللَّهُ، وَاللَّهُ خَيْرُ الماكِرِينَ﴾.

لأن مكر اللَّه إنما هو مجازاة ونصرٌ للمؤمنين، فاللَّه خير الماكرين.

---

(١) يبدل عدوهم الجبن والضعف بما يلقي في قلوبهم من الرعب.

(٢) في الأصل عنه، وبقية الكلام بصيغة المذكر، وهو غير مناسب.

(٣) سورة النمل الآية ١٨.

﴿وَإِذَا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ .

وقد دُعُوا بأَن يَأْتُوا بِسُورَةٍ واحِدَةٍ من مثل القرآن فلم يَأْتُوا .

وقوله : ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ .

واحدتها أُسطورة ، يعنون ما سَطَّرَهُ الأَوَلُون من الأَكاذيب .

ثم قالوا :

﴿اللَّهُمْ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ .

القراءَة على نصب «الحق» على خَبَرِ «كان» وَدَخَلَتْ «هُوَ» للفَصْل[١] . وقد شرحنا هذا فيما سلف من الكتاب .

وَاعْلَمْ أَنَّ «هُوَ» لا موضع لها في قولنا ، وأَنها بمنزلة «ما» المؤَكِّدَة ، ودخلت لِيُعْلَمَ أَن الحق ليس بصفة لهذا أَو أَنه خبر ، ويجوز هو الحقُّ مِنْ عِنْدِكَ[٢] ولا أُعلم أَحداً قرأَ بها . ولا اختلاف بين النحويين في إجازتها ولكن القراءَة سُنَّةٌ لا يقرأُ فيها إلا بقراءَة مَرْوِيَّةٍ .

وقوله : ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ .

المعنى : واذكر إذ قالوا هذا القولَ ، وقالوا على وجه الدفع لـهُ[٣] وقالوه والنبي ﷺ بين أَظهرهم . فأَعْلَمَ اللَّه أَنه لم يكن لِيُعَذِبَهُمْ وَرَسُوله بين أَظهرهم . فقال :

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ

---

(١) لو أن الجملة كانت بغير ضمير فصل «ان كان هذا الحق» لكان محتملاً أن يلتبس كلمة «الحق» بأنها بدل من اسم الإشارة ، أما مع ضمير الفصل فلا ليس .

(٢) يخرج هذا على أن هو «مبتدأ» والحق خبر ـ والجملة خبر «هذا» .

(٣) على وجه إنكار أن القرآن حق .

يَسْتَغْفِرُونَ﴾أي وَمَا كَانَ اللَّهُ ليعذبهم ومنهم من يَؤُول أمرُه إلى الإسلام .

قال: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ .

المعنى : أي شيءٍ لهم في ترك العذاب، أي في دَفْعِه عَنهُم .

﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ .

المعنى : وهم يَصُدُّونَ عن المسجدِ الحَرام أولياءَهُ[1] وما كانوا أولياءَه .

﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا المتَّقُونَ﴾ .

المعنى : ما أولياؤه إلا المتقون .

فـأعلم اللَّه النبي ﷺ أنه لم يكن ليعـذِبَهم بالعـذاب الذي وقـع بهم من القتل والسبي وهو بَيْن أَظْهُـرِهِم، ولا لِيُوقـع ذلك العـذاب بمن يؤول أَمْرُه إلى الإسلامِ مِنْهُمْ، وأعلمه أنه لا يدفع العذاب عن جملتهم الذي أوقعه بِهِمْ، ثم أعلم أنهم ما كانوا مع صَدِّهِمْ أَوْلِياءَ[2] الْمسجدِ الحرام وَأَوْلِياءَ اللَّه، إنهم إنما كانَ[3] تَقَرُّبُهُمْ إلى اللَّه جلّ وعزّ بالصفير والتصفيق فقال جلّ وعزّ:

﴿وَمَا كان صلاَتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ .

فالمكَاءُ الصفير، والتصدِيَةُ التصفيق .

وقوله: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ .

أي ليميـز ما أَنفقـه المؤمنون في طـاعة اللَّه ممـا أَنفقـه المشـركـون في معصية اللَّه، ﴿[وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ] فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً﴾ .

---

(١) أي مفعول يصدون محـذوف، قدره بكلمـة «أولياءه» أي هم يصـدون المسلمين عنه وهم أولى به، وجعل المفعول المحذوف عاماً أولى أي هم يصدون الناس عنه وهم ليسوا أوليـاءه، أي لا حق لهم في هذا الصد .

(٢) لم يكونوا بارين به إذ صدوا الناس عنه .

(٣) في الأصل إنما كانوا تقربهم ـ وهو مستقيم إذ يكون الخبر جملة .

والرَّكْمُ أن يَجْعَلَ بعضَ الشيءِ على بعض، ويقـال رَكمتُ الشيءَ أرْكُمهُ ركماً، والرُّكام الاسم.

﴿فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّم﴾.

أي يجعـل بعض ما أنفقـه المشـركـون على بعض، وَيَجْعَـلُ عليهم في النارِ، فيكون مما يُعذَّبُونَ به، كما قال جلّ وعزّ: ﴿فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾.

وقوله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾.

أي حَتى لا يُفْتَنَ النـاسُ فتنة كُفْـر، ويدل على معنى فتنـة كفر(1) قـولـه عزّ وجلّ: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾.

وقوله: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُم﴾.

المعنى: فإن أقاموا على كفرهم وعَدَاوتهم فاعْلَمُـوا أن اللَّه مولاكم، أي هو المولى لكم، فلا تضركُم مُعَادَاتهم.

وقـوله: ﴿وَاعْلَمُـوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ من شَيْءٍ، فَـأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَـهُ وَلِلرَّسُـولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ﴾.

كثر اختلاف الناس في تأْوِيلُ هذه الآية والعمل بها وجُمْلَتُها أنها مالٌ من الأَمْوَالِ الَّتي فَرَضَ اللَّه جلّ ثناؤه فيها الفُروض، والأَموال التي جرى فيها ذكر الفُروض للفُقَراءِ والمسَـاكينِ وَمَنْ أشْبهم ثلاثـة أَصنافٍ، سمى اللَّه كـلَّ صنف منهـا، فسمى ما كـان من الأَموال التي يـأْخذهـا المسلمون من المشـركين في حال الحرب أَنْفَالاً وغَنَائِمَ، وسمى مَـا صَـار إلى المسلمين ممـا لم يُؤخَذ في الحـرب من الخـراج والجـزيـة فيْئـاً، وسَمَّى مـا خـرج من أَمـوال المسلمين

(1) على أن الفتنة هنا يراد بها الكفر.

كالزكاة، وما نذروا من نذر، وتقربوا به إلى اللَّه جلّ وعزّ صَدَقَةً، فهذه جملة تسمية الأموال.

ونحن نبين في هذه الآية ما قاله جمهور الفقهاء وما توجبه اللغة إن شاءَ اللَّه.

قال أبو إسحق: أجمعت الفقهاءُ أن أربَعَةَ أخماس الغنيمة لأهل الحرب خاصة، والخمس الذي سُمِّي في قولـه: ﴿فأَنَّ للَّهِ خُمُسَه ولِلرَّسُولِ﴾ إلى آخر الآية في الاختلاف[1].

فأما الشافعي فذكر أن هَذَا الخُمس مقسوم على ما سمى اللَّه جلّ وعزّ من أهل قسمته وجعل قوله: ﴿فَأَنَّ للَّهِ خُمُسَهُ﴾ افتتاحُ كلامٍ.

قال أبو إسحاق، وأحسب معنى «افتتاح كلام» عنده في هذا أَنَّ الأشياءَ كلها للَّه عزّ وجلّ، فابتدأ وافتتح الكلام[2].

فإنَّ قال قائل: ﴿فأَنَّ للَّه خُمُسَهُ﴾ كما قال ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ للَّهِ والرَّسُولِ﴾، ثم قَسّم هذا الخمسَ على خمْسَةِ أَنْصِبَاءَ، خمسٍ للنبي ﷺ وخمس ليتامى المسلمين لا ليتامى آل النبي ﷺ وخمسٍ في المساكين - مَساكين المسْلمين لا مساكين النبي ﷺ، وخمس لابن السبيل، ولا يرى الشَافعي أن يَتْرُكَ صنفاً من هذه الأصناف بغيرِ حظ في القسمة[3].

قال أبو إسحاق: وبلغني أنه يرى أن يُفَضِّلَ بعضُهم على بعض على قدر الحاجة، ويرى في سهم الرسولِ أن يُصْرف إلى ما كان النبي ﷺ يصرفه فيه، والذي رُوِيَ أنه كان يصرف الخمس في عُدَدٍ للمسلمين نحو اتخاذ

---

(١) أي محل خلاف بين الفقهاء.

(٢) إذ لا تصلح كلمة فأن للَّه أن تكون أول جملة. فالخبر محذوف.

(٣) لم يأت جواب الشرط في «فإن قال قائل» ولم يذكر غير أربعة أخماس لأنه ترك ذوي القربى.

السلاح الذي تقوى به شوكتهم. فهذا مذهب الشافعي وهو على لفظ ما في الكتاب[١].

فأما أبو حنيفة ـ ومن قال بقوله ـ فيقسم هذا الخمس على ثلاثة أصناف، يسقط ما للرسول من القسمة، وما لذوي القُرْبَى، وحجته في هذا أنَّ أبا بكر وعمرَ لم يعطيا سَهْمَ ذوي القربى، وأن سهم النبي ﷺ ذهب بوفاته، لأن الأنبياء لا تورثُ. فيُقَسِّم على اليتامى والمساكين وابن السبيل على قدر حاجة كل فريق منهم ويعطي بعضاً دون بعضٍ منهم خاصةً، إلَّا أنه لا يخرج القَسْم عن هؤلاءِ الثلاثة.

وأما مذهب مَالِك فيُرْوَى أن قوله في هذا الخمس، وفي الفيءِ أنه إنما ذكر هؤلاءِ المُسَمَّوْنَ لأنهم من أهم مَنْ يدفع إليهم، فهو يجيزُ أن يَقْسِمَ بينهم، ويجيز أن يُعْطِيَ بعضاً دون بعض، ويجوز أن يُخْرِجَهُمْ مِن القسم إن كان أمرُ غيرهم أهمَّ من أمرهم، فيفعل هذا على قدر الحاجة.

وحجته في هذا أن أَمْرَ الصدَقاتِ لم يزل يجري في الاستعمال على ما يراه الناس. وقال اللّه عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَراءِ والْمَسَاكِين وَالعَامِلِينَ عَلَيْهَا، وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[٢]. فلو أن رَجُلاً وجبت عليه خمسة دراهم[٣] لأخرجها إلى صنف من هذه أو إلى ما شاءَ من هذه الأصناف، ولو كان ذكر التَسْمِية يوجب الحق للجماعة لما جاز أن يُخَص وَاحد دون غيره، ولا أن يُنْقَصَ واحدٌ مِما يُعطى غَيْرُه[٤].

(١) على لفظ ما في القرآن، وقد ترك ذوي القربى ولعله سهو.

(٢) سورة التوبة الآية ٦٠.

(٣) في الأصل: خمسة درهم.

(٤) أي كان يجب أن تعطى كل زكاة للأنواع الثمانية بالتساوي.

قال أبو إسحاق: مِنْ حُجَج مالك في أن ذكر هؤلاءِ إنما وقع للخصوص قوله تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِه وَرُسُلِه وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾[1]. فذكر جملة الملائكة، فقد دخل جبريل وميكال في الجملة وذُكِرَا بأسمائهم لخصُوصِهِمَا، وكذلك ذكر هؤلاءِ في القسمة والفيءِ والصدقة، لأنهم من أهم مَنْ يصرف إليه الأموالُ من البرِّ والصدقة.

قال أبو إسحاق: ومن الحجَّةِ لمالك أيْضاً قول اللَّه عزّ وجلّ: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم منْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ والأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾[2]، فللرجل أن ينفق في البر على هذه الأصناف وعلى صنف منها، وله أن يخرج عن هذه الأصناف، لا اختلاف بين الناس في ذلك.

قال أبو إسحاق: هذا جملة ما علمناه من أقوال الفقهاءِ في هذه الآية.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنْ كُنتُم آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلنا عَلَى عَبْدِنَا﴾.

يجوز أن يكون «إِنْ كُنتُمْ» مُعَلقَةً بقوله: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّه مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ. . . إِنْ كُنتُمْ آمَنْتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ فأيْقِنُوا أنَّ اللَّهُ نَصَرَكُمْ إذ كنتم قد شاهدتم مِنْ نَصْره ما شاهدتم.

ويجوز أَنْ يَكُونَ﴿إِنْ كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّه﴾ معناها: اعلموا أن مَا غَنِمْتُمْ من شيءٍ فأن للَّه خمسه وللرسول يأمران فيه بما يريدان إنْ كنتم آمَنْتُمْ باللَّه فاقبلوا ما أُمِرْتم به في الغنيمة.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾.

هو يوم بدر، لأن اللَّه عزّ وجلّ أظهر فيه مِنْ نَصْرِهِ بإرداف الملائكة

---

(١) سورة البقرة ٩٨.

(٢) سورة البقرة ـ ٢١٥.

والإمداد بهم للمُسْلِمِينَ مَا كانَ فيه فُرْقانٌ بين الحق والباطل، ثم أَكد التبينَ في ذلك فقال عزّ وجلّ:

﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾.

أي الدنيا منكم(١)، والعُدوةُ شفير(٢) الوادي، يقال: عِدْوة، وعُدْوَة وعدى الوادي مقصور، فالمعنى إذ أنتم بالعدْوَةِ الدُّنْيَا، أي بشفير الوادي الذي يلي المدينة.

﴿وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾.

بشفير الوادي الذي يلي مكّةَ.

﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾.

الرَّكْبُ العير التي كان فيها أبو سفيان على شاطئ البحر.

فأعلم اللَّه جلّ وعزّ أن نَصْرَ المؤمنين وهم في هذا الموضع فرقانٌ(٣).

قال أبو إسحاق: قد بينا أنه كان رَمْلاً تسوخ فيه الأَرْجُل، ولم يكونوا على ماءٍ، وكان المشرِكُونَ نَازِلينَ على مَوْضِع فيه الماءُ، وهم مع ذلك يُحَامُونَ عن العِيرِ، فهو أشدُّ لِشوْكَتِهِمْ، فجعل اللَّه جلّ وعزّ النصرَ في هذه الحال، مع قلة عَدَدِ المسلمين وكَثْرَة عَدَد المشركين وشِدةِ شَوكَتِهِم، فُرقَاناً.

ويجوز في قوله: ﴿والركب أَسْفَلَ منكم﴾ [وجهان]، الوجه أن تنصب ﴿أسفل﴾، وعلَيه القراءَةُ، ويجَوز أن ترفع أسفل على أنك تريد والركبُ أَسْفَلُ منكم أي أَشَد تَسَفُّلًا(٤). ومن نصب أرادَ والركب مكاناً أسفل منكم.

---

(١) القريبة منكم.

(٢) شاطئ الوادي وجانبه.

(٣) في الأصل «فرقاناً».

(٤) الكلمة ليست ظرفاً في هذه الحالة.

وقوله :﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عن بَيِّنَةٍ ويَحيا مَنْ حَيَّ عن بَيِّنَةٍ﴾ .

جعل اللّه عزّ وجلّ القاصِدَ للحق بمنزلة الحيِّ، وجعل الضَّالَّ بمنزلة الهَالِك، ويجوز حَيِيَ بياءَين، وحَيَّ بياءٍ مشددَة مُدْغَمة، وقد قرئ بهما جميعاً. فأَما الخليل وسيبويه فيجيزان الإدغام والإظهار إذا كانت الحركة في الثاني لآزِمةً، فأَما من أَدْغَم فلاجتماع حرفين من جنس واحد. وأَما من أَظهر فلأَن الحرف الثاني ينتقل عن لفظ الياءِ، تقول حَيِيَ يَحْيَا، والمحيا والممات. فعلى هذا يجُوزُ الإظهارُ. فأَما قوله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ يُحْيِي وُيميتُ﴾[1] وقوله: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾[2]. فلا يجوز فيه عند جميع البصريين إلا يُحْيِي بياءَيْنِ ظاهرَتَيْنِ وأَجاز بعضهم[3]. يُحيّ بياءَ واحدة مشددة مُدْغَمة، وذكر أَنَّ بعضهم أَنشد:

وكأَنها بين النساءِ سبيكة ... تمشي بسدة بَيْتِهَا فَتَعي[4]

ولو كان هذا المنشد المستشهد أَعلمنا من هذا الشاعر، ومن أَي القبائل هو وهل هو مِمَّن يؤْخذ بشعره أَم لا مَا كان يضره ذلك. وليس ينبغي أَن يُحْمل كتاب اللّه على «أُنشدني بعضُهُمْ» ولا على بيْت شَاذ لو عرف قائله وكان مِمنْ يؤْخذ بقوله لم يجز.

وهذا عندنا لا يجوز في كلامٍ ولا شِعْرٍ، لأَن الحرفَ الثانِيَ إِذَا كانَ

---

(١) سورة يونس، ﴿هو يحيي ويميت وإليه ترجعون﴾، الآية ٥٦.

(٢) سورة القيامة الآية ٤٠.

(٣) أجاز ذلك الفراء وبعض الكوفيين ـ واحتجوا بالبيت الآتي:

(٤) كأنها بين النساء قطعة من الذهب المذاب صبت في قالب، وسدة البيت فناؤه. يصفها، على عادة العرب بالكسل والتراخي لامتلاء جسمها فهي تعيى إذ تمشي بفناء بيتها، أي يرهقها قليل المشي لترفها، وتعيى من أعيا إذا ضعف ووهن.
والبيت في معاني الفراء ٣ ـ ٢١٣ ـ وانظر البحر المحيط ٨ ـ ٣٩١.
وكلام الزجاج بعد هذا موجه للفراء لاحتجاجه ببيت لم يعرف قائله.

يسكن من غير المعتل نحو: «لم يَوَدَّ» فالاختيار إظهار التضعيف، فكيف إذا كان من المعتل.

وقوله: ﴿إِذْ يريكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً﴾.

رويت عن الحسن أن معناها في عينك التي تنام بها. وكثير من أصحابِ النحو يذهبون إلى هذا المَذْهَب، ومعناه عندهم: إذ يريكهم اللَّه في موضع منامك أي بِعَيْنك ثم حذف الموضِعُ، وأقام المقام مكانه، وهذا مَذْهَبٌ حسن. ولكنه قد جاءَ في التفسير أن النبي ﷺ رآهم في النوم قليلاً[١]، وقص الرؤيا على أصحابه فقالوا: صَدَقَتْ رُؤْيَاكَ يا رسول اللَّه، وهذا المذهب أسوغ في العربية، لأنَّه قد جاءَ: وَإِذْ يُرِيكُمُوهم إِذِ الْتَقَيْتُم فِي أَعْيُنِكُمْ قليلاً، ويُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ، فدَلَّ بهذا أن هذا رؤية الالتقاءِ، وأن تلك رؤيةُ النوم.

ويجوز على هذا المذهب الأول أن يكون الخطاب الأول للنبي ﷺ وأن الخطاب الثاني لجميع من شاهدَ الحربَ وللنبي ﷺ.

وقوله: ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ﴾.

أي لتأخرتم عن حربهم وكِعْتُمْ[٢] وَجَبُنْتُمْ، يقال فشِلَ فشَلاً إذَا جَبنَ وهابَ أن يَتَقدم.

وقوله: ﴿إِن شَر الدوَابِّ عِندَ اللَّهِ الذِينَ كَفَرُوا فهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

عنى أن هؤلاءِ لا يؤمنون أبداً، كما قال لنُوح: ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾[٣].

وقوله: ﴿فَإما تَثْقَفَنهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾.

---

(١) رأى عددهم قليلاً رؤيا نوم.

(٢) أي جبنتم من كعا يكعو والأكعاء الجبناء، والكاعي المنهزم.

(٣) سورة هود الآية ٣٦.

معناه افعل بِهِمْ فعلاً من القَتْلِ تُفرِقُ به مَنْ خَلْفَهُمْ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿تَثْقَفنهُمْ﴾ معناه تصادفنهُمْ وَتَلْقينَّهُمْ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِمَّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾.

أي نقضاً للعهد.

﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾.

أي انبذ عهدهم الذي عاهَدْتهم عليه أي أرم به.

على سواءٍ، أي لِتكُونَ وَهُمْ سَواءً في العداوة.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾.

أي الذين يخونون في عهدهم وغيره.

وقوله: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم﴾.

معناه عادةُ هؤلاءِ في كفرهم كعادة آل فرعون في كفرهم، فجوزي هؤلاءِ بالقتل والسَّبيِ كما جوزيَ آل فرعونَ بالإغراق والإِهْلاَكِ، كذا قال بعض أهل اللغة، في الدأب أنه العادة.

وقال أبو إسحاق: وحقيقة الدأب إدَامَة العَمَل، تقول: فلان يدأب في كذا وكذا أي يداوم عليه ويواظب، ويُتْعِبُ نفسه فيه. وهذا التفسير معنى العادة إلا أن هذا أبيَنُ وأكشفُ.

وقوله: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾.

موضع «إذْ» نصبٌ، المعنى اذكر إذ زيَّنَ لهم الشيطان أعمالهم.

﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ [وإِنِّي جَارٌ لَكُمْ]﴾.

تمثل لهم إبليس في صورة رَجُل يقالُ له سُراقة بنُ مالك بنُ جُعْشُم من كنانة(١)، وقال لهم: لَنْ يَغْلِبكم أَحَدٌ، وَأَنا جارٌ لكم من بني كنانة، ﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ الفِئَتَانِ﴾.

(١) هو سراقة صاحب قصة الهجرة الشهيرة، إذ طارد النبي ﷺ وأبا بكر وكاد يمسك بهما ليظفر =

توافَقَتَا حتّى رَأَتْ كُلُّ وَاحِدةٍ الأُخْرَى، فَبَصُرَ إبليسُ بالمَلائكَة تنزل من السّماءِ فنكص على عقبيه.

﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾.

وذلك أنه عُنِّفَ لهَرَبه، فقال:

﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، واللَّهُ شَدِيدُ العِقَابِ﴾.

ومعنى نكص رجع بِخِزْيٍ، فإن قال قائل: كيف يقولُ إبليس: إني أخاف اللَّه وهو كافِرٌ. فالجواب في ذلك أنه ظن الوقت الذي أُنْظِرَ إليْه قَدْ حَضَر.

وقوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾.

معناها: لا يُحْسَبَنَّ من أفلت من هذه الحرب قَدْ سَبَق إلى الحياة. والقراءَة الجيّدةُ لا تَحْسَبَنَّ بالتاءِ على مخاطبة النبي ﷺ وتكون «تَحْسَبَنَّ» عاملة في الذين، ويكون «سبقوا» الخبر(١).

ويجوز فتح السين وكسرها(٢)، وقد قرأ بعض القرّاءِ، ولا يحسَبَنَّ الذين كفروا، بالياءَ وَوَجهُها ضعيف عند أهل العربية إلا أنها جائزة على أن يكون المعنى، ولا يحسبن الذين كفروا أن سبقوا، لأنها في حرف ابن مسعود أنهم سبقوا، فإذا كانت كذلك فهو بمنزلة قولك: حسبت أن أقوم وحسبت أقُومُ على حذف أن، وتكون أقوم وقام تنوب عن الاسم والخبر كما أنك إذا قلت: ظننتُ لَزَيْدٌ خَيْرٌ مِنْكَ. فقد نابت الجملةُ عن اسم الظَّنِّ وخَبرِه وفيها وجه آخر: ولا يحسبَنَّ قبيلُ المُؤْمِنينَ الَّذين كَفَرُوا سَبَقُوا.

= بجائزة قريش. ودعا عليه رسول الله فساجت أقدام فرسه، فتطير وطلب منه الخلاص على ألا يدل عليه ففعل وكتب له أمانا، وقال له: كيف بك إذا لبست سواري كسرى ـ وقد كان سواره وتاجه ومنطقته من نصيب كسرى في موقعة القادسية، ألبسه عمر إياها. أسلم سراقة يوم الفتح ومات سنة ٢٤ هـ.

(١) المفعول الثاني.

(٢) في «يحسبن».

ويجوز فيها أوجُهٌ لَمْ يُقْرأْ بِهَا، يجوز «ولا يُحْسَبَنَّ الذينَ كفروا سبقوا» و «لا يَحْسبُنَّ الذين كفروا»، أي لا يحسب المؤمنون الذين كفروا سبقوا.

ولكن القراءَة سنة، لا يُقْرأُ إلا بما قرأت به القراءَ.

ويجوز إنهم بكسر إنَّ، ويجوز أنَّهم، فيكون المعنى: ولا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كفروا أَنهم يعجزون، ويكون أَنَّ بَدَلاً مِن سَبقُوا.

قال أبو إسحاق: هذا الوجه ضعيف، لأن «لا» لا تكون لَغْواً في موضع يجوز أن تقع فيه غير لغوٍ.

وقوله: ﴿يُعْجِزُونَ﴾ فتحُ النون الاختيارُ، ويجوز كسرها على أن يكون المعنى أنهم لا يَعجزُونَنِي، بحذف النون الأُولى لاجتماع النونين. قال الشاعر: (١)

رأته كالنعام يُعَلُّ مِسْكاً يسوءُ الغاليات إذا فَلَينِي

يريد فلينني.

وقوله: ﴿وآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ. اللَّهُ يَعلَمُهُمْ﴾.

﴿آخرين﴾ عطف على قوله ﴿تُرهِبُونَ بـه عدوَّ اللَّه وعدوَّكم﴾. أي وترهبون آخرين منْ دُونِهِمْ.

وقوله: ﴿وإن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾.

السلم: الصلح والمسالمة، يقال: سِلْمٌ وسَلَمٌ وسَلْمٌ في معنى واحِد، أي إن مالُوا إلى الصلح فَمِلْ إلَيْه.

﴿وإن يُرِيدُوا أن يَخْدَعُوك﴾.

أي إن أَرَادُوا بإظهارِ الصُّلْح خَدِيعَتك، ﴿فإنَّ حَسْبَك اللَّهُ﴾.

---

(١) تقدم في الجزء الأول ٢١٦ - ويروى «تراه».

أي فإن الذي يتولى كفايتك اللَّه.

﴿وَمَنِ اتبَعُكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

موضع «مَنْ» نصْبٌ ورَفْعٌ، أما مَنْ نَصَبَ فعلى تأْويل الكاف، المعنى فإن اللَّه يكفيك ويكفي من اتبَعَكَ من المؤْمنين، ومن رفع فعلى العطف على اللَّه والمعنى: فإن حسبك اللَّهُ وتُبَّاعُك مِن المؤْمنينَ.

﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ﴾.

ومعنى أَيَّدَكَ قَوَاكَ.

﴿وَبِالْمُؤْمِنِين وَأَلَّف بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾.

أي جمعهم على المودة على الإيمان.

وقوله: ﴿لَوْ أنفقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾.

[جميعاً] منصوب على الحال.

﴿ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّه أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾.

أَعلم اللَّه جلّ وعزّ أن تأْليف قلوب المؤْمنين من الآيات العظام وذلك أن النبي ﷺ بُعِث إلى قوم أَنَفتُهم شديدةٌ، ونصرةُ بعضهم بعضاً ومعاوَنَتُه أبلغُ نصرةٍ وَمُعَاوَنَةٍ، كان يُلْطَمُ من القبيلة لطمةً فيقاتلُ عنه حَتَّى يُدْرَكَ ثَأْرُهُ، فأَلَّف الإيمان بين قلوبهم حتى قاتل الرجل أَباه وأَخاه وابنه(١)، فأَعلم اللَّه عزّ وجلّ أَن هذا ما تَوَلَّاهُ منهم إلا هو.

وقوله: ﴿يا أَيُّها النَّبِيُّ حَرِّضِ المؤمنينَ على القِتَالِ﴾.

تأْويله حُثَّهم على القتال.

وتأْويل التحريض في اللغة أَن يحث الإنسان على الشَّيءُ حثاً يعلم معه أَنه حَارِضٌ إن تخلف عنه، والحارض الذي قدْ قَارَبَ الهلاكَ، وقَوله تعالى:

(١) أصبح المسلمون وحدة حتى كان الرجل يحارب ذويه إبقاء على وحدة الجماعة الإسلامية.

﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً﴾[1] أي حتى تَذوب غَمَّاً فتقارب الهلاك فتكون من الهالكين.

وقوله: ﴿إِنْ يَكُنْ منكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ﴾.

لا يجوز إلَّا كسر العين. وزعم أَهل اللغة أن أول عشرين كُسِرَ كما كُسِرَ أولُ اثنين، لأَن عِشْرين من عَشْرةٍ مثل اثنين من واحِدٍ. ودليلهم على ذلك فتحهم ثلاثِين كفتح ثلاثةٍ، وكسرة تِسعين ككسرة تسعة.

وقوله: ﴿وعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً﴾.

قرئَت على ثلاثةِ أَوْجُهٍ: قرئت ضَعْفاً بفتح الضَّادِ، وضُعْفاً بضم الضَّادِ والمعنى واحِدٌ، يقال هو الضَّعفُ والضُّعْفُ، والمَكْثُ والمُكْثُ، والفَقْرُ والفُقْر، وباب فَعْلٍ وفُعْل بمعنًى واحِدٍ في اللغة كثير.

وقرأ بعض الشيخة: وعلم أَنَّ فيكم ضُعَفَاءَ على فُعَلاَءَ[2]، على جمع ضعيف وضُعَفاءَ ولم يَصْرفْ[3] ولم يُنَوِّنْ لأَن فعلاءَ في آخرها أَلف التأْنيث.

﴿فإِنْ يَكُن مِّنكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ﴾.

وقرئت «فإن تكن» بالتاءِ، فمن أَنث فلأَن لفظَ المائة مؤنث، ومن ذكر فلأن المائة وقعت على عَدَد مُذكر.

وقوله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾.

ويقرأ أُسارَى، فمن قرأَ أَسْرَى فهو جمع أَسِير وأَسْرَى.

وَفعْلى جمعٌ لكل ما أُصِيبُوا به في أَبدانهم وعُقُولهم، يقال: هالك وهلكى، ومريض ومَرْضَى، وأَحمق وحَمْقَى، وسَكْران وسَكرى.

---

(١) سورة يوسف الآية ٨٥.

(٢) هذا هو الوجه الثالث.

(٣) أي هو ضعفاء ـ حذفت منه الهمزة، وهو ممنوع من الصرف لألف التأنيث.

ومن قرأ أُسَارَى فهو جمع الجمع، تقول أَسير وأَسارى.

قال أَبو إِسحاق: ولا أَعلم أَحداً قرأها أُسارى. وهي جائزة ولا تقـرأن بها إِلا أَن تثبت رواية صَحيحة.

﴿حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾.

معنـاه حتى يبالـغ في قتل أَعـدائـه، ويجـوز أَن يكـون حتى يتمكن في الأَرض. والإِثخان فـي كل شيء قوة الشيء وشدته يقال قد أَثخنته.

ومعنى: ﴿وأُولو الأَرْحَام بَعْضُهُمْ أَوْلَى ببْعض﴾.

أَي بعضهم في المواريث أَولى ببعض.

وهذه المواريث في الولاية بالهجرة منسوخة، نسخها ما في سورة النساءِ من الفرائض.

وقوله: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

معناه تذهب صَوْلتكم وقوتكم، ويقال في الدُّولِ: الرِّيحُ مـعَ فُلان، أَي الدَّوْلَةُ.

سورة براءة

قوله جلّ وعزّ ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسولِه﴾.

سئل أُبَيُّ بنُ كعب: ما بال براءة لم تفتتح ببسم اللَّه الرحمن الرحيم.

فقال: لأنها نزلت في آخر ما نزل من القرآن، وكان رسول اللَّه ﷺ يأمر في أول كل سورة ببسم اللَّه الرحمن الرحيم: ولم يأمر في سورة براءة بذلك فَضُمَّتْ إلى سورة الأنفال لشبهها بها.

يعني أن أمْرَ العهودِ مذكور في [سورة] الأنفال وهذه نزلت بنقض العهود فكانت ملتبسة بالأنفال في الشبه(١).

قال أبو إسحاق: أخبرنا بعض أصحابنا عن صاحبنا أبي العباس محمد ابن يزيد المبرد أنه قال: لم تفتتح بـ «بسم اللَّه الرحمن الرحيم»، لأن «بسم اللَّه» افتتاح للخير. وأوّل «براءة» وَعيدٌ ونقض عُهود، فلذلك لمْ تفتتح ببسم اللَّه الرحمن الرحيم.

و«براءة» نزلت في سنة تسع من الهجرة، وافتتحت مكة في سَنَةِ ثمان. وَوَلَّى رسولُ اللَّه ﷺ عَتَّابَ بنَ أُسَيدٍ(٢) للوقوف بالناس في الموسم فاجتمع في

---

(١) مرتبطة بها لما بينهما من الشبه.

(٢) عتاب هو أبو عبد الرحمن أموي من عبد شمس، أسلم يوم الفتح وولاه رسول اللَّه مكة حين خرج لحنين، وثبته أبو بكر وقد حدث أنه لما أراد علي بن أبي طالب أن يتزوج بنت أبي جهل أن أسرع عتاب فتزوجها فولدت له عبد الرحمن وبه يكنى الإصابة ت ٥٣٩١.

تلك السنة في الموقف ومعالم الحج وأسبابه المسلمون والمشركون. فلما كان في سنة تسع وَلى رَسُولُ اللَّه ﷺ أبا بكر الصديق الـوقوفَ بـالناس وأمـر بتلاوة براءَة، وولى تلاوتها عَلياً[١] وقال في ذلك: لن يُبَلِّغَ عني إلا رجُلٌ مني، وذلك لأن العربَ جَرت عادتها في عقـد عقودهـا ونقضِها أن يتـولى ذلك على القبيلة رَجـلٌ منها، فكـان جائـزاً[٢] أن يقول العـربُ إذا تلى عليهـا نقض العهـد من الرسول:

هذا خِلاف ما نعرف فينـا في نقض العهود، فـأزاح رسول اللَّهِ ﷺ هـذه العِلَّةَ، فَتُلِيَتْ براءَة في الموقف:

﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي قدْ بَرِئَ من إعطائهم العهودَ والوفاءَ لهم، ذلك أن نكثوا[٣].

﴿بَرَاءَةٌ﴾ مرتفعة على وجهين أحدهمـا على خبر الابتـداءَ، على معنى هذه الآيـات بـراءَة من اللَّه ورسـولـه، وعلى الابتـداء، يكـون الخبـر ﴿إلى الـذين عاهدتم﴾ لأن براءَة موصولة بِمِنْ[٤]، وصار كقولـك: القصد إلى زيـد، والتبرؤُ إليك، وكلاهما جائز حسن، يقالِ بَرِئْتُ من الرجُـلِ والدين بـراءَةً، وبرِئْتُ من المرَضِ وبَرَأْتُ أيضـاً بُرْءَاً، وقـد روَوْا برأت أبـرُؤ بُرُوءَاً، ولـم نجـد فيما لامـه همزة فعَلْت أفْعُل، نحو قرأْت أقْرُأُ، وهنأت البعير أهنؤه[٥].

---

(١) أرسل النبي علياً بها بعد أن فصل أبو بكر بالحجيج ليتلوها على الناس لأن إبرام العقود ونقضها لا يكون إلا من كبير الجماعة أو أحد أقاربه.

(٢) متوقعاً محتملاً إذا قرأه أبو بكر.

(٣) أي بـأنهم نكثوا العهـد ـ نكثت بعض القبائـل فبرئ منهـا ـ وبقي بعض على عهـده وهم الذين استثنوا في قوله: ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوا عهدهم﴾.

(٤) أي هي نكرة موصوفة يجوز الابتداء بها.

(٥) لا يوجد هذا في اللغة.

وقد استقصى العلماء باللغة هذا فلم يجدوه إلا في هذا الحرف(١).

ويُقال برَيْت القَلمَ ـ وكل شَيءٍ نَحَتُّه ـ أَبْرِيه بَرْيًا، غيـر مهموز، وكـذلك بَرَاةُ السيْرُ غير مهموز، والبُرَةُ حَلَقَةٌ من حَـدِيد في أَنف النـاقة، فـإذا كانت من شعر فهي خِزَامَةٌ.

والذي في أَنف البعير من خَشب يقال له الخِشَـاش، يقال أَبْـريت الناقـة أَبْرِيها براءً إذا جَعَلْت لها بُرَةً.

ولا يقال إلا بالألف أَبْريْتُ، ومن الخزامة خَزَمْتُ ـ بغيـر ألف ـ وكذلـك من الخِشاش خَشَشْتُ، والبُرَةُ الخلخال من هذا، وتجمع البرةُ بُرين والبُريَ.

وقوله: ﴿فَسِيحِوُا في الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾.

أي اذهبوا؛ وأَقْبلوا وَأَدْبِرُوا أَربعةَ أَشْهُرٍ.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾.

[أي] وإن أَجَّلْتُم هـذه الأربعة الأشهـر فلن تفوتوا اللَّه ﴿وَأَن اللَّه مُخْـزِي الكَافِرِينَ﴾.

الأَجْـوَدُ فتح «أَ» علَى معنى اعلمـوا أَن اللَّه مخزي الكـافـرين، ويجـوز كَسْرها على معنى الاستئناف، وهذا ضمـان من اللَّه عزّ وجـلّ بنَصْرِهِ المؤْمِنين على الكافرين.

﴿وَأَذانٌ منَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

عطفٌ على ﴿بَرَاءَةِ﴾ ومعناه: وإعلان من اللَّه ورسوله، يقال آذنته بالشيءِ إذا أَعلمته به.

﴿إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءُ منَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

قيل يَومُ الحج الأَكبر هو يوم عرفة، والحج الأَكبر الوُقوف بعـرفة، وقيـل الحج الأَصغر العمرة.

---

(١) أي برأت أبرؤ فقط.

والإجماع أنه من فاته الوقوف بعرفة فقد فاته الحج، وقال بعضهم إنَّما سُمي يومَ الحج الأكبر لأنه اتفقت فيه أعياد أهل المِلَّةِ، كان اتفق في ذلك اليوم عيدُ النصارى واليهودِ والمجوسِ وهذا لا يُسمى بهِ يومُ الحج الأكبر، لأنه أعيادُ غير المسلمين، إنما فيها تعظم كفر باللّه، فليست من الحج الأكبر في شيء.

إجماع المسلمين على أن الوقوف بعرفة أكْبَرُ الحجّ.

وقوله: ﴿إلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم منَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

«الذين» في موضع نصب، أي وقعت البراءَة من المعاهدين الناقضين للعهود.

﴿الاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ﴾.

أي ليسوا داخلين في البراءَة ما لم ينقضوا العهود.

وقوله: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْركينَ حَيْث وَجَدتُّمُوهُمْ﴾.

أي اقتلوا هؤلاءَ الذين نقضوا العهدَ، وَنُقِضَ عَهْدُهُمْ وَأُحِلُّوا هذه المدةَ.

ويقال إن الأربَعَةَ الأشْهرِ كانت عشرين من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيعاً الأول، وعشرا من ربيع الآخر، لأن البراءَة وقعت في يوم عرفة، فكان هذا الوقت ابتداءَ الأجل.

﴿واقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَد﴾.

قال أبو عُبَيْدَة: المعنى كل طريقٍ. قال أبو الحسن الأخْفَش «على» محذوفة، المعنى اقعدوا لهم على كل مَرْصَدَ وأنشد:

نُغَالي اللحمَ للأَضْيَافِ نيئاً ... ونُرْخِصهُ إذا نَضَج القُدورُ[1]

(١) تقدم ج ١ ص ٢١٠.

المعنى نغالي باللحم، فحذف الباءَ ههنا، وكذلك حذف «على».

قال أبو إسحاق: كل مَرصَد ظرف، كقولك ذهبت مَذْهَباً.

وذهبت طريقاً، وذهبت كلَّ طـريق. فلست تحتاج أن تقـول في هذا إلا ما تقوله في الظروف مثل خلف وأمام وقدام.

وقوله: ﴿فإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾.

أي إن تابوا وآمنوا فهم مثلكم، قد درأ عَنْهم إيمانُهم وَتَوْبَتهمْ إثمَ كفرهم ونكثهم العهودَ.

وقـوله: ﴿وَإِنْ أَحَـدٌ منَ الْمُشرِكينَ اسْتَجَـارَكَ فَـأَجِـرْهُ حتَّى يسْمَـعَ كَـلاَمَ اللَّهِ﴾.

المعنى إن طلب منك أحدٌ منهم أن تجيرَهُ منَ القَتْل إلى أن يسمـع كلام الله، فَأَجِرْهُ ﴿ثم أَبْلغْهُ مَأْمَنَهُ﴾.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْلَمُونَ﴾.

أي الأمر ذلك، أي وجب أن يعـرفوا وأن يُجَـازوا بجَهْلِهِمْ وبِمَا يَتَبيـنُـونَ الإسلام.

وأما الإعراب في أحَد مع «إنْ» فالرفع بفِعل مُضْمر الذي ظهر يفسِّرُه.

المعنى وإن استجارك أحد.

ومن زعم أنه يرفع أحَداً بالابتداءِ فخطأ[١].

لأن الجزاءَ لا يتخطى ما يرفع بالابتداء ويعمل فيما بعده[٢].

---

(١) «إن» مختصة بالأفعال، فلا بد من تقدير فعل قبل أحد.

(٢) يريد أن «إن» الشرطيه عملت في موضع «أجارك» وفي «فأجره»، فلو كان «أحد» مبتدأ مـا تخطتـه للعمل فيما بعده.

فلو أَظهرت المستقبل لقلت: إن أَحدٌ يقمْ أُكرمهُ ولا يجوز إِنْ يَقمُ أَحَدٌ زَيْدٌ يَقُمْ. لا يجوز أَن ترفع زَيْداً بفعل مضمر الذي ظهر يفسِّره ويَجزم[1]. وإنما جاز في «إن»[2] لأَن «إن» يلزمها الفِعْلُ، وجواب[3] الجزاءِ يكون بالفِعْل وغيره، ولا يجوز أَن تُضْمِرَ وتجزم بعد المبتدأ، لأنك تقول ههنا إن تأتني فزيد يقوم، فالموضع موضع ابتداءٍ.

وإنما يجوز الفصل في باب «إنْ» لأَن «إنْ» أُمُّ الجزاءِ، ولا تزول عنه إلى غيره، فأَما أَخَواتُها فلا يجوز ذلك فيها إلا في الشِعر.

قال عدي بن زيد[4].

فمتى واغل يزرهم يُحيوه وتُعطَفْ عليه كأْسُ السَّاقي

وقوله: ﴿إِلَّا الذِينَ عَاهَدْتُمْ عِندَ المَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.

أَي ليس العهد إلا لهؤلاءِ الذين لم ينكثوا.

﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾.

أَي ما أَقاموا على الوفاءِ بعَهْدِهِمْ، وموضع «الذين» نصب بالاستثناءِ.

---

(١) لا مساغ لإضمار فعل قبل زيد، لأن إن الشرطية ذكر بعدها فعل وكفى. وجملة زيد يقوم هي جواب الشرط فيجب قرنها بالفاء ورفع الفعل بعدها وتقدير الجملة في الأصل ان يقم أحد فزيد يقوم.

(٢) جاز تقدير فعل محذوف بعد إن وجعل الاسم بعدها فاعلاً له، لأن إن مختصة بالأفعال.

(٣) جواب الشرط.

(٤) عدي بن زيد شاعر جاهلي من شعراء النصرانية ـ لم يكن من فحول الشعراء ولكنه بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها. اتصل بملوك الحيرة، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى ـ سجنه النعمان بن المنذر لوشاية ومات في سجنه، وقد استعطف النعمان بقصائد منها هذه القصيدة أولها:

ليس شيء على المنون بباق غير وجه المسيح الخلاق

والواغل الذي يشارك في الشراب بدون دعوة. الشاهد ١٦١ في الخزانة ٣ ـ ٤٠.

وقوله: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمة﴾.
وحذف مع كيف [جملة] «يكون لهم عهدٌ» لأنه قد ذكر قبل ذلك.

قال الشاعر يرثي أخاً له مات:

وخَبرتُمانِي أنما الموت بالقُرَى فكيف وهاتا هَضبة وقليب[1]

أي فكيف مات وليس بقرية. ومثله قول الحطيئة:

وكيف ولم أَعْلمْهمُو خَذَلُوكُمُو عَلَى مُعْظَمٍ ولاَ أَدِيمَكُمُو قَدُّوا[2]

أي فكيف تَلومونني على مدح قوم، وتَذُمُّونَهُمْ، واستغنى عن ذكر «ذَلِك» مع ذكر كيف، لأنه قد جرى في القصيدة ما يدل على ما أُضْمِرَ.

قال أبو عبيدة الإلُّ: العهدُ، والذِّمَّة ما يتذَمَّمُ منه، وقال غيره: الذمة. العهد، وقيل في الإل غير قول.

قيل: الإلُّ القرابة، وقيل: الإل: الحلف، وقيل: الإل: العهْدُ، وقيل الإلُّ اسم من أسماءِ اللَّه، وهذا عندنا ليس بالوجه لأن أسماءَ اللَّه جلّ وعزّ معروفة معلومة كما سُمِعَت في القرآن وتُلِيَتْ في الأخبار قال اللَّه جلّ وعزّ: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادعُوهُ بهَا﴾[3].

فالداعي يقول: يا اللَّه، يا رحمن، يا ربُّ، يا مؤْمِنُ، يَا مُهيَمن.

---

(١) لكعب الغنوى يرثي أخاه أبا المغوار ـ «هاتا» إشارة إلى الهضبة والقليب يقول: لقد ذكرتماني أن الموت بالقرى المأهولة لزهامة هوائها، فكيف أصاب الموت أخي وهو ليس بالقرى ـ وإنما حوله هضبة وبئر ماء، والبيت في كتاب سيبويه ٣ ـ ١٣٩ (بولاق) وفي ابن يعيش ٣ ـ ١٣٦ «نبأتماني».

(٢) من داليته في مدح البغيض وهجاء الزبرقان، أي لم تطلبوا منهم أمراً عظيماً لم يجيبوكم إليه، ولا نالوا منكم بقول شيء فكيف تلومونني على مدحهم. والبيت في الديوان ٧٢ ومعاني الفراء ١ ـ ٤٢٤.

(٣) سورة الأعراف ١٨٠.

ولم يَسْمَعْ «يا إِلُّ» في الدعاءِ.

وحقيقة «الإلّ» عندي على ما تُوحيه اللغة تحديد الشيءِ[١] فمن ذلك: الإِلَّةُ: الحربة، لأنها محدَّدَة، ومن ذلك: إِذُن مُؤَلَّلةٌ، إذا كانت محدَّدَة.

والأل يُخرَجُ في جميع ما فُسِرَ من العهْدِ والجوار على هذا، وكذلك القرابَةُ، فإذا قلت في العهد بَيْنَهُما إِلٌّ فمعناه جِوارٌ يحادُّ الإنسان، وإذا قُلْتَهُ في القرابة فتأْوِيله القرابَة الدانِيةُ التي تحادُّ الإنسانَ[٢].

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا في دينكمْ فقاتلوا أئمَّة الكُفرِ﴾.

أي رُؤساءَ الكافرين[٣]، وقادتهم، لأن الإمام متَّبَعٌ.

وهذه الآية توجب قَتلَ الذِميّ إذا أَظْهَرَ الطعنَ في الإسلام لأن العهد معقود عليه بألَّا يطعَنَ، فإذا طعنَ فقد نكث.

وقوله: ﴿أئمة الكفرِ﴾فيها عند النحويين لُغةٌ واحدةٌ: أَيمة بهمزة وياءَ، والقرَاءُ يقرَأون أئِمة بهمزتين، وأَيمة بهمزة وياءٍ، فأما النحويُّون فلا يجيزون اجتماع الهمزتين ههنا، لأنهما لا يجتمعان في كلمة، ومن قرأ أئمة - بهمزتين - فينبغي أن يقرأ يا بني أأدم، والاجتماع أن آدم فيه همزة واحدة، فالاختلاف راجع إلى الإجماع، إلا أن النحويين يستصعِبُون هذه المسألة، ولهم فيها غير قول:

يقولون إذا فضلنا رجلاً في الإمَامة: هذا أَوَمُّ من هذا ويقول بعضهم أَيَمُّ من هذا، فالأصل في اللغة أأْممَةٌ لأنه جمع إمامٍ، مثلُ مِثَال وأَمْثِلَةٍ، ولكن

---

(١) إرهافه وجعله دقيقاً.

(٢) تمنحه قوة وشدة ومضاء.

(٣) في الأصل أي أئمة الكفر رؤساء الكفر.

الميمين لما اجتمعتا ادغمت الأُولى في الثانية وأُلغِيت حركتها على الهمزة، فصار أَئِمَّة، فأبدل النّحويون من الهمزة الياءَ.

ومن قال: هذا أَيَمُّ من هذا جعل هذه الهمزة كلما تحركت أُبْدَلَ مِنها ياءً.

قال أبو إسحاق: والذي قال: «هَذا أَوَمُّ مِن هذا» كانت عنده أُصلها أَأَم، فلم يمكِنْه أَن يُبدِلَ منها أَلِفاً لاجتماع الساكنين، فجعلها واواً مفتُوحة، لأَنه قال: إذا جمعت آدمَ قُلتَ أُوادِمَ.

وهذا هو القياس الذي جعلها ياءً.

قال: قد صارت الياءُ في أئمة بدَلاً لازماً.

وهذا مذهب الأَخفشِ، والأول مذهب المازني.

قال أبو إسحاق وأظنه أَقْيَسَ الوَجْهَيْن، أعني: هذا أَوَمُّ مِنْ هَذَا، فأَما أَئِمة باجتماع الهمزتين، فليس من مذاهب أُصحابنا، إلا ما يحكى عن ابن إسحاق فإنه كان يحب اجتماعهما وليس ذلك عندي جائزاً، لأَن هذا الحرف في أَئمة قد وقع فيه التضعيف والإدغام، فلما أُدغم وقعت علة في الحرف، وطرحت حركته على الهمزة فكان تركها دليلاً على أَنها همزة قد وقع عليها حركة ما بعدها، وعلى هذا القياسِ يجوز: هذا أَأَمُّ مِنْ هذا والذي بدأْنا به هو الاختيار من أَن لا تجتمع همزتان.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ لا ايمَان لَهُمْ﴾.

وتقرأُ لا أَيمان لَهُمْ، فمن قرأَ: ﴿لا أَيمَان لهمْ﴾ بالفتح فقد وصفهم بالنكث في العهد، وهو أَجودُ القراءَتين، ومن قرأَ «لا إيمَانَ لهم» فقد وصفهم بالرِّدةِ، أَي لا إِسْلامَ لَهم، ويجوز أَن يكون نَفَى عنهم الإيمان لأَنهم لم يؤمنوا، كما تقول: لا عِلْمَ لِفُلانٍ.

ويجوز أن يكون لا أَيمَانَ لَهُمْ إِذَا كنتمْ أَنْتُمْ آمَنْتُمُوهُمْ، فنقضوا هم عَهدكُم، فقد بطل الأمان الذي أعطيتموهم، أي لا إيمانَ لَهُمْ: على «آمنتُه إيماناً على المصدر».

﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهونَ﴾.

أي لِيُرْجَى منهم الانتهاءُ، والنكث: النقض في كل شيءٍ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوماً﴾.

هذا على وجه التوبيخ، ومعناه الحضُّ على قتالهم، وقيل في قوله:

﴿وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

أنهم كانوا قاتلوا حُلفاءَالرسول اللّه ﷺ.

وقوله: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾.

معناه أَتَخْشَونَ أَنْ يَنَالَكُمْ مِنْ قِتَالِهِم مَكْرُوهٌ.

﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾.

أي فمكرُوهُ عَذابِ اللَّهِ أَحقُّ أَن يُخْشَى.

﴿إن كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ﴾: أيْ مصدقِينَ بعقاب اللّه وثوابه.

وقوله: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾.

فيه دليل أنه اشتد غضبهم للّه عزّ وجلّ، فوعد اللّه في هذه الآية النَّصْرَ، وفيها دليل على تثبيت النُّبُوَّة، لأنه قال عزّ وجلّ: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مؤْمِنِينَ﴾.

فوعدهم اللّه النَّصْرَ وَوَفىّ به، ودل على صدق ما أتى به النبي ﷺ، وقوله تعالى:

﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾.

ليس بجـواب لقولـه: ﴿قَاتِلُوهُمْ﴾ ولكنـه مستأنف، لأن «يتـوب» ليس من جنس ما يُجابُ به «قاتلوهم».

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا ولَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهدُوا مِنْكُمْ﴾.

اللَّه جلّ وعزّ قد علم قَبْلَ أَمْرهم بالقِتَالِ من يُقَاتـلُ مِمَّنْ لاَ يُقَاتِـلُ ولكنه كان يعلم ذلك غيباً، فأرادَ العلمَ الذي يُجازي عَلَيْهِ لأَنَّه جلّ وعزَّ إنمـا يجازي على ما عملوا.

وسورة «براءة» كانت تُسَمَّى الْحافِرةَ، لأنها حَفَرت عن قلوبِ المنافقين، وذلـك أنه لمـا فُرِضَ القِتـالُ تبين المنافقُ من غيـره، ومن يُوالي المؤْمِنين مِمَّن يوالي أَعداءَهم فقال جلّ وعزّ:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّـا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَـاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِـذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمنينَ وَلِيجَةً﴾.

والوَليجة: البِطَانَةُ، وهي مأْخوذة مِنْ وَلَـجَ الشيءَ، يلِجُ إذا دَخَلَ. [أي] ولم يَتَّخِذوا بينهم وبينَ الكافرين دَخيلَةَ مَوَدَّةٍ.

وقوله: ﴿مَاكَانَ لِلْمُشْرِكينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجدَ اللَّهِ شَـاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بالكُفْرِ﴾.

﴿شَاهِدِينَ﴾ حـال. المعنى ما كانت لهم عمارةُ المسجد الحرام في حـال إقرارهم بالكفر.

﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾.

أي كُفْرُهُمْ قد أذهبَ ثوابَ أعمالهم.

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّه وَالْيَوْمِ الآخر وَأَقَامَ الصَّـلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ﴾.

ولم يذكر الرسول في هذا[1]، لأن فيه دليلاً بقوله وأَقَامَ الصلاةَ التي أتى بتحديدها الرسول.

﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾.

تأويله لم يخف في باب الدين إلا اللَّه.

﴿فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

عسى واجبة من اللَّه.

وقوله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لا يَسْتَوُونَ عندَ اللَّهِ﴾.

المعنى أجعلتم أهل سِقَايَةَ الحَاجِّ وأَهْلَ عِمَارَةِ المَسْجِدِ الحرامِ كمن آمن باللَّه واليوم الآخِرِ وجَاهَد.

واختلف الناس في تفسير هذه الآية:

فقيل: إنه سأل المشركون اليهودَ فقالوا نحن سُقَاةُ الحَاجِّ وَعُمَّارُ المسجد الحَرامِ. أَفَنَحْنُ أَفْضَلُ أم محمد وأصحابه؟ فقالت لهم اليهود عناداً للنبي ﷺ: أنتم أفضل.

وقيل إنه تفاخر المسلمون المجاهدون والذين لم يهاجروا ولم يجاهدوا، فأعلم اللَّه جلّ وعزّ أن المجاهدينَ والمهاجرين أعظمُ دَرَجَةً عند اللَّه، فقال:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ﴾.

﴿درجةً﴾ منصوب على التمييز، المعنى أعظمُ من غَيْرِهِمْ دَرَجَة.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

---

(١) لم يأت في الآية «من آمن باللَّه ورسوله واليوم الآخر»، لأن الرسول معلوم ضمناً لأنه الذي أتى بتحديد الصلاة.

والفائز الذي يظفر بأمنيته من الخير.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ﴾.

أي يُعْلِمْهم في الدنيا ما لهم في الآخرة.

وقوله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ في مَواطِنَ كَثيرَةٍ، وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾.

أي وفي حنين، أي ونصركم في يوم حنين، وحنين: اسمُ وَادٍ بين مكة والطائفِ.

وقوله: ﴿فِي مَوَاطِنَ كَثيرةٍ﴾: أي في أمكنةٍ، كقولك في مقامَاتٍ.

تقول استوطن فلان بالمكان إذا أقام فيه.

وزعم بعضُ النحويينَ أن﴿مواطن﴾لم ينصرف ههنا لأنه جَمْعٌ. وأنها لا تُجْمَعُ.

قال أبو إسحاق: وإنما لم تُجْمَعْ لأنها لا تدخل عليها الألف والتاءُ، لا نقول مَوَاطِنات، ولا حَدَائدات إلَّا في شِعْر، وإنما سَمِعَ قَوْلَ[1] الخليل أنه جمع لا يكون على مثال الواحد، وتأويله عند الخليل أن الجموع أبداً تَتَنَاهى إليه فليس بعده جمع، لو كسّرت أي جمعت على التكسير أقوال، فقلت[2] أقاوِيل لم يتهيأ لك أن تكَسِّر أقاوِيل، ولكنك قد تقول أقاويلات، قال الشاعر:[3]

فَهُنَّ يَعْلكنَ حَدائداتها

(١) أي سمع هذا النحوى قول الخليل ولم يفهمه.

(٢) في الأصل لقلت.

(٣) الشطر في اللسان منسوباً للأحمر، وفي معاني الفراء ١ ـ٤٢٨ يجمعن -حدائداتها. وهو حديث عن خيل تعلك لجمها كما جاء في شعر النابغة:

خيل صيام وخيل غير صائمة ... تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

ولم أقف على صدر البيت... وانظر القرطبي في الآية نفسها.

وإنما لم ينصرف ﴿ مواطن ﴾ عند الخليل لأنه جمع وأنه ليس على مثال الواحدِ ومعنى ليس على مثال الواحد، أي ليس في ألفاظ الواحد ما جاءَ على لفظه وأنه لا يجمع كما يجمع الواحد جمعَ تكْسِيرٍ.

ومعنى الآية أن اللَّه جلّ وعزّ أعْلَمهم أنه لَيس بكثرتهم يَغْلِبُون وأنهم إنما يغلبون بنصر اللَّه إيَّاهم فقال جلّ وعزّ:

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً﴾.

يروى أنهم كانوا اثنى عشر ألفاً في ذلك اليوم، وقال بعضهم: كانوا عَشَرة آلاف[1] فأعجبوا بكثرتهم، فجعل اللَّه عقوبتهم على إعجابهم بالكثرة - وَقَوْلهم: «لن نُغْلَب اليومَ مِنْ قِلَّةٍ» بأن رَعَّبهم[2] حتى وَلَّوْا مُدْبِرِين، فلم يبق مع رَسُول اللَّه ﷺ إلاَّ العَبَاسُ بنُ عبدِ المطلِب وأبو سُفيانَ بن حَرْبٍ[3]، ثم أَنْزَلَ اللَّه عليهم السكينة حتى عادوا وَظَفِرُوا فأراهم اللَّه في ذلك اليوم من آياتِه ما زادهم تَبْييناً بنُبُوة النبيِ ﷺ.

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾.

وقرئت مَسْجِدَ اللَّه، فمن قرأ «مَسْجِدَ اللَّه» عَنَى به المسجدَ الحرامَ ودَخَل معه غيْرُه، كما تقول: ما أَسْهَلَ عَلَى فُلانٍ إنْفاقَ الدِّرْهَم والدينَارِ، أيْ هَذَا الجنس سَهْلٌ عَليْه إنفَاقُه.

ويجوز أن يكون مساجد اللَّه يعني به المسجد الحرام، كما تقول إذا

---

(١) في الأصول عشرة ألف وهو خطأ.

(٢) أخافهم وأرهبهم من الرعب.

(٣) هكذا في الأصول وهو سهو فالذي ثبت مع الثابتين هو أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب - وقد دعا له رسول الله ﷺ - وسامحه فيما كان منه - أما أبو سفيان بن حرب فكان لا يزال مدخول الإسلام، وقال: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر. انظر سيرة النبي، وانساء العيون في غزوة حنين.

ركب الرجل الفرس، قد صار فلانٌ يركب الخَيْلَ، فعلى هـذا تجري الأَسماءُ التي تُعَبِّرُ عَنِ الأَجْنَاسِ .

وقوله : ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعدَ عَامِهِمْ هَذا﴾ .

يقال لكل مُسْتَقْذرٍ نَجسٌ، فإذا ذكرتَ الرِّجسَ قلتَ : هو رِجْس نَجِسٌ .

وهذا وقع في سنةِ تسع من الهجرةِ، أُمِرَ المسلمون بمنع المشركين من الحج وَبِقتْلِهِمْ حيثُ ثقِفُوهُمْ .

﴿وَإِنْ خفْتُمْ عَيْلَةً فسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فضْلِهِ إن شَاءَ﴾ .

كان لأَهل مكة مكسبة، ورفق[1] ممن كان يحج من المشركين، فأَعْلَمَهُمُ اللَّه أَنه يعوّضهم من ذلك .

والعيلة : الفقر، قال الشاعر :[2]

وما يدري الفقير متى غناهُ وما يدري الغني متى يعيلُ

وقوله جلّ وعزّ : ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ .

معناه : الذين لا يُؤْمنون باللَّه إيمانَ الموحّدِين، لأَنهم أَقرُّوا بأَن اللَّه خالِقُهم، وأَنه له ولدٌ . وأَشرك المشركون معه الأَصنام، فأَعلم اللَّه عزّ وجلّ أَن هذا غيرُ إيمانٍ باللَّه، وأَن إيمانهم بالبعث ليس على جهة إيماننا لأَنهم لا يقرون بأَن أَهل الجنة يأْكلون ويشربُون وليس يقرون باليوم الآخر كما أَعلم اللَّه جلّ وعزّ وليس يدينون بدين الحق، فأَمر اللَّه بقتل الكافرين كافةً إلَّا أَنْ يُعْطُوا الجِزيَةَ عَنْ يَدٍ، وَفُرِض قَبُولُ الجِزْيَةِ من أَهلِ الكتابِ وهم النَّصارى واليهود .

---

(١) ما يستعينون به من الارتفاق بمعنى الكسب .

(٢) تقدم ص ٤٤١ من هذا الجزء .

وَسَنَّ رسـول اللّه ﷺ في المجـوس والصـابئين أن يجـروا مجـرى أهـل الكتاب في قبول الجزية. فأمَّا عَبَدَةُ الأوثان من العـرب فليس فيهم إلا القتْلُ. وكذلك مِنْ غَيْرِهِمْ.

وقوله: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزيَةَ عَن يَدٍ وَهمْ صَاغِرُونَ﴾.

قيل معنى ﴿عَنْ يَدٍ﴾، عنْ ذُلٍّ، وقيل عن يَدٍ عن قهـر وذُلٍّ، كما تقـول اليدُ في هذا لِفلان. أي الأمر النافذ لفُلانٍ.

وقيل ﴿عَنْ يَدٍ﴾ أي عن إنْعَامٍ عليهم بذلك، لأن قبول الجـزية منهم وتـركَ أنْفُسِهِم نعمة[1] عليهم، ويد من المعروف جزيلة.

وقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابنُ اللَّهِ، وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابنُ اللَّهِ﴾.

قُرِئتْ ﴿عزيرٌ﴾ بالتنوين وبغير تنوين، والوجه إثبات التنوين لأن «ابْناً» خبَر، وإنما يحذف التنوين في الصِّفةِ نحو قولـك: جاءَني زيـدُ بنُ عمروٍ، فيحـذف التنـوين لالتقـاء السـاكنين وأنَّ ابنـاً مضـاف إلى عَلَم وأن النعت والمنْعُـوتَ كـالشيء الواحـد. فإذا كـان خبراً فـالتنوين[2] وقـد يجوز حـذف التنوين على ضعف لالتقـاء الساكنين وقـد قرئت: ﴿قل هُوَ اللَّه أَحَـدُ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾، بحـذف التنوين، لسكونها وسكون الباءِ في قوله: ﴿عُزيْرُ ابنُ اللَّهِ﴾.

وفيه وجه آخر: أن يكون الخبر محذوفاً، فيكون معناها[3] عزيرُ ابن اللّـه معبودنا، فيكون «ابْنُ» نَعْتاً.

ولا اختلاف بين النحويين أنَّ إثبات التنوين أجود.

وقوله: ﴿ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأفْوَاهِهِمْ﴾.

---

(١) في الأصل: وترك أنفسهم عليهم نعمة عليهم.

(٢) أي فحكمه أن ينون.

(٣) في الأصل معناهم.

إن قال قائل: كل قول هو بالفم فما الفائدة في قوله بأفواههم فالفَائِدَة فِيه عظيمة بيِّنَةٌ. المعنى أنه ليس فيه بيان ولا برهان إنما هو قول بالفم لا معنى تحته صحيح، لأنهم معترفون بأن اللَّه لم يتخذْ صَاحِبَة فكيف يَزْعُمُونَ لَه وَلَداً، فإنما هو تَكذُّبُ وقولُ فقط.

وقوله: ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفرُوا مِنْ قَبْلُ﴾.

أي يُشَابِهون في قولهم هذا ما تقدم مِنْ كَفَرَتِهِمْ، أي إنما قالوه اتباعاً لمن تقدم من كَفَرَتِهِمْ. الدليل على ذلك قوله:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

أي قبلوا مِنْهمْ أن العُزَيْرَ والمسيحَ ابنا اللَّه تعالى. وهذا معنى: ﴿يُضَاهِئون قَوْلَ الَّذِين كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ وقرئ يضَاهِيُونَ، وأصل المضاهاة في اللغة المشابهة، والأكثرُ تَرْكُ الهمزةِ، واشتقاقه من قولهم: امْرَأَةٌ ضَيْهَاءُ. وهي التي لا ينبت لها ثدي، وقيل هي التي لا تحيض. وإنما معناها أنها أشبهت الرجال في أنها لا ثدْيَ لها، وكذلك إذا لم تحض. وضهياء فعلاء.

الهمزة زائدة كما زيدت في شمأل[1]، وغرقىء[2] البيضة، ولا نعلم [أنها] زيدت غير أوَّل، إلا في هذه الأشياءَ.

ويجوز أن تكون[3] «فَعْيَل» وإن كانت بِنيَةً ليس لها في الكلام نظير، فإنا قد نعرف كثيراً مما لا ثَاني له[4]. من ذلك قولهم كَنَهْبَل وهو الشجر العظام، تقديره فَنَعْلل، وكذلك قَرَنْفُل، لا نظير له وتقديره فَعَنْلُل. وقد قيل:

---

(١) الهمزة في يضاهئون زائدة كما زيدت في شمأل، أي شمال، ومنه عن اليمين والشمائل. فهي جمع شمال.

(٢) غرقىء البيض الجلدة الرقيقة التي تحت القشرة.

(٣) يجوز أن تكون ضهياء من فعيل ـ أي الياء زائدة.

(٤) توجد كلمات على وزن لا نظير له.

إِبِل لا نظير له وإن كان قد جاءَ إِطِل وهو الخصْرُ، وقالوا إيْطِل ثم حذفوا فقالوا إِطِلٍ ، فيجوز أَن يكون «يُضاهِئون» من هذا بالهمز، وتكون همزة ضهياءَ أصلاً في الهمز[١].

وقوله : ﴿سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ .

معناها تنزيهاً له عن شركهم .

وقوله : ﴿وَالَّذِين يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ .

أَكثر التفسير إنما هو للمشركين، وقد قيل إنها فيمن منع الزكاة من أهل القِبْلة[٢] لأَن من أدى من ماله زكاته فقد أَنفق في سبيل اللَّه ما يجب من ماله .

وقوله : ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ .

دخلت إلاَّ ، ولا جُحْدَ في الكلام، وأَنت لا تقول ضربت إلا زَيْداً، لأَن الكلام غير دال عَلَى المحذوف، وإذا قلت: وَيَأْبِيَ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ، فالمعنى يأْبى اللَّه كل شيءَ إلا أَن يُتم نُورَه.

وزعم بعض النحويين أَن في «يأْبى» طرفاً من الجحد، والجَحْدُ والتحقيق ليسا بذي أَطراف[٣]، وآلةُ الجحد لا، وَمَا، ولم، ولن، وليس، فهذه لا أَطراف لها. ينطق بها على جمالها[٤]، ولا يكون الإيجاب جُحْداً ولو جاز هذا على أَنَّ فيه طرفاً من الجحد لجاز: كرهت إلا أَخاك، ولا دليل ههنا على

---

(١) أي أصل الفعل «ضهيأ» .

(٢) من المسلمين، إذ هم يسمون أهل القبلة .

(٣) أي ان هذا البعض يقول إن يأبى فيها جزء من الجحود وهو مخطئ لأن النفي والإثبات لا يتجزءان، فإما إثبات وإما نفي ، ولا يقال جزء نفي ـ وجزء إثبات .

(٤) أي على جملتها ولا داعي لكل هذا فكل ما أراده أن يأبي تحمل معنى النفي ، وليست أداة نفي ، ولا متمحضة له .

المكروه، ما هو ولا من هو، فكرهتُ مثل أَبَيْتُ، إلا أن أبيتُ الحذف مستعمل معها.

وقوله: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

فقال: ﴿الذهب والفضّة﴾ ولم يقل ولا ينفقُونَهما في سبيل اللّه، فإنما جاز ذلك لأن المعنى يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقون المكنوز في سبيل اللّه، ويجوز أن يكون محمولاً على الأموال، فيكون: ﴿ولا ينفقونها﴾، ولا ينفقون الأموال، ويجوز أن يكون: ولا ينفقونها. ولا ينفقون الفضة، وحذف الذهب لأنه داخل في الفضّةِ كما قال الشاعر:(١)

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف.

يريد نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راض، فحذف(٢) «راضون» فكذلك يكون المعنى: «والذين يكنزون الذهب ولا ينفقونه في سبيل اللّه، والفضة ولا ينفقونها في سبيل اللّه».

وقوله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾.

أعلم اللّه جلّ وعزّ: أن عدة شهور المسلمين، الذين تُعُبِّدُوا بأن يجعلوا لِسَنَتِهِمْ(٣) - اثنا عشر شهراً، على منازل القمر، فجعل حجهم وَأَعْيَادَهمْ(٤)

---

(١) لقيس بن الخطيم من قصيدة أولها:

رد الخليط الجمال فانصرفوا ماذا عليهم لو أنهم وقفوا

وهو شاعر جاهلي كان شجاعاً جميل المنظر، وهو والد ثابت بن قيس الصحابي الجليل - انظر العيني ١/٢٢٨، معاهد التنصيص /٩٠، وتفسير الطبري جـ ١٠/١٢٢ ط الحلبي، وابن الشجري ١/٣٣، وينسب أيضاً إلى عمرو بن امرئ القيس الخزرجي ١/٣٩.

(٢) في الأصل ينفقونها.

(٣) يقدروا لها، أو يجعلوا لها نظاماً خاصاً.

(٤) ط - عباداتهم.

وَصَلاَتهُمْ في أعبادهم هذا العَدَد، فالحجُّ والصـوْمُ يكون مـرة في الشتاءِ ومـرة في الصيف، وفي فصـول الأزمان على قـدر الشُّهـور ودَوَران السِّنين، وكـانت أعيادُ أهل الكتاب وَمتُعَبَّدَاتهُمْ في سَنَتِهم يَعْمَلُونَ فيهـا على أن السنة ثـلاثمائـة يوم وخمسة وستون يوماً وبعضُ يوم، على هذا يجري أمـر النصارى واليهـود. فأعلم الله جلّ وعزّ أن سِنِي المُسْلِمِينَ على الأَهِلَّةِ.

وقوله: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾.

الأربعة الحرم: المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجَّة.

﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾.

قيل في الأربعة، وقيل في الاثني عشر. فمن قال في الأربعة قـال: أراد تعظيم شأن المعاصي ـ كما قال جلّ وعزّ: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ فالفسوق لا يجوز في حج ولا غيره؛ ولكنه عزّ وجـلّ عرَّف الأيـام التي تكون فيها المعَاصِي أكْثَرَ إثماً وعقاباً.

وقوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾.

فـ «كافَّة» منصوب على الحال، وهـو مصدر عَلَى فَـاعِله كما قـالوا العـاقِبة والعافِية. وهو في موضع قَاتِلُوا المشركين محيطين بهم باعتقاد مُقاتَلِتِهمْ[1].

وهذا مشتق من كُفَّةِ الشيء، وهي حَـرْفُه، وإنمـا أُخذ من أن الشيءَ إذا انتهى إلى ذلـك كُفَّ عن الـزيـادة، ولا يجـوز أنْ يُثَنَّى ولا يَجْمَـعُ، ولا يقـال قـاتلوهم كافـاتٍ ولا كافِّين، كمـا أنـك إذا قلت: قـاتلوهم عـامَّـة لم تُثَنِّ ولم تجمَعْ، وكذلك خَاصَّةً.

---

(١) بسبب ما لمقاتلتهم من اعتقاد فاسد.

(٢) في الأصل «وهو».

هذا مذهب النحويين،

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

تأويله أنه ضامن لهم النَّصْر.

وقوله: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾.

النسيء - هـذا - تأخيـر الشيء، وكانوا يُحَرِّمونَ القتال في المحرم فـإذا عزموا على أن يقاتلوا فيه جعلوا صفراً كالمحـرم، وقاتلوا في المحـرم وأبدلـوا صَفَراً منه، فأعلم اللَّه جلّ وعزّ أن ذلك زيادة في الكفر.

﴿لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾.

فيجعلوا صَفَـراً كالمحـرم في العدةِ، ويقـولـوا: إن هـذه أربعـة بمنـزلـة أربعة. والمواطأة المماثلة والاتفاق على الشيء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِـرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّـاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾.

الإجمـاع في الروايـات أن هذا كـان في غَزْوَةِ تَبُـوكَ، وذلك أن النـاس خرجوا فيه على ضَيْقَةٍ شديدة شاقّةٍ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿اثاقلْتُمُ إلى الأَرْضِ﴾.

المعنى تثـاقلتم، إلاَّ أن التاءَ أُدْغِمَتْ في الثّـاءِ، فصـارت ثـاءً سـاكنـة، فابتدئت بألف الوصل - الابتداء -.

وفي ﴿اثَّاقَلْتُم إلى الأَرض﴾ عندي غير وجه.

منها أن مَعْنَاهُ تثـاقلْتُمْ إلى الإقامـة بأرْضِكم، ومنهـا اثَّاقَلْتُمْ إلى شهـوات الدنيا.

وقوله: ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ﴾.

أي أرضيتم بنعيم الحياة الدُّنيا من نعيم الآخرة[1].

---

(١) بدلاً من نعيم الآخرة.

﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾.

أي ما يتمتع به في الدنيا قليل عندما يتمتع به أولياءُ اللَّهِ في الجَنَّةِ.

وقوله: ﴿إِلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾.

هذا وعيد شديد في التخلف عن الجهاد، وأعلم أنَّه يستبدل لِنَصْرِ دينه ونبيه قوماً غيرَ مُثَّاقِلِين عنِ النَّصْرِ إلى أعدائه إذ أعلمهم اللَّه عزّ وجلّ أَنَّهم إن تركوا نصره فلن يَضُرَّهُ ذلك شيئاً كما لم يضرره إذ كان بمكة لا ناصرين له، فقال عزّ وجلّ:

﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾.

وكان المشركون قد أجمعوا على قتله ﷺ فمضى هو وأبو بكر الصديق هارباً منهم في الليل، وترك عَلِياً عَلَى فِراشِهِ ليَرَوْا شخصه على الفراش فلا يعلمون وقت مُضيِّهِ، وأطلعا أسماءَ بنت أبي بكر على مكانهما في الغَار، وَمَرَّ رسول اللَّه ﷺ عَلَى ثُمَامَةٍ، وهي شجرة صغيرةٌ ضعيفة فأمر أبا بكر أن يأخذها معه، فلما صارا إلى الغار، أمر أبا بكرٍ فجعلها عَلَى باب الغار، ثم سبق أبو بكر إلى دُخُولِ الغارِ فانبطح فيه، وألقى نفسه، فقال رسول اللَّه: لم فَعَلْتَ ذلك فقال: لأَنَّ هَذِه الغِيرَانَ[1] تكون فيها الهوامُّ المؤْذية والسباع فأَحْبَبْتُ إن كان فيها شيء أن أَقِيكَ بِنَفْسِي يا رسول اللَّه. ونظر أبو بكر إلى جحر في الغار فسدَّه برجله، وقال إنْ خَرَجَ منه ما يُؤْذِي وقيتُكَ منه.

فلما أصبح المشركون اجتازوا بالغار فبكى أبو بكر الصِّدِّيق فقال له رسول اللَّه ﷺ ما يُبكيكَ، فقال: أخاف أَنْ تُقْتَلَ فلا يُعْبد اللَّهُ بَعْدَ اليوم، فقال له رسول اللَّه: ﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، أي إنَّ اللَّه تعالى يمنعُهم منا وَيَنْصُرُنَا،

---

(١) جمع غار. أي هذه الكهوف عادة يكون بها الحشرات.

فقال: أهكذا يا رسول اللَّه: قال نَعمْ فرقاً دمعُ أبو بكر وسكن. وقال المشركون حين اجتازوا بالغار: لو كان فيه أَحَدٌ لم تكُنْ ببابه هذه الثمامة. ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَه عَلَيْه وأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾.

أَيده بملائكة يَصْرِفون وجوهَ الكُفَّار وأَبْصَارَهُمْ عن أَنْ يَرَوْه.

وقوله: ﴿سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾.

يجوز أن تكون الهاءَ التي في عليه لأبي بكر، وجائز أن تكون ترجع على النبي ﷺ لأن اللَّه جلّ ثناؤه ألقى في قلبه ما سَكَن بِه وعلم أنَّهمْ غيرُ وَاصِلين إليه.

فأعلم اللَّه أنهم إنْ تَركوا نصْرَه، نَصَرَه كما نصره في هذه الحال.

وَثَانِيَ اثنين مَنصُوبٌ على الحال، المعنى فقد نَصَرَهُ اللَّه أحدَ اثنين، أي نصرَهُ منفرداً إلاَّ مِنْ أَبِي بكر رضي اللَّه عنه.

وقال جلّ وعزّ: ﴿انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً، وَجاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾.

فقيل ﴿خِفَافاً وثقالاً﴾، أي مُوسِرين ومُعْسِرين، وقيل ﴿خِفَافاً وثقالاً﴾ خفَّتْ عليكم الحركة أَوْ ثقلت، وقيل ركباناً ومُشاة، وقيل أَيضاً شباباً وشيوخاً.

وَيُروَى أَن ابنَ أُمِّ مَكْتُومٍ جاءَ إلى النبي ﷺ فقال أَعليَّ أن أنفر، فقال نَعَم، حتى أَنزل اللَّه عزّ وجلّ: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ﴾(1).

﴿لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لاتَّبَعُوكَ﴾.

العرَضُ كل ما عرض لك من منافع الدنيا، فالمعنى: لو كانت غنيمة قريبة، أَي لو كان ما دُعُوا إليه غُنْماً، وسفراً قاصِداً أَي سَهْلاً قريباً لاتبعوك وَلكِنْ بَعُدَتْ عليهم الشُّقَّةُ.

---

(1) سورة الفتح الآية ١٧.

أي بعدت عليهم الغاية التي تقصدها. وكان هذا حين دُعُوا إلى غزوةِ تبوك، فَثَقلَ عَلَيهِمُ الخروجُ إلى نواحي الشام.

وقوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنك لِمَ أَذِنت لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِين﴾.

أي حتى يَتبيَّن لك من يُنَافِق مِمَّن يصُحِّح. ثم أعلمه جلّ وعلا أن عَلامة النفاق في ذلك الوقت الاستئذان في التخلُّفِ عن الجهاد فقال:

﴿لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ﴾.

موضع «أَنَّ» نَصْبٌ. المعنى لا يستأذنك هؤُلاءِ في أن يجاهدوا، ولكن «في» حُذِفتْ فأفضى الفعلُ فنَصَبَ «أن». قال سيبويه، ويجوز أن يكونَ موضعها جَرًّا، لأن حَذْفها هَهُنا إنما جاز مع ظهور «أنْ» فلو أُظهرت المصدَر لم تحذف في «لا يستأذنك القوم الجهادَ» حتى تقول في الجهاد ويجوز لا يستأذنك القوم أن يجاهدوا.

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنك الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُون بِاللَّهِ وَالْيَوْم الآخر وَارْتَابتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ في رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾.

وأَعْلَمَ اللَّهُ جلّ ثناؤُهُ أَنَّ مَنِ ارْتَابَ وشكَّ فِي اللَّهِ وفي البَعْثِ فهو كافر.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُروجَ لَأعَدُّوا لَهُ عُدَّة﴾.

أي فَتَرْكَهُمْ العُدَّةَ دليلَ على إرَادَتهم التَّخلُّف.

﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾.

والتَّثْبِيط ردُّكَ الإنسانَ عَنِ الشيءِ يفعله، أي كره اللَّه أن يخرجوا معكم فردهم عن الخروج. ثم أعلم عزّ وجلّ: لم كره ذلك فقال:

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إلَّا خَبَالاً﴾.

والخبال الفساد، وذهاب الشيء. قال الشاعر:[١]

أبني لُبيْني لستُمَا بِيَدِ إلا يداً مخبولة العَضُد

أي فاسدة العَضُدِ.

﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾.

يقال أوْضعتُ في السّير إذا أسرعت، ولأسرعوا فيما يخل بكم.

﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾.

أي فيكم من يسمع ويؤدي إليهم ما يريدونَ.

وجائز أن يكون ﴿سَماعونَ لَهمْ﴾ من يقبل مِنهُمْ.

وفي المصحف مكتوب «ولأوضَعوا» ولا أوضعوا[٢]، ومثله في القرآن: ﴿أَوْ لا أَذْبَحَنَّهُ﴾[٣] بزيادة ألف أيضاً، وهذا إنما حَقُّه على اللفظ وَلَأَوْضَعُوا، ولكن الفتحة كانت تكتبُ قبل العَربيّ[٤] ألفاً. والكتاب[٥] أبتدئ به في العربي بقرب نُزُولِ القرآنِ فوقع فيه زيادات في أمكنة واتباع الشيء بنقص عن الحروف. فكتبت «ولا أوضعوا» بلام وألف، بدلاً من الفتحة، وبهمزة.

فهذا مجاز ما وقع من هذا النحو في الكتاب.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي﴾.

أي لا تُؤْثِمْني[٦] بأمرك إياي بالخروج، وذلك غير متيسِّر لي فآثم.

وقيل إن المنافقين هزئوا بالمسلمين في غزوة تبوك، فقالوا أتريدون بنات

---

(١) تقدم هذا الشاهد في الجزء الأول. ص ٤٦٢.

(٢) كتبت اللام لام ألف وبعدها ألف.

(٣) سورة النمل الآية ـ ٢١.

(٤) قبل أن يوجد الخط العربي ـ ويظهر أنه يعني الخط الآرامي.

(٥) الكتابة.

(٦) لا تعرضني للإثم.

الأَصْفَر: فقال: ﴿لا تَفْتِنِّي﴾ [أي] لا تَفْتِنِّي ببنات الأصفر. فأعلم اللّه تعالى أنهم قد سقطوا في الفتنة أي سقطوا في الأثم(١).

﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُـمْ، وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ﴾.

أي قـد علمنـا بـالحـزم في التخلف عنـك. فـأعلم اللّه جـلّ وعـزّ أنّ المسلمين لَنْ يُصيبهم إلا ما كتب اللّه لهم فقال جلّ وعزّ: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾.

أي مـا قدَّر علينـا كما قـال: ﴿مَا أَصـابَ مِنْ مُصيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها﴾(٢). ثم أكّـدَ ذلك فقـال: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾(٢).

وفيه وجه آخر أنه ﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ ما بيّن لنـا في كتابـه، من أنَّا نَظْفَر، فتكون تلك حسنى لنا أو نُقْتَل فتكـون الشهادة حسْنَى لنـا أيضاً، أي فقد كتب اللّه لنا ما يصيبنا أو عَلِمْنَا ما لنا فيه حظ، ثم بيَّنَ جـلّ ثناؤه فقـال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾.

إلَّا الظفَر أو الشهادة.

﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾.

فأنتم تربصونَ بنا إحدى الحسنيَيْن، ونحن نَتَربَّصُ بكم إحدى الشرَّتَيْن، فبين ما تنتظرونه وننتظره فرق عظيم.

---

(١) أي بتباطؤهم وتخلفهم عن القتال. قـال الجد بن قيس: لقـد علم قومي أنـه ما من أحـد أشـد عجباً بالنسـاء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفـر الا أصبر ـ فأذن لي ولا تفتني، وقال جماعة من المنافقين ـ إئذن لنا ولا تفتنا والآية بعدها أشبه بالمنافقين.

(٢) سورة الحديد الآية: ٢٢

وقوله جلّ وعزّ: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾.

وإن شئت كُـرْهاً بـالضم، هذا لفظ أَمْـرٍ ومعناه معنى الشـرط والجـزاء.

والمعنى أَنفقوا طائعين أو مكرهين لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُـمْ.

ومثل هذا من الشعر قول كثير:(١)

أسيئي بنـا أو أحسني لا ملومـة   لـدينـا ولا مقليـة إنْ تـقـلَّتِ

فلمْ يأْمرها بالإساءَة، ولكن أَعْلَمَها أنها إن أَساءَت أو أَحْسَنَتْ فهـو على عهدهَا.

فإن قال قائل كيف كان الخبر في معنى الأَمر، [قلنا هـو] كقولـك: غفر اللَّه لزيدٍ، ورحم اللَّه زيداً، فمعناه: اللهم ارحم زيداً.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾.

مَوْضِعُ «أَن» الأولى نَصْبٌ، وموضِع «أَنِ» الثانية رفع. المعنى ما منعهم من قبول نفقاتهم إلَّا كُفْـرُهم، ويجوز «أَن يُقبَلَ مِنْهُم نَفَقَـاتُهُمْ»(٢) لأن النفقَات في معنى الإنفـاق، . . ، ويجوز: ومـا منعهم من أَنْ يَقْبلَ مِنهُمْ نَفَقَـاتِهمْ إلا أَنهُمْ كَفَرُوا، وهذا لا يجوز أن يقرأ به لأَنه لم يروَ في القراءَة.

وقوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾.

وكَسَـالى - بالضمِّ والفتْـحِ - جمع كسـلان، وكقولـكَ سكران وسُكـارى وسَكـارى. ويجـوز ولا يَـأْتُـونَ الصـلَاةَ إلَّا وهم كَسْلى، ولا يجـوز ذلـك في القرآن.

﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾.

---

(١) من تائيته المشهورة، وتقدم. بيت منهـا ص ٣٨١ جـ ١ وانظر الأمـالي جـ ١ ص ١٠٨، وكتاب سيبويه ٢/٤٦ (بولاق).

(٢) بتذكير الفعل يقبل.

القراءَة على فتح الكـاف[١]، ويجوز الكسـر إلّا وهم كارِهـونَ، ولم يرْوَ في القرآن[٢].

وقوله: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ ولَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعـذِّبَهُمْ بهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا﴾.

معنـاه ـ واللَّه أعلم ـ فلا تعجبـك أموالهـم ولا أولادهم في الـدنيا، إنمـا يريد اللَّه ليعذبهم بها في الآخرة.

ويجوز واللَّه أعلم: إنما يريد اللَّه ليعذبهم بها في الدُّنيا أي هم ينفقونها في الدنيا، وهم منافقون فهم متعذِّبون بإِنْفَاقها إذ كانوا ينفقونها على كرهٍ.

وقوله: ﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وهُمْ كَافِرُونَ﴾.

معناه، وتخرج أنْفسهم أي يغْلُظ عليهم المكروه حتى تزهق أنفُسهم.

﴿ويَحْلِفونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكمْ﴾.

أي يحلفـون باللَّه أنهم مؤْمنـون كما أنتم مُؤْمِنـونَ، وما هُمْ مِنْكُمْ لأنهم يظهرون الإيمان ويُبطنون الكُفر ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾.

أي يفرقون أن يُـظْهِرُوا مـا هم عليه فيقتلُوا، ثم أعلم جـلّ وعزّ أنهم لـو وجدوا مخْلَصاً فيه لفارقوكم، فقال جلّ وعزّ:

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلجأً أَوْ مَغَارَاتٍ﴾.

والملجـأُ واللَّجَأُ، مقصـورٌ ومهموزٌ، وهـو المكـان الَّـذِي يُتَحَصَّنُ فيـه. ومَغَارَات جمع مَغَارة، وهو الموضع يغور فيه الإنسان، أي يستتر فيـه. ويقرأُ: أو مُغارات بضم الميم لأنه يقال أغْرَتِ وَغُرْتُ، إذا دخلت الغَوْر.

---

(١) بدون إمالة، والمراد بالكسر الإمالة.

(٢) في القراءة بهـذه الإمـالة.

وقوله: ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾.

ويقرأ أو مُدْخَلًا بالتخفيف، ويقرأ أو مَدْخلًا.

فأمَّا مُدَّخلٌ فأصله مُدْتخلٌ، ولكن التا والدال من مكان واحد فكان الكلام من وجه واحدٍ أخفّ، ومن قال مَدْخَلًا فهو من دَخَلَ يَدْخُل مدْخلًا، ومن قال مُدْخَلًا فهو من أَدْخَلْته مُدْخَلًا.

قال الشاعر: (١)

الحمدُ للَّه مُمْسَانا ومُصْبَحُنا بالخَيْر صبحَنا ربّي وَمَسَّانَا

ومَعْنَى مُدَّخل ومُدْخل أنهم لو وجدوا قوماً يدْخُلون في جُمْلَتِهِمْ أو يُدْخلونَهُمْ في جُمْلَتِهِمْ: ﴿لوَلَّوْا إليْهِ وَهُمْ يَجْمحُونَ﴾.

المعنى لوْ وَجَدوا هذه الأشياءَ ﴿لوَلَّوْا إلَيْهِ وهُمْ يَجْمَحُونَ﴾.

أي يسرعون إسراعاً لا يَرُدُّ وجُوهَهَمْ شَيءٌ. ومن هذا قيل: فرس جَمُوحٌ للذي إذا حمَل لم يَرُدَّهُ اللجام.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾.

وتقرأ يَلْمُزُونَكَ: يُقالُ لَمَزْتُ الرَّجُلَ أَلْمِزُهُ بكسر الميم، وأَلْمُزُه بِضَمِّ الميم إذَ عِبْتُهُ، وكذلك هَمزْتُه أهمزُه إذا عِبْتَه، قال الشاعر: (٢)

إذَا لقيتُك تبدي لي مُكاشَرةً وإن تَغَيَّبْتُ كنتَ الهامزَ اللمزَةْ

(١) لأمية بن أبي الصلت. وهو بديوانه ٦٢، واللسان (مسى) وخزانة الأدب ١ ـ ١٢٨ (سلفيه) ومعاني القرآن للفراء ١ ـ ٢٦٤ وأمية هو عبد اللَّه بن أبي ربيعة ـ ثقفي كان يتوقع أن يكون النبي، قال فيه رسول اللَّه ﷺ آمن شعره وكفر قلبه، وقال فيه الأصمعي: ذهب أمية في شعره بعامة ذكر الآخرة. وترجمته في الخزانة حـ ١/٢٢٧. ومختار الأغاني ٧٢ ـ ٨٣ ـ وهو شاعر وأبوه شاعره وأخ له شاعر.

(٢) في اللسان (همز). إذا لقيتك عن شمط تكاشرني، وهو في القرطبي ٢٠/١٨١ ـ مع بيت مشابه لزياد الأعجم ولم يذكر قائل هذا البيت.

واللُّمـزَة الكثير العيْب للنـاس، وقال بعضهم:[١] اللُّمَـزَةُ العَيِبُ. بكسـر العَيْنِ أي بكسْرِ عيْنِهِ[٢] [عيِبٌ كنهِم] إِذَا عاب. يراد بـه عَيْب صاحِبِـه وقالـوا: اللُّمْزَةُ الْعيبُ بالمُسارَّة. وهذا كله يرجع إلى العَيب.

وقـوله جـلّ وعزّ: ﴿إِنَّمَـا الصَّدَقَـاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسـاكِينِ والعامِلِينَ عَلَيْهَـا والْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾.

وهم قـوم كانـوا يُعْطَوْنَ: يُتَـأَلَّفُون عَلى أَنْ يُسْلِمُـوا. وهذا غيـر مُسْتَعْمل اليَوْمَ لظهور الإِسلام.

﴿وفِي الرِّقَابِ﴾.

كأَنْ يُعَاوِنَ المُكَاتَبَ حَتَى يفكَّ رقبتَهُ[٣]:

﴿والْغَارِمِينَ﴾.

وهم الـذين لزمهم الـدَّينُ في الحمَالَـةِ، والحمالـةُ، الإِعْطاءُ في الـذِّمَة ويجوز أَن يكون الغارم الَّذِي لـزمَه الـدَّيْنُ في غَيْرِ مَعْصِيَـةٍ، فالأَولى أَن يكـون الـدَّينُ الَّذِي يقضى عَنْـهُ في غير مَعْصِيَـةٍ، لأَنَّ ذَا المعْصِيَةِ إِن أُدِّيَ عنـه الدَّيْنُ كان ذلك تَقوية عَلَى المَعَاصي.

﴿وَفِي سَبيلِ اللَّهِ﴾.

أي وللمجاهدين حَقٌ في الصَّدَقَةِ[٤].

﴿وابْنِ السبِيلِ﴾: ابنُ الطَّريقِ.

وتأْويله الذى قُطِعَ عليه الطريق.

﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ.﴾.

---

(١) في الأصل: ويقال بعضهم.

(٢) وهي الياء.

(٣) في الأصل: رقبتين. ولعل العبارة التالية: الذي لزمه الدين في معصية.

(٤) يريد الإنفاق في إعانة المجاهدين على جهادهم.

مَنْصُوبٌ على التَّوْكِيدِ، لأن قوله: إِنَّما الصَّدَقَاتُ لهؤُلاءِ كقولك فَرَضَ اللَّه الصدقَاتِ لهؤُلاءِ.

وقد بينَّا في أول الأنفالِ ما قيل في جميع الأموال، واسْتَقْصَيْناهُ[1].

ويجوز فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ على ذلك ولا أعلمه قرئ به[2].

وقوله: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُو أُذُنٌ، قُلْ أُذُن خَيْرٍ لكُمْ﴾.

وتفسير الآية أَنَّ مِنَ المنَافِقِينَ مَنْ كانَ يَعيبُ النبيَّ ﷺ ويَقُولُ: إنْ بَلغَه عَنِّي حَلَفْتُ له وَقَبِل مِنِّي لأَنَّهُ أُذُنٌ. فأعلم اللَّه تعالى أنَّهُ أُذُنُ خَيْرٍ لكُمْ.

أي مُسْتَمِعُ خَيْرٍ لَكُمْ، ثم بَيَّن مِمَّنَ يَقْبَلُ فقال:

﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ويُؤْمِنُ لِلمُؤْمِنِين﴾.

أي هو أُذُن خَيْرٍ لا أُذُنُ شَرٍّ، يَسْمَعُ ما ينزله اللَّه عليه، فيصَدِّق به، ويُصدق المؤمنين فيما يُخْبِرُونَه بِه.

﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾.

أي هو رحمةٌ، لأنه كان سَبَبَ المؤْمنين في إيمَانِهِمْ. وَمَن قرأ أُذُنٌ خَيرٌ لَكُمْ، فالمعنى فإن من يَسْمَعُ منكم ويكون قريباً منكم قابلاً للعُذْرِ خيرٌ لكم.

ويروى في هذه الآية أن رَجُلاً مِنَ المُنَافِقِينَ قال: لو كان ما أتى به محمد حقًّا فنَحن حَمِيرٌ، فقال له ابن امرأته إنَّ مَا أَتَى بِه لحقٌّ، وإنَّكَ لَشَرٌّ من دَابَّتِكَ هَذِهِ[3] وبلغ ذلك النبي ﷺ فقال بعض من حَضَرهُ نَعْتَذِر إليه ونحلف له فإنه أُذُنٌ.

---

(١) ص ٤١٣ من هذا الجزء وما بعدها.

(٢) في الأصل: ولا أعلمه قرئ بها.

(٣) في الأصل هذا.

وقوله: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾.

قال بَعْضُ النحويِّينَ: إن هذه اللاَّمَ بِمعنَى القَسَم، أَيْ يَحْلِفُون باللَّه لكم لَيُرْضُنَّكُمْ وهذا خطأٌ لأَنهم إنَّمَا حَلَفُوا أَنَّهُمْ مَا قالُوا ما حُكِيَ عنهُمْ لِيُرْضُوكُمْ[1] باليمين، ولم يَحْلِفُوا أَنَّهُمْ يُرضُون فيما يستقبل.

﴿واللَّهُ وَرَسُولُه أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾.

وقوله: ﴿إِنْ كانُوا مُؤْمِنِين﴾.

أَي إن كانوا على ما يُظْهِرُون فكان ينبغي أَلَّا يَعِيبُوا النبي ﷺ فيكونون بتوليهم النبي ﷺ وتَرْكِ عَيْبِه مؤمنين.

ويجوز في قَوْلِهِ ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ الجر على العطف عَلَى ﴿خَيْرٍ﴾. فيكون المعنى قل إِذُن خير لكم وأُذُنُ رَحْمَةٍ للمؤْمنين.

وقوله: ﴿أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوه﴾، ولم يَقُلْ يُرْضوهُمَا، لأَن المعْنَى يَدُلُّ عليه فحذف استخفافاً، المعنى واللَّه أَحق أَنْ يُرْضوه، وَرَسُوله أَحق أَن يُرْضُوه، كما قال الشاعر:[2]

نحن بما عندنا وأَنت بما عندك راض والأَمرَ مختلفُ

المعنى نحن بما عندنا راضون وأَنت بما عندك رَاض.

وقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

معناه من يعادي اللَّه ورَسُوله، ومن يشاقِق اللَّه ورَسُولَه.

واشتقَاقُه من اللُّغَة كقولك من يجانب اللَّه ورَسُوله، أَي من يكونُ في حَدٍّ، واللَّه ورسوله في حَدٍّ.

---

(١) في الأصل ليرضوا، أي ليحدثوا رضا. ـ أي أقسموا لأجل رضاكم

(٢) تقدم ص ٤٤٥ من هذا الجزء.

﴿فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾.

والقـراءَةُ بالفتـح والكسر: «فَـأَن لَه»، فمن كسـر فعلى الاستئنـاف بعـد الفاءِ، كما تقـول فله نار جهنم، ودَخَلت إن مؤكـدَة، وَمَنْ قَال فـأَن له، فـإِنما أَعاد «فَأَنَّ» توكيداً، لأَنه لما طال الكلام كان إِعَادَتُها أَوْكَدُ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾.

لفظ يَحَـذرُ لفظ الخبر، ومعنـاه الأَمرُ، لأَنـهُ لَا لَبْسَ في الكـلام في أَنـه أَمْرٌ، فهو كقولك لِيَحـذَر المنافقـونَ، وعلى هذا يجـوز في كل مـا يُؤْمَرُ بـه أَن تقول يُفْعَلُ ذَلكَ، فَيَنُوبُ عن قَولك لِيفُعلْ ذلكَ.

ويجوز أَن يكون خبراً عَنْهُم لأَنهم كانوا يكفرون عناداً وَحَسَداً.

وَدَليل هذا القول: ﴿قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾.

وقوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم لَيَقُولُنَّ إِنَّما كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾.

وذلك أَنهُمْ قالوا: إنما كنا نخوض كما يَخُوضُ الركْبُ[١].

وقوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

تأْويله أَنه قد ظهر كفركم بَعدَ إِظهاركُم الإِيمان.

﴿إِنْ نَعْفُ عن طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾.

والقـراءَةُ إِنْ نَعْفُ وَ[إِنْ يُعْفَ، وإِنْ يَعْفُ] جيّـدَةٌ، ولا أَعلم أَحَـداً من المشهورين قرأَ بها.

ويروى أَن هاتين الـطائفتين إنما كـانوا ثـلاثة نَفَـر فَهَـزِئَ اثْنَـان وضَحِكَ وَاحِدٌ، فجُعِل طائفة للواحد.

وكذلك قالوا في قوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَـةٌ منَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. يَرادُ بـهِ نَفْسٌ طائفَةٌ.

---

(١) نذهب هنا وهناك ـ أي كنا نذهب في الكلام هنا وهناك للتسلية والمتعة.

والطائفة في اللغَةِ أَصْلها الجماعةُ، لأَنها المقدار الذِي يطيف بـالشيءِ. وقد يجوز أَن يقال للواحد طائفة يراد بها نفس طائِفةٌ يراد به نفس طائفَةٌ.

وقوله: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْض﴾.

هذا يتلو قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾.

أي ليس المنافقون من المؤمنين، لأَن المنافقين، ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾: أي يأمرون بالكفر بالنبي ﷺ.

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ المَعْرُوفِ﴾.

أي ينهون عن الإِيمان به.

﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾.

أي لا يصْدُقون ولا يزْكوْنَ.

﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾.

أي تركوا أمر اللَّه فتركهم [اللَّهَ] من رحمته وتوفيقه.

وقوله: ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾.

أي كفايةُ ذُنُوبِهِمْ كما تقول: عذبتك حسب فعْلِكَ، وحَسْبُ فُلان ما نَزَل بِهِ، أي ذَلكَ عَلى قَدرْ فعله.

وقوله: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾.

موضع الكاف نصب، أي وعدهم اللَّه على الكفر به كما وعد الذين من قبلهم.

وقوله: ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِم﴾: قيل فـاستمتعوا بحظهم منَ الدنيـا وقيل فاستمتعوا بدينهم، والخلاق النصيب الذي هو عند صاحبه وافرُ الحظ.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوح وَعَادِ﴾.

أَ لم يأتهم[1] خبر الذين هلكوا في الدنيا بذنوبهم فيتعظوا.

﴿والمُؤْتَفِكَاتِ﴾.

جمع مؤْتفكة، ائتفكت بهم الأَرض، أَي انقلبت، يقال إِنهم قوم لـوط، ويقال إِنهم جميعُ مَنْ أُهْلِكَ، كما تقول للهالك انقلبت عليه الدنيا.

﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظلِمُونَ﴾.

أَعلمَ اللَّه جـلّ ثناؤه أَن تعـذيبه[2] إِيـاهم باستحقـاقهم، وأَن ذلك عـدل منه.

وقوله: ﴿وَرِضْوانُ﴾.

وتقرأ ورُضْوان ورِضوان، وهما جميعاً عن عاصم.

ومعنى ﴿وَرِضْوَانٌ من اللَّهِ أَكبرُ﴾، أَي أَكبر مما هم فيه من النعيم.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها النَّبيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ والْمُنَافِقِينَ﴾.

أَمـر بجهـادهم، والمعنى جـاهـدهم بـالقتـل والحجـة، فـالحجـة على المنافقين جهاد لهم.

وقوله: ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالوا﴾.

قيل إِنهم كانـوا هَمُّوا بقتـل رسول اللَّه ﷺ وأَنهم كـانوا اثني عَشَـر رجُلاً عزموا على أَن يقفوا له بعقبة على طريقه، ويغتالـوه، فأَعلمـه اللَّه ذلك. فلمـا بلغ إِليهم أَمَرَ مَنْ نحاهم عن طريقه، وسماهم رَجُلاً رَجُلاً.

فهذه من أَعظم آياته، لأَن الأَمر إِنما عُلِمَ في قصتِهم بالوحي.

﴿وَمَا نَقمُوا إِلَّا أَنْ أَغنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

---

(١) في الأصل ألم يأت.

(٢) في الأصل تعذيبهم.

وإنما قيل أغناهم اللَّه ورسوله، لأن أمْوَالهم كثرت من الغنائم، فكان سببَ ذلك رسولُ اللَّه ﷺ.

وقوله: ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ﴾.

معناه مُؤْلِماً.

وإنما قال في الدنيا لأنهم أُمِرَ بقَتلِهِم.

ويَجُوز: ﴿وما نَقِمُوا﴾.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾.

الأصل لنتصدَّقن، ولكن التاءَ أدْغِمَتْ في الصّاد لقربها منها.

وقوله: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً في قُلُوبِهم﴾.

يجوز أن يكون «فَلَما أتاهم مِنْ فَضلِه بخِلُوا به»، قال:

﴿فأعقبهم نفاقاً﴾ أي أضلهم اللَّه بفعلهم.

وقوله: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنينَ﴾.

يَلْمِزُون، ويلْمُزون - بكسر الميم وضمها - ومعناه يَعيبونَ وكانوا عابُوا أصحاب رسول اللَّه ﷺ في صدقات أتوا بها النبي ﷺ.

يروى أن عبد الرحمن[1] أَتَى بصُرةٍ تملأ الكف، وأن رجُلاً كان يقال له أبو عقيل، أَتَى بصَاعٍ من تَمْر، فعابوه بذلك وقالوا: إن محمداً غَنِيٌّ عن صاعِ هذا وإنما أَتَى بهذا ليُذَكِرَ بنفسِهِ.

فهو معنى ﴿والذينَ لا يجدون إلا جُهْدَهم﴾ و «جَهْدَهُمْ»، بالفتح والضم.

﴿فَيَسْخرُونَ مِنهُمْ﴾.

---

(١) هو عبد الرحمن بن عوف الصحابي الجليل أحد العشرة المبشـرين بالجنـة، وأحد الستة الذين عينهم عمر ليختاروا خليفة منهم بعد موته.

﴿فَيَسخَرونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾.

والسِخْرِيّ[1] من اللّه المجازاة على فعلهم وقد بينا ذلك.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُم﴾.

فيروى أن النبي ﷺ قال: أستَغْفِرُ لهم أكثَرَ مِنْ سَبعين مرة فنزلت ﴿سواءٌ عَلَيْهِمْ اسْتَغْفَرتَ لَهُم أَمْ لَمْ تَستَغفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾.

وقوله: ﴿فَرِحَ المخَلفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خلاَفَ رَسُولِ اللَّه﴾.

بمعنى مخالَفة رسول اللّه.

وهو منصوب لأنه مفعول له، المعنى بأن قعدوا لمخالفة رسول اللّه، ويقرأ خَلْفَ رسول اللّه، ويكون ههنا أنهم تأخروا عن الجِهاد في سبيل اللّه.

﴿وَقَالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الحَرِّ قُلْ نَارُ جهَنَّم أَشَدُّ حَرًّا﴾.

وهذا وعيد في ترك الجهاد. ويجوز لا تنفُروا بضم الفاءِ.

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون﴾.

﴿جزاءً﴾ مفعول له، المعنى: وليبكوا جزاءً لهذا الفعل.

وقوله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾.

يروى أنها نزلت في عبد اللّه بن أُبيّ، وكَانَ رأْسَ المنَافِقينَ فلما حضرته الوفاة بعث إلى رسول اللّه ﷺ يسأله أَحَدَ ثَوْبيْه ليُكفَّنَ به، فبعث إليه رسول اللّه بأحدهما، فأرسل المنافقَ إلى رَسول اللّه أريد الذي كان يلي جلدك من ثِيَابِك، فوجه إليه رسول اللّه ﷺ بذلك. فقيل له فيه: لم وجَّهت إليه بقميصك يكفن فيه وهو كافر، فقال: إن قميصي لن يغني عنه شيئاً من اللّه، وإني أؤمل من اللّه أن يَدْخُلَ في الإسلام خلق كثير بهذا السبب، فيروى أنه أسلم من الخزرج ألفٌ لما رأوه يطلب الاستشفاءَ بثوب رسول اللّه، وأراد الصلاةَ عَليْه.

---

(١) بكسر الراء وتشديد الياء.

فنزل الوحي عليه ﷺ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾.

ويروى أنه ﷺ صلى عليه وَإِنَّما مجاز الصلاة عليه أنه كان ظاهره ظاهر الإسلام، فأعلمه اللَّه جلّ وعزّ أنه إذا عَلِمَ منه النفاق فلا صلاة عليه ﴿ولا تقم على قبره﴾.

كان رسول اللَّه ﷺ إذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له.

وقوله: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾.

المعَذِّرُونَ - بتشديد الذال - وتُقْرَأُ الْمُعْذِرُونَ، فمن قرأ: الْمُعْذِرُونَ، فتأويله الذين أَعْذَرُوا [أي] جاءُوا بِعُذْرٍ، ومنْ قرأ: المعَذِّرُون بتشديد الذال فتأويله المعْتَذِرُونَ، إلَّا أن التَّاءَ أُدْغِمَتْ في الذال لقرب مخرجهما.

ومعنى المعْتَذِرِينَ الذين يعتذرون، كان لهم عذرٌ أو لم يكن لهم.

وهو ههنا أشبه بأن يكون لهم عذرٌ، وأنشدوا:[(١)]

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما　　ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

المعنى فقد جَاءَ بعذر، ويجوز المُعِذّرون - بكسر العين - لأن الأصل المعتذرون، فأسكنت التاءُ وأدغمت في الذال ونقلت حركتها إلى العَيْن فصار الفتح أولى الأشياءِ، ومن كسر العين حرك لالتقاءِ الساكنين، ويجوز المُعُذِّرُون، باتباع الضمةَ التي قبلَها وهذان الوجهان - كسر العين وضمها - لم يُقْرَأ بِهِما، وإنما يجوز في النحو، وهما جهتان يثقل اللفظ بهما، فالقراءَة بهما مطروحة. ويجوز أن يكون المُعذِّرُونَ: الذين: يعَذِّرون، يُوهمون أَنَّ لهم عذار ولا عُذْرَ لهم.

وقوله: ﴿اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾.

---

(١) للبيد بن ربيعة العامري، يوصي ابنتيه بزيارة قبره حولاً بعد موته، ويقول ان هذا كاف. انظر ديوان حاتم حـ ٢ /٢١، ومجاز أبي عبيدة حـ ١ /١٦، والقرطبي ١ /٨٦.

قيل ﴿أُولو الطول﴾ [هم] أُولو الغِنى، وقيل أُولو الفَضْـلِ في المعنى والرأْي والجاه.

والطَّوْلُ الفضل في القدرة على هذه الأشياءِ.

وقوله: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الخَوالِفِ﴾.

الخوالف: النساءَ، وقد يجوز أن يكون جمع خالفة في الرجال. والخالف الذي هو غير مُنْجِب. ولم يأْت في فاعل فواعل إلا في حرفين، فارس وفوارس، وهالك، وهوالك.

وقوله: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً﴾.

هؤلاءِ أعراب كانوا حول المدينة، فكفرهم أشدُّ لأنهم أقسى وأجفى من أهل المدَرِ، وهم أيضاً أبعد من سماع التنزيل وإنذار الرسول.

وقوله: ﴿وَأَجدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلى رَسُولِه﴾.

«أن» في موضع نَصْبٍ، لأن الباءَ محذوفة من أن. المعنى أَجْدَرُ بترك العلم، تقول: أنت جدير أَنْ تفعل كذا، وبأن تفعل كذا، كما تقول أنت خليق أن تفعل، أي هذا الفعل ميسَّر فيك، فإذا حُذِفَتْ الباءُ، لم يصلح إلا بأن، وإن أتيت بالباءِ صلح بأن وغيره، تقول أنت جدير أن تقوم وجدير بالقيام، فإذا قلت، أنت جدير القيامَ، كان خطأً، وإنما صلح مع أن لأن أن تدل على الاستقبال، فكأنها عوض من المحذوف.

وقوله: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾.

أي الموت والقتل.

وقوله: ﴿قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

فيها ثلاثة أَوْجِهِ قُرُبات بضم الرَّاءِ، وقُرْباتٌ[1] بإسكانها وقُرَبات بفتح الراءِ.

---

(١) إسكان العين لا يجوز إلا في ضرورة الشعر.

﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾.

وكذلك: وَصَلِّ عَلَيْهِمْ. معناه دعاء الرسول، قَالَ الأَعشى:

تقول بِنْتِي وقد قربت مُرْ تَحَلاً يا ربُّ جَنِبْ أبي الأَوْصَابَ والوَجَعَا
عَليكِ مثلُ الذي صليت فاغتمضي عيناً فإن لجنبِ الأرضِ مُضطجعا(١)

إن شئت قلت عليك مثلُ الذي، ومثلَ الذي، فمن قال:

«عليك مثلَ الذي صَلَّيتِ» فقد أمرها بالدعاءِ، كأنه قال ادعي مِثْلَ الذي دعوت، ومن قال مثلُ فالمعنى عليك مثل هذا الدعاءِ. أي ثبت عليك مثل هذا.

وقوله: ﴿والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ والأَنصَارِ﴾.

ويجوز والأنصارُ، فمن قال: «والأنصْارِ» نَسَقَ عَلَى المُهَاجِرين.

المعنى: والسابقون الأولون من المهاجرين ومن الأنصار، ومن قال: والأنصارُ نسق به على «والسَّابِقون» كأنه قال: «والسابقون والأنصارُ».

وقوله: ﴿والَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾.

أي من اتبعهم إلى يَوْمِ القيامة.

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنَهُ﴾.

تأويله: ـ واللَّه أعلم ـ أَنَّ اللَّه رَضِيَ أفعَالَهم، وأنهم رضوا ما جازاهم اللَّه به.

وقوله: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرابِ مُنَافِقُونَ، وَمِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾.

(١) تقدم البيت الثاني في الجزء الأول ويروى الأول ـ وقد قربت راحلتي ـ أي عزمت على السفر وأعددت ناقتي للسير وانظر ديوانه ص ٨٦.

مقدَّم ومؤخر، مَرَدُوا متصل بقوله منافقون.

﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَينِ﴾.

أي سنعذبهم بالإنفاق وبالفعل، وقيل بالقَتْل وعذابِ القَبْر.

﴿ثم يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيم﴾.

أي يُعذبون في الآخرة.

وقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِيهِمْ بِهَا﴾.

يصلح أن تكون تطهرهم بها نعْتاً للصدقة، كأنه قال: خذ من أموالهم صدقة مطهرة، والأَجْودُ أن يكونَ تطهرهم للنبي ﷺ.

المعنى خذ من أموالهم صدقة فإنك تطهرهم بها، ويجوز «تطهرْهُمْ» بالجزم على جواب الأَمْر. المعنى إن تأْخذ من أموالهم تطهرهم وتزَكِّهمْ. ولا يجوز في القراءة إلا بإثبات الياءِ في تزكيهم، اتباعاً للمصحف.

﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لهُمْ﴾.

أي ادع لهم. و«سَكَنٌ».

(أي) يسكنون بها.

وقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ويأْخذ الصَّدَقَاتِ﴾.

تأْويله ويقْبَلُ الصَّدَقَاتِ، وكذلك ما يروى «إِنَّ الصَّدَقَةَ تقع في يد اللَّه جلّ وعزّ تأْويله أن الصَّدَقَةَ يتقبَّلُها اللَّه جلّ ثناؤه ويضاعف عليها.

وقوله جلّ وعزّ ﴿وآخَرُونَ مُرْجَأُونَ لأَمْرِ اللَّه﴾.

معنى مُرجَأُونَ - مؤخرون. يقال أرجأْتُ الأَمْرَ، إذا أَخَّرْتَهُ.

ويقرأُ ﴿مُرْجَوْنَ﴾ على أَرْجَيْتُ. و ﴿آخرون﴾ عطف على قوله: ﴿ومِمَّنْ حَوْلكم مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونِ وَمِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ﴾ المعنى من أهل المدينة منافقون ومنهم آخرون مُرْجَوْنَ.

ويقال إنهم الثلاثة الذين خُلِّفُوا

﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾.

«إِمَّا» لوقوع أَحد الشيئين، واللَّه عزّ وجلّ عالم بما يصير إليه أَمرهم، إلا أَن هذا للعباد، خوطبوا بما يعْلَمُونَ، فالمعنى لكنْ أُمرهم عندكم على هذا في الخوف والرَّجَاءِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَكُفْراً﴾.

«الذين» في وضع رَفع، المعنى ومنهم الذين اتَخَذُوا مَسْجداً ضِراراً.

انتصب [ضراراً] مفعولاً له. المعنى اتخذوه للضرار والكفر والتفريق والإِرصاد. فلما حُذِفتِ اللام أَفضى الفعلُ فنصبَ، ويجوز أَن يكون مصدراً محمولاً على المعنى، لأَن اتخاذهم المسجدَ على غير التقوى معناه ضارُّوا به ضِراراً.

وتفسير الآية أَن قوماً من منافقي الأَمصار أَرادوا أَن يفرقوا عن النبي ﷺ من يصلي معه من المؤْمنين فاتخذوا مَسْجِداً يقطعون به المؤْمنين والنبي ﷺ عن مَسْجِد قُباءَ.

﴿وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّه وَرَسُولَه مِنْ قَبْلُ﴾.

كان رجل يقال له: أَبو عمرو(١) الراهب حَارَب النبي ﷺ ومضى إلى هِرَقْلَ، وكان أَحَدَ المنافقين، فقالوا نبني هذا المسجد وننتظر أَبا عَامِرٍ حتَّى يجيءَ، فيصلي فيه، فالإِرصادَ، الانتظار.

---

(١) في كتب التفسير أنه رجل يقال له أبو عامر. قال ابنوا مسجداً واستمدوا ما استطعتم من قوة وسلاح فإني ذاهب إلى قيصر فآتِ بجند من الروم تخرج محمداً وأصحابه، فلما فرغوا منه جاءوا إلى النبي يطلبون أن يصلي فيه وكان على جناح سفر لغزوة تبوك، فلما رجع من سفره أتاه خبر المسجد فأمر بهدمه. وسمي مسجد الضرار.

واتخذوا هذا المسجدَ مُضارَّةً وكُفْراً، لأنّ عِنَادَ النبي ﷺ كفر وأَطْلَعَ اللَّه نبيه ﷺ على طَوِيَّتِهِمْ، وعلى أنهم سيحلفون كاذبين، فقال جلّ وعزّ:

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الحُسْنَى، واللَّهُ يَشْهَدُو إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

وكانوا دعوا النبي ﷺ ليصَلِّيَ فيه فأنزل اللَّه جلّ ثناؤه:

﴿لَا تَقُم فِيهِ أَبَداً﴾.

ثم بين اللَّه عزّ وجلّ: أيُّ المسجدين أحقُّ بالقيام فيه فقال:

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾.

يعني به مسجد قُبَاءَ.

﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾.

«وَأَنْ» في موضع نصبٍ، المعنى: لـمسجد أُسس على التَّقوى أحق بأن تقوم فيه.

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَّهرُوا﴾.

يـروى أن النبي ﷺ وقف بـاب المسجـد فقـال: إنَّ اللَّهَ أحسن عليكم الثناءَ في طَهوركم فبِمَ تَطَهَّرون؟ فقـالوا نغسـل أثر الغـائط بالمـاء. وهَؤُلاء قومٌ من الأنصار.

وقوله: ﴿أَفمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾.

ويجوز أفمَنْ أُسِّسَ بُنْيانُه، ويجوز أفمن آسَاسُ بنيانِه ويجوز أفمن أُسُسُ بنيانِه.

فأما أَسَّسَ بنيـانَهُ، وأُسِّسَ بُنْيـانُه، فقـراءَتان جَيِّـدَتان، والـذي ذُكِرَ غيـر هاتين جائزٌ في العربية، غير جائز في القراءَة، إلا أن تثبتَ به رواية.

المعنى أن من أُسس بنيانه على التقوى خير ممن أُسَّسَ بُنْيَانَهُ على الكفر فقال: ﴿عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾.

وشفا الشيء حَرْفُه وحدُّه، والشفا مقصور يكتب الألف ويثنى شفوين، ومعنى ﴿هَارٍ﴾ هَائِرٌ وهذا من المقلوب، كما قالوا في لاث الشيءُ إذا دار فهوَ لاثٍ والأصل لَائِث وكما قالوا شاك السلاح وشائك، قال الشَّاعِر: (١)

فتعرّفوني إنني أناذاكم شاكٍ سلاحي في الحوادثِ مُعْلِمُ

وكما قال العجاج:

لَاثٍ بـه الأشاءُ والعُبْريُّ(٢)

الأَشَاءُ النخل، والعُبْرِيّ السِّدْرُ الذي على شاطئ الأنهار ومعنى لاثٍ به مطيف به.

﴿فانْهارَ بِه في نَارِ جَهَنَّم﴾.

وهذا مثل، المعنى أن بناءَ هذا المسجد الذي بني ضراراً وكفْراً كبناء على جَرْف جهنم يتهور بأهله فيها.

وقوله: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنُوا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

قال بعضهم لا يزال كفراً، وقال بعضهم لا يزال شكاً. والرِّيبة من الرّيب، والرَّيْبُ: الشَّكُ.

فأعلم اللَّه جلّ وعزّ أن بناءَهم لا يزالون شاكّين فيه، وجائز أن يكون اللَّه جلّ ثناؤه جعل عقوبتهم أنْ أَلْزَمَهُمْ الضلال بركوبهم هذا الأمر الغليظ.

﴿إلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قلُوبُهُمْ﴾.

---

(١) هو طريف بن تميم العنبري من الشعراء الفرسان الجاهليين والبيت في اللسان (علم) وانظر الأصمعيات ١٢٨ وكتاب سيبويه ١٢٩ (بولاق) اللسان (علم).

(٢) والعبري شجر السدر ينبت على عبر النهر وسمي عبرياً نسبة إلى عبرة - وقيل هو ما لا ساق له منه وإنما يكون ذلك فيما قارب العبر وقيل هو ما شرب الماء، وما لا يشرب هو الضال. والبيت في القرطبي ٨/٢٣٧ ومجاز أبي عبيدة١/ ٢١٩، واللسان (عبر - لثى).

ويجوز: «إلاَّ أنْ يَقْطِعَ قُلوبَهم» معناه إلا أنْ يَموتوا، وقال بعضهم: إلا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبُهم ندماً وأَسَفاً على تفريطهم.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الجنَة﴾.

يروى: أنه تاجرهم فأغلى لهم الثمن[1].

وهذا كما قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾[2].

﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فيَقْتُلُونَ ويُقْتَلُون وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً﴾.

بالمعنى[3] لأن معنى قوله: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّة﴾، وعدهم الجنّة وعْداً عليه حَقًا.

ولو كانت في غيرِ القرآن جاز الرفع على معنى ذلك وعد عليه حقٌّ.

وقوله: ﴿فِي التَّورَاةِ والإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾.

يَدُلّ أَنّ أَهل كُلِّ مِلَّةٍ أُمِروا بالقتال وأُوعدوا عليه الجنّة[4].

وقوله: ﴿التَّائِبُون الْعَابِدُونَ﴾.

يصلح أن يكون رفعه على وجوهٍ أَحدها المدحْ كأَنه قال هؤلاءِ التائبون، أو هم التائبون. ويجوز أن يكون على البدل. المعنى يقاتل التائبون، وهذا مذهبُ أَهْلِ اللُّغة.

قال أبو إسحاق: والذي عندي واللّه أَعلم أن قوله: التائبون العابدونَ رفع بالابتداءِ، وخبرُه مُضمرَ، المعنى التائبون العابدون إلى آخر الآية لهم الجنة أيضاً، أي من لم يجاهِده غيرَ معانِدٍ ولا قاصِد لترْك الجهادِ، لأن بعض

(١) أي يروى في شرح الآية وتفسيرها. (٢) سورة البقرة آية ١٦.

(٣) أي «وعدا» مفعول مطلق بالمعنى.

(٤) أي وعدوا الجنة من اللّه جزاء عليه، وأوعد تستعمل للتهديد لا لجزاء الخير.

المسلمين يجزى عن بعضٍ في الجهاد. فمن كانت هذه صفته فَلَهُ الجنَّةُ أيضاً.

التائبون الذين تابوا من الكُفْرِ، والعابدون: الذين عبدوا اللَّه وحدَه، والراكعون السَّاجِدُونَ الذين أدّوا ما افترض اللَّه عليهم في الركوع والسُّجُودِ.

﴿الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

الآمِرُونَ بالإيمانِ باللَّهِ.

﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: عن الكفر باللَّه.

ويجوز [الآمرون] بجميع المعروف، الناهون عن جميع المنكر.

﴿والحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾.

القائمون بما أمر اللَّه به.

وقوله: ﴿السَّائِحُونَ﴾.

في قول أهل اللغة والتفسير جميعاً: الصائمونَ. ومَذْهَبُ الحسن أنهم الذين يصومون الفرض، وقد قيل إنهم الذين يديمون الصيام، وقول الحسن في هذا أَبْيَنُ.

وكذلك ﴿الراكعون السَّاجِدُون﴾ عند الحسن هم الذين يُؤَدُّونَ ما افتُرِضَ عليهم في ركوعهم وسجودهم.

وقوله: ﴿مَا كَانَ للنَّبِيّ والَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا للمُشْرِكِينَ، وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى﴾.

يروى أن النبي ﷺ عرض على عَمِّه أبي طالب الإسْلاَمَ عند وَفاتِه، وذكر له وجُوبَ حَقِّه عليه، فَأَبَى أَبُو طَالب فقال النبي ﷺ: لأستغفرنَّ لك حتى أنْهَى عن ذلك، ويروى أنه استغفر لأُمِّه، ويروى أنه استغفر لأبيه، وأن

المؤمنين ذكروا محاسن ابائهم في الجاهلية وسألوا أن يستغفروا لآبائهم لما كان من محاسنَ كانت لهم[١]، فأعلم اللّه عزّ وجلّ أن ذلك لا يجوز فقال: ﴿ما كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى﴾.

وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الجَحِيمِ﴾

أي من بعد ما تبين لهم أنهم ماتوا كافرين.

ثم أعلم جلّ وعزّ كيف كان استغفار إبراهيم لأبيه فقال:

﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَة وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾.

فيروى أنه كان وعده أن يستغفر له أيام حياته، ويروى أن أبا إبراهيم كان وعد إبراهيم أن يُسْلم إن استغفر له، فلما تبين له إقامته على الكفر تبرّأ منه. وقال اللّه تعالى: ﴿قَدْ كَانَت لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْراهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾[٢].

أي تأسَّوْا بِإِبْرَاهِيمَ فِي هذا القول.

وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيم لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾.

يروى أن عمر سأل النبي ﷺ عن الأوّاه، فقال: الأوّاه الدَّعَّاءُ، والأوَّاهُ فِي أكثر الرِّوَاية الدَّعَّاءُ ويروى أن الأواه الفقيه، ويروى أن الأوَّاهَ المؤمن بلغة الحبشة، ويروى أن الأواه الرحيم الرفيق.

قال أبو عبيدة: ﴿الأواه﴾ المتأوِّهُ شَفَقاً وفرقاً المتضرع يقيناً، يريد أن يكون

---

(١) سألوا النبي الإذن لهم في ذلك. وهذا الوجه غير جيد، لأن الذين ماتوا قبل البعثة غير معذبين.

(٢) سورة الممتحنة من الآية ـ ٤.

تضرعه على يقين بالإجابة ولزوماً للطاعة، وقد انتظم قولُ أَبي عبيدَةَ أَكثَرَ ما رُوِيَ في الأَوّاه وأَنشد أَبو عبيدة(١):

إِذَا مَا قُمتُ أَرْحَلُها بليل تأَوَّه آهَةَ الرَّجُلِ الحزِينِ

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ﴾.

يروى أنه لما نزل تحريم الخمر ووقعت الحدود قال المسلمون فيمن مات قبل ذلك ولم يدرك التحريم اسأَلوا عن حالهم، فأَعلم اللّه جلّ وعزّ أَنه لا يؤاخذهم بِمَا حَرَّم مما لم يحرَّم عَلَيْهِم. وجائز أَن يكون: إذا وفَّقَ اللَّه للهداية فلا إضلال بعدَهَا، لأَن من يهد اللَّهُ فلا مُضِلَّ له.

وقوله: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارَ الَّذِينَ اتبَعُوه فِي سَاعَةِ العُسْرَةِ﴾.

معناها في وقت العُسْرَةِ، لأَن السَّاعَةَ تقعُ على كل زمانٍ، وكان في ذلك الوقت حر شديد، وكان القوم في ضيقة شديدة، وكان الجمل بين جماعة يَعْتَقِبُونَ عليه، وكانوا من الشدَّة والفقْر ربّما اقتسم الثمرةَ اثنان وربما مصَّ الثمرة الجماعة ليشربوا عليها الماءَ، وربما تَحرَّوْا الإِبل فشربوا من ماءِ كُرُوشِهَا(٢) من الحرِّ.

فأَعلم اللَّه عزّ وجلّ أَنه قد تاب عليهم من بعد ما كاد يَزِيغُ قُلوبَ فريق منهم، أَي من بعد ما كادوا يَقْفِلون مِنْ غَزْوَتِهِم للشدَّةِ، ليس أَنه يزيغ عن الإِيمان، إنما هو أَن كادوا يرجعون فتاب اللَّه عليهم بأَن أَقْفَلهم من غَزْوَتِهِمْ.

---

(١) للمثقب العبدي يتحدث عن ناقته، والقصيدة في ديوانه ـ ٥ وانظر شرح المفضليات ٥٨٦ ومجاز أبي عبيدة ١ ـ ٢٤٧ ـ ويرحلها أي يضع عليها الرحل ـ فهي تشكو كثرة أسفاره.

(٢) من الماء الذي في أكراشها.

وقوله: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

على نسق الكلام يدل على أنهم أُمِروا بأن يكونوا مع النبي ﷺ في الشدة والرخاءِ، ويجوز - واللَّهُ أعلم - على هذا قوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾(١).

وقد رويت عن بعضهم «مِنَ الصادِقِينَ» والمعنى واحد، ويجوز أن يكون ممن يصدق ولا يكذب في قول ولا فعل.

وقوله: ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ﴾.

الظمأُ العطشُ، والنصَب: التعَبُ.

﴿ولا مخمصةٌ﴾: المخمصة: المجاعة، فأَعلم اللَّه أنه يجازيهم على جميع ذلك، وأنه يكتب لهم عَمَلاً صالحاً.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾.

هذا لفظ خبر فيه معنى أمر كما كان ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ والمعنى أنهم كانوا إذا كانت سَرِيةٌ نفروا فيها بأجمعهم، فأَعلم اللَّه جلّ وعزّ أنه ينبغي أن ينفر بعضهم ويبقى مع النبي ﷺ بعضٌ لئلا يبقى وحدَه، ولئلا يخلو من خرج منهم من فائدة منه، فقال جلّ وعزّ:

﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾.

المعنى أنهم إذَا بَقِيَتْ منهم بحضرة النبي ﷺ بقية فسَمِعُوا منه وَحْياً أَعْلَمُوا الذين نفروا ما علموا فاستوَوْا في العلم، ولم يخلوا منه.

وجائز - واللَّه أعلم - أن يكون هذا دليلاً على فرض الجهاد يجزى الجماعةُ فيه عن الجماعَة.

---

(١) سورة الأحزاب من الآية: ٢٣.

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾.

﴿غلظة﴾ فيها ثلاث لغات غِلْظَة، وغُلْظَة، وغَلْظَةً.

فهذا دليل أنه ينبغي أن يُقَاتِلَ أهلُ كُلِّ ثغرٍ الذِينَ يَلُونَهُمْ وقيل ان هذا يعنَى به العربُ، وقيل إن النبي ﷺ كانَ رُبَّما تخطى في حربه الذين يَلُونه من الأعداءِ ليكون ذلك أهيبَ له فأمر بقتال من يليه لِيُسْتَنَّ بذلك.

وقوله: ﴿واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

أي اللَّهُ آمرٌ مَنْ نَصَرهُ بالحِرب.

وقوله: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾.

المعنى: وتاب على الثلاثة الذين خلفوا، ويقال إنهم هم المرجَوْن لأمر اللّه.

وقوله: ﴿وإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً﴾.

وأضاف الإيمان إلى السُّورةِ لأنه يزيدُ بسببها.

وقوله: ﴿وَأَمَّا الذِين في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾.

أي شك ونفاق.

﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ﴾.

أي زادتهم كُفْراً إلى كُفرهم، لأنهم كلما كفروا بسورة ازداد كفرهم.

وقوله: ﴿أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾: معناه يُخْتَبَرُونَ في كل عام، وقيل يُختبرون بالدعاءِ إلى الجهاد، وقيل يختبرون أنه ينزل عليهم العذاب والمكروه.

وقوله: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾.

يقولون ذلك إيماء لأنهم منافقون لا يظهرون ذلك.

﴿هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾.

يقولون ذلك اسْتِسْراراً وتَحَذُّراً من أن يُعلِمَ بِهِمُ اللَّه -عزّ وجلّ- [وهو] أعلم.

﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا﴾.

أي يفعلون ذلك وينصرفون، فجائز أن يكون ينصرفون عن المكان الذي اسْتَحقُوا فيه، وجائز أن يكون ينصرفون عن العمل بشيء مما يستمعون.

﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾.

أي أضلهم اللَّه مُجازَاةً على فعلهم.

وقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾.

أي هو بَشَرٌ مثلكم. أي فهو أوكد للحجَّة عليكم لأنكم تفهمون عمَّن هو مثلكم.

وجائز أن يكون عنى به أنه عربي كما أنكم عربٌ، فأنتم تَخْبُرونَه وقد وقفتم على مذهبه.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾.

أي عزيز عليه عنتكم، والعنتُ لقاءُ الشِّدةِ.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾.

أي حريصٌ عَلَى إيمَانِكم.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾.

أي الذي يكفيني اللَّه.

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ﴾.

والعظيمُ ههنا جائزان.

* * *

وقوله: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾[1].

(١) رجوع إلى الآية ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم﴾.

دخلت «مِنْ» في الزمان، والأَصل مُنْذُ ومُذْ، هذا[1] أكثَرُ الاستعمال في الزمان، و «من» جائز دخولها لأَنها الأَصل في ابتداءِ الغاية والتبعيض. ومثل هذا قول زهير:[2]

لمن الـديـار بقنـة الحجـر أَقـوين مِنْ حِجَـج ومن شهـر

وقيل إن معنى هذا مِنْ مَرِّ حِجج ومن مَرِّ شَهْرِ.

---

(١) في الأصل هذه. أي وهذه العبارة.

(٢) القصيدة في ديوان زهير ص ٨٩. ويروى البيت:

أقوين مذجحج ومذدهر.

الـفـهارس

بحوث لغوية ونحوية وتفسيرية

الشواهد الشعرية

أول البيت	آخره	قائله	الصفحة
راحوا	وأي	الأسعر الجعفي	٣٩٧
وقد	نشاء	زهير بن أبي سلمى	٧٥
ليس	الأحياء	عدي بن الرعلاء	١٤٤
يفضله	الذكاء	زهير	١٤٦
وبوئت	ميؤها	ابن هرمة	٣٥٠
فاليوم	عجب	الأعشى	٧
فإن	يغضب	—	٢٦
فلا تحرمني	غريب	علقمة	٥٠
بها جيف	صليب	علقمة	٧٤
أذاع	بثقوب	أبو الأسود	٨٣
إلى بلد	المضطرب		٩٦
فقلت	غاربه	أبو الجراح	١٠٥
قوم	الكربا	الحطيئة	١٣٩
فقلت لها	لبيب	للمضرب بن سعد	١٤٢
متبذلاً	النقب	دريد بن الصمة	١٥٤
أنا	الطلب		٢٠٥
بني	أشهب		٢٥٩
وداع	مجيب	كعب الغنوي	٤٠٩

أنصاف الأبيات

تراجم

فهرس الكتـاب

الفهـارس :